
الشيخ
عبد العظيم المهتدي البحراني
التسقيط
معصية كبيرة وظاهرة خطيرة
يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
دار العلوم



التسقيط

معصية كبيرة وظاهرة خطيرة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار العلوم
للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع

المكتبة : حارة حريك - بئر العبد - شارع السيد عباس الموسوي - الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ - ٠٣/٤٧٣٩١٩ - ص.ب : ١٣/٦٠٨٠
المستودع: حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - تلفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠
www.daraloloum.com E-mail : daraloloum@hotmail.com



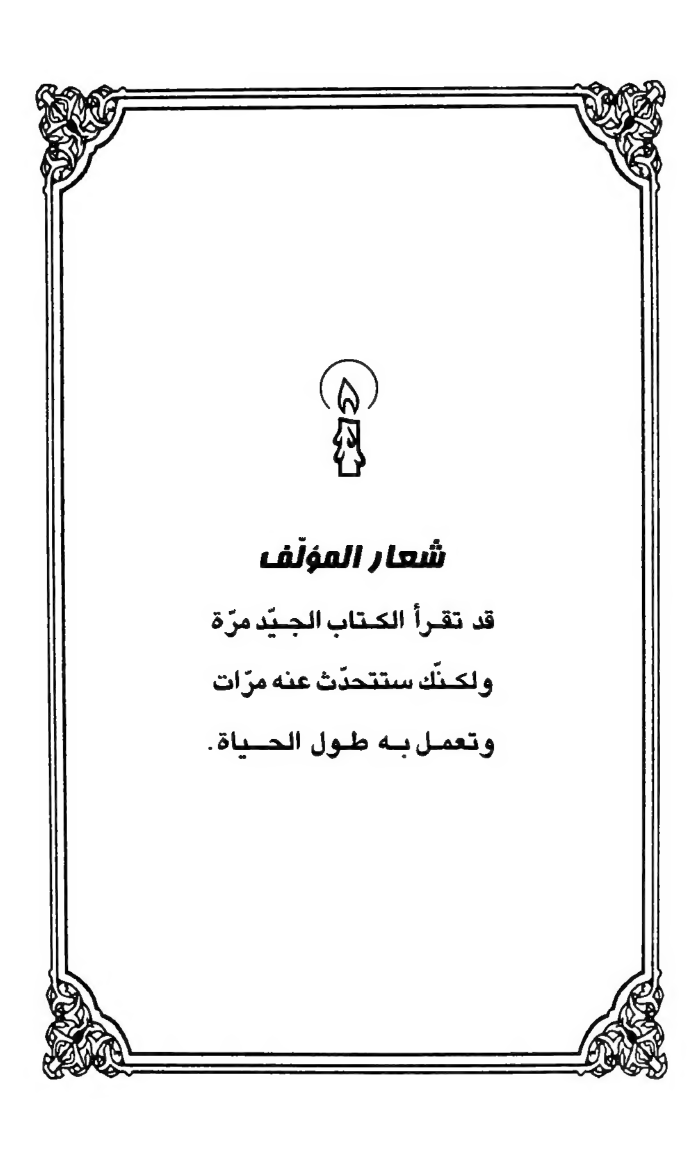
التسقيط

معصية كبيرة وظاهرة خطيرة

مذكراتٌ ومكاشفات من واقع المعاناة والألم في محاولة موضوعية جريئة على ضوء القرآن والسُنّة لمعالجة أخطر مرض فتّاك في الأُمّة .. مرض التسقيط والقيل والقال

عبد العظيم المهتدي البحراني

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



شعار المؤلّف

قد تقرأ الكتاب الجيّد مرّة

ولكنّك ستتحدّث عنه مرّات

وتعمل به طول الحياة.

ضياء من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سورة آل عمران / ١٠٢ ـ ١٠٥

ضياء من السنّة المطهّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **ألا أُنبئكم لِمَ سمّي المؤمن مؤمناً ، لإيمانه الناس على أنفسهم وأموالهم ، ألا أُنبئكم مَن المسلم ، مَن سَلِمَ الناس من يده ولسانه ، ألا أُنبئكم بالمهاجر ، مَن هجر السيّئات ، وما حرّم الله عليه ، ومن دفع مؤمناً دفعةً ليذلّه بها ، أو لطمه لطمة ، أو أتى إليه أمراً يكرهه ، لعنته الملائكة حتّى يرضيه من حقّه ، ويتوب ويستغفر ، فإيّاكم والعجلة إلى أحدٍ فلعلّه مؤمن وأنتم لا تعلمون ، وعليكم بالأناة واللين ، والتسرّع من سلاح الشياطين ، ما من شيء أحبّ إلى الله من الأناة واللين** ». (علل الشرائع / ص٥٣٣ ب ٣٠٠ ح٢)

وقال الامام علي عليه السلام : « **عليكم بالتواصل والموافقة واياكم والمقاطعة والمهاجرة** ».(ميزان الحكمة / ج١٠ ص٣١٢)

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **إن الشيطان يغري بين المؤمنين مالم يرجع أحدهم عن دينه ، فاذا فعلوا ذلك استلقا على قفاه وتمدّد ، ثم قال : فزتُ . فرحم الله امرءاً ألّف بين وليّين لنا ، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا** ». (أُصول الكافي / ج٢ ص٣٤٥)

ضياء من المناجاة في أخلاق الله

إلٰهي .. خابَ ٱلْوافِدُونَ عَلىٰ غَيْرِكَ وَخَسِرَ ٱلْمُتَعَرِّضُونَ إلّا لَكَ وَضاعَ ٱلْـمُلِمُّون إلّا بِكَ وَأَجْـدَبَ ٱلْـمُنْتَجِعُونَ إلّا مَـن ٱنْتَجَعَ فَضْلَكَ، بابُكَ مَـفْتُوحٌ لِـلرّاغِـبينَ وَخَـيْرُك مَـبْذُولٌ لِلطّالِبينَ وَفَضْلُكَ مُباحٌ لِلسّائِلينَ وَنَيْلُكَ مُـتاحٌ لِـلْآمِلينَ وَرِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ ناواكَ، عادَتُكَ الْأِحْسانُ إلىٰ ٱلْـمُسيئِينَ وَسَبيلُكَ ٱلْأِبْـقاءُ عَـلىٰ ٱلْمُعْتَدِينَ. اَللّـٰهُمَّ فَـاهْدِني هُـدَىٰ ٱلْـمُهْتَدِينَ وَٱرْزُقْـني اِجْتِهادَ ٱلْمُجْتَهِدِينَ وَلا تَجْعَلْنِي مِنَ ٱلْغافِلِينَ ٱلْـمُبْعَدِينَ وَٱغْفِرْ لي يَوْمَ ٱلدِّين.

من أدعية الإمام الصادق عليه السلام في أيّام شهر رجب .

أهدي هذا الكتاب :

● إلى كل قلب حزين وكل مظلوم فوّض أمره إلى الله القادر على كل شيء ...

● وإلى كلّ إصلاحي يريد محاكمة الفكر التسقيطي في الأُمّة وتجفيف منابعه العَفِنة لكيلا يعود الى السطح أبداً...

● وإلى كلّ مخلص في الدفاع عن المراجع الربّانيين والعلماء الصالحين والمظلومين ...

● وإلى كلّ من يدعوه تقواه إلى الاحتياط عن أكل (الحوم) المؤمنين ...

وإلى إخوتي المتطلّعين إلى تلك الدار الآخرة ولسان حالهم :

فـــيا مـــوتُ زُر إنّ الحـــياة ذمـــيمة
ويـــانفسُ جِـــدّي إنّ دهـــرك هـــازلُ

● والىٰ الذين يتطلّعون الىٰ وحدة المراجع الدينية ولسان حالهم :

تأبىٰ العِصيّ اذا اجتمعنَ تكسّراً
واذا افـترقنَ تكسّـرتْ آحـادا

● أرجو منكم جميعاً قبول هذه الهديّة المتواضعة علىٰ أن تقرؤها من البداية الىٰ النهاية قراءةً خالصة لوجه الله

إقبلوها من أقلّكم : عبدالعظيم المهتدي البحراني

تعبيراً لكم عن جُرحي !!

« لا تستوحشوا في طريق الحقّ من قلّة سالكيه » [(١)]

أبداً لم أستوحش في هذا الطريق ، ولكن من باب (ليطمئن قلبي) طلبت من أحد الخيّرين الزاهدين في الدنيا أن يستخير لي بكتاب الله تعالىٰ بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة (٢٧ / شعبان المعظّم ١٤٢٤) فظهرت هذه الآيات المباركات تعبيراً دقيقاً للمضي في هذا الطريق الصعب : **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنْ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾** [(٢)]

ولا أُخفي عليك أيّها القارئ العزيز أنّ عدّة من الأصدقاء حاولوا ثنيي

---

(١) من كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام .

(٢) سورة الأنبياء / ٧٩ ـ ٨٤.

عن نشر هذا الكتاب ، وبعد عام من التفكير والتردّد حسمتُ المضيّ مع الاعتذار لهم ، سيّما بعد الاستخارة الثانية التي أخذها لي الخيّر المذكور ، فكانت الآية من صميم الحالة ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

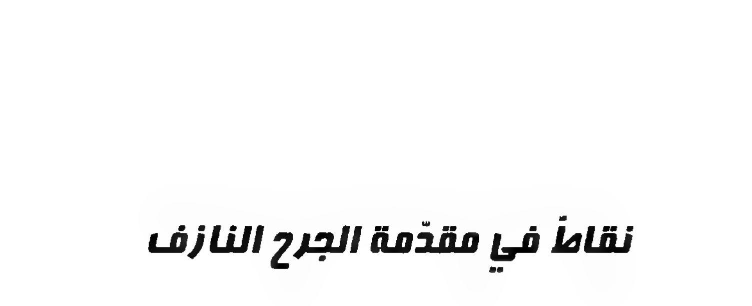
ففي هذا الكتاب ـ إذ يعبّر عن آرائي فقط ـ : أُقدّم لكم جرحي علىٰ باقة (المحبّة) ونسيم (العدالة) وضياء (العقلنة) .. تعبيراً عن واقع متخلّف يوشك السقوط بأهله إلى قعر الهاوية إن لم تنهض الهمم العالية وتشدّ بعضها أحزمة بعضٍ للإصلاحات الحقيقية الجريئة وإنْ كانت عسيرة إلا على الذين توكّلوا على الله تعالى وافتتحوا عملهم الصالح بالدعاء التالي:

« اللهمّ إنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرَّحمة وأهلِ بيتِه الّذينَ إخْتَرْتَهُم علىٰ عِلْمٍ علىٰ العالَمين . اللهُمّ فَذَلِّلْ لِي صعوبتَها وحزونتَها وآكْفِني شَرَّها فإنَّكَ الكافي المُعافي والغالِبُ القاهِرُ القادِر »[2].

---

(١) سورة النور / ١١.

(٢) دعاء وارد عن الإمام علي عليه السلام مجرّب لتذليل الصعوبات في كلّ شيء.



نقاطٌ في مقدّمة الجرح النازف



الحمد لله، مؤلّف القلوب، والصلاة والسلام

على سيّدنا محمّد وآله، هداة الشعوب.

أمّا بعد: فهذه سطور كتبتها بقلم الشجون وحبر الدموع وألم القلب المحزون، وبأنامل تنزف من الجرح العميق، وأنا أُحذّر من استمرار أسوأ ظاهرة تشهدها الأُمّة الإسلامية في أسوأ ظروف تمرّ بها في مواجهة الاستكبار العالمي والتكالب الصليبي والصهيوني وهجماته السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والطائفية والإفسادية. تلك هي ظاهرة التسقيط الداخلي والإحتراب الفئوي بين المسلمين أنفسهم، ظاهرة لا تنبع من الإسلام العظيم، إذ تتكوّن جذورها من أقبح الرذائل الأخلاقية والموبقات التي تهزّ عرش الله تعالى، وهي من أهم عوامل الفشل والانتكاسات وهدم الجهود كما صرّح به ربّنا تعالىٰ: **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾**[1].

---

(١) الأنفال / ٤٦.

وكما صرّح به النبي الأكرم ﷺ : « لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا »[1].

وصرّح به الإمام علي عليه السلام : «إيّاكم والمراء والخصومة فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق »[2].

وقاله أيضاً الإمام الصادق عليه السلام : « إيّاكم والخصومة في الدين فإنّها تشغل القلب عن ذكر الله عزّوجلّ ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغائن ، وتستجير الكذب»[3].

وهذا هو واقع مجتمعاتنا المهزومة اليوم وصورة العلاقات المتضاربة والمجاملات النفاقية . وقد أحسن الشاعر حينما وصف أفراد هذه المجتمعات بقوله :

ويريك البشاشة حين اللقاء   ويبريك في الغيب بري القلم

● ومن الواضح أنّ التجاذبات التسقيطية بين المسلمين لها تاريخ قديم، وقد أدّىٰ بعضها إلى التقاذف بالتكفير والتنجيس وسفك الدماء وزرع الأحقاد وتوارث العداوات، وهي وإن كانت في حقيقتها لأسباب قومية أوطائفية أو عشائرية أو حزبية وسياسية أو منافع مادية إلّا أنّ التفاسير الناقصة للإسلام وعقائده وأحكامه قد تسبّبتْ فيها ولعبت دوراً أساسياً فى

---

(١) ميزان الحكمة / ج٣ ص٧٥ ، نقلاً عن كنز العمّال .

(٢) بحار الأنوار / ج٧٣ ص٣٣٩ .

(٣) بحار الأنوار / ج٢ ص١٢٨ .

اكثرها، إذ تلبّس المتنازعون بالإسلام في صراعاتهم المأساوية[1] ، وإذا صرفنا النظر عنها علىٰ صعيد الآخرين فإنّ الحيرة والمصيبة تكمن في ظهورها عندنا ـ أتباع مذهب أهل البيت عليهم‌السلام ـ وذلك لأمر غريب جدّاً ، لأنّ الإسلام في هذه المدرسة الطاهرة مفسَّر بتفسير واحد، ولا تستدعي الاجتهادات الفرعية لمراجع الدين الأجلّاء في هذا المذهب أن يرتموا أو أتباعهم في تجاذبات تصل إلى حدّ التسقيط والتشهير ما داموا جميعاً يعتزّون بانفتاح باب الاجتهاد لديهم ، وهو ما تفتقده المذاهب الأخرىٰ القائلة بانسداده . فكيف تليق هذه الظاهرة الخطيرة بأتباع مذهب الأئمّة الطاهرين من آل النبي محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله وهم كانوا مع غيرهم ومن نصبوا لهم العداوة يتعاملون بأروع الأساليب الأخلاقية حتّى اهتدى إلى نهجهم الرسالي الكثيرون منهم فقالوا في حقّهم ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ .

● إنّنا في مذهبنا الحق نحظى بجميع مقوّمات الوئام والخير والتقدّم بدءاً من رضا الله تعالىٰ وتوفيقاته الجليّة، ومروراً بالفكر والثقافة والمؤسّسات العالمية، وانتهاءً بالمال والعدد والحالة الجهادية والاستعداد للتضحية ، ولكنّنا وبسبب (التسقيط) الذي نمارسه ضدّ بعضنا البعض باتت هذه المقوّمات معطّلة لا تثمر خيراً مذكوراً ولا تقدماً ملحوظاً، وباتت الشيعة في أكثر البلدان مضطهدين ولا سبيل لديهم للخلاص من أيدي الظالمين ولعبة المستكبرين .

---

(١) ـ سنذكر في الفصل الأول لمحة عن هذه المآسي المخزية في تاريخ المسلمين .

من هنا كانت ظاهرة التسقيط في أوساطنا (نحن الشيعة) تُعتَبر ظاهرة غريبة وغير منسجمة مع المنظومة الفكرية والأخلاقية التي نؤمن بها في أئمّتنا الأطهار عليهم السلام .

ولهذه الجهة كان لزاماً علينا أن ندرس هذه الظاهرة ونفحص تاريخها وأسبابها وآثارها التدميرية ونحذّر الصالحين من التورّط فيها وتوريثها للأجيال القادمة .

والغريب جدّاً ، بل الأليم أيضاً، هو عكوف بعضنا الكثير على الاسترسال مع هذه الظاهرة المَرَضية دون إتّعاظهم من الحوادث السابقة أو أخذ العبرة من المقابر الجماعية التي اكتشفوها في العراق بعد سقوط المجرم صدّام ، وقد سبقت عليهم منه الويلات في حربه الطويلة ضدّ الجمهورية الإسلامية وحربه على الكويت والانتفاضة الشعبية الإسلامية للشعب العراقي المظلوم، وأخيراً جرّه العراق والمنطقة إلى الهيمنة الأميركية الاستعمارية ذات الهندسة الصهيونية .

فرغم المآسي التي حلّت بالشعب العراقي وشعوب المنطقة وعوائل السجناء والشهداء والمشرَّدين لا زالت حرب التسقيط القذرة تواصل حصادها في أوساطنا بقيادة بعض علماء السوء الذين اغتصبواالعمامة على رؤوسهم والناعقين خلفهم !! فوا خجلتاه !!

فما أكثر العبر وأقلّ الإعتبار فينا وما أقبح هذا السبات العميق والغفلة المهلكة!

● وإن قال قائل أنّ دخول العلماء في العمل السياسي في زماننا هو

السبب الوحيد لولادة هذه الظاهرة الأثيمة وأُفول قيمنا الأخلاقية والروح التسامحية !

أقول لا أظنّه سبباً وحيداً لأنّ التسقيط ظاهرة متداولة حتّى في أوساط الذين لم يدخلوا في السياسة ، مضافاً إلى أنّ القضية لم تختصّ بزماننا ، فللتسقيط تاريخ ذكرناه بشيء من التفصيل في مقدّمة كتابنا (قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين) ونذكره بشيءٍ من التفصيل في هذا الكتاب.

نعم .. إنما توسّعت عملية التسقيط المحدودة بطرقها الحديثة وفنونها وأساليبها ومصاديقها مع دخول الأسباب السياسية وظهور المناصب والمصالح المادّية التي غزت الوسط الديني المعاصر سيّما بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران ، حتّى أصبحنا اليوم بعد (٢٥) عاماً يميل الكثيرون منّا إلى قبول المقولة القائلة بأنّ السياسة نجسة ومن اقتربها تنجّس ، علماً أنّ هناك دينيون سياسيون يعملون بدرجة عالية من التقوى والحذر .

● ومهما يكن من أمر فإنّنا والقرّاء الكرام ندرك جيّداً أنّ التسقيط والحسّ الانتقامي في الأُمّة واحتقار الغير والانتقاص من الآخرين كلّها رذائل أخلاقية ومحرّمات شرعية لا تلتقي مع شرف التنافس ولا ترقىٰ إلى حضارية العمل الاسلامي، فقد قال ربّنا تعالىٰ: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ**

الآيَـــاتِ وَاللهُ عَـلِيمٌ حَكِـيمٌ * إِنَّ الَّـذِينَ يُـحِبُّـونَ أَنْ تَشِـيعَ الْـفَاحِـشَةُ فِـي الَّذِينَ آمَـنُوا لَـهُمْ عَــذَابٌ أَلِــيمٌ فِـي الدُّنْــيَا وَالآخِــرَةِ وَاللهُ يَـعْـلَمُ وَأَنْــتُمْ لَا تَعْلَـمُونَ﴾[1].

فخطورة هذه الظاهرة على ديننا ودنيانا وآخرتنا، وأهميّة بحثها فكرياً وموضوعياً وتربوياً، قضية هامّة لا يختلف عليها الناصحون فـي الأُمّـة والمصلحون من الشيعة ، وهذه هي التي دعـتني بـقوّة إلىٰ تأليـف هـذا الكتاب وأنا ألتمس من أساتذتي العلماء وزملائي طلبة العلوم الدينية أن يدلو بدلوهم أيضاً لإشباع الموضوع إيجابياً وإثرائه مـيدانـياً حـتّىٰ يـتمّ القضاء الكامل على مرض التسقيط في مجتمعاتنا أو الحدّ مـنه قـبل أن يقضي علىٰ كامل الجهود والأتعاب ثمّ نأتي إلى حساب الآخرة مأثومين بلا أجر وثواب .

وما نسطّره في هذا الكتاب ـ ونحن آسفون ـ إنّما نريد منه في الدرجة الأُولى دعوة المخلصين الغيورين في الأُمّة إلى إماتة سنّة التسقيط السيّئة التي لا زال يحصد منها الاستعمار الأجنبي مآربه الخبيثة فـينا ويسـتمرّ توسّعاً وامتداداً في شؤون حياتنا كلّما وفّرنا له الأرضية من خلال تخلّفنا وجهلنا جماهيرياً والسياسات الدنيوية حكّاماً وأنظمة والنزاعات الفئوية الحادّة علماءً وأحزاباً وجماعات ، والتي قطّعنا بها أوصالنا وألغـمنا بـها نفوسنا ونفوس أطفالنا الأبرياء أيضاً، فلا تنفعنا نداءاتنا عن الإسلام ونحن نحمل (فيروس) التسقيط ونشحن به مَن حولنا لنتحرك بالأنياب ونمشي

---

(١) سورة النور : ١٥ ـ ١٩.

بالأشواك ونتصرّف بالأحقاد وندور حول أنفسنا بإفشال مشاريع بـعضنا البعض وهدر طاقاتنا .

هذا هو واقعنا المكشوف أمام أعدائـنا والذي لن يـزول إلّا بـالتسليم لهدى القرآن الكريم وبصائر النبي الأمين والعترة النـبوية الشـريفة ونـبذ التعصّب لغيرهما أنّىٰ كان ذلك الغير . قال الله تعالىٰ: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[1].

والحمد لله الذي هداني إلى نهج وحدوي إصلاحي جريء ، أُحافظ فيه علىٰ محبّتي للجميع وعلاقاتي مع كل الأطراف، عساني أُقْلِم بها الحدّيات وأُخفّف الصراعات السلبية التي يقع فيها أيضاً بعض (الطيّبين) في ساعات الغفلة عن القيم ورقابة السماء.

ولأنّ هذا المرض الخبيث متجذّر في أكثر القطاعات والمستويات قد تجدني اضطراراً ـ ياعزيزي القارئ ـ أُبرز لك شواهـد وأمـثلة ومـواقـف عشتها، وربما لا يرتاح بعض الإخوة للـتصريح بـها، ولكـن أقـول: دع للطبيب حرّيته لاستخدام الدواء المرّ والمقص الجارح ، عسىٰ الله يوفّقنا وأمثالنا لاجتثاث جذور المأساة والمعاناة الطويلة التي تكاد تطول عـند البعض من بقايا الزوبعة. فلابد لابد من خلق جيل غير مخروق الجـيب! والا فالجهود ضائعة مهدورة.

---

(١) سورة النساء : ٦٥.

● ولكي لا يصنّفني مَن لا يعرفني ضمن تلك التصنيفات (العلمائية المتقابلة!!) إقترح لي صديق أن أبيّن نفسي للقاريْ الجديد معلِّلاً أنك وأمثالك تعيشون في مجتمعات تشبه مجتمع الشام الذي اعتقد وبفعل التسقيط الأموي أن علياً لا يصلي! وأن الحسين خرج عن الدين الاسلامي وأن...

فكان واجباً أن يهتف الامام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد بن معاوية:

أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن...

ولا أدري إن كان يوجد حمقى آنذاك ليقولوا كيف الإمام يمدح نفسه!! وهكذا كان لزاماً أن أقول هنا بما يفيد المقام والهدف:

١ ـ في سنّ (الثالث عشر) من عمري سنة (١٩٧٤م) انتقلت من البحرين الىٰ النجف الأشرف للدراسة الحوزوية وأنا أقلّد المرجع الأعلىٰ حينذاك السيد الخوئي (رحمه الله) ولم أبلغ البلوغ.

وكان أبرز أساتذتي في النجف: المرجع التقي الراحل السيد عبد الأعلىٰ السبزواري (في الحديث والتفسير والأخلاق) وآية الله السيد أحمد المَددي (في الفقه والأُصول وكتاب فلسفتنا) وآية الله الشيخ محمد باقر الايرواني وآية الله السيد محمود الهاشمي (في حلقات الأُصول للشهيد الصدر) وآية الله الشهيد السيد صاحب الحكيم (في كفاية الأُصول) والمرحوم آية الله السيّد محمّد كلانتر (في التاريخ ونهج البلاغة).

وتعرّفت على الإمام الخميني في النجف الأشرف من خلال مطالعتي في بعض كتبه واستماعي لبعض محاضراته في مسجد الشيخ الأنصاري

ومن خلال عدّة زيارات قمتُ به إليه ، حتّى قرّرت الانتقال إلى تقليده ، وكان ذلك قبل انتصار الثورة الإسلامية في ايران بسنتين وبـذلت زهـرة شبابي لمسيرته الجهادية التي لازلت على أثرها أعاني من آلام تـعذيب السجون وتعذيب ألسنة الجاهلين المتاجرين بـاسم الإمـام وخـطه فـي بلادنا!!

وكنت آنذاك من المعجبين بشخصيّة الإمام موسى الصدر فـي العـمل السياسي لأجل المحرومين ومعجباً بـالشيخ مـحمّد تـقي الفـلسفي فـي الخطابة وبالشيخ محمد جواد مغنية والسيد هادي المدرسي في التأليـف والكتابة. فكانوا أسوتي في هذه الأبعاد الثلاثة.

٢ ـ في سنة (١٩٧٥) تعرّفت في الكويت علىٰ المرجع المجاهد السيد محمد الشيرازي (رحمه الله) واستمرت علاقتي به متقطّعة كلّما سـافرت إلى الكويت من العراق أو من البحرين إلى أن انتقل الىٰ مدينة قم المشرّفة حيث إلتقيتُ بـه فـيها سـنة (١٩٨٠) بـعد أن نُـفيت مـن البـحرين إلى الجمهورية الإسلامية ، وحضرت عنده بحوث الفقه الخارج حـتىٰ سـنة (١٩٨٢) ثم واصلت عبر إذاعة طـهران الاسـتماع الىٰ البـحوث الفـقهية لخارج سماحة الفقيه الجليل الشيخ المنتظري الىٰ سنة (١٩٨٥)، حـيث انتقلت في تلك الفـترة إلى طـهران للـتدريس فـي (حـوزة القـائم عليه السلام) لسماحة المرجع آية الله السيد محمد تقي المدرّسي وفترةً أُخرى عملت في العلاقات العامّة في مكـتب أخـيه العـلّامة المـجاهد السـيد هـادي المدرّسي (حفظهما الله) وخلال هـذه السـنوات حـضرت بـعض الأيّـام جبهات القتال في الحرب الصدامية المفروضة على الجمهورية الإسلامية،

وخلال سبع سنوات في طهران التقيت مع كبار قادة الجمهورية الإسلامية، أمثال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله) يوم كان رئيس الجمهورية، والشيخ الرفسنجاني (حفظه الله) يوم كان رئيس مجلس الشورى الإسلامي وسماحة المرجع الفقيه المجاهد الشيخ المنتظري (حفظه الله) يوم كان خليفة للإمام الخميني (رحمه الله) واستفدت من هذه الفترة الكثير من مقوّمات شخصيتي، كما سافرت إلى افريقيا والهند واسبانيا للتبليغ، وهذه هي الأخرى صاغت الكثير من مقوّماتي الشخصية وبدأت منذ سنة (١٩٨٤) أرجع في بعض المسائل الشرعية الى تقليد الإمام الشيرازي على وجه التبعيض بينه وبين الإمام الخميني (قدّس الله سرّهما) ...

٣ ـ منذ سنة (١٩٨٨م) الىٰ سنة (١٩٩٣) أقمت في الدانمارك وتنقلّت منها إلى أكثر الدول الأوربية للتبليغ والاستطلاع الديني مثل السويد والمانيا وبريطانيا ، وقد حالفني توفيق الله تعالىٰ لتأسيس بعض المراكز الإسلامية والقيام ببعض الأنشطة الثقافية او الحثّ على تشييدها وترشيدها في تلك البقاع .

٤ ـ في سنة (١٩٩٣) رجعت الى ايران والىٰ سنة (١٩٩٦) جاورت الامام الرضا عليه‌السلام في مشهده المقدّسة ودرست فيها شطراً من العرفان الاسلامي عند العارف التقي المرحوم آية الله الشيخ حسن علي مرواريد قدس‌سره.

وانقطعت فيها إلى العمل الكتابي بعد شيء من الانقطاع، فكان أوّل كتاب صدر لي في أجواء مشهد المقدّسة هو كتاب (قصص وخواطر من

أخلاقيات علماء الدين) الذي طلبت في تأليفه من الامام الرضا عليه السلام أن يرعاني برعايته الخاصّة ، وحسب الظاهر جاء كما طلبته، حيث ظلّ هو الكتاب الوحيد بين أكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً صدر لي قد حاز التقدم والشهرة بالطبعات المتتالية . وهذا ليس إلاّ من فضل ربّي ولطف الإمام ثامن الحجج عليه السلام وإن دلّ ذلك على شيء أيضاً فإنّه يدلّ على تعطّش الناس إلى إصلاح المؤسسات العلمائية وترويج الأخلاق الوحدوية بينهم وتجاوز مرض القيل والقال الذي حصد فينا ثمرات الأتعاب ولا زال يحصد! وكأنّ النصيحة والموعظة قالها القرآن والعترة لغيرنا .

٥ ـ من سنة (١٩٩٦) انتقلت الىٰ مدينة قم المقدسة وفيها توثّقت علاقاتي مع جميع المراجع وبكل توجهاتهم حسب الخط الذي رسمتُه لمسيرتي في كتاب (قصص وخواطر) علىٰ أن أحب الجميع ولا أتأثّر بسلبيات حواشيهم، وأن أقف مع الايجابيات فيهم بلا استثناء ولا إلغاء ، وقد منحوني بذلك وكالاتهم وإجازاتهم التي تجاوزت (١٦) ، وخلال هذه الفترة توثّقت أيضاً علىٰ وجه الخصوص علاقتي بمكتب المرجع الكبير سماحة آية الله العظمىٰ السيد علي السيستاني (دام ظلّه العالي) عبر مدير مكتبه سماحة العلّامة المِفضال السيد جواد الشهرستاني (حفظه الله) .

والىٰ جانبه كانت علاقاتي وثيقة أيضاً مع شخص المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (أعلىٰ الله درجاته) حتّىٰ كان يدعوني الى غرفته البسيطة إمّا لتبادل الحديث وإمّا لمائدته المتواضعة ، وإذا كنت قادماً اليه في غير أوقات اللقاء كان يأتيني ويقول للخادم اغلق الباب لأن الشيخ ما جاء في هذا الوقت الا لحديث خاص.

حقاً فقد كان مثالاً حقيقيّاً للزهد والتقوىٰ والعلم النافع والأخلاق الحميدة ما لم أجده في غيره إلّا القليل النادر وأنا صاحب علاقات واسعة.

وفي قم المقدّسة كذلك انفتح لي باب مع قناة سحر الفضائية للجمهورية الإسلامية فألقيت علىٰ شاشتها أكثر من أربعين محاضرة ولقاءات مباشرة حتىٰ سنة (٢٠٠١)[١].

هذا وازداد عدد مؤلفاتي خلال هذه الفترة بعد تأسيسنا لمؤسسة الامام محمد الجواد عليه‌السلام للخدمات الثقافية والخيرية في مدينة قم.

٦ ـ من سنة (١٩٩٨) وبعد لقائي في مكة المكرمة مع المرحوم العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في نفس العام، وإقناعي بأسرار (ليست للنشر)! بدأت أُمارس العمل السياسي الإصلاحي في البحرين بعد أن

---

(١) ـ اللقاءات الفضائية مستمرة مع هذه القناة وقناة العالم الىٰ هذا التاريخ (٢٢/ ٥ / ٢٠٠٤) رغم محاولات التسقيطيين (المعمّمين) في حوزة قم! واتصال إحدىٰ التسقيطيات من البحرين مباشرةً بالبرنامج وهتكها لي علىٰ مسامع الناس مطالبة بعدم دعوتي إلى الفضائية على أنني لستُ في خطّ الجمهورية ـ حسب فهم هذه الأُخت النابغة ! ـ وهذه من نتاج تربية (العلماء التسقيطيين) عندنا. وتتكرّر هذه السلوكيات الصبيانية مرّات ومرّات حيث تعود إبنتي الصغيرة من المدرسة باكية وتعود أُختها الكبيرة كئيبة، والسبب لأنّ بنات صفّها أهانوها بالسبّ والاستهزاء. وهذا يكشف أنّ آبائهنّ وأُمّهاتهنّ يأكلون لحومنا بشهيّة عالية على موائد الغيبة في بيوتهم حتّى تعلّم منهم أطفالهم تلك الأخلاقيات التسقيطية ـ هكذا كافئنا التسقيطيون على أتعابنا وهجرتنا يوم عدنا إلى الوطن بعد (٢١) عاماً! ـ وعلى غرار هذه القصص المؤلمة كثيرة جداً تحدث لي ولأصدقائي ولآخرين في بلدان أُخرى ممّا قد يكون السكوت عليها حراماً، سيّما إذا كان السكوت عن هذه المنكرات سبباً لترسيخها كسنّة باقية في المجتمع. وهذه من دوافع تأليف هذا الكتاب.

كنت أحد مؤسّسي المعارضة للنظام البحريني الحاكم . وقد كتبت ـ بطلب من الشيخ شمس الدين ـ صيغة تقوم عليها المصالحة الوطنية بين الحكومة والمعارضة ، فحملها الشيخ ﷺ إلى أمير البحرين بدعوة رسمية تلقّاها من الأمير . ونشرنا نصّ رسالة المصالحة بعد رجوعنا إلى البحرين في سنة (٢٠٠١م) .

٧ ـ في سنة (٢٠٠٠) مع بدء الانفراج في البحرين وتجاهل وزارة الداخلية البحرينية عن السماح لعودة البحرينيين الذين هجّرتهم في الثمانينات والتسعينات رفعت راية العودة الىٰ البحرين لأكثر من (٥٠٠) بحريني في المنفىٰ فأنشأت لجنةً باسم (لجنة متابعة شؤون المُبعدين البحرينيين) وتحرّكت إعلامياً وحقوقياً وسياسياً حتّى سمحت لي الحكومة بالعودة دون الآخرين ولكنّي رفضت إلّا معهم فتمّت المفاوضة لرجوع أكثر من مئة شخص ثمّ متابعة شؤون عودة الآخرين من داخل البحرين، وهذا ما تحقّق بعد التوكّل على الله والاستخارة في كلّ خطوة والاستشارة مع بعض المراجع الكرام والعلماء الأفاضل . وكان تحقيق هذا الأمر يتطلب اللقاء بملك البحرين والتفاوض مع المسؤولين البحرينيين عملاً بقول النبي الأكرم ﷺ : « **أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته ثبّت الله قدميه على الصراط يوم القيامة**».

وحاول التسقيطيون في البحرين قرصنة هذه الجهود ونسبتها الى آخرين بدافع إبعادنا عن الناس كعادتهم ولكنهم باؤوا بالفشل!

٨ ـ أتبنّىٰ اليوم في البحرين مجموعة أنشطة ثقافية وخيرية اجتماعية

وسياسية إصلاحية تحت إطار جمعية أهل البيت عليهم السلام ـ وهي جمعية رسمية مثل بقية الجمعيات الشيعية ـ وفي إطار مكتبنا الخاص.

ومن أهم مشاريعنا لتوحيد صفّ علماء البحرين ومواكبة الاصلاحات السياسية فيها هو إقتراحنا لمشروع المجلس العلمائي الأعلىٰ الذي يضمّ جميع الرموز العلمائية في الساحة . ولا زلنا نعمل لاقناع الأطراف بهذا المشروع رغم العقبات الصعبة لأن الشيعة في البحرين لن يخرجوا من واقعهم إلا بالوحدة الشورائية.

٩ ـ خلال الثلاثين عاماً من تعمّمي إلتقيتُ وحاورتُ المراجع والشخصيات المعروفة التالية أسماؤهم ـ حسب حروف الهجاء ـ والذين كان لهم الأثر في أفكاري وقناعاتي الوحدوية:

١ ـ السيد احمد المَددي.

٢ ـ الشيخ البهجت.

٣ ـ الشهيد السيد حسن الشيرازي.

٤ ـ السيد الخميني.

٥ ـ السيد الخوئي.

٦ ـ السيد الخامنئي.

٧ ـ الشيخ الرفسنجاني.

٨ ـ السيد السبزواري.

٩ ـ السيد السيستاني.

١٠ ـ السيد الشيرازي.

١١ ـ السيد صادق الشيرازي.

١٢ ـ الشهيد الصدر.

١٣ ـ الشيخ الطبرسي.

١٤ ـ السيّد عبّاس الكاشاني.

١٥ ـ الشيخ الكروبي.

١٦ ـ السيد محمد تقي المدرسي.

١٧ ـ السيد محمد باقر الشيرازي.

١٨ ـ الشيخ المنتظري.

١٩ ـ الشهيد السيد محمد باقر الحكيم.

٢٠ ـ الشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

٢١ ـ الشيخ مرواريد.

٢٢ ـ الشيخ مكارم الشيرازي.

٢٣ ـ السيّد الميلاني.

٢٤ ـ السيّد هادي المدرّسي.

فصرت ولله الحمد مع الخط التقليدي والمحافظ ومع الخط الثوري والمعارض، ألتقي بهم جميعاً في المشتركات وهي كثيرة ولا أتردّد في التوقّف عند النواقص ، بل المضيّ نحو إصلاحها ما استطعت بعون الله تعالىٰ.

فلم أسمح لنفسي رفع من يعجبني وكبس الباقين وكيف أفعل ذلك وقناعتي مع الدعوة الىٰ التلاقي بينهم، واتخاذ المزيد من الخطوات العمليّة المتسارعة لحلّ الخلافات المرهقة وإحلال مبادئ الأخوة وإثراء مسيرة التعاون علىٰ البرّ والتقوىٰ والتنافس الشريف البنّاء .

وكيف أفرّق بين أحد منهم وقلبي قد تعلّق بحبهم جميعاً رغم اختلافاتهم في وجهات النظر وفي مواقفهم وبين جماعاتهم ورغم عدم انسجامي مع كل ما يصدر عنهم على وجه الإطلاق كما هم لم ينسجموا في كل ما أطرحه، فهذه سنّة الحياة وهندسة الخالق الحكيم الذي وصف نفسه بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾.

ففي هذا الكتاب إذن لا أقصد تسقيط ثقافة التسقيط عند جماعة خاصة فقط ، بل أقصده عند الجميع، وليس تركيزي علىٰ نصرة السيد الشيرازي (رحمه الله) إلا لأنّي وجدتُه من قُرب وبعد لقاءات مكثّفة معه ومع غيره أنه الرجل الذي قيل فيه الباطل أكثر من غيره من المراجع العظام، ولأنّه ﷺ نجح في مواجهة التسقيط بصبر جميل وحكمة فريدة من نوعها كما أثبتّه بالأدلة الكثيرة في هذا الكتاب.

ومع ذلك فلا تحمل مناصرتي له (قدس سرّه) معنىٰ عصمته عن الخطأ، كما لا أعني بها الدفاع عن أخطاء شريحة من المحسوبين عليه ﷺ. وتلك حالة موجودة في المحسوبين على مراجع آخرين أيضاً. حتى يستغربون مني لما أنهاهم عن الكلام التسقيطي في غير السيد الشيرازي ﷺ.

● وأنطلق في علاقاتي هذه من قناعة واحدة هي أن الشيعة يحتاجون إلى ثقافة التعايش فقط، لأنهم يمتلكون جميع المقوّمات الفوز من الفكر والعقيدة والتاريخ والفقه والجهاد والمال ولديهم أفضل القادة والأئمة على الإطلاق (هم محمد وأهل بيته) فلا ينقصهم إذن سوىٰ ثقافة التعايش، وهي كانت عند أئمتهم عليهم السلام وكبار قاداتهم حيث عايشوا التعددية الداخلية حتى تعايشوا مع اكثر الحكّام الظلمة واستطاعوا بذلك

أن يحافظوا على المذهب وينقلوه الى الجيل الآخر.

فالتعايش هو الحلقة المفقودة أحياناً كثيرة في أوساط الشيعة وعلاقاتهم البينية مع بعضهم، وغيابه كان ولا زال مصدر التصدّعات بينهم وسبب لفشل جهودهم وعقم تضحياتهم غالباً.

ويعني التعايش أن يعترف كل طرف بالآخر الذي يختلف معه فلا يلغيه ولا يمارس عليه التسقيط. ومثاله السعي للاصلاح بين الزوجين باعتبار (والصلح خير) وأنه من الحكمة عدم تشجيعهما على الطلاق والإنفصال.

فليس البطولة في القبول بمن معك، وانما البطولة في القبول بمن يختلف معك، وهذه البطولة هي بطولة الجهاد مع النفس، لأن الحذف والتسقيط تهواه النفس الأمارة بالسوء، وعكسه التعايش لحاجته الى الصبر الذي يصنعه الجهاد الأكبر. فإنه مَن جاهد نفسه أبصره الله، وعلم أن ما يخسره المؤمنون في التدابر هو أعظم مما يخسرونه في التعايش، بل لا يخسرون شيئاً مع هذا أبداً لو كانوا يصبرون.

والمتنافرون، حَسْبُهُم لو تأمّلوا في سلوكهم أنهم يصبّون في بغية العدو، وإذا ثبت لهم أنّهم كذلك فليس التعايش يعني إلاّ سدٌ الطريق عليه.

ولذا غدت عندي الدعوة الى التعايش وتوعية الناس بثقافته الاستيعابية هي الأهم المقدَّم على اكثر الامور الأخرى التي يهتم بها العلماء والمثقفون والعاملون.

وهذه مربط اهتماماتي كما شهدتْ لها مؤلّفاتي وخاصّة كتاب (قصص وخواطر) الذي حوى بين دفتيه المواقف الأخلاقية والسلوكيات الإيجابية

لأكثر المراجع والعلماء من كل التوجّهات دون حـذف وتـحجيم وإلغـاء لأحد كما سبق التنويه.

وتشهد لي علىٰ ذلك أيضاً مواقـفي العـديدة لمـن يـقرأهـا بـحيادية وإنصاف، حيث لم أقحم نفسي ضدّ أحد لتأييد غيره رغـم أنّ أصـحاب الفكر التسقيطي ـ فـي بـلادنا البـحرين ـ سـعوا دائـماً لجـرّنا إلىٰ هـذه المجابهات التي يعيشون بها ويستنشقون منها، ولازالوا يحاولون اختراق طريقتنا الوسطية بالشائعات ، ولذلك وبعد صبر طـويل ونـصائح هـادئة كثيرة عزمنا بهذا الكتاب على تفنيد منطلقاتهم اللّا أخلاقية ومـحاكـمة فكرهم الذي أسرفوا به في اغتيال سمعة الشخصيات الطيّبة على امـتداد العقديْن الأخيريْن خاصة . وبالطبع لم ننطلق في عزمنا هذا من مـنطلق العداء لأشخاصهم رغم تعرّضهم لنا شخصياً ، بل مـن مـنطلق الشـجب لأفكارهم التي لا زالت تؤسّس في المجتمع لفتنة الاخـتلافات، وتـهدم الفكر الإسلامي الأصيل، وتخرّب صرح الأُخوّة بمعول الأنـانية المـغلّفة بالمظاهر الإسلامية، وخلق التناقضات بين الناس، وهي المسـؤولة عـن تفرّق العوائل ورمي الناس في أزمات تلو أزمات حتّى أضحى جموع من الشباب ينفرون من الدين وعـلمائه ومـراكـزه فـتصطادهم الوهّـابية أو تصطادهم محلّات الفسق والفجور أو مقاهي الانترنت والأفلام الخليعة.

● ويدلّك ـ أيّها القارئ الكريم ـ على قـصدنا الإصـلاحي مـن هـذا الكتاب ونقدنا الموجَّه الخالص إعتمادنا في هذه الدراسة على النصوص القرآنية وروايات الأئمّة الطاهرين وجدّهم الرسول الأمين محمّد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) ويدلّك أيضاً تجنّبنا عن ذكر الأسماء ـ سلباً ـ

لأنّ الغاية التي نحملها كما قلنا هي نسف الأفكار التسقيطية وإفرازاتها القبيحة في الساحة، وبالتالي هداية المغرَّرين بها إن شاء الله تعالىٰ، وليس التشهير بهم على الملأ، إذن فما هو الفرق بيننا؟!

ولا بأس أن أسوق هنا شاهداً على حياديتي الإصلاحية في خلافات الساحة وحبّي للجميع وابتلائي العجيب ! وإن كان ذكره يقرح القلب ويحزّ في النفس ولكن لايخلو من فوائد تثبت ما نروم إليه وتصبّ في الهدف المنشود من هذا الكتاب ومبرّرات تأليفه.

بعد (٢١) عاماً من الهجرة وتحمّل الصعاب في العمل الإسلامي العام وما يتعلّق بالدفاع عن حقوق شعبنا العزيز بوجه خاص ، كتب الله لنا الرجوع إلى الوطن (البحرين) في سنة (٢٠٠١م) فقرّرنا تأسيس مقرّ لأنشطتنا باسم جمعية أهل البيت عليهم السلام لئلّا يملي علينا أحد شروطاً ولا نبيع استقلالنا لأحد ، ولا نزاحم أحداً في الموقوفات العامّة التي تمّ الاستيلاء عليها في سنوات الفراغ واحتسابها أملاكاً شخصية أو فئوية من قبل الذين مارسوا طوال تلك السنوات تسقيطنا وتشويه سمعتنا بين أبناء منطقتنا وبشكل جبان، حيث زرناهم وأحسنّا معهم الأخلاق ودعوناهم للحوار فلم ينفع. بقينا نكافح حصارهم ونعمل لإنجاز مشروعنا الذي يشتمل على مكتبة عامّة للمطالعة، وصالتين للمحاضرات (رجالية ونسائية) وغرف إدارية للأنشطة الاسلامية. حتى فوجئت بأحد كبار التجّار الذي كان من أشدّ المتحمّسين للمشروع يعلن لي عن تراجعه ؟! سألته عن السبب فقال لأنّك تؤيّد الخميني ، وسمعت أنّك مدحته ومدحت الخامنئي في كتابك (قصص وخواطر) وأنا بصراحة لا أُؤيّدهما!

فقلت له ولكن مرجعك الشيخ ... يجيز لك التعاون معنا ، كما أخبرتك سابقاً ويمكنك أن تتّصل به وتسأله هاتفياً.

قال : أنا إنسان محتاط!

قلت له : حسب راحتك.

وبعد فترة جاءني تاجر آخر وإذا يعلن تراجعه أيضاً!

لماذا؟

قال: لأنّك شيرازي وأنا أُقلّد المرجع الفلاني!

فقلت: ونعم بك وبمرجعك!

وجاءني بعد فترة تاجر ثالث يعلن لي عن تراجعه هو الآخر!

فقلت له: وأنت لماذا؟

قال: يقولون أنّك تتكلم ضدّ ولي أمر المسلمين (السيّد الخامنئي).

فقال له أحد الحاضرين : هل تصدق هذا الكلام وقناة الجمهورية الإسلامية (فضائية سحر) بثّت للشيخ حتّىٰ الآن أكثر من (٤٠) محاضرة وكلمة في لقاءات مباشرة وهي ـ أي البثّ المباشر الحي ـ تعني الثقة التامّة بسماحة الشيخ!

فقلتُ للأخ: دعه حرّاً ولا تفرض عليه فإنّ الأجر يحتاج إلى توفيق من الله فقط.

وبعد أيّام اتّصلتُ بتاجر كان ممّن وعدنا لدعم المشروع أيضاً فلعلّه يُسمِعُني كلمة الوفاء ! وإذا به يعتذر أيضاً ويقول سمعتُ أنّك تدعو إلىٰ تقليد المدرّسي ! فقلت له إنّي أحترم حرّية الاختيار للمكلّفين ، فهذا مكتبي تُوزَّع فيه الرسائل العملية لكلّ المراجع والسيّد المدرّسي أحدهم

وعلى العين والراس . ياأسفاً على الشيعة ، كيف أصبحت شيعاً في داخلها .

وأما في الجانب الرسمي فكانت وعود بالرخصة للبناء دون وفاء ، وقيل أنّ بعض التسقيطيين راحوا يكلّمون (وزارة الشؤون الإسلامية) لعدم صدور الرخصة! ومن ناحية أخرى كانوا يضغطون على صاحب مقرّنا أن يلغي اتفاقية الإيجار.

وكان ألطف ما سمعتُه هو قول أحد المشايخ لواحد من التجّار المحترمين حيث سأله في (الحجّ أو العمرة) ما رأيك أن أُساعد الشيخ المهتدي في مشروعه؟

فقال له الشيخ (الورع!): الأفضل هو الاحتياط ، لأنّ الشيخ لم يحدّد اتجاهه المرجعي! والمعروف أنه شيرازي! وسأل هذا التاجر عنّي من أحد المتّقين (غير المعمّمين) ـ وهو عارف بالمهازل في البحرين ـ فقال له عكس القول الأوّل : إنّ سماحة الشيخ المهتدي محبوب عند الجميع وليس أحد من المراجع يعطي وكالته لعالم إلّا بعد ثبوت تزكيته . وإذا تكلّم عليه بعض الأشخاص فإنّ كلامهم لا يدلّ علىٰ إشكال في الشيخ ، فكثير من الصالحين يجري كلام ضدّهم وكثير من العلماء غيره أيضاً متخالفين، فليس الأمر خاص بالشيخ. انظر الىٰ آثار الشيخ وخدماته ولاتنظر الىٰ الأشخاص المتأزمين والذين يحسدون الشيخ علىٰ نشاطه وهم كسالىٰ!

ولمّا عَلم أصدقائي بهذا الوضع يئسوا من أن يرىٰ المشروع نور الوجود . فقلت لهم : إذا كان المشروع لوجه الله فإنّ الله يبعث له رجاله ،

وإن لم يكن لوجه الله فالأفضل أن لا يكون . وتذكّرت همسة قالها في أُذني أحد الشيبة المخلصين (من سنابس البحرين) وهو عارف بخيوط النسيج التسقيطي في مجتمعنا قال : إنّك اخترت طريقاً صعباً لا تتركك الأطراف المستفيدة من الخلافات إلّا أن يذوّبوك في أحدها وإمّا أن يحطّموك، وفرصة نجاحك بيد صبرك واستقامتك علىٰ إخلاصك وإستقلاليتك، والمشكلة أنّ أمثالك الذين يفكّرون بهذا النهج الوحدوي قليلون . وراحت الأيّام حتّى رجع لي الخيّر الأخير الذي حاولوا تثبيط عزمه فأعلن استعداده التامّ لدعم المشروع وأعاد بعض التسقيطيين محاولته لتثبيط عزمه (قربةً الىٰ الله تعالىٰ)!

فقال لي الحاج: لا عليك فأنا أُقلّد المرجع... وأُحبّ المرجع الشيرازي وأُؤيّد الإمام الخميني والخامنئي وأحترم الجميع ، ولا أُفرّق بين أحد من المراجع ، فالكل كما أعتقد يخدم الإسلام والمذهب الحقّ من موقعه وحسب ظروفه.

حمدتُ الله عزّوجلّ إذ بعث مَن يلتقي معي في رؤاي وأفكاري الوحدوية الخاصة فبدأ المشروع يتحرّك على الأرض . وهكذا كما يبدو أنّ مشكلتي الوحيدة هي أنّي لا أعرف الحقد ولا أُتقن المراوغة ولا أُحبّ التسقيط ولم أُمارس فنّ الغيبة (بالطريقة الإسلامية !!!!) فهذا هو أنا وأهلاً بكلّ من يلتقي معي على هذا الطريق .. طريق (المحبّة والعدالة والعقلنة) ومن لا يريدني فإنّي أُهنّؤه على حرّيته ليكون هو المسؤول عنها يوم نلتقي عند الله تعالى !

ولمزيد العلم فقد رسىٰ تقليدي مؤخراً علىٰ مرفأ المرجع الديني

سماحة السيد صادق الشيرازي (مدّ الله عمره الشريف) بدايةً من الذكرى الثالثة لرحيل أخيه الامام الشيرازيﷺ وأرجع في الاحتياطات الشرعية الى غيره من المراجع (متّع الله المسلمين بطول بقاءهم) دون أن أغيّر من سيرتي الوفاقيّة التي عهدني عليها المؤمنون في تأييد الجميع ونقل فتاواهم الى مقلّديهم واذا احتاجوا وفّرنا لهم رسائل مراجعهم العملية واذا سلّمونا حقوقهم الشرعية أوصلنا اليهم وصولاتها. وما أجمل الآخرين لو سلكوا هذه السيرة بحرية وقناعة وشفافية مع الناس وأخلاقية شمولية، ولم يفرّقوا بين المراجع ما داموا يرجعون الى مرجعية واحدة هي ولاية أهل البيتعليهم السلام ولايةً التزاميّةً باصولهم الثابتة.

● وأمّا هذا الكتاب فهو في الأصل كان محاضرة ألقيتها في حسينية القصّاب في البحرين بمناسبة الذكرىٰ السنوية الأُولىٰ لرحيل فقيه الإسلام المعاصر وفقيد الأُمّة سماحة المرجع الديني الكبير الإمام السيّد محمّد الشيرازي (قدّس الله نفسه الزكية) المرجع المظلوم الذي ناله التسقيط أكثر من أربعين عاماً وعلىٰ شتّى المستويات والمصادر وبقي صامداً حليماً وسلك مسلكاً أخلاقياً عظيماً حتّى رحل من هذه الدنيا الدنيئة منتصراً وغريباً .

ولأهمية الموضوع وكثرة الإقبال والطلب على هذه المحاضرة وإصرار المؤمنين على نشرها عكفتُ على تحويلها إلى كتاب نافع وشامل مع إضافات مفيدة إن شاء الله تعالىٰ . فجمعتُ فيه نقاطاً (بلسمية) مهمّة من خلال ثمانية فصول:

ذكرت في الفصل الأول معلومات مقدّماتية مهمّة في ستّ مطالب.

وفي الفصل الثاني عرّفت مفهوم التسقيط وسمات الانسان التسقيطي وكتبتُ حول التعصّب وحبّ الدنيا وحُرمة المؤمن واحترامه.

وجمعت في الفصل الثالث، الآيات والروايات الناهية عن التسقيط وأشرت معها إلىٰ الآثار الدنيوية والأُخروية له.

وأمّا الفصل الرابع، فقد ذكرتُ فيه نقاطاً تذكيرية حول مرض التسقيط وبصائر علاجية في التقريب والنقد البنّاء.

وبينما ضمّنت الفصل الخامس استفتاءاتنا من المراجع الكرام وكلمات بعض المثقفين حول التسقيط عقّبتها بذكر ملامحَ من منهج الإمام الشيرازي وأقواله لمعالجة هذه الظاهرة باعتبارهﷺ كان أكثر مَن تعرّض لهجمات تسقيطية في حياته الكريمة.

وجاء الفصل السادس ليحتوي على تلخيصٍ لمقالات وكتابٍ في نظراته الإصلاحية والنظام المرجعي من رؤيته ، ألّفه سماحته بقلمه الشريف قبل أكثر من ثلاثين عاماً ولم يفقد نظارته وحيويته إلى اليوم، ومنه نعرف عمق هذه الشخصية المتميّزة والمتقدمة على كثيرين ونشوء بعض الأسباب لتسقيطه.

وفي الفصل السابع أتيت بقراءات في محاكمة الفكر التسقيطي ومشروعية التنافس.

وأمّا الفصل الثامن والأخير من هذا الكتاب فقد خصّصته لاستنتاجات حول موضوع البحث ونصائح إلى أبناء الأُمّة الذين يريدون الإصلاح والتوبة عن معصية التسقيط .

ثمّ ختمت الكتاب بـهمسة إلى روح الحـبيب وفـاءً للـمظلوم السـيّد الشبرازي الذي عشت معه ذكريات ثريّة. وجاءت خاتمة الكتاب مزيّنةً بدعاء (مكارم الأخلاق) علّنا (جميعاً) نمتثل مضامينها .

● وفي نهاية هذه المقدّمة النازفة أرفع كفّيَّ بالتضرّع إلى الله تعالىٰ أن يجعل هذا الكتاب نداءً لإيقاظ النائمين وإنذاراً لتنبيه الغافلين ، وأن يهدينا الله به جميعاً إلى صراطه المستقيم ويتقبّل مني هذه المبادرة الإصـلاحية بحسن قبوله ، ثمّ يأخذ بأيدينا إلى جنّات النعيم ويُسكِنَنا في جوار النبي محمّد وآله الطاهرين ، لنستريح بعدها من فتن الدنيا ولئام الخَلْق أجمعين آمين ياربّ العالمين .

الفقير إلى الله الغني

عبدالعظيم المهتدي البحراني

البحرين ـ ٢ / شوال / ١٤٢٣هـ

الفَصلُ الأوّلُ

وفيه ستُّ مطالب

المطلب الأول:

رسالة الأُخوّة والتآلف

المطلب الثاني:

أيُّ زمان، زماننا ؟

المطلب الثالث:

الحوار .. الضرورة المغيَّبة

المطلب الرابع:

حركة التنازع بين المذاهب

المطلب الخامس:

نظرة في واقع التُّهَم وحلّها

المطلب السادس:

قصص في أخلاق التعدديّة

المطلب الأول : رسالة الأُخوّة والتآلف

ألقيت في سنة (١٩٨٤م) خطاباً في جامعة طهران بمناسبة (أُسبوع الوحدة الإسلامية) . وطبع هذا الخطاب في لبنان تحت عنوان (رسالة الأُخوّة والتآلف) .

خلاصة ما أوردته في ذلك الخطاب ؛ الدعوة إلى الأُلفة والتقارب ونبذ الفرقة والتباعد ، وأنّ الأساس الأوّل لتشييد صرح الأُخوّة الإسلامية هو حبّ المسلم لأخيه المسلم بغضّ النظر عن الجوانب الفرعية والذوقيات المباحة شرعاً ، ذلك لأنّ الحبّ أقوىٰ عامل لسعادة بني الإنسان وتأليف القلوب وتجميع الشتات ، وبالحبّ ينتظم العالم ، وهو القانون الطبيعي لكيان الحياة ، ولذلك نجد روح الإسلام مفعمة بالمودّة والإخاء والإخلاص والنصيحة حتّى ورد في الحديث « وهل الدين إلّا الحبّ » . فكتاب الله وسنّة رسوله الكريم دعوة خالصة ونداء دائم للأُخوّة وجمع الكلمة ونبذ الفرقة والاعتصام بالدين . أمّا الكراهية فإنّها تبعث الشقاء وتثير الشحناء ، لأنّ عين الكراهة لا تبصر المحاسن بل تتطّلع إلى العيوب، وإن لم تجد فتقلب الحسن قبيحاً ، فلذلك نهىٰ الاسلام عن الأُمور التي

تثير العداء بين المسلمين ، وتخلّ بتماسكهم وتخلخل أوضاعهم وتخلق الاضطراب والنفرة ، فكان من أسس نظام الدين الإسلامي هي الأُخوّة ، فلذا آخىٰ النبي صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، وأمر المسلمين بالمؤاخاة . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وجعل النبي صلى الله عليه وآله عنوان الأُخوّة : أن تحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك ، فإذا كنت تحبّ لنفسك الخير أحبّه له ، لتكون راحة نفسك من عاملين قويين . وهكذا إذا كثرت الأسباب والدواعي اتّسع ميدان الاخاء ، فإذا كان المسلم يحبّ نفع أخيه كما يحبّه لنفسه ، فبالطبع إنّه لا يأتي منه ضرر ، وإذا أمن الإنسان ضرر أبناء جنسه، فتلك هي السعادة والإتّحاد الحقيقي ، وهل ترى مظهراً للمجتمع المدني الصحيح أجلى من هذا المظهر ، فالله سبحانه وتعالى رحمة بعباده جعل الأُخوّة الإسلامية ليتمّ لهم نظام الحياة ، وينتعش الأفراد ويتعاونوا على البرّ والتقوى ، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان .

لذلك كان الإمام الصادق عليه السلام يدعو بتعاليمه إلى الأُخوّة الإسلامية . ويحثّ على مساعدة الإخوان وقضاء حوائجهم .

قال صفوان الجمّال : دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكّة يقال له ميمون فشكى إليه تعذّر الكراء عليه ، فقال لي عليه السلام : **قُم فأعِن أخاك** ، فقمت معه فيسّر الله كراه ، فرجعت إلى مجلسي ، فقال أبو عبدالله : **ما صنعت في حاجة أخيك ؟** فقلت : قضاها

(١) ـ الحجرات / ١٠.

الله بأبي أنت وأُمّي ، فقال : «**أما إنّك إنْ تُعِن أخاك المسلم أحبّ إليّ من طواف اسبوع في البيت**» .

وذلك لأنّ مساعدة الإخوان توجب المحبّة والأُلفة ، وبهما تحصل المنافع العامّة . وقد عالج الإسلام مشكلة الحبّ والكراهة ، وهما من أعظم المشاكل الاجتماعية ، فإنّ الحبّ إذا حصل في المجتمع فلا تجد هناك مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية . والمحبّة تخمد جذوة الرذائل ، ومعنى هذا أنّ رذائل الشخص قلّما تصيب مَن أحبّه ، ومِن ثمّ قيل : « العدالة خليفة المحبّة » وقيل : « بالحبّ تتحوّل الأشواك وروداً » . وقال سقراطيس : (لا يستطيع أحد من الناس أن يعيش بغير المودّة ، وإن مالت إليه الدنيا ، فإن ظنّ أحد أنّ أمر المودّة صغير ، فالصغير من ظنّ ذلك) .

ولنا في تعاليم الإمام الصادق عليه السلام وحِكَمِه ـ التي كان يلقيها على تلك المجموعة الوافرة من الناس في مدرسته ـ كفاية على إيضاح فوائد الحبّ في الله ومضار الكراهة ، فكان ينصح المسلمين ويحذّرهم عاقبة التباعد والبغضاء ، ولم يقتصر على القول في هدم عوامل الفرقة ، بل كان يسعى لذلك من طرق مختلفة ، حتّى أنّه أقام بعض أصحابه وأمرهم أن يصلحوا المتخاصمين على شيء من حطام الدنيا من ماله الخاص .

يحدّثنا أبو حنيفة سابق الحاج ـ واسمه سعيد بن بيان ـ قال : مرّ بنا المفضّل بن عمر وأنا وختن لي نتشاجر في ميراث ، فوقف علينا ساعة ، ثمّ قال لنا : تعالوا إلى المنزل ، فأتيناه ، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم ،

فدفعها إلينا من عنده حتّى إذا استوثق كلّ واحد منّا من صاحبه ، قال : أما إنّها ليست من مالي ، ولكن أبا عبدالله الصادق أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أُصلح بينهما وأفتديهما من ماله ، فهذا مال أبي عبدالله[1].

ولم تتحدّد هذه التعاليم لإخماد نار الخلافات بين أتباعه (الجعفريين) بل ساهم عليه السلام مساهمات مشرِّفة لتأليف القلوب مع الإخوة السنّة[2]

هذه رسالتنا التي نحاول أن لا نحيد عنها، وقد كتبناها بآمال الحق وآلام الصبر، وبها نتواصي مع كل الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات ويتواصون بهما.

ومما يكشف عن رسالتنا الوحدوية كمبدأ قديم إعتمدناه في وعينا الحركي، تأسيسنا لـ (حركة الوحدة الاسلامية) في البحرين في سنة (١٩٧٩ م) ولا زلنا نؤمن بعد خمس وعشرين عاماً أنّ الوحدة إنّما تبنيها وترعاها روح الأخوّة وإلتزاماتها التآلفيّة، وليس ما نحن عليه اليوم إلاّ إمتداد لحرصنا علىٰ نشر هذه الرسالة علىٰ مواقع العمل لإزالة مستنقعات الخلافات والتسقيطات البغيضة .

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٠٩.

(٢) راجع كتاب (الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة) للكاتب أسد حيدر.

المطلب الثاني : أيُّ زمان ، زماننا ؟

ماذا يدعونا الىٰ الحوار والتفاهم ونبذ الخلاف والتسقيط والتصادم ؟

هناك عدة دعوات وحوافز، منها اسلامية ومنها انسانية ومنها وطنية ومنها وحدة المصير المشترك. كلّها مما يؤكدها العقل والضمير. ولكن الجهل بالزمان وعدم استيعاب المكائد والمصائد من حولنا يجعل الفرد والجماعة منّا غائباً عن واجباته الاسلامية أو الانسانية أو الوطنية أو المصيرية .

إنّ معرفة الوقت والزمان ليست قضية حضارية وعلمية فقط بل وشرعية دينية أيضاً ، وقد اهتمّ بها الإسلام في حساباته التشريعية كلّها ، فلا تكاد ترى حكماً من الأحكام العبادية أو غيرها وليس لمعرفة الوقت والزمان فيه شرطاً وأهميّة وجزئية ومدخلية .

وتمتدّ أهمية المعرفة الزمنية على مساحات الحياة كلّها وضرورة الوعي للمحيط ومواكبة التطورات العالمية والاقليمية والمحلّية ، وذلك لمعرفة الحكم الشرعي والتكليف الديني من ناحية ، وللتعامل المعيشي السليم وعدم التجاوز على حقوق الناس من ناحية أُخرى .

فمن يعرف فرصه للتقدّم ينتهزها ، ومَن يعي المخاطر حـوله يـتحذّر منها، ومن يقرأ عصره لا يفاجأ بأحداثه وأهواله ويُداهَم بالفتن والشبهات والملابسات .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس** ». ويقول أيضاً: «**علىٰ العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مُقبِلاً عـلىٰ شأنـه ، حافظاً للسانه**» [1]

فالملابسات والفتن التي تحيّر العقول إنّما تضرب مـنطقة القـرار فـي الإنسان وتهاجم قيادته في الرأس وتشلّ قدرته عـلى صـناعة المـوقف المناسب في الوقت المناسب وذلك متى ما جهل الإنسان عصره وفي أي زمان يعيش، وغَفِلَ عن المخطّطات المرسومة له ولعائلته ومجتمعه وبلاده وأُمّته ومصيره وإسلامه .

وحينما يجهل الإنسان هذه القضية سواءً كان مرجعاً ديـنياً أو قـائداً إسلامياً أو عالماً أو مثقّـفاً أو ما أشـبه ، فإنّـه يقع في الفـخ، ولا فـرق بعد ذلك إنْ وعىٰ أسره أم هـو في الأسـر ويتخيّـل الحرّيـة !!

والسؤال هنا عن زماننا ، أيُّ زمان هذا؟

نُجيب عليه باختصار حسب المـقام والربـط: إنّ عـصرنا هـو عـصر الإعصار بكلّ المعاني وعلى كافّة الأصعدة ، فالأشياء في تغيير مسـتمر وسريع ، وجيلنا يعيش بلا رؤية تضمن لها المستقبل الإسلامي الهـنيء ،

---

(١) بحار الأنوار / ج٧١ / ص٣٠٧.

وإذا أردنا اختصار الكلام حول مأساة الأُمّة في عصرنا نـقول إنّ العـدو الصليبي والصهيوني دخل بكلّه في كلّنا!

وهذا معنى العولمة وتكـنولوجيا الغـزو ! فـاعرف أنت أيّـها اللـبيب سيكولوجية المغزوّين ـ وهم نـحن جـميعاً ـ مـن خـلال كـلمة الامـام عليعليه‌السلام : «ما غُزِيَ قومٍ في عُقرِ دارِهِم إلاّ ذلّوا». وفـوق هـذه المـذلة إعرف كم يكون التكفيريون في الأُمّة والتسقيطيون في أوساطنا مساهمين مع المستكبرين في خططهم ودسـائسهم، حـيث يـتحرّكـون عـلىٰ ذات الاتجاه الذي يريده العدو ويسعى إليه .

وإليك ـ عزيزي الغيور ـ سطوراً من تقرير يعرّفك على زمـانك ومـا يجنيه الأعداء من وراء الخلافات التكفيرية بيننا (كمسلمين) والتسقيطية بيننا (كأتباع مذهب أهل البيت عليهم‌السلام) .

كتب خبير المخابرات الأمـريكية (ريـتشارد مـيتشيل) تـوصياته إلى الإدارة الأمريكية لمواجهة الصحوة الإسلامية المـعاصرة حسب النـقاط التالية :

أوّلاً : الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل ، والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية .

ثانياً : بالنسبة للشخصيات القيادية التي تَـقَرَّرَ التـخلّص مـنها نـنصح باتّباع ما يلي :

أ) تعيين من يمكن إغراؤهـم بـالوظائف العـليا ، حـيث يـتمّ شـغلها

بالمشروعات الفارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفذ جهودهم. وذلك مع الإغداق عليهم أدبياً ومادياً، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتمّ استهلاكهم محلياً، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب) العمل على إيجاد فرص عمل بعقود مجزية في البلاد العربية البترولية الأمر الذي يؤدّي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي (وهناك فقرتان: ج ـ د).

ثالثاً: بالنسبة للشباب نركّز على ما يلي:

أ) محاولة تفريغ طاقاتهم المتّقدة في الطقوس التعبّدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة.

ب) تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.

ج) تشجيع الهجوم على السنّة المحمّدية والتشكيك فيها وفي المصادر الإسلامية الأُخرى.

د) تفتيت الجماعات الإسلامية والجمعيات المختلفة وبثّ التنازع بينها.

هـ) مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية خاصّة التزام الفتيات بالزي الإسلامي، عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب.

و) استمرار المؤسّسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار

الجماعات الإسلامية والتضييق عليها، والتقليل من نشاطها[1].

ويهديني تحليلي لمجموع الأحداث والتطوّرات في الشرق الأوسط أنّ التصعيد في حدّة الخلافات الفكرية وبثّ التشكيكات العقيدية وجرّ المسلمين إلى المناقشات المذهبية الحادّة على مستوى الفضائيات ـ كما جرى في قناة المستقلّة ـ وكذلك التفجيرات الدموية ضدّ المسلمين الشيعة وما جرى ويجري في افغانستان والعراق وفلسطين ودول الخليج، ونشر الفساد الجنسي والإدمان على المخدّرات بين الشباب، كلّ ذلك يتحرّك ضمن هذا المخطّط الوارد في التقرير، وعبر جيش من المرتزقة الداخليين قوامه أكثر الحكّام وأفراد من المعارضة المخترقة ومن بعض العلماء (السذّج) والعلمانيين وأُناس خاضعين لشهواتهم وشباب متحمّسين لا يعلمون في جيب مَن يصبّون حماسهم وإلى أين يُؤخَذون. حتّى لا أستبعد من الإدارة الاميركية والاسرائيلية صناعة منظّمات إرهابية عبر الوسائط لتفجير بعض أماكنها (كبرجي مركز التجارة العالمية) للحصول على مبرّرات كافية تتقدّم بها إلى مصالحها الضخمة التي تعوّضها كلّ تلك الخسائر والتي في عيون بعضنا كبيرة وهي عند الأمريكان لا شيء قياساً إلى أهدافها الكبرى في الشرق الأوسط. فالذي يغسلون (دماغه) ليفجر الأبرياء قربة إلى الله وظنّاً منه بدخول الجنّة، في الحقيقة أداة لمخطّط جهنّمي كبير. ولو كان يقرأ تعاليم نبيّنا محمّد ﷺ في الجهاد والغزوات وضرورة التمييز بين المجرمين وأهاليهم من النساء والأطفال والشيوخ

---

(١) الاستشراق، أحمد غراب: ص ١٧٠ ـ ١٧١.

وغير المحاربين لما كان يخطأ الطريق إلى الجنّة ويصبّ ثمرة عمله في حساب العدو المستكبر .

هذا ونقول لقد سقطت الشيوعية بعد قرابة قرن واحد من التطبيل الإعلامي والبهرجة السياسيّة والشعارات الثورية والمؤتمرات والأموال المصبوبة هنا وهناك لتقنع الطبقات الفقيرة كي يؤازروها حتّى وصلت إلى السلطة في موسكو وبعض البلدان، وبعد ذلك اكتشف عشّاقها الكادحون أنّها كانت سراباً واستغلالاً برجوازياً للفقراء ولكن من نوع آخر .

إنّها سقطت في مهدها وتجفّفت فروعها وإن كانت أذيالها في بلاد المسلمين لازالت تغنّي على أنغامها الميتة وتقرأ لبعض شبابنا اليافعين كتب ماركس ولينين وماوتوسي تونغ وغيرهم .

وأمّا الرأسمالية الطاغية على طريقة العولمة الأمريكية فإنّ عليها بدورها أن تهيّئ القبر المناسب لنفسها ، فلقد تنبّأ لها قرآننا الكريم بقوله عزّوجلّ : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

والحياة البشرية تتجه حسب تصوّرنا المبدئي نحو الإسلام كمنهج للدولة وفقه في الحياة ، وسوف تهتف مآذن الأرض كلّها قريباً إن شاء الله بأذان المهدي من آل محمّد عليه السلام : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

---

(١) يونس / ٢٤.

﴿نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[1].

يقول (فيلفرد مراد هوفمان)[2]: «عندما كانت المواجهة قائمة بين عالم الغرب (الرأسمالي) والشيوعية كان للإسلام أن يكـون كـخيار دون هـذا وذاك، ولكن الإسلام اليوم يرى نفسه كبديل لحلّ مشاكل الحياة في عالم بدأ يأخذ طابع الثنائية مجدّداً. ولا شكّ في أنّ كلّ من يملك بـعداً فـي النظر لن تخفى عليه حقيقة أنّ الإسلام سوف يكون الدين الأكثر سيادة في القرن الحادي والعشرين»[3].

ولكنّ الإسلام هذا أي إسلام ؟!

هل إسلام الكراهية والإكراه والتسقيط والاستبداد والتكفير والعنف أم إسلام الحكمة والحرّية والاقناع والحوار والتسامح واللّاعنف ؟

لا يشكّ في قرارة نفوسهم حتّى الذين يمارسون الإسلام التسقيطي في أنّ الإسلام الثاني هو الأصحّ وهو الأقدر على قيادة العالم المتعدّد بالأديان والمذاهب والأفكار، فهم رغم إسلامهم المتعنّت يدّعون إسلاماً يحتضن الجميع، ورغم حدّيتهم ضدّ الأقربين يرحّبون بالأبعدين، ورغـم قـولهم الجميل ـ أحياناً ـ يفعلون عكسه ـ دائماً ـ فهل هذا التناقض من الإسلام؟ وهل هذا الإسلام الضيّق يفتح العالم ويسع الشعوب كلّها لتدخله ؟

لا بالطبع.. إنّ الإسلام أعظم منهم بل أكبر من شعاراتهم البرّاقة، وقد

---

(١) المائدة / ٣.

(٢) سفير المانيا في المغرب وقد دخل الإسلام ويدعو اليوم اوربا إلى الدين الإسلامي.

(٣) الإسلام هو البديل: ص٦، تأليف فيلفرد مراد هوفمان.

تجاوزهم ليعيشوا في خيالهم وسرابهم وأمانيّهم إن لم يغيّروا ما بأنفسهم .

الإسلام يمتلك خصائص واضحة البيان قويّة البيّنات والبرهان ، فإن كان يتحرّك في سلوك أي عالم ومواقف أيّة جماعة ، فهو صاحبه وليس كلّ من يدّعيه ، فما أسهل الإدّعاء وأكثر الأدعياء وما أصعب الأصالة وأقلّ الأُصلاء .

وهنا نأمل بذكر أهمّ الخصائص لاسلامنا العظيم هذا أن نقترب ويهتدي التسقيطيون إلى المزيد من وعي الثوابت التالية :

■ **المبدأية** : وهي أن لا نحيد عن هدى القرآن الكريم وبصائر السنّة النبوية المرويّة عن ذوي القربى ، وهم أهل بيت النبي محمّد ﷺ .

■ **العصرية** : وهي أن ننفتح على الحياة المعاصرة وننظر إلى الموضوعات العملية حولنا من نافذة العقل المستنير بمدرسة الثقلين (القرآن والعترة) .

■ **الوحدوية** : وهي أن نلتزم الحياد في الخلافات السلبية مع السعي للإصلاح بين المتخالفين عبر الدعوة إلى اللقاء والحوار والنصيحة والتفاهم .

■ **اللّاعنفية** : وهي أن ندفع بالتي هي أحسن ، نظراً إلى العاقبة التي وعدنا الله عزّوجلّ بها في كتابه الحكيم : **﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[1].

---

(١) فصّلت / ٣٤.

■ **القِيَميّة**: وهي أن نحيي في المجتمع قيم الوعي والأخلاق الحسنة والقراءة والحرّية والمحبّة والتعاون على البرّ والتقوى وخدمة الناس وذكر الله والتذكير بالآخرة[1].

والسؤال الذي نطالب التسقيطيين بالاجابة عليه هو : بأي إسلام تبشّرون العالم للإنقاذ ، وما هو النموذج الجذّاب الذي تقدّمونه لهدايتهم؟! هل الإسلام الذي تُقصون باسمه الأقربين وتتناقضون به في المواقف أم هناك إسلام آخر هو المغيَّب عندكم؟!

أفيدونا رحمكم الله!!

---

(١) ـ هذه ثوابتنا التي أسّسنا عليها جمعية أهل البيت عليهم السلام في البحرين (راجع الكُرّاس التعريفي للجمعية).

المطلب الثالث : الحوار .. الضرورة المغيَّبة

الحوار هو الجسر الذي ينتقل عبره الفكر من وإلى الطرف الآخر ، حيث هكذا خلق الله البشر ، **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**(١).

الحقيقة واحدة لن تتعدّد وإنّما الطريق إلى معرفتها يتشعّب بكثرة البعد ، ويتقرّب بقلّته واستبداله إلى القرب ، هذه المسافة بين الإنسان والحقيقة يحدّدها الحوار وعدم الحوار .

وبينما الإسلام وهو الحقيقة الحقّة والهداية اليقينية كما نعتقده ونؤمن به، ينادي بالحوار مع البعداء **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**(٢)

فقد أصبح نداؤه غريباً في أوساط القرباء علماً أنّ الأقربين أولى

---

(١) الحجرات / ١٣.

(٢) آل عمران / ٦٤.

بمعروف الحقيقة والارتواء من عذبها ومعينها.

ولا يشكّ طرف من أطراف المسلمين أنّ الحوار في حياتهم بات ضرورة من الضرورات المغيَّبة بفعل العوامل السلبية التي غزت أفكارهم ولوّثت نفسياتهم وهزّت كيانهم داخلياً وخارجياً ، فبات لا يؤمن أكثرهم بجدوائية الحوار الداخلي والنهوض إلى الغير للتصالح وبناء الجديد من صرح الأُخوّة والتنسيق والتعاون . وقليل أولئك الذين يؤمنون بجدوائية ذلك ونحن منهم والله المستعان .

لذا ففي الوقت الذي نرى الحوار في داخلنا ضرورة مغيَّبة ، نعيد هنا دعوتنا إلى التفكير التأسيسي والعلمي للحوار ولو كمرحلة أولىٰ أن نفقه المفردات التالية من فقه الحوار[1] :

١ / **أنا ، أنت ، نحن**: كلمات تستند على منطق ، وضمائر لغوية لتحديد الهوية ، فأنا تشير إليّ وأنت تشير إليك ، ونحن تحتوينا . في منطق الحوار أنا وأنت ، طرفان متقابلان ، أنا لم أكن أنت ولن أكون ، وأنت كذلك لم تكن أنا ولن تكون ، فأنت بالنسبة لي تعد الآخر فرداً أو تنظيماً أو دولة أو أي طرف من أطراف الاختلاف ، وهكذا تكون أنا هي الآخر بالنسبة لأنت . فمن مستهدفات منطق الحوار ، أن يسود بين المتحاورين منطق (نحن) ، بدلاً من منطق (أنا وأنت) ، منطق نحن استيعابي لا يستثني أحداً

(١) نقتبس هنا من كتاب (منطق الحوار بين الأنا والآخر ـ للدكتور عقيل حسين عقيل) .

من المتحاورين ، أمّا منطق أنا وأنت تفريقي ، وعليه ينبغي أن نحدّد من أنا ومن أنت ومن نحن ، أنا لي حقوق وواجبات ومسؤوليات كما التي هي لك ، إذا سادت هذه اللغة ، إذن نحن لنا حقوق وواجبات ومسؤوليات فلا نختلف ، وأنا ليّ وطن ودين وعرف ولغة وتقاليد تختلف عن وطنك ودينك ولغتك وتقاليدك وأعرافك ، إذا ساد بيننا الاعتراف والتقدير لكلّ التي تكوّن خصوصياتنا سيسود بيننا التفاهم الذي يمكننا من استخدام كلمة نحن ، وإذا لم يَسُدْ ، ستكون كلمة لن هي السائدة بين أنا وأنت [١] .

٢ / اشتراطات ومآخذ منطقية :

أوّلاً: الاشتراطات المنطقية : ويقصد بالاشتراطات المنطقية الضرورات اللازمة لأطراف الحوار الواجب توفّرها وهي :

١ ـ التفهّم : تفهّم ظروف كلّ طرف من قبل الطرف الآخر ، الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حقيقة الأمر ليست في حالة تساو ، وبالتالي ينبغي أن تقدّر الظروف وتراعى ولا داعي للتعميمات .

٢ ـ التقبّل : كلّ طرف ينبغي أن يتقبّل الطرف الآخر كما هو ، لا كما

---

(١) منطق الحوار ص٤٩.

ينبغي أن يكون عليه ، وإذا لم يَسُدْ مبدأ التقبّل بين المتحاورين لا يمكن أن يصلا إلى المعرفة التي تمكّنهما من التفهّم والتواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني .

٣ ـ الاستيعاب : بالتفهّم والتقبّل يحدث الاستيعاب الذي يدلّ على تقدير كلّ طرف للطرف الآخر ، وفي مرحلة الاستيعاب يتمّ التجاوز عن الأخطاء دون مكاشفة برغم معرفتها ومعرفة مبرّراتها .

٤ ـ الصدق : قول الحقّ دون تردّد ، بالركون للحجّة وليس بالبحث عن مفردات قابلة للتفسير في أي ظرف زماني أو مكاني ، ولأنّ الصدق قول حقّ ، فيجب أن يسود الحقّ كلّ حجّة من حجج الحوار المنطقي .

٥ ـ الإرادة : من شروط ممارسة الحرّية أن يكون لأطراف الحوار إرادة متساوية ، فإذا لم تتساو أطراف الحوار في تملّك الإرادة وممارستها لايمكن أن يكون الحوار ذا شفّافية .

٦ ـ الثقة : عندما تصبح الثقة متبادلة بين المتحاورين ، تنعدم الخيانة وتزال الشكوك التي تؤسّس على علامات التعجّب والاستغراب ، فبالثقة يأمن كلّ طرف جانب الطرف الآخر .

ثانياً : المآخذ المنطقية : ويقصد بالمآخذ المنطقية التمسّك بمسبّبات الفرقة أو بكلّ ما هو محرج بين أطراف الحوار ، وهي :

١ ـ الأحكام المسبقة : إنّ الاحتكام بما هو سماعي على أحد أطراف الحوار قد يعدّ عيباً منطقياً عندما لا يبتُّ للحقيقة بصلة ، لذا ينبغي أن تتاح الفرص للمعرفة المباشرة دون وسطاء ، فالوسطاء في بعض الأحيان قد تتعارض مصالحهم مع مصالح الالتقاء بين الأطراف المتحاورة ، والأخبار السماعية هي الأُخرى في كثير من الأحيان تكون مزوّرة ، فالسماح بإتاحة الفرص المتساوية للمعرفة يؤدّي إلى إنجاز المهام الصعبة.

٢ ـ التفسير : في المنطق العلمي لا تفسّر المعلومة إلّا بعد تحليلها والوصول إلى نتائج مثبتة ، ومن يقوم بتفسير المعلومة دون أن تحلّل بموضوعية فقد يقع في أخطاء غير متوقّعة ، إنّ تفسير المعلومات تأويلي والتأويل قد يحيد بالكلم عن مواضعه ، فلا تفسّر قبل أن تعرف عن كثب . والحوار الذي تسبقه التفسيرات قد ينساق وراء هوامش التفكير بدلاً من التمركز على بؤر اهتمامه ، المعلومة لا تفسّر ، المعلومة تحلّل فقط ، النتائج وحدها هي التي تفسّر ، إذن لا تفسير إلّا لنتيجة .

٣ ـ النظرة الدونية : الحوار يتطلّب تساوي كفّتي الميزان العادل ، وعندما تميل كفّة على حساب أُخرى لأسباب اقتصادية أو تاريخية وحضارية أو ثقافية ، بما يظهر طرفاً على طرف يحدث التمايز بين المتحاورين ، فالنظرة الدونية للآخر ، تجعله أو تضطرّه إلى الرفض أو التمرّد على كلّ مبرّرات الحوار ، حتّى لا يسود منطق التعالي عليه من قبل الطرف الآخر للحوار .

٤ ـ التعميم : تعميم الأحكام السالبة على كلّ الإطار

المرجعي للقيم ، أو على كلّ أعضاء الحوار لا يصاحبه المنطق من قريب ولا من بعيد ، وبالتالي التعميم لا يعدّ ظاهرة عملية ولا منطقية ، سواء للحسنات أو السيّئات .

٥ ـ التناقض : التناقض يبطل حجّة منطق الحوار ، ويدلّ على انعدام مصداقية البرهان ، ولا يؤدّي إلى استنباط النتائج من المقدّمات .

٦ ـ الرفض : الحجّة المنطقية لا تُرفض ، والحقيقة لا تُرفض ، ومن يقوم بممارسة فعل الرفض يُرفض الحوار معه[١] .

وبناءً علىٰ هذه المفردات العلمية لو أردنا بناء التفاهم والتعاون والتقارب علينا أن نعرف الآتي :

١ ـ التعرّف على بعضنا بموضوعية حتّى يتمكّن كلّ منّا من تقدير الطرف الآخر .

٢ ـ الاعتراف بأنّ لكلّ طرف إطاراً مرجعيّاً ذا أثر لا ينبغي غضّ النظر عنه أو تجاوزه .

٣ ـ التعرّف على أساليب التفكير فلكلّ طرف في الحوار مبرّراته المنطقية التي جعلته في حالة انحياز مسبق .

٤ ـ اعتماد مبدأ التقبّل الذي يقرّ بتقبّل كلّ طرف كما هو لا كما يجب

---

(١) منطق الحوار بين الأنا والآخر تأليف الدكتور عقيل حسين عقيل : ص ١٥ ـ ١٧ .

أن يكون عليه .

٥ ـ تقدير الذات بمستوياتها الثقافية التي هي عليها ، ولا تغيير إلّا بإرادة ، فلغة الإكراه لا يقابلها إلّا منطق الرفض[١] .

---

(١) منطق الحوار بين الأنا والآخر تأليف الدكتور عقيل حسين عقيل : ص١٨٧ ـ ١٨٨ .

المطلب الرابع : حركة التنازع بين المذاهب

تحت هذا العنوان يستعرض الباحث أسد حيدر في كتابه القيّم (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة)[1] كلمات حول تنازع المذاهب بين المسلمين في المائة الهجرية الأُولى والثانية والثالثة ، ويحدّد الأسباب في النزاعات المذهبية عند إخواننا السنّة نقلاً عن (رسالة الإنصاف ـ للشيخ الدهلوي . ومعالم السنن ـ للشيخ الخطابي / من كبار علماء السنّة) وغيرهما .

ثمّ يقول الباحث أسد حيدر :

هذه بعض كلمات علماء ذلك العصر أوردناها ليتّضح للقارئ سير العلم في تلك الأدوار ، والخلاف الذي أدّى إلى الارتباكات التي أحاطت بمفهومه وبلغ الحال إلى تطوّر مؤلم أدّى إلى الطعن في المعتقدات ، ونتجت من وراء ذلك ثورات دموية ذهبت بكثير من النفوس والأموال بشكل يبعث على الأسف الشديد لما حلّ من التطاحن بين المذاهب ، فأصبحوا أعداءً متخاصمين في المعتقدات وقد عامل بعضهم بعضاً معاملة

(١) الجزء الأوّل / ص١٩٧ .

الخارجين عن الدين حتّى قال محمّد بن موسى الحنفي قاضي دمشق المتوفّى سنة ٥٠٦هـ : « لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية » ويقول أبو حامد الغزالي الطوسي المتوفّى سنة ٥٦٧هـ : « لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية » .

ويرى الباحث أسد حيدر أنّ أسباب فتنة التكفير والتسقيط بين المسلمين تعود إلى علماء السلاطين ، حيث قال :

إنّ أسباب تلك الفتن التي حلّت بالمسلمين كلّها تعود لمسايرة بعض العلماء للدولة ، يشايعها ويؤيّد وجهة نظرها ، فأغدقت عليه العطاء وبذلك أصبح العلم مسايراً للدولة .

ولو استقلّ العلم عن مؤثّرات السياسة في تلك العصور ، لأرغمت الدولة على الخضوع له ولسارت في ركابه ، وفي ذلك سعادة الأُمّة ، ولكن بعض حملة العلم بمسايرتهم لولاة الأمر الذين انحرفوا عن الدين أصبحوا دعامة تستند عليها سلطتهم الجائرة في أهمّ الأُمور ، ممّا جعل الناس ينظرون إلى الإسلام وهو مسلوب القوّة العادلة عن تنظيم شؤون العالم . والدين أجل وأسمى من أن يكون مهبّاً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء أو مجالاً لتحزّب العلماء .

وعلى أي حال فقد اصطدمت الطوائف اصطداماً عنيفاً ، وخلقت كثيراً من المشاكل التي هي في نهاية التعقيد ولا يمكن حلّها ما دام علماء الدولة هم المحور لتلك الأُمور ، ومنهم تنبعث تلك الأفكار التي تتحرّك بها شعور العامّة فيقع من وراء ذلك حوادث مؤلمة .

وإذا نظرنا إلى الحوادث المؤلمة التي حصل فيها التشاجر والتطاحن بين معتنقي المذاهب الأربعة ، فإنّ ذلك يبعث في نفوسنا الألم ، ممّا وصلت إليه الحالة السيّئة بين جماعات الأُمّة ، ويدلّنا ذلك بكلّ وضوح على إبطال من يدّعي لهم الاتّفاق وعدم الخلاف ، وهو بذلك يستدلّ على أحقّية مذاهبهم ، وصدق معتقداتهم ، كما ذهب إليه صاحب كتاب التبصير وغيره ممّن يطلقون الأقوال بدون تدبّر ، ويحكمون بدون تثبّت .

ليت شعري أخفيت عليهم تلك الحوادث التي وقعت بين الحنفية والحنابلة ، وبين الحنابلة والشافعية ، يوم قام خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر ، والحنابلة يحرقون مسجداً للشافعية بمرو.

وتقع هناك فتنة ذهب تحت هياجها خلق كثير ، ويعظم الأمر والخلاف بين الحنفية والشافعية في نيسابور ، وتقع فتنة مبعثها التعصّب المذهبي ، فتحرق الأسواق والمدارس ، ويكثر القتل في الشافعية فينتصرون بعد ذلك على الحنفية ، ويسرفون في أخذ الثأر منهم وذلك في سنة ٥٥٤هـ ومثلها تقع بين الشافعية والحنابلة ، وتضطرّ السلطة إلى التدخّل في حسم النزاع بالقوّة ، وذلك في سنة ٧١٦هـ[١] وكثر القتل وحرق المساكن والأسواق في أصبهان وكان منشؤه التعصّب[٢] .

ولشدّة وقوع الفتن ببغداد فقد نادى منادي السلطان بمنع الفتن وعدم

---

(١) البداية والنهاية ج١٤ ص٧٦.

(٢) مرآة الجنان : ج٣ ص٣٤٣.

ذكر المذاهب والخصومة فيها[1].

وكان الحنابلة يُخلّون في أعمالهم بالأمن ، ويرهجون بغداد ، ويستظهرون بالعميان على الشافعية الذين كانوا يأوون للمساجد ، فإذا مرّ بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه[2] وكان رئيس الحنابلة وزعيمهم الديني الشيخ البربهاري يتولّى إثارة الفتنة وذلك في سنة ٣٢٣هـ

ولمّا تولّى القشيري الوعظ بالمدرسة النظامية عظم ذلك على الحنابلة فحطّوا منه ، وكان ينال منهم فوقعت بينهم فتنة ذهبت بكثير من النفوس واشتدّ[3] تعصّب محبّ الدين بن محمّد الهندي الحنفي المتوفّى سنة ٧٨٩هـ على الشافعية وكان يظهر التديّن والنسك ، ويرى تعصّبه عليهم تديّناً والدين بريء من ذلك[4] وتجتمع بقية المذاهب على الحنابلة غضباً على أعمال ابن تيمية ونودي في دمشق وغيرها : من كان على دين ابن تيمية حلّ ماله ودمه بمعنى أنّهم كفرة يعاملون معاملة الكافرين ، على أنّ الشيخ ابن حاتم الحنبلي يقول : « مَن لم يكن حنبلياً فليس بمسلم »[5] فهو يكفّر جميع المسلمين ، وعكسه الشيخ أبو بكر المقري الواعظ في

---

(١) المنتظم : ج١٠ ص١١١ .

(٢) ابن الأثير : ج٨ ص٢٢٩ .

(٣) مرآة الجنان : ج٣ ص٩٧ .

(٤) شذرات الذهب : ج٦ ص٢٦٠ .

(٥) تذكرة الحفّاظ : ج٣ ص٣٧٥ .

جوامع بغداد ذهب إلى تكفير الحنابلة أجمع[1] .

ولقد لقي الشيخ عبد الغني المقدسي المتوفّى سنة ٦٠٠هـ من التحامل عليه والتكفير له وللحنابلة بدمشق ما يطول ذكره حتّى هجر دمشق .

وتكفير الفرق بعضها بعضاً أمر شائع يحزّ في صدر الحقّ ، ويؤلم التأريخ وقعه ، ويتبرّأ الإسلام منه .

هذا أبو سهل بن زياد القطّان وكان من الحفّاظ والثقات عندهم يذهب إلى تكفير المعتزلة مستدلاً بقوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾**[2] . وثارت فتن عمياء ووقعت حوادث مؤلمة مبعثها التعصّب الأعمى .

فهذا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي المتوفّى سنة ٤٧٩هـ وكان شيخ الشافعية وعالمهم المبرز تعصّب الحنابلة عليه فتكلّموا فيه وبالغوا في الأذى بألسنتهم فثارت فتنة عظيمة أدّت إلى ذهاب نفوس من الطرفين ، وانتصر السلطان لأبي إسحاق فسجن شيخ الشافعية[3] .

وهذا الفقيه أبو منصور المتوفّى سنة ٥٦٧هـ قتله الحنابلة بالسمّ تعصّباً

---

(١) شذرات الذهب : ج٣ ص٢٥٣ .

(٢) آل عمران : ١٥٦ .

(٣) طبقات الشافعية : ج٣ ص١٠٩ .

عليه ، قال ابن الجوزي إنّ الحنابلة دسّوا إليه امرأة جاءت إليه بصحن حلوى وقالت : هذا ياسيّدي من غزلي ، فأكل هو وامرأته وولد له صغير فأصبحوا موتى وكان من علماء الشافعية المبرزين[١] .

وهذا الشيخ علي بن الحسن الملقّب بسيف الدين المتوفّى سنة ٦٣١هـ كان حنبلياً ثمّ صار شافعياً وتعصّب عليه فقهاء البلاد وحكموا عليه بالكفر والزندقة[٢]. وكثير من أمثاله من العلماء الذين قتلوا بسيف التعصّب بشهادة رجال ذلك العصر ، ولا يستبعد أنّ ذلك كلّه افتراء محض ، وأنّ أكثر هؤلاء هم بريؤون ممّا نسب إليهم ، وقد استساغ أعداؤهم شهادة الزور على من يخالفهم تديّناً .

استفتى بعضهم في شهادة على شافعي زوراً فأجابه المفتي ألست تعتقد أنّ دمه وماله حلال ؟ قال : نعم . قال : فما دون ذلك ، فاشهد وادفع فساده عن المسلمين . وهذه الأُمور التي ابتلي بها الإسلام إنّما هي من جنايات علماء السوء الذين تزلّفوا للدولة ، وتأثّروا بسياستها لفتح باب الشحناء والنزاع والتخاصم والبغضاء بين طوائف المسلمين ، فتجد الحنابلة يتعصّبون على الحنفية والحنفية على الحنابلة ، ولو أنعمنا النظر في طيّات التاريخ ، واستعرضنا حوادث الفتن بين المنتسبين إلى السنّة بعضهم مع بعض فإنّنا نجد من الوقائع ما يؤلم قلب كلّ مسلم .

---

(١) طبقات الشافعية : ج ٤ ص ١٨٤ .

(٢) مرآة الجنان : ج ٤ ص ٢٤ .

يقول الأُستاذ السيد محمّد رشيد رضا صاحب المنار : ومن أغرب ما تجد أنّ العدوان بين الشافعية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين ، تلك الحملة التي كانت أوّل صدمة صدعت بناء قوّة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده . أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال هذه المذاهب ، على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ، كما قال الله تعالى في وصف من لا أيمان لهم ولا إيمان[١] .

ويضيف الباحث أسد حيدر تحت عنوان (التعصّب لأئمّة المذهب) قائلاً :

تعدّدت عوامل التفرقة ، وكثرت طرق الخلاف بين الطوائف ، وتعصّب كلّ إلى جهة ، فأهل الجرح والتعديل أدّى بهم التعصّب إلى الحطّ ممّا يخالف مذهبهم فاستهان بعضهم ببعض ، واختلق بعضهم مكارم لبعض ، فكم من مجروح عدلوه ، وعادل جرحوه ، وأعطف عليهم المؤرخون فإنّهم ربما وضعوا أُناساً ورفعوا أُناساً ، إمّا لتعصّب ، أو لجهل ، أو لمجرّد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو غير ذلك .

وتأصّلت روح العداء ، وتحيّز كلّ إلى مذهبه ، وغلوا في أئمّتهم غلواً أخرجهم عن حدود الاتّزان ، ووضعوا في مدحهم ما شاءت رغباتهم بدون قيد وشرط ، وتوسّعوا في وضع الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله بالبشائر

---

(١) الوحدة الإسلامية : ص٢.

بأئمّة المذاهب كما أورد الحنفية مرسلاً : أنّ آدم افتخر بي وأنا افتخر بأبي حنيفة ، من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني[1].

وتوسّعوا في الادّعاءات لتصحيح مذهبه ووجوب اتّباعه وأنّ عيسى يحكم بمذهبه وأنّ الله غفر له ولأهل مذهبه إلى يوم القيامة[2] وأنّه أعظم معجزة للنبي بعد القرآن .

والمالكية يدّعون لإمامهم أموراً ، منها أنّه مكتوب على فخذه بقلم القدرة مالك حجّة الله في أرضه ، وأنّه يحضر الأموات من أصحابه في قبورهم وينحّي الملكين عن الميّت ولا يدعهما يحاسبانه على أعماله[3] .

والحنابلة يقولون : أحمد بن حنبل إمامنا فمن لم يرض فهو مبتدع ، فما أكثر المبتدعين في نظرهم على هذه القاعدة .

وتقوّلوا على الشافعي قوله : من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر ، فقيل له : أتطلق عليه اسم الكفر ؟ فقال : نعم ، من أبغض أحمد عاند السنّة ، ومن عاند السنّة قصد الصحابة ومن قصد الصحابة أبغض النبي صلى الله عليه وآله ومن أبغض النبي صلى الله عليه وآله كفر بالله العظيم[4] .

وكذلك يقولون : إنّه ما قام بأمر الإسلام أحد بعد رسول الله ما قام به

---

(١) الدرّ المختار في شرح تنوير الأبصار ج١ ص٥٣ و٥٤ .

(٢) الدرّ المختار في شرح تنوير الأبصار ج١ ص٥٢ و٥٤ .

(٣) مشارق الأنوار للعدوي : ص٢٨٨ .

(٤) طبقات الحنابلة : ج١ ص١٣ .

أحمد بن حنبل ولا أبو بكر الصديق مثله ، وإنّ الله جلّ وعلا كان يزور قبره !!

ويحدّثنا الشيخ عبدالله بن محمّد الهروي إذ يقول : قصدت أبا حاتم بن جاموس بالري ، وكان مقدّم أهل السنّة ، وقد أمر السلطان محمود أنّ على كلّ من دخل الري أن يعرض اعتقاده على الشيخ أبي حاتم ، قال : فلمّا قربت من الري كان معي رجل في الطريق ، فسألني عن مذهبي ؟ فقلت : حنبلي ، فقال : مذهب ما سمعت به ، وهذه بدعة وأخذ بثوبي وقال : لا أُفارقك حتّى تذهب إلى الشيخ أبي حاتم ، فذهب بي إلى داره فأخبره بذلك ، فقال الشيخ : دعه فكلّ من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم[1].

وقد طغت موجة التعصّب حتّى أصبح التكتّم بالمذهب لازماً . يقول أبو بكر محمّد بن عبدالباقي المتوفّى سنة ٥٣٥هـ وكان حنبلياً :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سنّ ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفّر وبحاسد ومكذّب

ويعطينا الزمخشري صورة واضحة من صور الخلاف وشدّة التطاحن بين المذاهب وطعن البعض على البعض بقوله :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه كتمانه لي أسلم

---

(١) تذكرة الحفّاظ : ج٣ ص٣٧٥.

فـــإن حـــنفياً قـلـت قـالوا بأنّـني — أُبيح الطلى وهو الشراب المـحرّم

وإن شــافعياً قـلـت قـالوا بأنّـني — أُبيح نكاح البـنت والبـنت تـحرم

وإن مــالكياً قـلـت قـالوا بأنّـني — أُبيح لهـم أكـل الكـلاب وهـم هـم

وإن قلت من أهل الحديث وحـزبه — يقولون تيس ليس يدري ويفهم[1]

بهذا أثـبتنا لكـم أنّ ظـاهرة التسـقيط عـندنا (نـحن الشـيعة) ليست اختصاصية ، بل أشدّها وهو التكفير وسفك الدماء قد حصل في أوساط إخواننا السنّة وإن بدأت في الآونة الأخيرة تأفل عـندهم هـذه الظـاهرة وتأخذ طابعاً تسقيطياً محضاً.

ومهما يكن من أمر فـإنّ الأفكـار الإصـلاحية يـجب نشـرها عـلى مساحات الأُمّة الإسلامية كلّها كي تعيش الأجيال القادمة أجواء الأمـن والأمان ، إذ بها وفيها تتبيّن الحقائق عند كلّ مذهب وجماعة . أمّا تحت أصوات القنابل والتـفجيرات والكـراهـيات والتّـهم والشـتائم وشـعارات المقاطعة والقطيعة، فلن يمكن لأحد أن يكتشف ما يبرئ ذمّته عند الله إلّا من عصمه الله بوعي الحقائق بما هي حقائق لا بسراب الأوهام، عصمنا الله منها وأبصرنا تلك.

---

(١) الكشّاف : ج٢ ص٤٩٨ .

المطلب الخامس: نظرة في واقع التفم وحلها

وهنا أيّها القارئ الفطن أنتقل بك إلى واقعنا العلمائي بهدف معالجته من الجذور ، ويمكننا بحث هذا الواقع على صعيدين ، الأوّل : استعراضه. والثاني : توجيهه وحلّه.

وليس الغرض من هذا إلّا الوقوف بوجه ما يهدّد الإسلام ومذهبنا الحقّ ثمّ الحفاظ على الإيجابيات الكثيرة التي صنعتها الجهود المباركة لعلمائنا السابقين والمعاصرين ، وكذلك يكون كلّ مخلص لا يجامل على حساب القيم والمبادئ ، أليس العلاج يتمّ غالباً بدواء مُرّ ؟! فهذا هو المرّ ولكنه الحق إن شاء الله.

وأُؤكّد للمرّة الأخرى بأنّ ما أتناوله هنا من أمراض تسقيطية لا يخصّ بها الشيعة فحسب بل يعاني غيرهم من أشدّها كما سبق ذكره قبل قليل وكما نعرفه في زماننا بين أتباع المذاهب الأخرى، إلّا أنّنا بصدد ترتيب الوضع الداخلي، وهو ما يتطلّب المكاشفة. كما هو الهدف من وضع هذا الكتاب وتأليفه .

● **الصعيد الأوّل (استعراض القضية):**

إنّ عملية (كيل التّهم) للمصلحين والعلماء الرساليين ليست جديدة في التاريخ البشري ، بل إنّ كبار العظماء وفي طليعتهم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وُجّهت إليهم مختلف أنواع التهم والافتراءات .

فقد قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في القرآن الكريم : **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾**[1] **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾**[2] **﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾**[3] **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾**[4] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾**[5].

وورد أنّ النبي موسى عليه السلام طلب من الله تعالى أن يكفّ عنه ألسنة الشاتمين والجاهلين ! فأوحى الله إليه أنّ ذلك لم أجعله لنفسي ، فكيف أجعله لك، فأنا ربّهم ورازقهم يكفرون بي ويعارضونني[6] !

وليست أنواع الأذى والتّهم ومحاولات الإسقاط والثلب التي قوبل بها

---

(١) سورة الحجر / ٦.

(٢) سورة هود / ١٣.

(٣) سورة الإسراء / ٤٧.

(٤) سورة الفرقان / ٤ ـ ٥.

(٥) سورة التوبة / ٥٨.

(٦) المخلاة : ص٥٣ / بتصرّف في الألفاظ .

الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بقليلة ، بل هي أشهر من نار على عَلَم .

وإذا سلّطنا الأضواء على تاريخ المرجعية الدينية نجد أنّ عملية كيل التّهم وبثّ الأكاذيب سواء في البُعد الديني أو العلمي أو السياسي وسواء من الخارج أو من الداخل ليست جديدة على العلماء الكرام وهم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله ونوّاب الأئمّة عليهم السلام .

فالشيخ البهائي قدس سره ذو المقام الرفيع لم يُتّهم بالفسق فقط بل أنّ قراءة كتبه كانت تُعَدّ سبباً كافياً لتفسيق قارئها[1] . ولقد كثُر حسّاده ومناوئوه فرشقوه بوابل التّهم والأكاذيب حتّى كتب قدس سره : وآل الأمر أن تصدّى لمعارضتي كلّ جاهل وجسر على مباراتي كلّ خامل[2] .

والشيخ محمّد تقي المجلسي والد العلّامة المجلسي (طاب ثراهما) أُتُّهم كذلك بالخروج عن المذهب رغم أنّه أوّل من نشر أحاديث الشيعة بعد ظهور الدولة الصفوية[3] .

أمّا الشيخ المفيد رحمه الله وجلالة شأنه معروفة فقد قال عنه أعداؤه ما قالوا[4].

والعلّامة الحلّي رحمه الله لم يَسلَم هو الآخر من صنوف التّهم وأنواع

---

(١) أعيان الشيعة / ج٩ ـ ص١٦٨ .

(٢) نفس المصدر / ج٩ ـ ص٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر / ج٩ ص١٩٣ .

(٤) أعيان الشيعة / ج٩ ـ ٤٢٢ . والروضات / ج٢ ـ ص١١٨ ـ رقم ١٤٧ .

الأكاذيب. وقد شنّع عليه العلّامة الاسترابادي في كتابه (الفوائد) .

وابن إدريس الحلّي صاحب كتاب (السرائر) يُتّهم بأنّه « مخلّط لا يُعتَمد على تصانيفه »[1] . وهذا رغم مكانته العالية التي يقول عنها العلّامة المجلسي ﵀ : « وكتاب السرائر لا يخفى الوثوق عليه وعلى مؤلّفه»[2] وكتب عنه صاحب (أمل الآمل) قائلاً : « وقد أثنى عليه علماؤنا المتأخّرون واعتمدوا على كتابه »[3] .

والعلّامة السيّد هاشم التوبلاني البحراني صاحب المؤلّفات الكثيرةوالتي منها كتابه القيّم (البرهان في تفسير القرآن) قدح بعض في كتابه « ترتيب التهذيب » وسمّاه « تخريب التهذيب » ، والتهذيب هو من الكتب الأربعة للحديث ، ومؤلّفه هو الشيخ الطوسي شيخ الطائفة ، والسيّد البحراني قام بترتيبه وتبويبه ، وقد ورد في كتاب روضات الجنّات ما يلي: « غير أنّه كما قيل سمّاه بعض علماء تلك الديار وتلك الأمصار بتخريب التهذيب ، وليس ذلك من البلدي والمعاصر بعجيب »[4].

وفخر المحقّقين الحلّي ـ ويكفيك لقبه كاشفاً عن الملقّب ـ هو الآخر رشقوه بوابل التّهم ونغّصوا عليه أيّامه ولياليه حتّى اضطرّ إلى الهجرة والنزوح إلى أراضي آذربايجان !

---

(١) أعيان الشيعة / ج٥ ـ ص٤٠١ .

(٢) روضات الجنّات / ج٦ ـ ص٢٧٤ .

(٣) نفس المصدر / ص٢٧٩ .

(٤) نفس المصدر / ص٢٧٤ .

وهذه هي نصّ عبارته ﷺ « ... فبكيت بكاءً شديداً وشكوت إليه ـ أي إلى والده العلّامة الحلّي ـ قلّة المساعد وكثرة المعاند وهجر الاخوان وكثرة العدوان وتواتر الكذب والبهتان ، حتّى أوجب لي ذلك جلاء الأوطان والهرب إلى أرض آذربايجان ، فقال لي ـ يعني والده ـ : «اقطع خطابك فقد قطعت نياط قلبي قد سلّمتك إلى الله فهو سند من لا سند له... »[1] .

هذا كلّه من جهة ، ومن جهة أُخرى فإنّ الكثير من كبار العلماء جوبهوا بمحاولات التنقيص من مكانتهم العلمية أو ابتلوا بعدم معرفة الآخرين لمنزلتهم العلمية ممّا سبّب مشاكل جمّة ومصاعب عديدة ولنذكر بعضهم :

١ ـ آية الله العظمى السيّد جواد العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة) حيث « كان صاحب كتاب (رياض المسائل) ﷺ ينكر فضيلته »[2] .

٢ ـ أُستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ حيث أنّه حضر في أصفهان عند آية الله السيّد محمّد باقر الشفتي صاحب كتاب (مطالع الأنوار) أيّام رئاسته وطلب إجازة الاجتهاد منه عام ١٣٤٤هـ تقريباً أو قبلها بقليل إلّا أنّ السيّد الشفتي امتنع من ذلك لكونه لا يرى اجتهاده ! علماً أنّ الشيخ كان قد تلمّذ عند شريف العلماء ، وعند السيّد

---

(١) روضات الجنّات / ج٦ ـ ص٣٣٢.

(٢) نفس المصدر / ج٢ ـ ص٢١٦.

محمّد المجاهد صاحب كتاب المناهل المتوفّى عام ١٢٤٢هـ وعند الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الغروي صاحب كتاب (كشف الغطاء) وغيرهم[١] من أعاظم المجتهدين .

٣ ـ كما أنّ شيخ الطائفة الشيخ الطوسي ﷺ قد طُعن عليه بما يقرب من ذلك[٢] . ولنعم ما قاله بعض أعاظم المعلّقين على ترجمة هذا الشيخ العظيم «واعلم أنّ كلّ ما وقع من الشيخ الطوسي ﷺ من السهو والغفلة ، باعتبار كثرة تصانيفه ومشاغله العظيمة فإنّه كان مرجع فضلاء الزمان»[٣] .

٤ ـ آية الله الشيخ محمّد حسن النجفي « صاحب كتاب الجواهر » : حيث شكّك بعض الفقهاء المعاصرين له (وهو الشيخ محسن خنفر ـ على وزن جعفر ـ) في أصل اجتهاده رغم أنّه كان قد أتمّ دورة الجواهر حينذاك ، حيث كان يقول للشيخ (أعط جواهرك هذه لبائعي الفلفل والكمّون يصرّون بها)[٤] .

أجل هكذا يكون « الجواهر » في نظر بعض المعاصرين لمؤلّفه بينما هو من أعظم الدورات الفقهية المعتمدة لدى الفقهاء إلى هذا اليوم[٥].

---

(١) مقدّمة الكتاب الرسائل ـ الطبعة الجديدة .

(٢) نفس المصدر / ص٢١٩.

(٣) روضات الجنّات / ج٦ ص٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٤) أعيان الشيعة / ج٩ ـ ص٤٨ .

(٥) بناءً على هذا فالطعن في مرجع كبير مثل الإمام الشيرازي ﷺ وفي أمثاله ليس بأمر جديد في تاريخنا الحوزوي وعند الناس الجهلاء، فلابدّ للعاقل أن لا يحسب كلّ طعن حقّاً وأنّه

وتجد أيضاً في كتاب (قصص العلماء) للشيخ التنكابني الكثير من هذه التسقيطات في سلوك بعض العلماء وقد أبعدناها من كتابنا (قصص وخواطر) إبعاداً لترويج السلبيات.

● **الصعيد الثاني (توجيهها وحلّها):**

إنّنا نستنتج من هذه النظرة السريعة في قضية التنقيص والتّهم ضدّ العلماء قديماً وجديداً ، سواء من بعضهم على بعض أحياناً ، أو من أعدائهم عليهم وجهلة الناس أحياناً أكثر ، بأنّ القضية لها عدّة أسباب :

الأوّل : هو التخلّف الحضاري في مجتمعاتنا بشكل عام حيث الأزمة الأخلاقية جزء لا يتجزّأ منه ، وصِغَر الهمم وعدم التفكير في الأهداف الكبيرة هو الجزء الآخر منه .

الثاني : المواقف الارتجالية والعفوية التي يعلّق فيها عالم على عالم آخر من دون أن يتوقّع ما لتعليقه من ردّ فعل وصدى وآثار سلبية مترتّبة ، فهو لعلّه لم يقصد ما وقع بعد كلامه الذي تلقّفه المستمعون وتناقله الجاهلون واستثمره الأعداء في مآربهم المعادية ضدّ الجميع .

كذلك عند الله فيرتّب عليه موقفاً يزعم به التقرّب إلى الله . وغاية ما في القضية أن تكون من الشبهات التي يتجنّبها المتّقون ولا يتعاطاها العقلاء الحضاريون. ومنْ هنا كنت أشك في تديّن الذين يعادون السيد الشيرازي ثم أصبحت أشك حتى في عقولهم!! اللهمّ إهدِ قومي إنهم لا يعلمون.

الثالث : عدم معرفة الحدود في الحرية والنـقد ومسـتوى الاسـتيعاب والفهم لدى المستمع .

الرابع : جهل الأشخاص الذين حالهم كحال ذلك الأحـمق الذي كـان أشدّ ضرباً من غيره لرجل في الطريق !

فسأله أحد المارّين : ما ذنب هذا الرجل ؟

فقال : والله لا أدري ، لكنّي رأيت هؤلاء مجتمعين على ضربه فجئت أُعاونهم قربةً الىٰ الله وطلباً للثواب[١]!

الخامس : تربّص الأعداء لالتقاط هذه النقاط ثمّ النفخ فـيها وزرعـها كالألغام في طريق الناس .. بينما واقع تلك النقاط لم يتجاوز عن كـونه مناقشات اعتيادية وأحياناً مواقف فردية تنتج عن عفوية أو خـطأ غـير مقصود أو نقد علمي جائز أو مزحة عابرة غير مدروسة ، هذا وإن كنّا نجد في مجتمعات الأعداء من مناوشات واختلافات بينهم ما يزكم الأُنوف !

فلابدّ للسادة العلماء أن ينتبهوا لهذه النقاط والدقّة في الأخـبار قـبل اتّخاذ قرار الردّ على أحد أو إطلاق تعليق على رأي ، أليس هكذا يتعامل الفقيه مع الروايات عند استخراجه للحكم ؟ فلِمَ الدقّة هنا وعدمها هـناك وفيه حقوق النـاس ومشـاكـل مـمتدّة أحـياناً إلى النـزاعـات العـائلية ومشـاجرات زوجـية تـنتهي إلى الإطـلاق وضـياع الأطـفال وتـباغض العوائل ، فهل مسألة جزئية في الفقه الفردي تستحقّ كلّ الدقّة في سـند

(١) هذه حالة أكثر الناس لمّا تسألهم لماذا تعادون فلاناً وتشتمونه !

الرواية وأطرافها ، وهذه المسألة الكبيرة بتبعاتها الثقيلة لا تستحقّ بعض تلك الدقّة ؟!

هذا والمقترح تعيين جهة في الحوزة العلمية للاستعلام عن حقيقة الآراء الجديدة (المثيرة) للنقاش من مصادر أصحابها مباشرة ، واستلام ردودها منهم وإيصالها إلى المعنيين بها قبل إنزال المناقشات إلى الشارع وتشريك الناس فيها . تقوم هذه الجهة بدور الوسيط الذي يشعر عنده الطرفان الحيادية والأمانة والحرّية. ولقد صرفنا أوقاتاً كثيرة في هذا الاتجاه مع شتى الأطراف، وفادت بعضها بينما لم تفد بعضها الآخر، وفي هذه الحالة لا بأس بالتكاشف واذا تطلّبت الضرورة الانتقال الى العملية القيصرية لإزالة الأورام والغدد السرطانية من جسم المجتمع، ولكن بطبيب حاذق!

اللهمّ وفقنا وجميع المصلحين...

المطلب السادس: قصص في أخلاق التعدديّة

تمهيد:

وهنا نقطف بعض القصص الهادفة لمراجعنا الكرام السابقين منهم والمعاصرين في تجسيدهم لأخلاق التعدديّة وحسن التعامل مع الرأي المخالف لرأيهم، وقد ذكرنا هذه القصص في كتابنا (قصص وخواطر) .

﴿١﴾

في مدرسة الأتقياء

عالمان كبيران احدهما المرحوم ملاّ عبد الله التستري والآخر المرحوم المقدس الاردبيلي(المتوفى سنة ٩٩٣ هـ) جمعهما مجلس كان يحضره جمع من الناس .

تقدم الملا عبدالله التسترى بسؤالٍ إلى المقدّس الاردبيلي،فردّ عليه الاردبيلي قائلاً: سوف أجيبك فيما بعد!

ولما انتهىٰ المجلس أخذ بيد الملاّ التستري ومشىٰ معه صوب الصحراء (اطراف القرية) فشرح له جواب سؤاله، فاقتنع به التستري بعد نقاش

خفيف، و لكنه قال : لماذا لم تجيني في المجلس بحضور الجمع؟

قال المقدس الأردبيلى: لو كنا نناقش الموضوع هناك لكنت انا وأنت معرّضين لهوىٰ النفس لانّ كلّ واحد منّا كان يريد الانتصار لرأيه، وكنت أخشىٰ ان يغلب علينا العُجْب فيحاول كلّ منّا التفوّق لذاته ـ فيتحكم فينا حينئذ الرياء وحب الظهور، ونكون بذالك أقرب الىٰ المعصية منّا الىٰ الطاعة والقربة الىٰ الله عز وجلّ.

وامّا في الصحراء حيث لا أحد معنا سوىٰ الله تعالىٰ فلا مجال للشيطان، ولا أرضيةللرّياء ووسوسة النّفس [1].

﴿٢﴾

عندما يترْك العداء مكانه للمحبة

قال أحد المؤمنين: رأيت المجتهد الكبير السيد محسن الأمين العاملي ـ المتوفىٰ سنة

(١٣٧١ هـ) يمشي خلف جنازة أحد كبار علماء السنة في سوق الحميدية بالشام، فدنوت منه مسلّماً ومقّبلاً يده الشريفة. ومشيت بجنبه حتىٰ وصلنا الىٰالمسجد الأموي، وكان المسجد غاصّاً بالناس، فصلىٰ

١- عن كتاب حديقة الشيعة.

السيد العاملي صلاة الميت علىٰ الجنازة، وبعد اتمام الصلاة أقبل النـاس يُقبِّلون يده.

أخذت أتأمل المشهد وأقول في نفسي: هؤلاء الناس من السُنّه كـيف صاروا يقبّلون يد عالم شيعي وبلهفة ومحبّة؟

سئلت السيد نفسه بعد ذلك، فقال لي هذه ثمرة حسن معاشرتي معهم لمدة عشر سنوات وانني لما قَدِمْتُ الى الشام حرّض بعضُ الجهلة أشـدّ الأعداء عليّ، فكان أطفالهم يرمونني بالحجارة، واحياناً يجرّوا عـمامتي من الخلف ولكني صبرت علىٰ الأذىٰ وعاملتُهم بحسن وطيب وشاركتُ في تشييع جنائزهم وعُدتُ وتفقدتُ احوالهم وكنت ابـتسم مـعهم دائـماً واظهر لهم عطفي وحناني،الىٰ ان استبدل العداء معي بالمحبّة.

﴿٣﴾

أخلاقيّة التعامل مع المعارض

كتب الشيخ محمد جواد مغنية:

كان بعض السادات في النجف ينال من كرامة آية الله الشـيخ حسـن المامقاني ﵀، ولا ينفك عن ايذائه، ومـع ذلك كـان يـبعث اليـه الشـيخ بالأموال والصلات، وفـي ذات يـوم بـلغه أن عـليه ديـوناً، وان أربـابها يضايقونه بالمطالبة، فوفاها عنه، وقال: الهي انت تعلم ان هذا السيد يسيء

اليّ بدون سبب، وقد وصلته ايثاراً لمرضاتك علىٰ هواي..

هذه هي اخلاق ائمتنا الأطهار عليهم أفضل الصلوات، فقد روي ان الحريث بن راشد قال لأمير المؤمنين ايام خلافته: لا أئتم بك، ولن أشهد معك الصلاة، ولن أئتمر بأمرك، ولن يكون لك عليّ سلطان.

فقال له الامام: لك ذلك مع عطائك كاملاً (يعني انه يعطيه راتبه من بيت المال ولا يقطع حقوقه بسبب موقفه من الامام)، علىٰ شريطة أن لا تعتدي علىٰ أحد، فإن اعتديت عاقبتك بما تستحق.

ويعلّق المرحوم الشيخ مغنية قائلاً بعد هذه الرواية: لو تجرأ اليوم طالب أو عالم فقير، وقال لبعض المراجع: انـي لا أصلي بصلاتك، ولا أعتقد أنك من أعلم أهل الأرض لألقاه في سلّة المهملات[1].



إنقاذ الموقف

عالمٌ من علماء الدين، طيب النفس، حسن الاخلاق، اسمه الشيخ ابراهيم بن مظفر النجفي، خرج الى مدينة البصرة بعد ان اتمّ مراحل جيدة من الدراسة في حوزة النجف الدينية.

١- مع علماء النجف / ص ١٠٢.

فاستقر هناك بين الناس داعياً الىٰ الحق ومبشراً بتعاليم الاسلام، يبلّغ الناس احكامهم الفقهية علىٰ ضوء فتاوىٰ استاذه آية العظمىٰ الشيخ محمد حسين الكاظمي.

استطاع هذا العالم بروحه الاجتماعية، واطعامه الطعام، وافشائه السلام، ورحابة صدره، وطلاقة وجهه، ان يكسب العديد من الناس ومن مختلف الشرائح. وكان تقدُّمه هذا سبباً لأن يحسده بعض الوشاة، فجاؤا الىٰ استاذه آية الله الكاظمي، قالوا: انه يسيء الىٰ سمعة علماء الدين، حيث يعيش الغنىٰ والترف والبذخ، في الوقت الذي ينبغي ان يكون العالم زاهداً!

فتأثر الشيخ الكاظمي بهذا الكلام، وعزل الشيخ عن منصب الوكالة الشرعية! ولكن سرعان ماأدرك فضيلة السيد ميرزا الطالقاني النجفي خطأ هذا التصرف فذهب الىٰ الشيخ الكاظمي ﵀ فوراً وشهد بوثاقة الشيخ ابراهيم، وحُسْن تصرفه في البصرة، فعالج بعض ماتداخل الشيخ الكاظمي من الشك فيما نقل اليه الوشاة، فأقرّه علىٰ منصب الوكالة وخاب ظن الوشاة[1].

وهكذا ينقذ الموقف أولئك المبادرون الىٰ الاصلاح، وهل يبعث الله ذوي الهمم الاصلاحية في المؤمنين اليوم ليقطعوا دابر الوشاة المعاصرين؟ ذلك هو المأمول.

ففي الحديث: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً اويَسكت**».

---

١ - معارف الرجال / ج ١ - ص ٣٩.

﴿٥﴾

الموقف الاسلامي في الاختلافات

يقول آية الله السيد هبة الدين الشهرستاني ﵀: كنتُ ذات يوم في منزل المرجع الكبير الشيخ آخوند الخراساني في النجف، وكان ذلك عندما بدأتْ ثورة الدستور (المعروفة بالمشروطة) في إيران سنة ١٣٢٤ هـ وقد اختلف علماء الدين في هذه الثورة بين موافق لها ومخالف. كنت جالساً عند الشيخ – وهو قائد الثورة – اذ دخل سيّد وقال للشيخ: أنا أقلّد آية الله السيد كاظم اليزدي – وهو ممّن لا يؤيد الثورة – وأريد أن أجري معاملة مع فلان فأخذتُ له موافقة السيد كاظم اليزدي لكن الرجل حيث يقلد سماحتكم فإنه يريد موافقتكم ورأيكم في الموضوع.

فقال له الشيخ الآخوند: إذهبْ وقل له عن لساني أن الآخوند يقول: اذا كنتَ تقلّدني واقعاً فيجب أن تضع موافقة السيد كاظم اليزدي وختمه وامضاءه على رأسك وتطيعه فوراً[1].

بهذا الموقف الحكيم علّمنا المرجع الآخوند ان اختلاف وجهات النظر لدى كبار المراجع لن يستدعي الخصومة وإفشال مشاريع بعضهم لبعض وقطع الطريق عليهم كما يفعله جهلاء عصرنا المتلبسون بزيّ العلماء.

١- المقامات العليّة / ص ٤٩.

﴿٦﴾

التكفير والحلّ الأخلاقي

كان الشيخ محمود حفيد الوحيد البهباني من العلماء الكبار والأجلاء ولكن الميرزا المسيح الذي كان من العلماء المعاصرين له ونتيجة سوء تفاهم بينهما أفتىٰ بكفره... ومرت الأيام حتّى جاء الميرزا المسيح الىٰ قم للتشرف بزيارة المعصومة عليها السلام.. وصلىٰ جماعة في مسجد الامام الحسن العسكري عليه السلام وهو أحد أكبر مساجد قم المقدسة.

ولحسن الحظ كان الشيخ محمود قد جاء الىٰ قم قبل ذلك وعلم أن الميرزا المسيح يقيم الجماعة في المسجد فحضر واقتدىٰ بالميرزا في الصلاة وبعدها سأله مَن حوله باستغراب: الميرزا المسيح يكفّرك وأنت تحضر جماعته؟!

فقال في الجواب: ومالمانع.. لا منافاة في أن يشتبه الأمر علىٰ الميرزا ويحكم بكفري ولكن أعتبره انا عادلا، وطبق المباني الفقهية فعندما يعمل كل منّا برأيه يكون مثاباً ومأجوراً.

وعندما بلغ هذا الموقف الى الميرزا المسيح بادر الىٰ زيارة الشيخ فتحوّلتْ الخصومة الىٰصداقة.. وأصبح الميرزا دائماً مُعْجَباً بأخلاق الشيخ.

ويُنقَل شبيه هذه القصة عن الميرزا القمي (صاحب القوانين) مع الحكيم الكبير الشيخ (ملا) علي النوري[1]. كما ينقل مثلها بين وحـيد البـهباني والشيخ يوسف البحراني (صاحب الحدائق).

وهنا نتذكر الحديث النبوي الشريف: **«الرفْق يُمْنٌ والخُرْق شؤم... ماوُضِعَ الرفق على شيء إلاّ زانه ولا ينزع من شيء إلاّ شأنه».**

﴿٧﴾

حينما اعتَذرتْ الأميرة!

قالت ابنة الشيخ مرتضىٰ الانصاري المرجع الأعلىٰ للشيعة في العالم، الذي كانت كلمته مطاعة عند الناس وقاطعة الطريق علىٰ الحكّام: انه ذات يوم جاءت ابنة السلطان ناصر الدين لزيارة والدها في النجف الأشـرف، فدخلتْ المنزل ولما استقر بها المجلس قبل حضور الشيخ أخذتْ توزّع نظراتها الىٰ جوانب الغرفة، تتأمل في السرجين (وهي فضلات الحيوانات تُجعلَ قطعاً وتُجفَّف للتدفئة بدلا عن الفحم المشتعل في المـنقل)، ورأتْ سُفرة من الخوص معلقة علىٰ الحائط، والىٰ جانب المنقل الذي كان من الطين رأتْ سراجاً من فخار أضاءتْ الغرفة نصف إضـاءة. فـلم تسـتطع

١- نفس المصدر / ص ٢٨٢.

الأميرة بنت السلطان أن تخفي مايدور في خُلدها من دهشة لزهد أكبر مرجع ديني في العالم الاسلامي والشيعي آنذاك.. فقالتْ للشيخ الانصاري لما حضر: اذا كان العالم والمجتهد هكذا يعيش زاهداً فماذا يقول الشـيخ علي كني؟! – وهو من كبار علماء طهران الذي كان يـخشاه السـلطان، وكان يعيش من الناحية المادية في رفاه الىٰ حدّ ما، ولعل سبب اغتياب الأميرة للشيخ كني هو موقفه المعارض لأبيها ناصر الدين شاه–.

فغضب الشيخ الانصاري ولم يسمح لها ان تكمل كلامها اذ نهض من مكانه وقال بشدّة: ماذا تقولين؟ ان هذا الكـلام غـيبة، اعـلمي انك بـهذا الكلام قد اشتريت لنفسك نار جهنم، قومي واخرجي قبل أن ينزل الله من السماء عقاباً يشملني معكِ.

بكتْ الاميرة من كلام الشيخ الانصاري وقالتْ: سيدي، لقد أخـطأتُ وتبتُ من خطأي، أعتذر منك فلن ارتكب مثل هذه الحماقة مرّة أخرىٰ.

فعفىٰ عنها الشيخ وقبل اعتذارها ثم قال: أين انتِ من إبداء الرأي حول مكانة العلامة الشيخ علي كني؟![١]

نعم .. هكذا يدافع المراجع عن بعضهم، فهل نتعلم؟!

١– سيماء الصالحين / ص ٣٦٥.

﴿٨﴾

لا لمصادرة الألقاب

لُقّب المرجع الديني الأعلىٰ آية العظمىٰ السيد أبو القاسم الخوئي ﵀ في النجف الاشرف بـ(زعيم الحوزة العلمية)، وحصل في تلك الفـترة أن طُبع هناك كتاب (تحرير الوسيلة) للامام الخميني ﵀،فكان لقب (زعيم الحوزات العلمية) يتصدر اسم الامام علىٰ غـلاف الكـتاب، فـما أن رأىٰ الامام ذلك حتىٰ أحضر المسؤول الخاص بهذه الامور في مكتبه وسأله: من أمرك أن تلقّبني بهذا اللّقب؟

ثم أضاف الامام:

إن لم تُحذَف هذه الجملة(زعيم الحوزات العلمية) من الكتاب فسوف آمر برمي هذه الكتب في نهر دجلة!

فقاموا بإلصاق ورقة علىٰ آلاف النسخ من الكتاب حتىٰ لا تُقرأ هـذه الجملة![1]

١- قصص وخواطر / للمؤلف.

﴿ ٩ ﴾

امتحانٌ لِعالِمَيْن

خرج العالمان الكبيران (الشيخ البهائي العاملي) و(السيد مير محمد باقر الداماد) في موكب السلطان عباس الصفوي الىٰ رحلة للصيد والاستراحة. والمعروف أن العالميْن المذكورين كانا ممن يستعين بهما الحاكم الصفوي في ايران لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية.

كان (السيد مير محمد) بديناً، وكان جواده يمشي متباطئاً. بينما كـان (الشيخ البهائي) نحيفاً، وكان الجواد الذي يركبه يمشي مسرعاً وموجفاً!

أراد السلطان عباس ان يمتحن علاقة هذيْن العالميْن القلبية ببعضهما، لأن المعروف بين الناس أن العلماء (يتحاسدون) فيما بينهم!!

فاقترب السلطان من السيد وقال له:

انه ليس من الأدب والوقار أن يقود الشيخ جواده بهذه الطريقة!

فقال له السيد مير محمد: «كلامك صحيح، ولكن الجواد الذي يـركبه سماحة الشيخ البهائي يفعل ذلك لسروره بالشيخ، لأنه يحمل علماً كبيراً علىٰ ظهره»!

وبعد قليل دنا السلطان من الشيخ البهائي وقال له:

«أنظر يا شيخ أليس من المفروض ان لايكون العالم سميناً يعجز الجواد عن حمله»!

فردّ عليه الشيخ: «أجل، السمنة ليس شيئاً جيداً، ولكن بطء حركة جواد السيد مير محمد ليس من سمنة السيد، انما لثقل علم السيد»!

يقال: نزل السلطان عباس من جواده فوراً، وسجد لله سجدة الشكر، لكونه يعاصر عالمين في هذه الدرجة من الاخوة وصفاء القلب[1].

﴿١٠﴾

قطع السلبيّة بروح إيجابية

كان العلامة الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) مرجعاً، وله بين الشيعة عظمة الرؤساء وهيبة العظماء، فعدما كان يتنقل من مكان الىٰ مكان، كان يرافقه جمع من حاشيته فتزيده هيبة وبهاء.

وعلىٰ عكسه كان المرجع المعاصر له، آية الله العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري، اذ رغم حيازته لأموال كثيرة، كان يجسّد أخلاق الزاهدين ولم يهتم بالمظاهر المهيبة.

وكما في عصرنا هذا جهلة يضربون علىٰ طبل أجوف عند مشاهدتهم

---

١ - خزينة الجواهر في زينة المنابر / ص ٢٩٥.

لمثل هذا التفاوت بين العلماء، فيتخذونه حديث المجالس ضد هذا العالم أو ذاك، كذلك كان في ذلك العصر لهم نظائر، حيث جاء أحدهم الىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ﷺ ينتقد الوضع المرفّه لآية الله الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) رحمة الله عليه.

وهل تعلم ماذا ردّ عليه الشيخ الانصاري؟!

قال له الشيخ: «ان سماحة الشيخ محمد حسن يمثل جانب العظمة الاسلاميّة وأنا أمثّل جانب الزّهد في الإسلام»![1]

هكذا قطع الشيخ الانصاري جذور الشقاق بروحه الايجابية الرفيعة، وذلك مانتمناه أن يتكرّر في عصرنا هذا.



حريّة التقليد

ذكر سماحة السيد جواد الكبايكاني: ان والده المرحوم آية الله العظمىٰ الگلپايگاني سمع أن عالماً كان قد استفتىٰ عند المرجع الكبير السيد البروجردي من تقلّد في المسائل الفقهية التي تجوّزون الرجوع فيها الىٰ الفقيه من بعدكم؟

---

١ - خزينة الجواهر في زينة المنابر / ص ٢٩٥.

فكـتب السيد البـروجردي فـي الجـواب: تـراجـعون فـيها الفـقيه الگلپايگاني.

وكان هذا العالم يريد تصوير تلك الورقة ونشرها للـدعوة الىٰ تـقليد السيد الگلپايگاني بعد وفاة السيد البروجردي. فطلبه السيد الكـلبايكاني ليحضر مع تلك الورقة فلما قرأها السيد وضعها في صندوقه وقفل عليها.

فقال له العالم: سيدنا أريدها، إنها ورقتي!

قال السيد: أنهاورقتك، ولكنها تتعلق بي، فإن نشرتها قـطعتَ الطـريق أمام الناس لتقليد غيري من المراجـع الكـرام، أتـركوا النـاس ليـختاروا المراجع الذي يقتنعون بهم فالتقليد حرٌّ في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

أقول: ياليت الناس المتعصبين يدركون عمق هذه الحرية ولايشـتغلوا في حرب المرجعية ويغفلوا عن قيمها وأهدافها.

﴿١٢﴾

يامحسن قد أتاك المسيء

نشب نقاش علمي ساخن بين عالمين كـبيرين، هـما المـولىٰ خـليل القزويني والملاّ محسن فـيض الكـاشاني، وكـانت النـتيجة أن لم يـقتنع أحدهما برأي الآخر، والقـناعة - كـما تـعلم - ليست بـالقوة، فـانفضّ

المجلس من دون ان يحمل أحدهما علىٰ الآخر حقداً أو كراهية. وهذه من خصال المؤمنين.

مرّتْ أيام قليلة حتى عرف المولىٰ خليل انه كان مخطئاً في رأيه وأن الحق في الموضوع هو بجانب الملا محسن، فخرج مشياً علىٰ قدميْه من مدينته (قزوين) الىٰ مدينة (كاشان).

جاء وطرق باب منزل الملاّ محسن الكاشاني ورفع صوته من وراء الباب: يامحسن قد أتاك المسيء!

فعرفه الملاّ محسن من صوته، فجاء مسرعاً، وفتح الباب فعانقه وأدخله المنزل. ثم بعد ساعة من الجلوس قام المولىٰ خليل القزويني وعاد الىٰ مدينته (قزوين). حاول الملاّ محسن ان يبقيه عنده اياماً، ولكن المولىٰ خليل أجابه: انني جئتك فقط لأعترف لك بخطئي وصحة رأيك لا أكثر[1].

﴿١٣﴾

لا ينبغي التقابل

كتب أحد العلماء رسالة الىٰ الامام الخميني، يطلب فيها مالاً لبناء مدرسة دينية في المدينة التي كان يسكنها، وذكر فيها مبرِّره ودافعه الىٰ

١- الفوائد الرضوية / ١٧٣.

هذا المشروع بأن في المدينة يعيش سنة وشيعة، فالسنة عندهم مدرسة دينية والشيعة ليست لهم مدرسة!

فلما قرأ الامام الخميني الرسالة قال مستنكراً: «لا ينبغي التقابل مع السنة. لا يكفي هذا دليلاً وحجّة، فلأن عندهم مدرسة، اذن يجب ان تكون عندنا مدرسة أيضاً»[1].

نعم عند الامام الخميني يجب توحيد الصف الاسلامي ونبذ التفرقة، هذا هو منطق الذين ارتفعوا في طموحهم وشخّصوا منابع الفتن في الامة الاسلامية. ولاأدري لماذا بعض أدعياء خط الإمام لايلتزمون هذه الأخلاقية حتى مع الشيعة، فيتقابلون بأشد ما في التقابل مع الكفار. رحمك الله يا إمام الأمة ورحم الله خطك المذبوح من القفا بيد المتاجرين باسمك !

﴿١٤﴾

أنت مع الإنصاف تربَح!

نقل لي سماحة العلاّمة الشيخ إلهي الخراساني (حفظه الله) أنّ استاذه المرحوم آية الله الشيخ ميرزا جواد الطهراني (أعلىٰ الله مقامه) كان اذا

١- در ساية آفتاب / ص ١٢٢ (كتاب بالفارسية عن حياة الامام الخميني).

يريد في مجلس درسه أن يناقش رأي أحد كبار العلماء يبدأ أوّلاً في الثناء عليه ثُمّ بغاية الأدب والتواضع يطرح ماعنده من رأي علمي ناقد.

أتذكّر مرّةً ذكر رأياً للمرحوم الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب جواهر الكلام / موسوعة فقهية كبيرة) فبدأ يمجّد مقامه العلمي وأثنى علىٰ خدماته الجليلة وكتابه الجواهر، وبعد ذلك تطرّق الىٰ رأيه الناقد لرأي الشيخ وهو يقول: ربما نقدي لرأي الشيخ نابع من عدم فهمي لرأيه. ثم طلب من الطلبة الحاضرين في الدرس أن يعينوه لفهم رأي الشيخ كي يسحب انتقاده. واذا كان يناقشه أحد الطلبة فيقتنع بعدم صحّة رأيه يعلن لهم بشجاعة وصراحة قائلاً: أنا مخطىء[1].

وهكذا تكون مع الإنصاف قد تربح العلم والأدب والأخلاق، فما أجمل أن نكون كذلك.

﴿١٥﴾

بحثاً عن الأصوب

قال المرحوم الآخوند ملاّ علي الهمداني:

كنا جالسين في محضر العالم الجليل الحاج الشيخ أبي القاسم ميرزا القمي ، اذ دخل علينا المرجع الكبير آية الله العظمىٰ الشيخ عبد الكريم

---

١ ـ كرّاس عن حياته صادر من مؤسسة الدراسات الاسلامية للحرم الرضوي.

الحائري ، فلما استقر في مجلسه، عرض مسألة علىٰ الميرزا القمي، وقال: مارأيك في جوابها؟

فلما أجابه الميرزا وتأمل الحائري في الجواب قليلاً نادىٰ خادمه فوراً وهو يقول للحضور: لقد جاءني سؤال من مدينة (أراك)، وكتبت جوابي، ولكني أرىٰ أن جواب سماحة الميرزا القمي أصوب مما كتبت. فالتفت الى الخادم وقال له أسْرِعْ وخذ جوابي وأرسل اليهم جواب الميرزا[١].

نعم.. ليس عيباً اذا أخطأ غير المعصوم، ولكن العيب ان يصرّ عليه اذا اكتشف خطأه، أو أحجم عن الذهاب وراء اكتشاف الصحيح والأصح. ومأحوجنا الىٰ مراجع تقليد يلتقون ببعضهم بحثاً عن الأصوب الذي ينقذ الناس من الحيرة والخطأ.

﴿١٦﴾

إصرارٌ علىٰ الحوار

يقول الحاج كريم وهو خادم في صحن حرم الامام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة، لما كنت في سنّ العشرين خادماً في الحرم الشريف أذكر ذات ليلة قد أعلن المسؤول: ان ابواب الحرم ستُغلقَ بعد قليل فالرجاء من الزوّار مغادرة الحرم الحسيني.

١- كتاب بالفارسيّة (مردان علم در ميدن عمل) / ص ١٧٧.

في الاثناء رأيت آية الله البهبهاني والعلامة الشيخ يوسف البحراني المعروف عنهما الاختلاف حول بعض الآراء يتحاوران في موضوع علمي ساخن، فلما سمعا النداء خرجا الىٰ الصحن وهما مستمران في الحوار.

وبعد دقائق سمعت المسؤول ينادي أيضاً: إن أبواب الصحن الشريف ستغلق أيضاً، فالرجاء من الزوّار ان يخرجوا.

وكنت أنظر اليهما إذ مشيا حتىٰ وقفا خلف باب القبلة من الصحن الشريف جهة الخارج وهما مستمران في حوارهما الساخن بكل هدوء واحترام لبعضهما.

ذهبتُ الىٰ البيت حيث كان الوقت منتصف الليل، نمتُ قليلاً ثم رجعتُ قرب الصبح لأفتح باب الصحن، فوجدتُهما لازالا واقفين يتباحثان، ولقد انبهرت بهما وتعجبّتُ من قدرتهما علىٰ هذا البحث والحوار الطويل.

ثم عند الفجر.. تودعا وافترقا، فذهب الشيخ يوسف البحراني ليؤمَ صلاة جماعته، حيث كان ملتزماً بها في كل صباح، وذهب آية الله البهباني يفترش عباءته علىٰ الارض فصلّىٰ ثم ذهب الىٰ بيته[1].

أقول: ولا أدري لماذا الاختلاف في وجهات النظر لدىٰ بعض المعاصرين ملازمٌ للقطيعة والكراهية، أليست هذه من الأمراض النفسية والاخلاقية التي لا تجدر بهم ان كانوا دعاة للاخلاق، وان لم يكونوا فلا يدّعوها، ولقد كبُر مقتاً عند الله أن يقولوا مالا يفعلوا!

١- قصص العلماء / ص ٤٠٦.

﴿١٧﴾

لا تفوتك هذه القصّة

نقل فضيلة الشيخ أحمد معرفت (حفظه الله): ان أشخاصاً جـاءوا إلىٰ المرجع الأعلىٰ المرحوم آية الله العظمىٰ السيد أبـي الحسـن الاصـفهاني وطلبوا منه أن يسحب وكالته من أحد العـلماء الذي قـالوا عـنه للسـيد الاصفهاني بأنه لا يستحق هذه الثقة والاعتماد والوكالة المرجعية!

استمع السيد الاصفهاني للشكوىٰ جيداً ولكنه لم يتفوّه لهم بكلمة حتىٰ انفضّ المجلس، ثم جاءوا في اليوم التـالي وأعـادوا الكـلام الىٰ السـيد، وكذلك لم يعطهم السيد الاصفهاني جواباً. وفي اليوم الثالث حضروا عنده وكرّروا قولهم بإلحاح، فقال السيد: لقد تأملتُ في الموضوع كثيراً ولكني رأيتُ أن هذا العالم كان قبل وكالتي له يستميل قلوب نصف من الناس، وبوكالتي اصبح يستميل قلوب كلّ الناس، فأنا إذن أعطيته النصف لا أكثر، والآن إن سحبتُ ثقتي وألغيت وكالتي منه فسـوف تسـقط مكـانته بـين الناس كاملة حتىٰ النصف الذي كان له، وهذا ظلم لحقّه وتجاوز عليه، اذ لا يمكن اللّعب بسمعة الناس والاعتداء علىٰ مكانتهم. أقول: يا ليت اكثر العلماء في عصرنا يفكرون بهذه الدقة الرفيعة في الأخلاق الاجتماعية.

﴿١٨﴾

الحنكة من أهمّ الصّفات

الحنكة والذكاء ورجحان العقل، أمور يتصف بها بعض ولا يتصف بها بعض آخر من الناس والعلماء دون فرق.

والقصة التالية تحكي هذا المفهوم:

عندما أحبط المجدّد الشيرازي الكبير بفتواه الشهيرة في تحريم التبغ المخططات البريطانية في ايران، تحرّكت سفارة بريطانيا وجواسيسها لإبطال مفعول هذه الفتوىٰ بشتىٰ الاساليب السرية والعلنية. فمن تلك الاساليب الحصول علىٰ فتوىٰ حلّية التبغ من مجتهد آخر لمواجهة فتوىٰ الشيرازي، وبذلك تُرمىٰ الكرة في مرمىٰ العلماء فيتشاغلون بالصراعات الداخلية وتأخذ معاهدة الاستعمار البريطاني دربها التنفيذي مع حكومة ناصر الدين القاجاري.

فقامت السفارة البريطانية في بغداد بإرسال عدّة من (الغشمة) ذوي المظاهر الدينية الىٰ المجتهد الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني لمحاولة الحصول علىٰ فتوىٰ منه بحلّيّة التبغ وجواز المتاجرة به وماأشبه.

دخل عليه هؤلاء المغفّلون (المتديّنون) وكان مجلسه مكتظّاً بالناس والعلماء، فسأله أحدهم: مارأيك في الحديث القائل: (حلال محمد حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه حرام الىٰ يوم القيامة)؟

أجاب الشيخ: انه حديث صحيح وموثوق تماماً.

فقال السائل: هل كان التبغ قبل ان يحرّمه الميرزا الشيرازي حلالاً أم حراماً؟

هنا فطن الشيخ المازندراني اللعبة القذرة للسائل، فأجاب عليه بحنكة: نعم كان قبل ذلك حلالاً.

فقال السائل: إذن بمقتضىٰ هذا الحديث يكون التبغ حلالاً ولا يُحرَّم اليوم بفتوىٰ الميرزا!

فردّ عليه الشيخ المازندراني: كلاّ.. ان التبغ اليوم حرام، وحرمته لا تنافي حليته السابقة لأن الأشياء احياناً تأخذ عنوانين اثنين، يسمّىٰ أحدهما بالعنوان الاوّلي والآخر العنوان الثانوي. العنوان الاولي ثابت مثل صوم شهر رمضان، فعنوانه الوجوب، ولكن اذا طرأت حالة اضطرارية علىٰ شخص يجب عليه الصوم، كما اذا أصبح مريضاً مثلاً فانه يحرّم عليه الصوم بعنوان ثانوي. فالتبغ حلال بعنوان أوّلي، ولكنه بسبب حالة طارئة تجلب علىٰ المجتمع اضراراً سياسية واقتصادية فإنه اصبح حراماً بعنوان ثانوي. من هنا فإن المجتهد الفقيه يفتي بالحرمة وفقاً للحالة الطارئة وعندما تنتهي الحالة تعود الحلية وهي العنوان الأولي للشيء.

بهذا الجواب الحكيم أفحم الشيخ ذلك السائل وردّه خائباً الىٰ حيث جاء[1].

١– نفس المصدر / ص ٦٧.

ومن الجدير ذكره ان الميرزا الشيرازي قد فوّت علىٰ المغفّلين فرصة التشكيك بتعبيره الدقيق في فتواه التي قيّدها بالزمن فقال: (اليوم استعمال التبغ والتُتن بأي نحو كان بحكم محاربة الامام صاحب الزمان عليه السلام).

﴿١٩﴾

مأجملَ هذا الموقف

تصدّىٰ آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني لقضايا سياسية في معارضة حكومة الشاه في الخمسينات - قبل مايقارب أربعين عاماً -، وقام الكاشاني بتأييد اغتيال رئيس وزراء الشاه علىٰ يد مجاهدي حركة فدائي الاسلام. مما جعل حكومة الشاه تلقي القبض علىٰ الكاشاني وتصدر حكم الاعدام في حقّه.

ومن ناحية أخرىٰ كان بينه وبين المرجع الكبير آية الله العظمىٰ السيد حسين البروجردي - المتوفىٰ سنة ١٣٨٠ هـ - في قم المقدسة اختلاف في بعض الآراء والمواقف. ولكن السيد البروجردي رغم ذلك بعث الىٰ الشاه مبعوثاً يطالبه بإطلاق سراح السيد الكاشاني والغاء حكم الإعدام.

فقال الشاه للمبعوث: ان القضية خارجة عن يدي، وان المحكمة قد أخذت قرارها الأخير.

بالطبع كان الشاه يمكنه التدخل لإلغاء القرار لأنه كان صاحب كلّ

القرارات في ايران، ولكنه كان يرغب شخصياً في إعدام أهم رجل معارض لسياساته، خاصة وان اغتيال رئيس الوزراء كان يبرِّر له تنفيذ الاعدام قصاصاً وانتقاماً فهذه فرصة لا تفوّت. الاّ ان السيد البروجردي قال للمبعوث: عُد وقل للشاه إن لم تطلق سراح السيد الكاشاني فإني أطلق سراحه بنفسي!

ففهم الشاه أن تهديد المرجع الكبير السيد البروجردي يعني اعلان ثورة علىٰ حكومته ولا طاقة للشاه وحكومته علىٰ ثورة الجماهير المسلمة في ايران. من هنا أسرع الشاه الىٰ إطلاق سراح السيد الكاشاني[1].

واستمر السيد البروجردي في إكمال موقفه الجميل تجاه السيد الكاشاني حينما علم بأن السيد قلق بشأن قروض ثقيلة قدرها (اثنا عشر الف تومان ـ وهو مبلغ كبير في ذلك الزمن ـ) لا يستطيع تسديدها بعد هزيمته السياسية، فسدّد البروجردي تلك القروض وامتنع أن لا يُخبَر السيد الكاشاني بمن سدّدها[2].

﴿٢٠﴾

المطلوب قمّة مرجعيّة دائمة

بعد انقلاب (١٤/ تموز) العراقي سنة (١٩٥٨م)، سمح عبد الكريم

١- نفس المصدر / ص ٦٩.

٢- بالفارسية (كرامات الصالحين) ص ٣٠٩ محمد شريف رازي.

قاسم للشيوعيين بالنشاط كما يحلو لهم. فأغرقوا العراق في حمامات الدم خلال ستة أشهر، وكانت المظاهرات الشيوعية تجوب شوارع المدن العراقية وتهاجم بيوت العلماء والوطنيين الاحرار وتمارس بحقهم ابشع الجرائم التي يندىٰ لها جبين الانسانية. وقد قاموا في النجف الاشرف ماجعل المسلم يشعر نفسه غريباً فيها.

وذات مرة خرجت مظاهرة شيوعية في شوارع كربلاء المقدسة ويتقدمها قادة الشيوعية وبأيديهم قائمة بأسماء (٥٢) شخصية اسلامية ووطنية مجاهدة لغرض الهجوم علىٰ بيوتهم وقتلهم بسبب موقفهم الرافض للشيوعية ونشاطهم في الناس ضد المدّ الأحمر (وكان من الأسماء اسم آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي والعلامة الخطيب السيد مرتضىٰ القزويني).

فما كان من الفقهاء المراجع الاّ التصدي للمسؤولية، فعقد ثلاثة منهم (وهم الامام الحكيم والامام الخوئي والامام الميرزا مهدي الشيرازي) اجتماعاً في كربلاء المقدسة في دار السيد الشيرازي ﷺ وخرجوا من الاجتماع بقرارات مهمة لمكافحة المدّ الأحمر في العراق، فأصدروا الفتاوىٰ ونسّقوا الانشطة في صدّ الكفرة والفسقة والجهلة، وكان الانتصار للوحدة الاسلامية[1].

وأخبرني الأديب الحسيني الشيخ محمد باقر الايرواني النجفي (حفظه

١-العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل / ص ٨٨٧.

الله) أنّ آية الله العظمىٰ السيّد محسن الحكيم جاء ذات مرة لعيادة المرجع الدينيّ الميرزا مهدي الشيرازي؛ ونُشرتْ صورتهما في الستّينات وتحتها بيتان شعرٍ من إنشائي فقرأهما قائلاً:

بَــدرانِ فــي أُفـق الهِـدايـةِ أشـرَقَا
أُنْـــبِيكَ بــالتفَّصيل والإيــجازِ

هذا هو «المهديُّ» يُسمعُ «مُحسِناً»
وترىٰ الحَكـيمَ يُـحدِّثُ الشـيرازي

وفي هذا السياق نقول إنّ في لقاء المراجع لقاءُ أتباعهم وفي اجتماعهم اجتماعُ مقلّديهم وفي تزاورهم تشجيع للتزاور بين النّاس أنـفسهم، هـذا ناهيك عن ضرورة تشكيل قمّة مرجعيّة دائمة تجتمع دورياً لبحث سبل القضاء علىٰ مشاكل المؤمنين خاصة والأمة الإسلامية عموماً ومـايهدّد المسيرة والكيان الإسلامي في كل جيل.

﴿٢١﴾

الأخلاق السامية رغم الاختلاف

قبل ستين عاماً تقريباً تألّق اسم آية الله العظمىٰ الســيد أبــي الحســن الاصفهاني؛ في سماء المرجعية الدينية للمسلمين الشــيعة فــي العــالم. وكان السيد الاصفهاني قمّة في الأخلاق السامية. يقول الخطيب الحسيني

المرحوم الشيخ علي أكبر الواعظ التبريزي، ان جمعاً من التجار المؤمنين سعوا في زمن رضا خان (والد شاه ايران المقبور) لأنْ تسمح لهم حكومته بالسفر الىٰ زيارة العتبات المقدسة في العراق، فبعد عام واحد من السعي والجدّ والوساطة سمحت الحكومة لعشرة اشخاص منهم فقط. يقول أحدهم:

وصلنا الىٰ مدينة كربلاء المقدسة ليلة أربعين الحسين عليه السلام وكنا في شوق للقاء المرجع الاعلىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني أيضاً، وهو يأتي الىٰ كربلاء من النجف الاشرف في مثل هذه الليلة، فذهبت لوحدي الىٰ بيته الواقع في (تلّ الزينبية) وبينما كنت جالساً مع السيد واذا بجموع الخبّازين يزدحمون في البيت ويطالبونه بأثمان الخبز الذي كانوا يدفعونه الىٰ الفقراء علىٰ حساب السيد. ولم يكن السيد الاصفهاني لديه من المال الكافي لتسديد الديون الكبيرة في ذلك الوقت، لأن الاموال التي تأتي لإدراة شؤون الناس والطلبة من قبل مراجع الدين إنما هي من الزكاة والحقوق الشرعية التي يؤديها الموسرون في البلاد الاسلامية وخاصة تجار ايران المؤمنين.

فعندما رأيت هذه الحالة، لعنت رضا خان (شاه ايران) الذي يمنع السفر الىٰ العراق وإرسال المال الىٰ المراكز الاسلامية والمرجعية الدينية، فقررت بعد ذلك أن أعود الىٰ أصدقائي وأخبرهم بالموضوع لعلّهم يتبرّعون بما كان معنا من المال، فنقدمه لدعم المرجع الاصفهاني.

وهكذا جمعنا (٣٠٠٠) ديناراً من الاصدقاء، واقترحوا عليّ أن أذهب

لوحدي وأقدّمها الىٰ السيد، وهم يأتون لزيارته في يوم آخر.. علّلوا ذلك بأنه قد يسبب احراجاً للسيّد أويعدّ منّة عليه اذا أعطوه المبلغ بحضور الجميع، فدخلت علىٰ السيد الاصفهاني لوحدي، فوضعت المبلغ بين يديه وقلت هذا لكم ايها السيد.

فقال السيد: انك لم تذكر شيئاً عن هذا المبلغ بالأمس فهل الذي رأيته قد دفعك الىٰ هذا الإحسان؟

قلت: خذه وتصرّف فيه كماتشاء، وانت مرجعنا وبك عزتنا، نعلم أن مصروفك اكبر.

ولكنّ السيد أصرّ واشترط أنه لا يأخذ المال إلاّ اذا عرف القصة، فنقلتها له كاملة.

فقال السيد: أريدك أن تعمل بما أقوله لك وأن لا تخبر أحداً مادمت حياً! فكما تقول أنا مرجع ولي مقلّدون ومصاريفي كثيرة، إعلم أن السيد حسين القمي مرجع أيضاً وله مقلّدون وهو في وضع مالي أسوأ مني. خذ نصف هذا المال اليه من دون أن تخبره بأنه مني.

قلت له: ياسيدنا بصفتك المرجع الأعلىٰ للمسلمين الشيعة في العالم فإن مصاريفك أكثر.

قال: أنا لا أقبل منك هذا المال الاّ أن تعطي نصفه للسيد القمي. فامتثلتُ لأمره .

نعم... هذا والغريب جداً أن السيد القمي لم يكن يتفق مع السيد

الاصفهاني في طريقة العمل الاسلامي، فرغم الاختلاف بينهما في بعض الآراء، كانت الاخلاق السامية سيّدة المواقف بينهما، فهل بعضنا يتعلم هذه الأخلاق؟! فاذا اختلفنا في الرأي والذوق والاسلوب أن لا ننس الاخلاق الحسنة بيننا، وأقلّها أن لا نبرّر مانميل اليه ونهواه![1]

﴿٢٢﴾

رائعةٌ من مكارم الأخلاق

كتب لي سماحة آية الله السيّد محمد باقر الشيرازي (حفظه الله) نجل المرجع الراحل السيد عبدالله الشيرازي: كنت في الخامس عشر من العمر حينما خرجت مع والدي ﷺ وجمع من زملائه لمرافقة المرجع الأعلىٰ في ذلك العصر سماحة آية الله العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني (أعلىٰ الله مقامه) إلىٰ شاطىء نهر الكوفة وكانت أيام شدّة الحَرّ في النجف الأشرف، حيث يخرج العلماء إلىٰ هناك لتغيير الجوّ في عطلة يومي الخميس والجمعة.

وذات مرّة غبتُ عن الجمع فنقل لي الأصدقاء: كنّا نستظلّ بظلّ الأشجار بالقرب من النهر إذ أمرنا السيد الأصفهاني أن نُحضر عنده كيساً

(١) قصص وخواطر / للمؤلف.

أشار إليه وكان ثقيلاً، فلما أحضرناه فتحه وأخرج منه رسائل وأوراق كثيرة وأخذ يمزّقها ويرميها في النهر!

سأله الحاضرون باستغراب ماهذه الأوراق ولماذا تفعل بها هكذا؟

فقال السيّد ﷺ: إنّها رسائل وردتني من مخالفيَّ وفيها شتمٌ وإهانات، وإنّي أُتلِفها كي لا تقع من بعدي في أيدي مَن يستغلّها للإساءة بهم وتشويه سمعتهم بين الناس.

هذا ونقل لي سماحة العلاّمة السيد محمد الميلاني أنه كان جالساً عند عمّه (والد زوجته المكرّمة) سماحة العلامة السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية حيث جاء ابن السيد الاصفهاني بعد وفاته بكيس من هذه الرسائل ايضاً فقام السيد العمّ بإتلافها، وهذا إن دلّ على أمر فهو ليس إلاّ العفو عمّن ظلمك وهو من روائع مكارم الاخلاق التي قلّتْ في زماننا مع الأسف.



حرّية الرأي العلمي

يذكر فضيلة الشيخ حسن طرّاد من أخلاقية السيّد الخوئي ﷺ أنّ أحد الأشخاص أخبره بأنّ تلميذه المبرّز يومذاك سماحة الشهيد السعيد السيّد محمد باقر الصدر ، يُشكل على آرائه الأُصولية والفقهية ويأتي عليها في دروسه معترضاً بمناقشات علمية كما هي طريقة الفقهاء منذ قديم الزمان ،

حيث الحرّية العلمية وانفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة الإمامية . وقد فوجىء هذا المخبر بجواب المرجع السيّد الخوئي ﷺ حينما قال :

« إنّ ذلك هو مدعاة سرور عندي ، لأنّه يدلّ على وصول تلميذي إلى درجة عالية من الفضيلة العلمية ، حتى يتمكّن أن يناقش آرائي ويورد عليها إشكالاته العلمية »[1].

﴿ ٢٤ ﴾

إستغراب واستغراب!

في سنة (١٩٧٥م) عدت إلى وطني قادماً من النجف الأشرف وذلك لزيارة الأهل والأقارب بعد مفارقتي لهم منذ سنة (١٩٧٤) لدراسة العلوم الدينية .

وحين المغادرة إلى العراق ، كان معنا في مطار البحرين مسافر لديه زيادة على الوزن المخصَّص ـ والذي هو عبارة عن ٢٠ كيلوغرام ـ .

ولمّا كان الموظّف صديقاً لهذا المسافر تغاضى عن المقدار الزائد فلم يطلب منه دفع مبلغ للزيادة ومثل هذا التسامح يحدث عادةً للمسافرين ذوي الصداقة أو القرابة مع الموظفين في المطار.

فالسؤال الذي ارتسم في ذهني عند ذلك الموقف هو عن الرأي

(١) مجلّة النور / ص٣٥.

الشرعي في الموضوع ، فهل حرام كان تصرّف الموظّف وقبول المسافر له، أم حلال ؟

فعندما وصلت إلى النجف الأشرف حملتُ هذا السؤال إلى المرجع الأعلى سماحة آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الخوئي ﷺ .

دخلت المجلس ، وكان السيّد جالساً في الزاوية الأمامية للباب ، وعلى جانبيه بعض العلماء من حاشية البيت المرجعي . فجلستُ بين يديه وأنا يومذاك ابن الخامس عشر من عمري وكنت ألبس العمامة والجبّة والعباءة لتوّي ، ولم ينبت لي شعر اللحية والشارب بعدُ إلّا بعض الشعيرات التي نمت في أطراف اللحية !

قبّلت يد السيد أوّلاً ثم طرحتُ سؤالي (المذكور أعلاه) .

فأجابني السيّد الخوئي قائلاً : « لا يجوز .. إنّه حرام » .

فقلت له : سيّدنا .. إنّ الحلال والحرام يترتّبان على القوانين الإسلامية ، والمعلوم أنّه لا علاقة لهما بالقوانين الوضعية ، وقوانين المطار وضعية ؟!

نظر إليّ السيد ﷺ نظرة تعجّب معها ابتسامة وتأمّل ولم يتكلّم ، وفي الأثناء تدخّل أحد الحاشية يخاطبني قائلاً : « لقد عرفتَ رأي السيد ، قُمْ ولا تُطِل الكلام » !

فقلت له : معذرةً مولانا .. أنا أتحدّث مع السيّد !

فضحك السيد الخوئي وأنهى الموقف بقوله : عندي حرام ، وليكن عندك حلالاً !

وهكذا قبّلتُ يده الكريمة فودّعته وهو مستغرب منّي وأنا مستغرب منه !

﴿٢٥﴾

مجتهد أم لا ؟

ذات مرّة سألوا آية الله السيّد محمد المجاهد ـ المتوفّى سنة ١٢٤٢هـ ـ عن أحد كبار العلماء إسمه السيد محمّد باقر ، هل هو مجتهد أم لا ؟

فأجابهم : إسألوا السيد محمد باقر ، هل أنا مجتهد أم لا ؟ أمّا هو فشأنه أجلّ وأكبر من أن أشهد أنا باجتهاده ؟!(١)

حقّاً إنّ السيّد المجاهد كان مجاهداً لهواه وقامعاً للحسد الذي يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ، فياليت بعض الناس في هذا الزمان يتعلّم الجهاد الأكبر من هذا المجاهد الكبير ؟!

﴿٢٦﴾

دعهم يقلّدون من يريدون

نقل لي المرحوم العلّامة آية الله السيد محمّد الحسيني الميلاني «قدس سرّه» أنّ جدّه آية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني ﷺ وهو المرجع الأعلى في مشهد المقدّسة كان يرسل الخطباء إلى أنحاء محافظة خراسان ومدنها وقراها ويعطي كل واحد منهم مالاً ويقول له خذ هذا المال لكي تستغني من أخذ المال من الناس الذين تذهب إليهم للتبليغ ، ولا تذكر

---

(١) نفس المصدر ج١ ـ ص٢٨١ .

اسمي لهم ولا تدعوهم إلى تقليدي حصراً ، دعهم يقلّدون من يريدون من المراجع الكرام .

﴿٢٧﴾

هؤلاء قرّروا اتّباع الأخلاق

في (١٢ / شهر رجب / ١٤١٣هـ) نقل لي أحد العلماء الثقاة ممّن لا يعتبر ضمن العاملين في مرجعية آية الله العظمى السيد محمّد الشيرازي ﷺ إنّه لمّا حلّ سماحة السيد في الكويت ، هارباً من بطش الحكومة العراقية الجائرة في مطلع السبعينات الميلادية ، أخذ أحد العلماء هناك يقول لجماعته كلاماً يستنقص به مقام السيد ، وممّا قاله « إنّه هو أعلم منه »، فذهب بعض الحاضرين إلى السيد الشيرازي ، ينقلون إليه ما قاله الرجل . فأجابهم السيد ما يلي : « أنتم أشخاص مؤمنون، لا أراكم نمّامين ولا كذّابين ، وأنا لا أعتقد أنّ فلاناً من شأنه هذا الكلام عنّي ، وبالنسبة إلى أعلميّته ، فمن يقول أنا أعلم منه ، لعلّه هو أعلم منّي بالفعل ، لأنّي أراه إنساناً لا يكذب » !

هذه الأخلاق من السيد جعلت أُولئك الأشخاص في ضمائرهم يقارنون بين عالمهم الأناني وبين هذا السيد العظيم ، فقرّروا اتّباع الأخلاق والتقوى ، وتركوا ذلك العالم الذي أوقعه حسده فيما كان يريده لهذا السيّد الجليل .

وفي موقفٍ آخر سعىٰ ثلة من المؤمنين للجمع بين سماحة المرجع الشيرازي واحد العلماء الكبار من مناوئيه بلا علمِ الأخير، فلمّا حضر

السيّد بادره ذلك العالم بالهجوم الكلامي خارجاً عن آداب المجلس، ولكن السيّد حيث كان يستمع اليه فقد أحضر صاحب المنزل الشاي، ولمّا اطال ذلك العالم تهجّمه قال له السيّد الشيرازي بإبتسامته الهادئة: تفضّلوا يا شيخنا فقد بَرَدَ شايُكم!

﴿ ٢٨ ﴾

وهكذا خَجِلَ المسيء

إلتقى المرجع الكبير آية الله العظمى الآخوند الخراساني (طاب ثراه) في الطريق مع رجل يبغضه وكان الرجل حاملاً طفله معه ، فوقف الشيخ الخراساني وسلّم عليه وسأل عن صحّته وأحواله . إلّا أنّ الرجل لم يرحّب بسماحة الشيخ وكان يردّ على تحيّته وأسئلته ببرود ..

وهنا لمّا أراد التوديع أخذ السيد يد الطفل وصافحه وابتسم معه ثمّ ودّع الرجل ومشى . بعد خطوات انتبه الرجل وإذا في يد طفله سبع ليرات ذهبية ، تبيّن أنّ الشيخ الخراساني وضعها في يده ، فخجل الرجل من تصرّفه السيء مع الشيخ[١].

﴿ ٢٩ ﴾

الكمال موزّع بالسّعي

أبى الله أن يجمع الكمال كلّه في شخص واحد دون النبي وأهل بيته

---

(١) بالفارسية (يك صد داستان خواندني) ص٦٤ .

الذين هم دون كمال الله المطلق . فلقد كان البشر ولا زال نسبيّاً في وصوله إلى الكمالات والفضائل والمواهب المعنوية ، فعلماء الدين والمراجع الأبرار وكلّ الذين وفّقهم الله على صراطه المستقيم وهم قد بلغوا الدرجة العالية منها قد أتت صفاتهم الحسنة على قدر سعيهم المحدود وما انتهى عمرهم إلّا كانت النواقص اللّامقصودة تلاحقهم ، ولولا أن زرع الله في الإنسان حبّ الخير والتقدّم والكمال وكذلك الشوق المستمر إلى الزيادة فيه لما كانوا يمتلكون من دافع آخر في سعيهم التكاملي .

هذا في جانب المؤمنين ، وكذلك الأمر في الجانب الآخر ، فالذين لم يؤمنوا بالله وباليوم الآخر فإنّ دافعهم الفطري للتفوّق والتطوير وتحصيل الجديد في حياتهم أمر لا يُنكَر وإن وضعوا هذه النعمة كغيرها في محاربة خالقهم العظيم ومُنعمهم الحليم .

وقبل أن تطول بنا المقدّمة على ذي المقدّمة نقول : إنّ مراجعنا الكرام هم بين الناس أكثر من يسعون للكمال ورغم أنّهم محدودون بإطارهم البشري فقد أمرنا أهل البيت باتّباعهم حتّى ساعة ظهور الإمام المهدي عليه السلام ذلك المرجع العالمي للحقّ الأصيل والأشمل .

يدلّك إلى هذه الفكرة ما حكاه لي المرجع الديني آية الله العظمى السيّد محمّد تقي المدرّسي (دام ظلّه) من أنّ المرجع الكبير المرحوم السيّد محمّد هادي الميلاني قدس سره التقى بأحد العلماء الصالحين (دونه في الدرجة العلمية والمقام المرجعي والشهرة الجماهيرية) ولكنّه كان موهوباً بنعمة الإلهام في الاستخارة بالقرآن . فكان المرحوم الشيخ فاكر اليزدي ـ وهذا إسمه ـ كلّما يستفتح بكتاب الله يُلهَم بنور يلمح له أن يجيب هكذا .

ولذا كانت استخاراته القرآنية الملهمة تفتح أبواب الخير على الذين يطلبونها منه . فالسيّد الميلاني المولع بتحصيل المزيد من الكمالات سأل هذا الشيخ ذات مرّة أن يخبره عن الطريق إلى هذه الموهبة . فأجابه الشيخ بلطافة ومزحةٍ علمائية : ياسيّدنا فلقد أعطاك الله السيادة والمرجعية والعلم والفضل والشهرة .. فهذه الكفاءة (الاستخارة) دعها لي فإنّي لو علّمتُكها ما بقي لي شيء !

فضحك السيّد الميلاني . وثبت أنّ الإنسان مهما أُوتي من كمال فهو طالب فيه الزيادة ، كما ثبت أنّ العالِم قد يُؤتىٰ كفاءة وهي ليست في غيره، فكم من خطيب غير فقيه وكم من فقيه غير خطيب ، وكم من مؤلّف غير مرجع ، وكم من مرجع غير مؤلّف ، وكم من عالم غير مدبّر ومدير ، وكم من مدير ومدبّر غير عالم بالأعماق ، وكم روحاني بارعٍ في الماورائيات وهو محتاج إلى غيره في أُمور أُخرى ...

أليس ذلك من حكمة ربّك ، إنّها لكي يحتاج الناس بعضهم إلى بعض ولا يُطغيهم العُجْب والغرور . فالكمال نسبيٌّ وبابه مفتوح أمام العمر المحدود وهنيئاً لمن سعى له السعي الدؤوب جاعلاً قول ربّه عزّوجلّ نصب عينيه : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[1].

---

(١) سورة الانشقاق : الآية ٦.

﴿٣٠﴾

الإمام الخميني والرأي الآخر

كلّي رجاءٌ إلىٰ الذين يأتون من بعدنا أن يتّعظوا من هذه الحُقبة التاريخية التي أكلتْ سيّئاتُها حسناتها! فلا يتطفّلوا علىٰ بعضهم بعضاً ويوأدوا طاقاتهم في التوافه والتوالف. ولنحفظ هذه النصيحة من قادتنا الأطهار من آل محمّد ﷺ: «**جِدّوا واجتهدوا، وإنْ لم تعملوا فلا تعصوا، فإنّ مَن يبني ولا يهدم يرتفع بناؤه، وإن كان يسيراً، وإنّ مَن يبني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه**»[1].

إنّني لأستغرب جدّاً من أُولئك الأتباع للمراجع المختلفين في الرأي والمستميتين في الجرّ والشدّ !

فالمراجع مختلفون في الرأي لأنّهم مجتهدون، والمجتهد واجبه الشرعي أن يلتزم برأيه، وإلّا كان مقلِّداً لغيره، ولكن العتاب يتوجّه إلىٰ الأتباع، لماذا يتدافعون؟ وعلىٰ أي أساس شرعيّ يتراشقون؟ وبأي حقّ باسم المراجع يتاجرون؟

إنّنا نفخر بمراجعنا كلّهم ونقول للعالَم نحن نؤمن بحرية الرأي، ودليلنا تعدّد الآراء عند مجتهدينا، أليس من الظلم أن يشوّه الأتباع هذا الوجه اللامع لحرية الاجتهاد في حوزاتنا العلمية؟

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٨٦.

أُنظرْ إلىٰ واحدة من أسمىٰ المواقف الجميلة لمراجعنا عندما يختلفون في الرأي. حكىٰ لي أحد العلماء الكبار صاحب مؤلّفات كثيرة[1] وكـان مرافقاً لأكثر المراجع في ايران، أنّه فـي مـطلع سـنة (١٩٦٢م) قـبل أن تحدث انتفاضة (خرداد) في ايران، لما أخذ الإمـام الخـميني رحـمه الله يصعّد من انتقاداته لنظام الشاه البائد، وكان آية الله العظمىٰ الشيخ الآخوند الهمداني ﷺ وهو من العبّاد والزهّاد المعروفين لم يَرَ في مـوقف الإمـام الخميني خدمةً للهدف الذي يبتغيه الإمام نفسه، فبعث الشيخ ـ ناقل هذه القصّة ـ إلىٰ الإمام الخميني لينقل له هذه العـبارة بـالحرف الواحـد: «إنّ الآخوند الهمداني يسلّم عليك ويقول .. ياأبا ذرّ، رويداً، رويداً»!

يقول الناقل جئتُ إلىٰ مجلس درس الإمام، ثمّ خـرجتُ مـن خـلفه أترقّب خلوةً لإيصال هذه الرسالة الشفوية إليه دون أن أقع فـي مـصيدة الجواسيس أو يسمعني مرافقوه، لأنّ الرسالة كانت خاصّة. فمشيتُ خلفه حتّىٰ وقف الإمام عند قبر المرجع الراحل السـيّد البـروجردي ﷺ ليـقرأ سورة الفاتحة، فانتهزتُ الفرصة وتقدّمتُ إليه فأخبرتُه بتلك العبارة دون نقيصة وزيادة. فأجابني الإمام الخميني قائلاً: «وبلّغ سلامي إليه وقُل له: ياسلمان تَحَرَّكْ، تحرّك»!

لاحِظْ ياأخي القارىء كيف يحترم المراجع بعضُهم بـعضاً. فـالآخوند الهمداني يخاطب الإمام (ياأبا ذرّ) إذ كان الإمام في موقفه ثائراً مثل أبي ذرّ الغفاري، لم يتحمّل الظلم والإنحراف. والإمام الخميني يـخاطبه فـي

---

١ ـ وهو سماحة الشيخ (الدكتور) عبدالرحيم بخشايشي (حفظه الله).

الجواب (ياسلمان) تراه يشبّهه بسلمان الفارسي (المحمّدي) في متانته وعبادته وزهده. فكلاهما (أبو ذرّ، وسلمان) من أجلّاء أصحاب النبي ﷺ ولكنّهما يختلفان في مواقفهما، لا عداءاً لبعضهما، بل اجتهاداً لكلٍ منهما في مساحة وظيفته الشرعية، وترىٰ من يشبههما في المواقف والوظائف لا يمنعهما إجتهادُهما المتباين أن يبعثا برأيهما للطرف الآخر وعلىٰ بساط الأدب والأخلاق الرسالية.

وبينما تجد مراجعنا الكرام هكذا يتخلّقون بأخلاق الأصحاب الرساليّين، يتخلّق مَن يدّعون تقليدهم بأخلاق غيرهم!

نعم .. الأخطاء موجودة، ولكنّها موزَّعة بين الجميع، فلا يصحّ أن يفخر أحدٌ علىٰ أحد بعدم وجود نقص أو خطأ فيه، الجميع غير معصومين، فما دام الأمر كذلك فليسكُتْ كل طرف قبل أن يهيج طرفه الآخر فيصطاد عليه ما عليه، فتحِلُّ الخسارة بالطرفين.

لذا ينبغي أكيداً أن يعمل كلٌّ علىٰ شاكلته تَبَعاً للمرجع الذي سمحتْ الحرية الإسلامية تقليده ومتابعته. فليترقي الشباب إلىٰ مستوىٰ المسؤولية الشرعية بكلّ أبعادها الأخلاقية وآفاقها الأُخروية. هذا هو النهج الذي نكرّسه في توجيهاتنا كما استفدناه من القرآن وسيرة النبي وعترته الهادية وأحداث التاريخ وتجاربنا في هذا العصر.

ويستدعي العمل بهذا النهج أوّليات هامّة:

١ ـ الوعي والمعرفة، وتتكفّلهما القراءة المستمرة في القرآن وتفسيره، والأحاديث ومعانيها، والكتب الجيّدة الصادرة عن هذه المدرسة الإسلامية.

٢ ـ التركيز القلبي علىٰ حُسن العاقبة.

٣ ـ مراقبة الأعمال لتصبّ في ذلك الهدف.

٤ ـ احترام الإنسان ولو كان مخالفاً في الرأي.

٥ ـ الهدوء والمتانة والأخلاق والرزانة.

٦ ـ التأكّد من صحة وسقم أي خبر يطرق السمع.

٧ ـ تطوير القدرة العقلية والعملية الفكرية وكلّ الوسائل المؤدّية إلىٰ الأهداف الإسلامية. وذلك يعتمد النقاط المذكورة ونبذ الأنانية والإستبداد بالرأي.

٨ ـ شجاعة اتّخاذ القرار للتغيير عمّا تعوّد عليه الشخص وحسبه من ثوابت الدين، بينما هو من متغيّراته.

٩ ـ مواكبة الحوادث واستطلاع المستحدثات من المسائل العصرية.

١٠ ـ التضرّع إلىٰ الله دائماً لطلب التسديد والتواضع للحقّ.



الفصل الثاني

وفيه مدخل وثلاث محاور:

المحور الأوّل:

التعصّب أساس الممارسة التسقيطية

المحور الثاني:

حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة

المحور الثالث:

حُرمة المؤمن وحصانته وكرامته

مدخل البحث

ماهو التسقيط ومن هو التسقيطي ؟

لمعرفة الفكر التسقيطي وتحديد مواقع القصف عليه والإدانة فيه ، نستعرض في مدخل البحث طائفة من العبارات والألفاظ والمفردات اللغوية التي يُلغي بها التسقيطيون غيرهم وتستخدمها الفئات المختلفة لغرض التسقيط وجلب المصالح السياسية أو المذهبية أو الحزبية أو الفكرية أو الدينية أو الاجتماعية إلىٰ نفسها ، وهي عبارات تكشف عن اللغة التي يفكّر بها التسقيطيون ، وترفع الستار عن سمات فكرهم المظلم وسلوكهم المعوج وحقيقتهم الكارثية في الأُمّة . وبالعبارات التي نذكرها من صياغة التسقيطيين يمكنك أيّها القارئ اللبيب أن تعرف الإنسان التسقيطي في مجتمعك لتنصحه أو تنقذ نفسك من عدواه .

فنقول بشكل عام :

أوّلاً : علىٰ صعيد الحكومات حينما يراد التسقيط يشاع ما يلي :

- عميل لدولة أجنبية .
- يستهدف أمن البلاد .
- خرج علىٰ القانون .
- متعاون مع المخرّبين .
- قبض عليه في قضية أخلاقية .
- إنه ضدّ القائد الأعلىٰ .

- إنه يريد الفتنة والاطاحة بالنظام أو تضعيفه .

ثانياً : على صعيد المذاهب الإسلامية حينما يُراد التسقيط يشاع ما يلي :

- يعتقدون بالشركيات !
- عقيدتهم في التوحيد لم تخضع للكتاب والسنّة !
- يريدون بثّ الفُرقة في الأُمّة وشقّ عصا المسلمين !
- عباداتهم باطلة !
- لا يجوز التعامل معهم !
- في قتلهم ثواب الجنّة !
- احذروا من قراءة كتبهم أو الصداقة معهم أو الزواج منهم .

ثالثاً : على صعيد الاتّجاهات الفكرية والمدارس الإسلامية ، حينما يُراد التسقيط يشاع ما يلي :

- تلتقط في مبادئها الفكرية من مفكّرين غربيين أو شيوعيين !
- إنّهم يستهدفون الوصول إلى السلطة واستلام المناصب لا خدمة الناس.
- لهم علاقات مشبوهة لا يمكن اكتشافها بسهولة !
- لم تتأصّل أفكارهم بالشرعية الحوزوية ولم توثقها المرجعية الدينية!
- إنهم رجعيّون!

رابعاً : على صعيد المراجع والعلماء ، حينما يُراد التسقيط يشاع ما يلي :

- لم يتعمّق في الدروس الحوزوية .

● لم يدرس الفقه والأُصول عند المرجع الفلاني أو لم يقدّم الامتحان عنده !

● يدّعي المرجعية من أجل الجاه .

● عمره صغير ، متىٰ درس ليصل إلىٰ درجة الاجتهاد !

● إنّ أمره لمريب ! أو مشكوك في أمره !

● أنشطته رياء وتأليفاته سطحية بسيطة ليس فيها العمق العلمي !

● لا يجوز الحضور عنده وقراءة مؤلّفاته واعطاؤه الخمس والزكاة والصلاة خلفه والسلام عليه !

● يجب شرعاً تحذير الناس منه وتعريته للجماهير !

● إنّه ضدّ المرجع الفلاني والقائد الفلاني و... !

● أفكاره غير أصيلة !

● جماعته ومؤيّدوه أُناس مشبوهون !

● مصادر أمواله مشكوك فيها !

● إنّه وراء فتنة، من الأفضل الاحتياط في تركه وعدم زيارته !

● لا يجوز دعوته إلى المنبر وإلقاء محاضرة وصلاة الجماعة خلفه!

خامساً : على صعيد المساجد والمراكز الإسلامية ، حينما يُراد التسقيط يشاع ما يلي :

● لا تصلّوا في هذا المسجد ، فصلاتكم فيه باطلة !

● هذا المسجد حكمه حكم مسجد ضرار يجب هدمه !

● بُني المسجد بأموال مشبوهة !

- هذا المركز يسبّب التفرقة !
- الذين يتردّدون علىٰ هذا المكان غير متديّنين !
- وراء هذا المكان أهداف لا تعرفونها ! الله يعرفها ونحن !
- لا تعترفوا بهم في اجتماعاتكم التنسيقية !

سادساً: على صعيد الناس والمجتمع، حينما يُراد التسقيط يشاع ما يلي:

- إنّهم في المقاطعة !
- لا تسلّموا عليهم !
- إستهزؤوا بهم لينزووا وينتهوا !
- إذا دخلوا مجلساً لا تعيروا لهم احتراماً وأهمية !
- إذا التقيتم بهم في الطريق ابصقوا علىٰ الأرض !
- اعبسوا في وجوههم !
- أعطوهم ظهوركم !
- لا تزوّجوهم بناتكم ولا تتزوّجوا منهم !
- حينما توزّعون المرطّبات والطعام في المجلس تـجاوزوهم إلىٰ الذي بعدهم !
- إحذروا من دعوتهم إلىٰ مجالسكم !
- أشعروا أولادهم أنّهم منبوذون !
- إذا رأيتم منهم خطأً فانشروه على الملأ ليتحطّموا وليعرفهم الناس !
- إنّهم لا يراعون المسائل الشرعية !
- إجعلوهم حديث المجالس ليكتشفهم الناس وينفروا عنهم !

● لا تشاركوهم في مجالس الأفراح ولا الأحزان إلّا تقيّةً أو للضرورة أو للتجسّس على أوضاعهم .
● إذا اضطررتم للسلام عليهم فلا يكون إلّا بمقدار الواجب !
● إقطعوا العون المالي عنهم ولا إشكال في الوشاية عليهم عند السلطات لئلّا يقووا في المجتمع !

سابعاً : على صعيد التجّار حينما يراد التسقيط يشاع ما يلي :

● بضاعته مشبوهة .
● أمواله مغصوبة .
● يصبّ أرباحه في جيوب الفسقة .
● يحرم الشراء والمعاملة معه بكلّ الأشكال .

هذه أهمّ العبارات التي تسوقها ألسنة التسقيطيين للطعن فيمن يختلفون معهم في الفكر والرأي والمذهب والمرجعية والتكتّلات الاجتماعية والتجارية والسياسية الواسعة منها والمحدودة . ونحن في هذا الكتاب حيث نروم القصف علىٰ الفكر والسلوك التسقيطي بين العلماء والناس وهو أعمّ من التكفير الذي قطّع أوصال الأُمّة الواحدة وجعلها شراذم متحاربة ومتباغضة على امتداد القرون السالفة ، نؤكّد علىٰ أنّ الإنسان التسقيطي لا يستند في تفكيره وسلوكه إلى البيّنات الشرعية والمقدّمات العلمية في تقييم الأُمور ، ومن هو كذلك يظلّ يرمي الآخرين دون تحرّي الحقيقة ودون أن يفهم الملابسات الموضوعية التي تسمح لفرد بموقف شرعي ولا تسمح لفرد آخر بنفس الموقف تبعاً لاختلاف ظروفهما

الموضوعية وضرورات تعدّد الأدوار .

وبالطبع لو سلك الإنسان التسقيطي سبيل البيّنات لاحترم الوظيفة الشرعية لغيره حسب موقعه الذي لو كان هو فيه لكانت هي وظيفته أيضاً، وعندئذ لتجنّب التسقيط حتماً ، ولانتهىٰ التسقيط في الأُمّة أو انحسر في فئات ليس لها تأثير على مسار الإسلام ، وبالتالي لأخذت الأُمّة تشقّ طريقها إلى العلوّ الربّاني والمجد الحضاري وصار الإسلام الصحيح هو الهادي لها والقائد ، وهو الحادي لها والرائد ، ولكن الإشكال الحاصل والمتجذّر هو في غياب الفكر الدليلي المُبرهَن بالقرآن والسنّة والمستنير بالعقل والأخلاق كما سنثبته في هذا الكتاب بإذن الله تعالىٰ وتسديده .

فالمشكلة سواءً في عالَم الحُكم والسياسة أو الفكر والثقافة أو الحوزات العلمية أو في العمل الاجتماعي والمعارضة أو في السوق والتجارة وحتّىٰ في إدارة الأُسرة والعائلة ، تكمن في غياب الفكر البرهاني عند أكثرها ، وسببه هو التكاسل في القراءة أو عدم المطالعة في مصادر الآخرين ، وعدم الإطّلاع الدقيق علىٰ فكرهم ومعتقدهم ومبرّراتهم العملية ، وبالتالي التسرّع إلىٰ اتّخاذ المواقف الحذفية الصارمة دون ورع وتقوى .

ولكي يظهر التسقيطي نفسه بمظهر الحقّ الدائم يستخدم الدين ويتقمّصه ويفسّره كما يحلو له ويوظّفه في مجابهته مع الغير ، وهذا هو مسلك التسقيطيين المتنازعين في الوسط الديني وأُسلوبهم في الدفاع عن أنفسهم ومصالحهم ، حتّى ظلّ كلّ طرف يحارب طرفاً ويسقطه باسم الدين فحيّروا بذلك جموعاً غفيرة من الناس والشباب خاصة ، إذ باتوا

لايعرفون الصحيح من الدين ! وهكذا ضَعُف لديهم الوازع الديني وقوي فيهم الشكّ وراح الكثيرون منهم يتخبّطون مع الشيطان في المحرّمات ويتقلّبون في الشهوات وهم يبرّرون انحرافهم باختلاف العلماء والمتديّنين وعدم وضوح الحقّ عندهم .

يتّضح من هذا التشريح لعقلية الإنسان التسقيطي ولغته الإلغائية أنّه :

١ ـ يتصوّر نفسه على الصواب دائماً .

٢ ـ يدور معه الحقّ حيثما دار .

٣ ـ يجوز له ما لا يجوز لغيره . فهو لذلك يدين الآخرين لموقفهم في قضية ما ثمّ يتّخذ الموقف نفسه مع قائمة التبريرات (الشرعية !) .

٤ ـ يقدّس الأشخاص لا الأفكار ، فالمعايير عنده مواقف الشخصيات المقدّسة في أجواءه ، وليست القيم الأساسية في الإسلام ومبادئه الأخلاقية أو المصالح المشتركة الكبرى للأمة.

٥ ـ يعتبر نفسه ميزان الحقّ والباطل ، فمن معه يكون مع الحقّ ومن يخالفه باطل محض.

٦ ـ كلّ شيء يجب أن يمرّ عبر إمضائه وموافقته وإذنه ورضاه .

٧ ـ لا يرىٰ نفسه بحاجة إلى دليل وتحقيق من مصادر حيادية علمية ما دام وحي التسقيط قد نزل عليه !

٨ ـ إذا اقتنع بفكرة أحبّها بشدّة وأخذ يقدّسها ويندّد بغيرها ويعلن الحرب علىٰ مَن ليس معها ، حرباً يستخدم فيها كلّ ما لديه من أسلحة الهدم وبذاءة الكلام ووسائل الإعلام وشبكة العلاقات والأموال والمآتم والمساجد ومواكب العزاء .

والمآتم والمساجد ومواكب العزاء .

٩ ـ غالباً لا تجد له حضوراً في ميادين الجهاد وصعوبات العمل ، لأنّه يريد الغنائم دون مشقة وتضحية ومتاعب .

١٠ ـ يعيش (اليقين !) بأنّه من أهل الجنّة وكذلك من يفكّر مثله ويسلك سلوكه في الولاء لمحبوبه والبراءة من مبغوضه الذي هو مثله في الدين والمذهب والعقيدة ولكنّه لا يستسيغ ذوقه وطريقته أو تقليده المرجعي .

١١ ـ أحياناً تسرّه الأكثرية فيستند إليها في العُجْب والاستعلاء وتحجيم الآخرين ، وينسىٰ أنّ القرآن يصرّح بأنّ أكثرهم لا يعقلون وأنّ أكثرهم لا يعلمون .

١٢ ـ حيث هو هكذا فإنّه يتلوّن بلون المنفعة فيركب الموجة ويتناغم معها إلى جهة مصالحه وتفسيره الخاصّ لها .

١٣ ـ يرفع المرجع أو العالم أو الحزب أو الدولة أو التوجّه الذي ينتمي إليه ، ويبرّر سلبيّاته حتىٰ يظهرها بمظهر الحقّ والصواب ، ويعمل العكس تجاه التوجه الآخر الذي لا يحبّه، فحتّىٰ إيجابياته يظهرها بمظهر الباطل والخطأ . فهو قد يتّهم شخصاً بكونه ليس مجتهداً لأنّه لم يدرس عند فلان أو لأنّه لا يمكن الوصول إلى درجة الاجتهاد في سنّ الشباب ، ولكنّه بعد مدّة يدافع عن اجتهاد شخص قد أحبّه وتنطبق عليه ذات المآخذ الواهية التي أسقط بها ذلك المجتهد.

١٤ ـ يستهزء بهم ويتهمهُ ولا يقبل الحوار معه، لأنّه في قـرارة نـفسه يعلم أنه لن يصمد عند المـصارحـة العـلميّة والمكـاشفة الدليـلية، ولأنّ المواجهة الحضورية تفضح الخفايا![1].

---

(١) في نشرتنا (الحسين) التي نصدرها في البحرين في العشر الأوائل من شهر محرّم ـ ١٥ / ألف نسخة يومياً ـ إقترحنا فيها أن يعتمد المتخالفان في قضية التطبير لغـة الحـوار العـلمي والعلني بدل التشهير والتقاذف بالإتّهام من بعيد. فأصدر (أحد المشايخ) بـياناً بـلا تـوقيع ـ أخبرني بذلك أحد أقرباءه المعتمدين عنده ـ يقول في مقدّمته أنّ (المهتدي) يدعو إلى الحوار ونحن نقول لا حوار بين خطّ ولي أمر المسلمين وخطّ المنافقين! ومن أجل دعم كلامه الباطل زجّ بهذه الآية الشريفة فيه : ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَـخْدَعُونَ إِلَّا أَنـفُسَهُمْ وَمَـا يَشْعُرُونَ﴾.

أُنظر ياأخي المؤمن إلى أين وصلت حال التسقيطيين ونسوا أنّ الله بعظمته حاور إبليس، وفي القرآن يناقش الله المشركين والكفّار ، وكان النبي (ص) وأهل بـيته يـجلسون مـع أعـدائـهم ويحاورونهم. هذا لو كنّا مثلما ادعىٰ فينا هذا الشيخ (الثوري) ـ مع حذف الياء ـ!! والغريب أنّ هذا الشيخ كان قبل الثورة يندّد بها وبقائدها الراحل وكان يناقشني علىٰ التأييد. وإنقلب بعدها لهثاً وراء الغنائم! لقد سألني رجل في البحرين ذات مرة لماذا لاتـدعو للإمـام الخـامنئي فـي نهاية محاضراتك كي تكسب أتباعه؟ فقلتُ أخشىٰ أن يختلط إسـمي مـع هـؤلاء المـتاجرين الذين يسيئون الى سمعة الإمام الخامنئي (دام ظلّه) اكثر مـما يـحسنون اليـه؟! أمـا سـمعت الحكمة القائلة: إذا أردتَ الاساءة الى أحد إجعل جاهلاً يمدحه!

وينطبق هذا على أحد شيّاليهم في موكب العزاء، حيث لما يصل الى مأتم القصّاب (في المنامة) يستبدل قصائده بقراءة سورة (قل يا أيها الكافرون...) مرّة وسورة (المنافقون) مرّة أخرى. أما آنَ لكم أيها العلماء أن تنهوا عن هذا الفكر الطالباني التكفيري المتسلّل الى الشيعة!! فماذا بقي ليتردّد الناهون عن المنكر الذي أخذ يصل الىٰ هذه الدرجة من البشاعة؟! بل سـبّب فـي نفاق بعض الخطباء إذ قال لي بعضهم إن لم نتحدّث فيما يريدون ونـدعو للإمـام الخـامنئي

أجل.. هذه أهمّ سمات الإنسان التسقيطي ولغته السافلة ، هكذا تجده يتناقض في فكره وسلوكه، فمثلاً تراه في ليلة وضحاها يقرّ باجتهاد ومرجعية شخص كان قد أقام الدنيا عليه ولم يقعدها ليثبت عدم ذلك، وهو رغم إقراره المتأخّر بالحق ـ حيث لم يعوّد لسانه ذكر اسم المرجع (الشيرازي) بالخير طوال السنوات السرابية والعداوات الوهمية وتشحين الناس ـ تراه يرتقي المنبر في مجلس خُصِّص لفاتحته على سبيل الخجل والمجاملة فلا يذكره بالإسم أبداً وفي النهاية يقول : رحم الله من قرأ الفاتحة على روح من اجتمعنا لأجله[1]!!

ومئات من هذه المهازل تختزنها ذاكرتنا حول هذا الموضوع المؤلم ، ووأدهم للكفاءات وحرمان الناس منها. إنّها المهزلة التي تقود عقول الفئات المتعصّبة ، ولكنّها تستحيل عليها قيادة المجتمعات الواعية بالطبع ، لذلك يمنعون الناس من الانفتاح على الفكر الآخر والتعرّف على علماء آخرين لئلّا تظهر الحقائق ويتلاشىٰ الصرح الرملي الذي بنوه لأجل الزعامة والرمزية، ولئلّا تتهشّم آمالهم الفئوية الضيّقة علىٰ صخرة الواقع !

فهؤلاء قوم إنّما يركبون ظهور الناس وأكتافهم إذا أبقوهم بعيدين عن وعي الحقيقة وشوّهوا في أعينهم صورة رجال لديهم كلمة الرجال!

ولكن التسقيطيين اليوم في أفول مستمر، فقد بدأت العقول النيّرة تتفتّح

لايدعوننا! ولقد قُلتُ لأحد المقرّبين للسيد (حفظه الله) أن يقوّوا عقلاء المؤيدين ويتركوا المتطرفين منهم . ومثله ذكرته لسماحته (دام ظلّه) في لقائي به فأبدىٰ استغرابه .

(١) إشارة إلى المواقف السخيفة التي صدرت عن بعض التسقيطيين في (البحرين) بعد وفاة المرجع المظلوم السيّد محمّد الشيرازي (رضوان الله عليه) .

لتقصف فكرهم الاستبدادي وسلوكهم الجافّ وتستبدله بفكر وسلوك يستند إلىٰ القرآن والحديث وسيرة أهل البيت عليهم السلام الأخلاقية والعقل المستنير في المدرسة الرسالية والمشتركات الإنسانية .

فلا يتحمّل الإنسان المعاصر والمبتلىٰ بأزمات هذا العصر الضاغط تلك الأشكال الآحادية في الرأي والحدّية في الردّ وهو يرىٰ في عصر الثورة المعلوماتية اندماج التكتّلات الدولية وتقارب المؤسّسات التعدداتية وائتلاف الشركات الاقتصادية الكبرىٰ رغم كلّ الخلافات بينها وسباق المصالح ، فهل ياتُرىٰ أصبحت القيم المعنوية عاجزة عن جمع العلماء والمتديّنين ، بينما القيم المادّية انتصرت في هذا الميدان فوحّدت أهلها وإذا بالقيم المعنوية لم توحّد دعاتها؟!!

إنّه السؤال المحرج الذي (نتحرّش) به واقع المتفرّقين والمتفرّجين حتّى يفيقوا إلى حيث الحقيقة ! فهل من طريق آخر ؟! لا أتصوّر !

بهذا المدخل نحدّد مساحة البحث عندنا في الكتاب الذي بين يديك ونوجّه مسارنا في نقد الساحة منتصرين إن شاء الله تعالى للنهج العلمائي المتوازن ، ولا نرخّص للتسقيطيين أن يتّهمونا بأنّنا ضدّ العلماء! إلا اذا اعتبروا أنفسهم علماء وغيرهم كلّا! كما هو الحال!

هكذا عوّدونا أن نفهمهم ـ مع الأسف ـ وهذه حقيقة الذين لا يتألّمون لآلام الناس ويتآكلون في سوق الخلافات ويحلمون لأجل الزعامات والسيطرة علىٰ الأموال الشرعية ومراكزها!

ورغم الآلام نبشّر بغدٍ علمائي راشد، سوف يتقدم لإنقاذ الأمة والشيعة خاصة عبر المباديء الثلاث (الإخلاص) و (الإجتهاد) و (الأخلاق)[1]

---

(١) كلمات تبدأ بالهمزة ذكرها لي المرجع الورع سماحة السيد صادق الشيرازي (دام عمره

المحور الأوّل:

التعصّب أساس الممارسة التسقيطية

● ما هو التعصّب؟

إنّ نظرةً سريعة لمعرفة الدوافع التي يؤسّس عليها الممارسون للتسقيط، تكشف لنا بأنّ أبرزها وأقواها في نفوسهم هو التعصّب، لذلك نقدّم هنا دراسة في عمق التعصّب لغوياً واصطلاحياً ودينياً؟

١ ـ التعصّب لغوياً عبارة عن الشدّة والغلظة.

٢ ـ التعصّب اصطلاحياً عبارة عن دعوة الرجل إلىٰ نصرة عصبته والتألّب معهم علىٰ من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، كما يقول المثل السقيم: «أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»!!.

٣ ـ التعصّب المحرّم دينياً هو إعانة الإنسان لقومه وجماعته على الظلم.

والجامع لهذه المعاني هو مفاهيم الجفاف والقساوة والحالة الاستدارية لمواقف الانسان، أي الدوران الثابت حول النفس للإستقواء به في الإعتداء على الغير. وهي ذات المفاهيم التي تنطوي عليها شخصية الإنسان العصبي الحدّي المتعصّب الذي يقسو على غيره حفاظاً على ما يحبّه من ذات أو مال أو جاه أو عشيرة أو صداقة أو حزب أو جماعة دون رعاية الحدود الإلٰهية للقيم والمبادئ.

من هذه الدوافع تتولّد العصبية ومنها يمارس الفرد المتعصّب أو

الشريف) كأسس واقية في تحمّل المشاكل وانتزاع النجاح بإذن الله.

الجماعة المتعصّبة تسقيط الآخرين وتهميشهم وخلق أجواء لمقاطعتهم والتحريض عليهم وممارسة التنافس المخرِّب والتقابل الهدّام، وسلبهم حقوقهم في الحرّية والنشاط، فلا يتقبّل هذا الفرد أو جماعته نقداً ولا نصيحة ولا حواراً ولا أي شكل من أشكال اللقاء والتلاقي وبناء جسور التعايش والإنسجام. وهكذا تتنامىٰ بينهم روح العداء والبغضاء والهدم المتبادل للجهود، واذا كانوا مسلمين فهم جميعاً ينادون بالاسلام اويتترّسون به والإسلام غريب بينهم وبريء منهم. وهذه عين الغباوة التي يقول عنها الإمام علي عليه‌السلام: «**كفىٰ بالمرء غباوة أن ينظر من عيوب الناس إلى ما خفي عليه من عيوبه**»[1].

ولخطورة مرض التعصّب الذي يفتك بالمجتمع الإنساني إهتمّ علم النفس الاجتماعي بالبحث في جذوره وأسبابه وآثاره وعلاجه، وذلك ما وردت فيه نصوص إسلامية كثيرة أيضاً.

مثلاً: جاء في القاموس الانجليزي الجديد في تعريف التعصّب أنّه: (مشاعر التفضيل أو عدم التفضيل تجاه شخص أو شيءما دون سابقة للخبرة، أو لا تقوم على أساس الخبرات الفعلية)[2].

ويرى (أولبورت) أنّ أكثر تعريفات التعصّب إيجازاً هو: (التفكير السيء عن الآخرين دون وجود دلائل كافية)[3].

وعرّفه الدكتور حسن حنفي بقوله: (التعصّب هو الانحياز التحزّبي إلىٰ

---

(١) الحياة / ج١ ص٥٣ نقلاً عن غرر الحكم / ٢٤٣.

(٢) الاتجاهات التعصّبية / ص٩٠.

(٣) نفس المصدر / ص٤٩.

شيء من الأشياء فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص، إمّا مع أو ضدّ، والتعصّب للشيء هو مساندته ومؤازرته، والدفاع عنه، والتعصّب ضدّ الشيء هو مقاومته)[1].

وقال بعض علماء النفس: (التعصّب يعبّر عن نوع من الانحياز والدفاع عن مسألة تحت تأثير العواطف، بدون الاستفادة من الفكر والعقل)[2].

● التعصّب نوعان:

انطلاقاً من المعنىٰ اللغوي، وعلىٰ أساس بعض التعريفات العامّة المذكورة للتعصّب بأنّه مطلق الانحياز لشيء ما والدفاع عنه بلا تأمّل، فقد فرّق العلماء المسلمون القدامىٰ بين نوعين من التعصّب، تبعاً لنصوص دينية، نوع مذموم من التعصّب، وآخر محمود مطلوب.

النوع الأول: وهو الانحياز لشيء والدفاع عنه دون مبرّر معقول، وهو ما يتبادر إلى الذهن غالباً عند إطلاق كلمة التعصّب.

النوع الثاني: الانحياز لشيء والدفاع عنه انطلاقاً من معطيات موضوعية واقعية دون الحالة العدوانية علىٰ الغير وسدّ باب الحوار والتفاهم والإقناع.

ولعل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد إدانته للنوع الأوّل من التعصّب يشير الىٰ هذا النوع الثاني في خطبة له قائلاً:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

«ولقد نظرتُ فما وجدتُ أحداً من العالمين يتعصّب لشيءٍ من الأشياء إلاّ عن علّةٍ تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجةٍ تليط بعقول السّفهاء غيركم، فإنكم تتعصّبون لامرٍ ما يُعرَف له سببٌ ولا علّةٌ. أما إبليس فتعصّب على آدم لأصله، وطَعَنَ عليه في خِلقته، فقال: أنا ناري وأنت طينيٌّ. وأمّا الأغنياءُ مِن مُترفة الأمم فتعصّبوا لآثار مواقع النِعم، فقالوا: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين... فإن كان لابدّ من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ، ومحاسن الأُمور ... فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذمام ، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل ...»[1].

يدعو الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى الانحياز للقيم الفاضلة ، والتمسّك بها، والدفاع عنها . فهذا الانحياز تعصّب مطلوب ولكن ليس فيه إعتداء على الآخرين ومقاطعتهم وتسقيطهم . وليس هذا في واقعه إلّا الاستقامة على الدين الحنيف الذي لا إكراه فيه ولا قمع ولا تسقيط .

ويقرّبنا الإمام الصادق عليه السلام إلى مفهوم التعصّب عندما يبيّن مجالاته الثلاثة قائلاً : « ثلاث خصال يقول كلّ إنسان أنّه على صواب منها : دينه الذي يعتقده ، وهواه الذي يستعلي عليه ، وتدبيره في أُموره »[2]. وهذه حقيقة مشهودة في حياة الأفراد المستبدّين بآرائهم الدينية وأهوائهم الغالبة وأساليبهم في إدارة شؤونهم مع غضّ النظر عن كونهم على حقّ أو باطل .

---

(١) نهج البلاغة : خطبة رقم ١٩٢.

(٢) ميزان الحكمة : ج٣ ص ٢٧٠.

وفي هذا السياق سُئِل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن العصبية ؟ فقال : « **العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرىٰ الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية أن يحبّ الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يُعِين قومه علىٰ الظلم** »[1].

وهذا الحديث يفيد بأنّ هناك عصبية لا يأثم عليها صاحبها ، وهي أن يرى الرجل خيار الناس أخياراً حتّى لو لم يكونوا من قومه وأهله وجماعته وحزبه .

فإذن ليس كل انحياز خطأ ، بل الانحياز للخطأ هو الخطأ وهذا هو التعصّب المذموم وذاك هو التعصّب الممدوح الذي هو الاستقامة المتضمّنة لمعاني الأخلاق والتسامح والجاذبية لجمال العبد الصالح والفرد المتوازن في حياته وعلاقاته .

وفي توضيح هذين النوعين من التعصّب يقول المحدّث الموسوعي الكبير العلّامة المجلسي رحمه الله :

التعصّب المذموم في الأخبار هو : أن يحمي قومه أو عشيرته أو أصحابه في الظلم والباطل ، وأن يلج في مذهب باطل ، أو ملّة باطلة ، لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته ، ولا يكون طالباً للحقّ ، بل ينصر ما لا يعلم أنّه حقّ أو باطل ، للغلبة على الخصوم ، أو لإظهار تدرّبه في العلوم ، أو اختار مذهباً ثمّ ظهر له خطؤه فلا يرجع عنه لئلّا يُنسَب إلى الجهل أو الضلال . فهذه كلّها عصبية باطلة مهلكة ، توجب خلع ربقة

---

(١) أُصول الكافي / ج٢ ص٣٠٨.

الإيمان ... وأمّا التعصّب في دين الحقّ والرسوخ فيه ، والحماية عنه ، وكذا في المسائل اليقينية ، والأعمال الدينية ، أو حماية أهله أو عشيرته ، بدفع الظلم عنهم ، فليس من الحميّة والعصبية المذمومة ، بل بعضها واجب[1].

وتأكيداً لهذا التمييز بين نوعي التعصّب ، اختار الشيخ الحرّ العاملي في موسوعته الحديثية (وسائل الشيعة) للباب الذي جمع فيه الأحاديث حول التعصّب ، اختار العنوان التالي : (باب تحريم التعصّب على غير الحقّ) للإيحاء بمشروعية التعصّب للحقّ[2].

ولكن الكلام يقع في الحقّ نفسه ، فهل كون الإنسان على حقّ يمنحه الحقّ في أن يسيء إلى غيره ويتّهمه ويشهّر به في الناس ويدعو إلى إهانته ومقاطعته أم عليه أن يتعامل معه بلطف وحلم ولين ورفق وأخلاق وأدب، وأن يتعايش معه سلميّاً كما هو مقتضىٰ الإسلام الحقّ والشريعة المحمدية السهلة السمحاء، عسىٰ الله تعالىٰ أن يهديه إلى الحقّ ؟!

نحن لا نشكّ في أنّ الحقّ يدعو إلى الاتّجاه الثاني ، وهكذا فلو افترضنا أنّك على حقّ فإنّ هذا الحقّ لا يجيز لك احتكاره لنفسك وتسقيط غيرك ، وكيف يجيز لك ذلك والمعصوم وهو الحقّ المطلق لا يجيزه لنفسه !

فهذا رسول الله محمّد ﷺ سيد الكائنات وأشرف الخلق على الاطلاق

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٢) اقتبسنا هذا الموضوع من النشرة الاسبوعية الصادرة عن مكتب سماحة الشيخ حسن الصفّار .

كان يقول للمشركين ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

أليس النبي ﷺ كان على يقين بهدايته وضلالة المشركين ؟ ولكنّه قد تأدّب بأدب الإسلام الحقّ إذ هو أولىٰ به فلم يسحق معتقد أهل الشرك والضلال ـ وهو يدعوهم إلى الحوار ـ بإظهار الجزم بصحّة مُعتقَده وقمع مُعتقَد الخصم كما هو الطريقة التي يمارسها جماعات التعصّب والتسقيط .

هذا هو منهج المعصوم ، بل كذلك هو منهج ربّ المعصوم وإله البشرية حينما حاور عدوّه إبليس وأمهله في الحياة وهو يصرّح لله تعالىٰ بكلّ جرأة ويُقسِم بعزّته أنه سوف يغوي البشرية ويضلّهم عن طريق خالقهم دون كلل أو تردّد .

وكذلك نجد أخلاق الله التعايشية مع أهل المعصية وصبره وحلمه عليهم لعلّهم بعد طول الإسراف والعصيان يتوبوا إليه .

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له : « **اللهمّ يامن إذا سأله عبد أعطاه ، وإذا أمّل ما عنده بلّغه مناه ، وإذا جاهره بالعصيان ستره وغطّاه** » لا نشره وزاد عليه وبالغ فيه وقطع عليه الطريق إلى الهداية ومنعه وقاطعه وداسه ودهسه ولكمه ورفسه ـ كما يفعل التسقيطيون ـ !!!

إذن كونك الأفضل ياأخي لا يعني جواز قمعك للآخرين وممارسة الإرهاب ضدّهم ومصادرة حرّياتهم ، فهذا السلوك خروج واضح عن الحق ودخول الىٰ التعصب الباطل ، هذا فضلاً عن أنّك لم تدرك الأحكام الواقعية عند الله ولم يخوّلك الله تلك الصلاحية ، فلماذا التعصّب إذن ؟!

---

(١) سورة سبأ : ٢٤.

● **التعصّب والعصبية في النصوص الدينية :**

لم ترد في القرآن الكريم كلمة التعصّب والعصبية ، لكنّه يمكن ملاحظة الحديث عن التعصّب والعصبية كمفهوم في آيات من القرآن الكريم بمصطلحات رديفة ، كقوله تعالىٰ : ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾[1].

والحميّة : هي الأنفة أي الاستنكاف من أمر لأنّه يراه غضاضة عليه ، وأكثر إطلاق هذه الكلمة علىٰ الغرور والاستكبار . ويقال لحالة الغضب أو النخوة أو التعصّب المقرون بالغضب حميّة أيضاً .

مثال ذلك ، لقد أصرّت قريش على منع رسول الله ﷺ والمسلمين من الدخول إلى مكّة لأداء شعائر العمرة وزيارة البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة ، وقد أحرموا وساقوا معهم الهدي ، ومنطلق إصرار قريش هو التعصّب بجهل وحميّة جاهلية .

كما يمكن استشفاف مفهوم التعصّب من قوله تعالىٰ : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**﴾[2].

فمن أخطر صفات النفاق والانحراف أن يعاند الفرد في وجه النصيحة والدعوة إلى القيم الصالحة فيصرّ علىٰ موقفه الخاطىء تعصّباً ولجاجاً ، فلكي لا يبدو وكأنّه تراجع وانهزم عن رأيه وموقفه السابق يتظاهر بالقوّة والعزّة ، ولكنّه في الواقع هو ضعيف وساقط في أوحال الإثم والشقاء

---

(١) الفتح / ٢٦.

(٢) البقرة / ٢٠٦..

ومستنقع الجهل والتخلّف .

وفي السُنّة النبوية الشريفة جاءت أحاديث عديدة ، تحذّر من الإبتلاء بمرض العصبية والتعصّب الفتّاك ، روى جبير بن مطعم عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « **ليس منّا من دعا إلى عصبية ، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات علىٰ عصبية** »(١).

ولتقرير أنّ العصبية المذمومة هي الانحياز للخطأ ، ورد عن بنت وائلة بن الأسقع ، عن أبيها ، قال قلت : يارسول الله ما العصبية ؟ فقال ﷺ : «**العصبية أن تُعِين قومك على الظلم** »(٢).

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « **مَن تعصّب أو تُعِصّب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه** »(٣).

وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ : « **مَن كان في قلبه حبّة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية** »(٤).

وعن محمد بن مسلم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « **مَن تعصّب عصّبه الله بعصابة من نار** »(٥).

ويعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ إبليس هو مؤسّس الاتّجاهات التعصّبية ، حيث يقول عليه السلام : « **إبليس إعترضته الحميّة ،**

---

(١) كنز العمّال : ح٧٦٥٧.

(٢) نفس المصدر : ح٧٦٦٤.

(٣) الكافي : ج٢ ص٣٠٨.

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصّبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية »[1].

فهنيئاً للمتعصّبين بهذا الإمام !!

● مكوّنات التعصّب والعصبية:

لدىٰ التأمّل في مكوّنات الحالة العصبية عند الأفراد أو الجماعات نجد أنّها تتكوّن من الرذائل النفسية والصفات الأخلاقية السيّئة التالية:

١ ـ الغضب: وهو مفتاح كل شرّ ـ كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ـ ولذلك يقول عليه السلام في معالجة سطوة الغضب وهياجه: **« أوحىٰ الله تعالى إلى بعض انبيائه: ابن آدم أذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، لا أمحقك فيمن أمحق، وارْضَ بي منتصراً، فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك »**[2].

لو درسنا الغاضب في داخله وحلّلنا كوامنه النفسية لاكتشفنا حالته العدوانية إنّما تعود إلى شعوره بخيبة أمل في رغباته، فقد يكون قد رغب في منصب أو مسكن أو زوجة أو سيارة أو مال وراحة أو درجة علمية وشهادة جامعية فلم ينل رغبته فيثيره حسّ الهزيمة والنقص كلّما تذكّر رغباته فيغضب ويتعصّب ويتكابر على الحقّ ويهاجم من غير عدل.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ١٩٢.

(٢) أخلاق أهل البيت: ص٤٨.

ولكنّه يجب أن يسأل نفسه ولماذا الغضب ؟ ثمّ يعلم بأنّه بغضبه يعبّر عن ضعف إيمانه بالله تعالى ، وسخطه على مكتوب الجبين ، وعدم رضاه بتقسيم الله سبحانه الرزق ، وعدم تسليمه لقضاء الله وقدره . هذا إذا كان الغاضب من معاشر الإسلاميين وإلّا فليعرف أنّه بغضبه يكشف عن نقاط ضعفٍ في شخصيته أمام الآخرين ، إذن لا للغضب .

٢ ـ التكبّر : وهو ناتج عن الإعجاب بالنفس ، وحقيقته هي الشعور بعقدة النقص والحقارة ، ممّا يجعل المتكبّر يعتلي على حساب الآخرين . وكفى قبحاً في التكبّر أنّه كان سبب إنحدار إبليس وسقوطه من مقامه الذي كان فيه عند الله إلى أسفل سافلين .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **فاعتبروا بما كان مِن فِعْل الله بإبليس ، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد ، وكان قد عَبَدَ الله ستّة آلاف سنة ، لا يُدرىٰ أمِن سنيّ الدنيا ، أم من سنيّ الآخرة ، عن كِبْرِ ساعة واحدة ، فمَن بَعْدَ إبليس يُسلّم على الله بمثل معصيته ، كلّا ما كان الله سبحانه ليُدخل الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً ، واستعيذوا بالله مِن لواقح الكِبر ، كما تستعيذون من طوارق الدهر ، فلو رخّص الله في الكبر لأحدٍ من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه ورسله ، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر ، ورضي لهم التواضع** »[1].

---

(١) نفس المصدر : ص٥٦ .

٣ ـ الحرص : وهو الإفراط في طلب الدنيا وحبّ الوجاهة والراحة والملذّات ممّا يستدعي إرتكاب الظلم بحقّ الآخرين . ويبيّن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام طريقة الغلبة على هذه الصفة السيّئة قائلاً : « واعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنّك في سبيل مَن كان قبلك ، فخفِّض في الطلب ، وأجمِلْ في المكتسب ، فإنّه رُبّ طَلَبٍ قد جرّ إلى حرب ، فليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مُجمِل بمحروم »[١].

٤ ـ الرياء : وهو إراءة الإنسان للآخرين عمله (الصالح) لغرض الجاه وحبّ المدح والظهور والرفعة عندهم ، وعلامته أنّه إذا اعترض طريقه أحد أسقطه وداس عليه بكلّ الأساليب المغلّفة بالدين ومظاهر الصلاح والشعارات الإنسانية . وقد حذّر الإسلام من هذه السيّئة القلبية الخفيّة واعتبرها نوعاً من الشرك بالله تعالى .

قال النبي صلى الله عليه وآله : « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم ، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا ، لا يريدون به ما عند ربّهم ، يكون دينهم رياءً ، لا يخالطهم خوف ، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»[٢].

---

(١) نفس المصدر : ص٦٨ .

(٢) نفس المصدر : ص١٣٢ .

٥ ـ الغرور : وهو تارة يكون بالعلم وتارة بالمال والمنصب وتارة بالقوّة والجمال والمظهر ، وإنّ الأخطر فيه هو غرور العلماء الذيـن لم يـتهذّب علمهم بحقيقة العرفان الإلهي ، فهم يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم .

قال النبي ﷺ : « **يطّلع قوم من أهل الجنّة إلى قوم من أهل النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنّة لفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون : إنّا كنّا نأمر بالخير ولا نفعله** »(١).

وينصح النبي ﷺ أُمّته قائلاً : « **إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كـان قبلكم ، وهما مهلكاكم** »(٢).

٦ ـ الحسد : وهو أساس النزاعات والتسقيطات بين الناس عموماً ولم يسلم منه بعض العلماء بالتأكيد . وهذا ما قاله النبي ﷺ محذّراً المسلمين منه أيضاً : « **ألا إنّه قد دبّ إليكم داء الأُمم من قبلكم وهو الحسد ، ليس بحالق الشعر ، لكنّه حالق الدين ، وينجي منه أن يكفّ الإنسان يـده ، ويخزن لسانه ، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن** »(٣).

٧ ـ الكذب، وبه يعتمد المتعصبون تسقيطهم لمن لا يتفق معهم فـي الرأي والاتجاه والتكتّل الحزبي وغيره . ألا ترىٰ المتعصب لشيء حينما يريد إسقاط غيره عن أعين الناس يتوسل بالكذب عليه أو بـيان نـصف

---

(١) الوافي : ج٣ ص١٥٢ عن أُصول الكافي .

(٢) نفس المصدر .

(٣) أخلاق أهل البيت : ص٢١٦ .

الحقيقة أو تجاهلها في موضع يلزم التصريح بها .

وإذا كانت روايات النبي وأهل بيته عليهم السلام تفيد أنّ محل الكذب في منظومة الصفات السيئة مفتاحها، فإنّما لفضاعة الكذب وشدّة قبحه .

يقول الامام الباقر عليه السلام : **«إن الله عز وجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشراب»**(١).

وعن الامام الحسن العسكري عليه السلام : **«جُعلتْ الخبائث في بيتٍ وجُعِل مفتاحه الكذب»**(٢).

فالكذب شرّ الأخلاق ، وأقبح النفاق ، ولا يمارسه إلّا من زُوِيَ الايمان عن قلبه ولم يسكنه خوف الله وحساب الآخرة .

وقد يزيّن الشيطان لبعض (المؤمنين!) أن الكذب وتحريف الحقيقة وعدم الاعتراف بفضيلة الآخرين وإخفاء منجزاتهم وايجابياتهم أحبّ الىٰ الله من الصدق الذي يفوّت عليهم الزعامة والسيطرة والمصلحة وخدمة جماعتهم مقابل جماعة أخرىٰ. وهذا هو السراب الىٰ سوء العاقبة والتي يعبّر عنها امير المؤمنين عليه السلام بـ(كواذب الآمال) حيث خطب ذات يوم في أهل الدنيا (المتدينين!) قائلاً **«قد غاب عن قلوبكم ذِكْر الآجال وحضرتْكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»**(٣) .

---

(١) ميزان الحكمة / ج٨ ص٣٤٤.

(٢) ميزان الحكمة / ج٨ ص٣٤٤.

(٣) نهج البلاغة / خطبة رقم ١١٣.

وأمّا الجامع المشترك لهذه المكوّنات السبعة فهو حبّ الذات وعبادة الأنا وتأليه الهوىٰ ، وهي مكوّنات الاستبداد والعناد واللجاجة ومصادرة حرّية الآخرين التي هي من نِعَم الله تعالى على البشرية . وبالتالي فإنّ التعصّب هو ديكتاتورية المخلوق ضدّ حكم الله الخالق العظيم ، وهذا ما لا يكون في المؤمن به عزّوجلّ ، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : «**ستّة لا تكون في المؤمن ، العسر والنكد واللجاجة والكذب والحسد والبغي**»[1].

وعلى الصعيد الإنساني أثبتت دراسات علم النفس والاجتماع والقانون أنّ مآسي الإنسان (في أي موقع كان) إنّما كانت وتكون نابعة من نفسه الأمّارة بالسوء والتي اعتبر الإسلام مكافحتها وعدم الرضوخ لأوامرها جهاداً أكبر وهو من أهم الأهداف في حركة الأنبياء ودعوة الرسل . فقد قال الله تعالى : ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾[2]. وقال أيضاً : ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[3].

فالمتعصّب لأجل الدفاع عن ذاته الفردية أو ذاته الانتمائية إنسان ملوّث بعبادة الذات الخفية وهوى النفس الخطير ، وهو إن دقّق في موقعه التعصّبي هذا لوجده شركاً بالله من حيث لا يشعر . وإلّا فإذا كان التعصّب لله فالله أولى به لنفسه أن يتعصّب ، ولكنّه قد أمهل عدوّه إبليس وأعطاه

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٢٦٣.

(٢) سورة الكهف : ٢٨.

(٣) سورة النازعات : ٤٠ و٤١.

رغبته العدوانية على بني آدم إلى يوم يُبعثَون . وأمّا الكفّار والمشـركون والفسقة فكما هو واضح فإنّ الله يرزقهم ويمدّهم في الحياة الدنـيا وهـو القادر على تسقيطهم وسحقهم بأسرع من الذين يسقطون منافسيهم باسم الله والدين !

ولكنّ الله اعتمد مبادئ الحرّية والإمهال والتنافس الشريف مع أعدائه وعباده الخاطئين عسى أن يتعلّم منه (المؤمنون الحريصون على ديـنهم جدّاً جدّاً)!

إذن فالتعصّب هو منبت الرذائل التي جاء الدين لمحاربتها ، فلن يجتمع الدين مع التعصّب أبداً . ولهذا يجب على الذين يـتعصّبون بـاسم الديـن ولأجله ـ كما يدّعون ـ أن يعيدوا النظر في فهمهم للدين وسلوكهم الديني، فلعلّهم يرون أقدامهم على رقبة الدين وهو المسكين الذي يتلظّى تـحت أقدامهم ويستغيث وهم لا يشعرون !

المحور الثاني :

حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة

لو فتّشنا في دوافع الصراعات السلبية التي أدخلت على الجميع مرارة الإكتئاب وسلبتهم السعادة والهناء ، لوجدنا حبّ الدنيا يلعب الدور الأوّل والأخير فيها ، فما من خلاف تسقيطي وفكر تسقيطي وتكتّل تسقيطي يفعل في جسم الأُمّة الإسلامية مثل ما يفعل الطاعون القاتل والمعاول الهدّامة في الجسم إلّا كان يحرّكه حبّ الدنيا المتمثّل في ثلاثة عوامل أساسيّة ، المال والزعامة والجهل.

وإذا اعتبرنا عامل الجهل هو التعصّب الذي بحثناه آنفاً والذي يضيّع الحلول ويغيّب الحوار، فإنّ المال وحبّ الزعامة هما العاملان الآخران اللذان سنبحثهما هنا تحت عنوان (حبّ الدنيا) الجامع لهما. فنقول :

- **العامل الأوّل : حبّ المال والشهوة**

يتفاعل حبّ المال في نفس الإنسان الضعيف أمام شهوة الجنس وشهوة البطن والذي لا يملك صبراً عليهما ، إذ بالمال يتوفّر لديه ما يشبع الفَرْج والبطن ، فيدفعه الخوف من الفقر والحرمان إلى جمع المال بأي طريق ، كما يدفعه هذا الحبّ إلى الحرص عليه والخوف من زواله كي لا تصعب عليه ممارسته لتلك اللذّات (الفَرْج والبطن) .

ومن الطبيعي أن يخضع هذا الإنسان لكلّ رذيلة من أجل المال ، فهو يبيع نفسه ودينه وعرضه لأجل المال ، ويتنازل عن كرامته وحرّيته وإرادته لإشباع فَرْجِهِ وبطنه .

ولا يهمّ هذا الإنسان بعدئذ أن يوالي الحقّ ويقف معه في الصراع مع الباطل ، وكما لا يجد ما يمنعه من التملّق عند الأغنياء من أهل الدنيا ، كذلك لا يمنعه أي مانع في سبيل المال وحبّ الشهوات أن يعادي المؤمنين وينشر الحقد عليهم ويزرع البغضاء في صفوف الناس ، ولا يتردّد هذا الإنسان في إثارة الفتن والمشاكل عند تعرّض مصالحه المالية إلى خطر ، فما أن يُقطَع عنه المال حتّى يعربد ويشتم ويلتحق بصفّ الآخرين ويرفع راية التسقيط بعد أن كان كذلك يعمل في الصفّ السابق ، وهو لكي يحقّق مآربه ولا يفتضح أمره يختلق قصصاً ليسقط بها الطرف الآخر ويسمّيها (أسراراً وفضائح) ! فيصبح من المرتزقة الذين يتّبعون (دسومة الكيس) ويسهرون على حساب الدنانير والدوانق الواردة عليهم !

إنّ مثل هذا الإنسان الوضيع لا ينظر إلى النهي الوارد في الإسلام عن هذه الموبقات ، لأنّ حبّ المال يعمي ويصمّ . ونعوذ بالله من ذلك ، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « **عليكم بالعفاف وترك الفجور** » « **أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن والفَرْج** »[1].

ولقد سجّل التأريخ هذه السلوكية السافلة في مجاميع من أهل الكوفة عندما أغراهم الطاغية ابن زياد بالمال فنشطوا على خطّ الوشاية والإيقاع

---

(١) الحِكم الزاهرة / ص٢٦٨ .

بالمجاهدين من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام والعمل على خطّ التثبيط وإشاعة الأخبار الكاذبة وإرعاب الناس بأنّ جيش الشام قادم على الأبواب ولا يستطيع أحد الصمود بوجهه ، حتّى رفع المرتزقة والجبناء شعارهم (ما لنا والدخول في أمر السلاطين) وسحبوا به الكثيرين إلى الجلوس في بيوتهم يتلذّذون بالمال الحرام في أكل الطيّبات وممارسة الشهوات تاركين ابن بنت رسول الله وعياله غرباء في مخالب الطغاة الأمويين واجرامهم .

وقد وصفهم سيّد الشهداء أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام وصفاً دقيقاً حينما قال : « **الناس عبيد الدنيا والدين لَعِقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّتْ معايشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قَلّ الديّانون** »[١].

ولا يمكن لهؤلاء غالباً قيامهم بالعمل التسقيطي في أوساط العلماء والإسلاميين إلّا أن يلبسوا لباسهم ويظهروا بمظهرهم ، إذ من دون هذا التلوّن والنفاق ينكشف واقعهم وتتعرّى خفاياهم ثمّ لا يصلون إلى بغيتهم من جمع المال لإشباع الفَرْج والبطن وتيسير أُمورهم الدنيوية .

لذلك يدخلون في صفوف المتديّنين لتمزيقهم إمّا مع التنسيق الإستخباري الرسمي لجهات معيّنة (فهو عمل تجسّسي) وإمّا لمرض في قلوبهم (فهو عمل شخصي وضيع) وكلا الصنفيْن ينبع سلوكهما من إشكالية النطفة أو سوء التربية أو خساسة النفس[٢].

---

(١) تحف العقول / ص١٧٦ .

(٢) أعرف (معمّمين حقراء) كتبوا تقارير إلى أجهزة الاستخبارات في بعض الدول وأوقعوا مخالفيهم في السجن والتعذيب ومضايقات ما بعد السجن . وغايتهم كانت التملّق والإستفراد

وكم من هؤلاء دسّوا أنفسهم بين الصالحين ومراجع الدين وأجّجوا نيران الخلافات القليلة وحوّلوها إلى خلافات مستعصية على الصلح والمصالحة ومتمرّدةً على الحكمة والتوبة .

ويؤثّر هؤلاء المندسّون في (عوام) الناس و (السذّج) من العلماء و (بسطاء) المؤمنين فيجنّدونهم لأغراضهم ويحرّكون أحاسيس الشباب الذين لم تنضجهم تجارب الحياة ، وإذا بالصفوف تتقابل والقلوب تتشاحن والألسن تتلاعن وهي لا تدري أنّ الذين صنعوا هذا الصفّ والذين صنعوا ذاك الصفّ كلّهم مرتزقة من عبيد الفروج والبطون ، قد اتّفقت مصالحهم ليختلفوا في مظاهرهم ويجعلوا الناس والبسطاء وقود معركة ليس لله فيها رضا ، بل هي معركة من أجل المال وحبّ الجاه ومصالح شخصية أو عائلية أو فئوية ، تصبّ في حساب أشخاص نفعيّين وليس في حساب الناس المساكين[1]. هذا ولكي لا يضحك مثل هؤلاء على عقول الناس

بالساحة ولكي لا يذهب الناس إلى غيرهم ! من ذلك ما كتبه الشيخ ... من دولة ... العربية في سنة (١٩٨٦م) ضدّ جماعة السيّد محمّد الشيرازي ﵀ ولا زالت آثار تلك التقارير (اللعينة) تحفر الآلام في قلوب مقلّدي السيد الراحل في ذلك البلد.

(١) على سبيل المثال وليس الحصر ، في سنة (١٩٩٨) مدح لي أحد الزوّار الخليجيين شخصية علمائية في قم المقدّسة ، فزرته في منزله المتواضع بإحدى أحياء الفقراء وكان جالساً بعمامته السوداء جلسة الصلحاء الأتقياء ، ولمّا دخلت معه في بحث علمي لم أجده بذلك المستوى ، فواصلت معه (رحلة الاكتشاف) بعد الشكّ ودون أن يعلم قصدي ، فاستدرجته في ثلاث جلسات فأخذ ينقل لي حسب تعبيره فضائح المرجع الفلاني والعالم الفلاني والوكيل الفلاني ، وكلّهم أعرفهم بعكس ما كان يقول ، ذلك ما جعلني أُحقّق في أمر الرجل المتظاهر بمظهر المجتهد المتنوّر . وظهرت النتيجة أنّه ضابط مخابرات بعثي مرسل

الخاملة وجبت توعيتهم بالنصوص الإسلامية الهادية ، وإليك قبس منها :

١ ـ يقول الرسول الأكرم ﷺ : « ألا وإنّ الروح الأمين قد نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق إن يطلبها بغير حلّه فإنّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته »(١).

٢ ـ يقول الرسول ﷺ : « مَن لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه حسرات على الدنيا ، ومن اتّبع بصره ما في أيدي الناس كثر همّه ولم يشفِ

من قبل صدّام إلى حوزة قم ليشعل نار الخلافات بين المراجع والعلماء ويضعّف مكانة السيّد السيستاني بشكل خاص وينشر عليهم الأكاذيب والشائعات ولمّا انكشف أمره هرب إلى بلد عربي وتابعت أخباره فتبيّن أنّ له معيشة مرفّهة هناك بينما كان في مدينة قم يتظاهر بالفقر والزهد ليخدع الخليجيين بالذات والطلبة الأجانب في الحوزة .

فالدولارات تذهب إلى حسابه الخاص لأجل المهمّة الجاسوسية والتسقيطية التي كان يؤدّيها في وسط العلماء وبزيّهم وكان الذين يتأثّرون به ولا يعرفون حقيقته هم القادمون من مناطقنا وبعضهم طلبة وبعضهم زوّار ، والرجل الآن مطروح في عراق ما بعد صدّام مرجعاً من المراجع أو يحاول ذلك!!

هذا جزء من المأساة حيث الجهل يجعل الإنسان في أسر هؤلاء الجواسيس المدسوسين !! وقس على هذا ما سواه لتعرف جذور الأخبار التي ينقلها التسقيطيون وجهلاء الناس وحسب تعبيرهم (عن الثقات) ثمّ ولو افترضناهم ثقات، فهل الثقات معصومون عن الخطأ ومحصّنون عن الاشتباه والمؤثّرات الأجوائية!

(١) بحار الأنوار / ج٦٧ ص٩٦.

غيظه، ومن لم يرَ لله عزّوجلّ عليه نعمة إلّا في مطعم أو مشرب أو ملبس فقد قصر عمله ودنا عذابه »[1].

٣ ـ يقول الرسول ﷺ : «كونوا في الدنيا أضيافاً ، واتّخذوا المساجد بيوتاً وعوّدوا قلوبكم الرقّة وأكثروا التفكّر والبكاء ، ولا تختلفنّ بكم الأهواء ، تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون »[2].

٤ ـ يقول الرسول ﷺ لأبي ذرّ : « ياأبا ذرّ حاسِبْ نفسك قبل أن تُحاسب ، فإنّه أهون لحسابك غداً ، وزِنْ نفسك قبل أن تُوزَن ، وتجهّز للعرض الأكبر ، يوم تُعرَض لا تخفىٰ على الله خافية ...

ياأبا ذرّ ! لا يكون الرجل من المتّقين ، حتّى يحاسِب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه ، فيعلم من أين مطعمه ! ومن أين مشربه ! ومن أين ملبسه ؟ أمن حلال أم من حرام ؟

ياأبا ذرّ ! من لم يُبالِ من أين اكتسب المال ، لم يُبال الله من أين أدخله النار»[3].

٥ ـ سُئِل النبي ﷺ عن معنى التوكّل فقال : « التوكّل على الله

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص٨.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٨١.

(٣) وسائل الشيعة / ج ١١ ص ٢٧٩.

عزّوجلّ : العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ، واستعمال اليأس من الخَلْق ، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحدٍ سوى الله ولم يرجُ ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحدٍ سوى الله .. فهذا هو التوكّل »(١).

٦ ـ يقول الإمام علي عليه السلام : « فما خُـلِقتُ ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسَلةِ شُغْلها تقمّمها ، تكترش مِن أعلافها ، وتلهو عمّا يُراد بها . أو أُترك سدىً ، أو أُهمَل عابثاً ، أو أجرّ حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة »(٢).

٧ ـ يقول الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ الله عزّوجلّ يقول : بجلالي وجمالي وعلائي وارتفاعي لا يُؤْثِر عبْدٌ هواي على هواه إلّا جعلتُ غناه في نفسه وهمّه في آخرته وكففتُ عنه ضيعته وضمنتُ السماوات والأرض رزقه ، وكنتُ له من وراء تجارة كلّ تاجر ، وأتتْه الدنيا وهي راغمة »(٣).

● **العامل الثاني : حبّ الزعامة والرئاسة**

أن يحبّ الفرد بأن يرى نفسه زعيماً فوق الآخرين فتلك لذّة أُخرى من لذّات الدنيا ، ولكنّها على الآخرين وبال ونقمة ، تتركهم ضحايا ..

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٦ ص٣٧٣.

(٢) نهج البلاغة / ٩٧١ : عبده ٢ / ص٧٤ ، الحياة / ج١ ص٣٥٠.

(٣) بحار الأنوار / ج٦٧ ص٧٥.

أذلّاء .. متخلّفين .. ليعيش الزعيم ويفوز بلذّاته الدنيوية !

وهذه الحالة في وسط الإسلاميين لن تنجح إلّا إذا تـقمّص (الزعـيم) بثوب الحرص على الإسلام ومصلحة المسلمين ورفع شعارات بهذا اللون وهو في واقعه غير كفوء !

وما دام هناك جهلة يرقصون في المجتمع بهذه الأنغام فإنّ ضمان نجاح هؤلاء (الزعماء) يكون أكبر !

ولذلك يمنعون الجهلة من القراءة واستطلاع الرأي الآخر ويشكّكـون فيه ويسقّطون أصحابه خشية أن يستيقظ الناس فـيسحبوا البسـاط مـن تحت أقدامهم لصالح غيرهم.

وإلّا فلو كانوا صادقين أنّهم يريدون خدمة الإسلام ومصلحة المسلمين فلماذا يمتعضوا ممّن يختلفون معهم في بـعض الأسـاليب القـليلة وهـم يريدون خدمة الإسلام ومصلحة المسلمين أيضاً ؟!

إنّهم يحاولون ترسيم صورة للبسطاء مفادها أنّ الطـرف الآخـر هـذا بمثابة الذين بنوا مسجد ضرار في مقابل مسجد الرسول ﷺ !

هكذا يجعلون أنفسهم في مكانة الرسـول ﷺ وعـصمته وشـرعيّته ، وغيرهم في موضع الشكّ وأنّ أمره لمريب !

ويبلغ الحرص فيهم على الزعامة إلى حـدّ تـحريم الحـلال وتـحليل الحرام بالعناوين الثانوية، وهذا منزلق خطير للغاية ، وتلاعبٌ في أحكام الشريعة ، وتورّطٌ سافِرٌ في مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة .

وتتقوّىٰ عند محبّي الزعامة وعشّاق الرمزية نزعة التسقيط والقـرصنة على جهود الآخرين والتسارع إلى إسقاط غيرهم من أجـل أن يـلتهموا

فرص التقدّم لأنفسهم ومن يورّثونه الزعامة ، من باب (الأقربون أولى بالمعروف) !؟

ومن المستحيل على أحد من هؤلاء أن يتساءل مع نفسه (المقدّسة!) بالأسئلة الحرجة التالية : لماذا أتسامح مع نفسي وأُبرّر أخطاء مَن أُحبّهم من جماعتي وأنسىٰ عيوبي وأستر على عيوبهم مهما بلغتْ ، ولكن لن أتسامح مع الشخص المنافس والجماعة المنافسة ، فويل لهم إذا ارتكبوا قليلاً من الخطأ ، فإنّهم إذا نافسوني في مصالحي (الشرعية !) صببتُ عليهم جام غضبي، وصوّبت لتسقيطهم كلّ عتادي ومعدّاتي!!

وهو حينما يصارح نفسه يجد الكثير من أخطاء المنافس ـ حسب الفرض ـ موجودة فيه، يمارسه وأصدقاؤه في (الحزب والتكتّل) فلا ينتقدهم ولا ينتقد نفسه (الرفيعة) وشخصيته (المعصومية)!؟

وكذلك لا يتساءل مع هذه النفس (المتعالية !) : لماذا أنا مجتهد وغيري ليس بمجتهد ، مع العلم أنّ الأدلّة التي أنشرها ضدّه لو تأمّلتها تنطبق عليّ أيضاً ؟!

ولماذا إذا التقيتُ بالحاكم الفلاني أو إذا تحالفت مع فلان فهو عمل صالح ، ولكن إذا فعله منافسي فقد ارتكب عملاً باطلاً يستحقّ الإدانة والتسقيط والتشهير ؟!

إنّ الإجابة على هذه التساؤلات لا يفكّر فيها عشّاق الزعامة لأنّ تفكيرهم مصبوب على خطط التسلّق على ظهور الناس وأكتافهم للوصول إلى لذّة الزعامة وربّما توريثها للإبن الحبيب !، ولكي لا يجيبوا عليها يعوّضونها بالوصايا التالية إلى أتباعهم أن عاملوا (المنحرفين) ! ـ

ويقصدون المنافسين من المؤمنين ـ عاملوهم بالتهجّم والوجه العبوس، وشدّة الحديث وعنف الكلام، وشكاسة الخُلق وانفجار الغضب، والمقاطعة وعدم الحضور في مجالسهم وتحذير الناس منهم فإن في ذلك رضا الله! ...

هذه سُلّم الوصوليين إلى مركز الزعامة .. ولا فرق في ذلك إذا كان الهدف المنشود زعامة مدرسة أو مسجد أو جماعة أو حسينية أو صندوق خيري أو مؤسسة تجارية أو الساحة السياسية أو حتىٰ الوزارة والمنصب الرسمي أو أعلى من ذلك أو أدنى. ويلعب الجهلاء من الناس دوراً أساسياً في هذا المضمار، حقّاً إنّ الجهل مصيبة وإذا كان من نوعه المركّب فهو الكارثة. قيل لأحد الحكماء: هل تعلم شيئاً أقبح من الجهل؟ قال: الجهل بالجهل.

وهكذا فلولا الجهلاء لما صعد على أكتافهم المزيّفون من الزعماء والمتاجرون من العلماء !!!

وهكذا إذا عشعش حبّ الزعامة في رأس أحد جعله متكبّراً، متصلّفاً، متلوّناً، مراوغاً، متقدّساً، سريع الغضب والإنفعال عندما تتهدّد مصالحه بالانهيار أو يتعرّض محبوبه إلى النقد والمساءلة. ولكي يتترّس بجموع الجاهلين يصبغ مصالحه بصبغة الدين ويهتف وا إسلاماه، لأنّه من دون قدسيّة الدين لا تتحقّق أحلام الزعامة والترؤّس والوجاهة والرمزية وتقبيل الأيادي والجباه!

كما الحاكم السياسي لاتتحقق له أحلامه من دون الشعارات الوطنية البرّاقة والوعود الجذّابة.

وليس من الصعب على ذوي البصائر اكتشاف نوايا الطامحين في هذه الشاكلة من الزعامات المجرّدة عن الإخلاص والنزاهة الحقيقية ، فعشّاق الزعامة يحبّون المدح على ما لم يفعلوا ، ويحبّون الفخر والتفاف الناس حولهم وتقبيل أياديهم وجباههم ، ويحبّون التصيّد على الآخرين وتتبّع أخطائهم وإحصاء عيوبهم وإذاعتها بين الناس لتنحيتهم عن الطريق وإخراجهم من حلبة المنافسة والصراع الموهوم . هذه علاماتهم وبها يكتشفهم العقلاء .

يتّضح لنا من ذلك كلّه ما لهذا المرض الخبيث ـ أعني حبّ الزعامة ـ من دور أساسي في تمزيق الوحدة الإسلامية وتخزين الحقد في القلوب وضرب الزعماء الإسلاميين الكفوئين ببعضهم وبالتالي صعود المزيّفين وسقوط الرجال الصالحين وخسارة الأُمّة وحرمانها من الكفاءات الحقيقية وإنحسار المدّ الإسلامي .

وهو دور لا يقلّ في خطورته عن دور المال ودور التعصّب والجهل الذي سبق بحثهما .

ولذلك يحذّرنا الإمام زين العابدين عليه‌السلام منه ومن آثاره في مناجاته إلى الله تعالى : « اللهمّ إنّي أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلّة القناعة وشكاسة الخلق وإلحاح الشهوة وملكة الحميّة ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة ، وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحقّ ... ومباهاة المكثرين والإزراء بالمقلين .. أو أن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً .. وأعوذ بك أن ننطوي

على غشّ أحد أو أن نعجب بأعمالنا ونمدّ في آمالنا »[1].

وفي الأحاديث الشريفة نقرأ النصوص التالية عن خطورة حبّ الزعامة:

١ ـ عن الرسول الأكرم ﷺ قال: « ألا أنبئكم بأكيس الكيّسين وأحمق الحمقاء؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه، وعمل لها بعد الموت. وأحمق الحمقاء من أتبع نفسه هواه، وتمنّى على الله الأماني »[2].

٢ ـ عن الرسول ﷺ: « الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له »[3].

٣ ـ عن الرسول ﷺ: « إنّ من تعلّم العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظّموه فليتبوّأ مقعده من النار، فإنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لله ولأهلها، ومن وضع نفسه في غير الموضع الذي وضعه الله فيه مقته الله ومن دعا إلى نفسه فقال: « أنا رئيسكم » وليس هو كذلك لم ينظر الله إليه حتّى يرجع عمّا قال ويتوب إلى الله ممّا ادّعى »[4].

---

(١) الصحيفة السجّادية / ص٢٩.

(٢) بحار الأنوار / ج٧٠ ص٦٩.

(٣) بحار الأنوار / ج٧٠ ص٥٤.

(٤) بحار الأنوار / ج٧٤ ص١٤٧.

٤ ـ عن الإمام علي عليه السلام قال : « يستدلّ على إدبار الدول بأربع : تضييع الأُصول ، والتمسّك بالفروع ، وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل»[1].

٥ ـ عن الإمام علي عليه السلام قال : « ارفض الدنيا فإنّ حبّ الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذلّ الرقاب »[2].

٦ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام : « من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا »[3].

٧ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب »[4].

٨ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام : « لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّهم إليه .. فحينئذ يقول ، هذا خالص لي فيقبله بكرمه»[5].

---

(١) غرر الحكم / ٢٥٧.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٧٩.

(٣) بحار الأنوار / ج ٩٧ ص ٣٥٧.

(٤) بحار الأنوار / ج ٩٧ ص ٣٥٧.

(٥) بحار الأنوار / ج ٩٧ ص ١١١.

المحور الثالث

حرمة المؤمن وحصانته وكرامته

● **منزلة المؤمن:**

يقدّس القشريّون أحجار الكعبة بينما يدوسون قدسيّة المؤمن، وهذا في الوقت الذي كان الرسول الأعظم محمّد ﷺ يقدّس الإثنين راجحاً قدسية المؤمن لأنّه الهدف من تقديس الكعبة وليس العكس.

فقد جاء في الحديث أنّه: **« نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة المشرّفة فقال: مرحباً بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله ؟! ... والله للمؤمن أعظم حرمة منك، لأنّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله ودمه وأن يُظَنّ به ظنّ السوء»**[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: **« المؤمن أعظم حرمة من الكعبة »**[2].

وينقل أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق أيضاً قوله عليه السلام: **« لو كشف الغطاء للناس فنظروا إلى ما وصل ما بين الله وبين المؤمن خضعت للمؤمن رقابهم وتسهّلت له أُمورهم ولانت طاعتهم»**[3].

ويستعرض الإمام الصادق عليه السلام كذلك باقة من كلمات الله في

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٤ ص ٧١.

(٢) بحار الأنوار / ج ٣٥ ص ٦٤.

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٤ ص ٧٣.

الأحاديث القدسيّة حول منزلة المؤمن فيقول : « يقول الله عزّوجلّ : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، ولو لم يكن في الدنيا إلّا عبد مؤمن لاستغنيت به عن جميع خلقي ولجعلت له من إيمانه أُنساً لا يستوحش إلى أحد »[1].

وينقل عن جدّه رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن »[2].

وفي حديث آخر قال الله تعالى : « ليأذن بحرب منّي مُستذلّ عبدي المؤمن »[3].

يقول محمد بن الفضيل: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جُعلت فداك، الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء والذي أكرهه، فأسأله عن ذلك فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثُقات!

فقال لي: يا محمّد، كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شَهِدَ عندك خمسون قسّامة، وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، لاتذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته، فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم﴾[4].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «يجب للمؤمن علىٰ المؤمن أن يستُرَ عليه

---

(١) بحار الأنوار /ج٦٤ ص٦٥.

(٢) بحار الأنوار /ج٦٤ ص٣٩.

(٣) بحار الأنوار /ج٦٤ ص١٤٨.

(٤) لئالي الأخبار /ج ٢ ص ١٨٣.

سبعين كبيرة»[1] هذا إذا كنتَ تعرف حقيقة المؤمن .. أمّا إذا كنت تجهلها ، فهل يجوز لك أن تحتقره أو تهينه ؟

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك : كلّا .. فـ« **إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة ... وأخفى وليّه في عباده فلا تستصغرنّ عبداً من عبيد الله فربما يكون وليّه وأنت لا تعلم** »[2].

● التحذير من التورّط في سمعة المؤمن :

ويوسّع الإسلام دائرة المؤمنين ويحتم إقامة أطيب العلاقات معهم، ويحذّر الاستخفاف بهم حتّى يقول النبي صلى الله عليه وآله في ذلك : « **ألا ومَن استخفّ بفقير مسلم فقد استخفّ بحقّ الله ، والله يستخفّ به يوم القيامة ، إلّا أن يتوب** »[3].

ويقول أيضاً : « **مَن استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقّره لفقره أو لقلّة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيامة ثمّ يفضحه** »[4].

ويقول : « **ربّ أشعث أغبر ذي طِمْرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه** »[5]. فليست الأُمور بالظاهر والمظاهر ، فعلى صاحب الدين والورع أن لا يحقّر أحداً ويسقطه بالنظرة السطحية للأُمور .

---

١ ـ لئالي الأخبار / ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٦٤ ص ٢٥٢.

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٩ ص ٣٨.

(٤) بحار الأنوار / ج ٦٩ ص ٤٤.

(٥) بحار الأنوار / ج ٦٩ ص ٣٦.

وهكذا يقول الامام علي عليه السلام: «من قال لأخيه المسلم يا فاجر أو يا كافر أو يا خبيث أو يا فاسق أو يا منافق أو يا حمار، فاضربوه تسعة وثلاثين سوطاً» [1]

ويقول لأصحابه محذّراً من تسقيط المؤمنين: « لا تحقّروا ضعفاء إخوانكم فإنّه مَن احتقر مؤمناً لم يجمع الله عزّوجلّ بينهما في الجنّة إلّا أن يتوب »[2].

ويقول أيضاً: « لا تضعوا مَن رَفَعتْه التقوىٰ ولا ترفعوا مَن رفعتْه الدنيا ».

ويؤكّد الإمام الصادق عليه السلام: « لا تزهدوا في فقراء شيعتنا فإنّ الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر »[3].

ويقول أيضاً: « مَن حقّر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتّى يرجع عن محقّرته إيّاه ».

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: « من أعان على مسلم بشطر كلمة كُتِبَ بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله »[4].

وكذلك يؤكّد الإمام الرضا عليه السلام على قيمة الإيمان والمؤمن: « من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله عزّوجلّ يوم

---

(١) الذنوب الكبيرة ج / ١ ص ٢٣١ للشهيد دستغيب نقلاً عن وسائل الشيعة.

(٢) بحار الأنوار / ج٦٩ ص٤١.

(٣) بحار الأنوار / ج٦٩ ص٤١.

(٤) بحار الأنوار ج٧٢ ص١٤٩.

القيامة وهو عليه غضبان »[1].

كلّ هذه التوجيهات من أجل أن يربّينا أئمّتنا عليهم السلام على تقوى القلوب عند اتّخاذ الموقف من أي أحد ، فلا نتسرّع لإسقاطه واختراق حرمته وكرامته بين الناس عند سماعنا لخبر يحتمل الصدق والكذب فيه أو يمكن حمله على سبعين محمل خير .

فما أكثر الذين يدّعون التشيّع للأئمّة الطاهرين عليهم السلام وهم يؤذون غيرهم بكلمات بذيئة لا لذنب إلّا لأنّهم ليسوا مع تكتّلهم وحزبيّتهم وعقليتهم المرجعية وآرائهم السياسية .

● المؤمنون على درجات، ولا للتسقيط:

بعد معرفة منزلة المؤمن والمكانة المخصّصة لمن آمن بالله وباليوم الآخر وجاهد هواه وأطاع الله والرسول قدر استطاعته ، حيث لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها، بعدها لابدّ من معرفة صفات المؤمن المنصوصة في الأحاديث المعتبرة ، ومعرفة أنّ المؤمنين فيها على درجات ، وأنّ التفاوت بينهم فيها لا يبرّر تسقيط الأعلى للأدنى بينهم .

ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : « **إنّ الله عزّوجلّ وضع الإيمان على سبعة أسهم : على البرّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم ، ثمّ قسّم ذلك بين الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل ، وقسّم لبعض الناس السهم ، ولبعضٍ السهمين ولبعضٍ**

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٩ ص٣٨.

الثلاثة ، حتّى انتهوا إلى السبعة ، ثمّ قال : لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ، ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم »[١].

وبعث الإمام الصادق عليه السلام في ذات مرّة بعض أصحابه في حاجة بالحيرة.. فانطلقوا فيها ثمّ رجعوا مغتمّين ، فسألهم عمّا بعثهم له ، فأخبروه فحمد الله ثمّ جرىٰ ذكْرُ قوم ، فقال أصحابه : جُعِلنا فداك إنّا نبرأ منهم ، إنّهم لا يقولون ما نقول ، فقال الإمام : « يتولّونا ، ولا يقولون ما تقولون ، تبرأون منهم؟!

قالوا : نعم ..

قال : فهو ذا عندنا ما ليس عندكم ، فينبغي لنا أن نبرأ منكم ؟

قالوا : لا جُعِلنا فداك ..

قال : وهو ذا عند الله ما ليس عندنا ، أفتراه طرحنا ؟

قالوا : لا جُعِلنا فداك .. ما نفعل ؟

قال : فتولّوهم ولا تبرأوا منهم .. » .

ثمّ قال : « ما أنتم والبراءة ؟! يبرأ بعضكم من بعض ؟ إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض ، وهي الدرجات »[٢].

ويبدو من قراءة الأحاديث الكثيرة الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشأن أنّ الإمام كان يعاني كثيراً من هذه المشكلة التي كانت ـ على ما

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٦ ص١٥٩.

(٢) بحار الأنوار / ج٦٦ ص١٦٨.

يبدو ـ تنخر في جسد العلاقات الأخوية بين الشيعة في تلك الأيّام . فهذا هو عليه السلام يعلّم تلامذته الرفق والمداراة قائلاً : « إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحدة : لست على شيء ، حتّى تنتهي إلى العشرة ».

ثمّ يقول ويا ليت التسقيطيين في زماننا يتأمّلون في هذا القول للإمام الصادق عليه السلام : « فلا تُسقِطَ مَن هو دونك ، فيُسقِطك مَن هو فوقك ، وإذا رأيت مَن هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره ، فإنّ مَن كَسَرَ مؤمناً فعليه جبره ، لأنّك إنْ ذهبتَ تحمل الفصيل حمل البازل فسخته »[1].

ويشرح الإمام الصادق عليه السلام في حديث آخر أقسام المؤمنين داعياً أصحابه إلى استيعاب بعضهم البعض .. حيث يقول : « المؤمنون على سبع درجات .. صاحب درجة منهم في مزيد من الله عزّوجلّ ، لا يخرجه ذلك المزيد من درجته إلى درجة غيره .. ومنهم شهداء الله على خلقه ومنهم النجباء ، ومنهم الممتحنة ومنهم النجداء ومنهم أهل الصبر ومنهم أهل التقوى ومنهم أهل المغفرة »[2].

أمّا ما يذهب إليه بعض المؤمنين من تفسيق اخوانهم وتكفيرهم وتسقيطهم عند أوّل زلّة ، مع وجود التفسيرات المتعدّدة لعملهم ، والتشدّد في النكير عليهم مع وجود الأمر بحمل فعلهم على سبعين محمل خير ـ

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٦ ص١٦٦ .

(٢) بحار الأنوار / ج٦٦ ص١٦٩ .

كما في الحديث ـ فهذا ـ أي التفسيق والتسقيط ـ عين الضلال والفسق .. حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : « لا تكفّر مسلماً بذنب تكفّره التوبة إلّا من ذكره الله في كتابه قال الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ واشتغل بشأنك الذي أنت به مطالَب»[1].

فالمؤمن وخاصّة أصحاب الرسالات التغييرية يحرصون على اكتساب الاخوان ويعملون على ترشيد طاقاتهم ومواهبهم في خدمة الإسلام والمسلمين وينظرون الىٰ الأفق البعيد ، ومن هنا يقول الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام : « لا تعادينّ أحداً وإن ظننت أنّه لا يضرّك .. ولا تزهدنّ في صداقة أحد ، وإن ظننت أنّه لا ينفعك فإنّك لا تدري متى ترجو صديقك ولا تدري متى تخاف عدوّك »[2].

بل ولابدّ من كسب المزيد من الأصدقاء لا التفريط بهم فكيف إذا كان مؤمناً . يقول الإمام الرضا عليه السلام : « مَن استفاد أخاً في الله عزّوجلّ استفاد بيتاً في الجنّة »[3].

وهكذا فإنّ حرمة الإنسان المؤمن وحصانته وخاصّة المؤمن الذي جاهد في سبيل الله وتحمّل الأذى في سلوكه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، لا يجوز لأي أحد اختراقها وانتهاكها ونشر ما يسقطها عن أعين الناس ، فهو حتّى إذا أخطأ خطأً يمكن معالجته بالرفق والطيب .

---

(١) بحار الأنوار / ج٧١ ص٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار / ج٧٥ ص١٤٢.

(٣) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٢٧٦.

● لاءات في الضوابط الأخلاقية:

لأجل ذلك وضع الإسلام ضوابط أخلاقية كثيرة، منها اللاءات التالية:

١ / لا للتعيير.
يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: « كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من عيوب نفسه، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه »[١].

٢ / لا للتفتيش عن العيوب والأسرار ونشرها.
يقول النبي صلى الله عليه وآله: « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تذمّوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته »[٢].

٣ / لا للرواية التسقيطية.
يقول الإمام الصادق عليه السلام: « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله عزّوجلّ من ولايته إلى ولاية الشيطان فلم يقبله الشيطان »[٣].
ويقول: « مَن أنّب مؤمناً أنّبه الله في الدنيا والآخرة »[٤].

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٣٨٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ ص ٢١٨.

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٢ ص ٢٥٤.

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٢٨٤.

ويقول أيضاً : « مَن أذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومَن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتّى يركبه »[1].

٤ / لا للتصيّد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: « أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما »[2].

٥ / لا للغيبة والمكر والمؤامرة .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « لا تغتب فتُغتَب ، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنّك كما تدين تدان »[3].

٦ / لا للتفرّج على أكل لحم المؤمنين .

وهكذا يحمّل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المؤمن مسؤولية الدفاع عن حرمة أخيه المؤمن والذبّ عن كرامته إذا سمع أحداً من التسقيطيين ينتهكها. فيقول : «مَن ردّ عن عِرْض أخيه كان له حجاباً من النار »[4].

ويقول : « المؤمن حرام كلّه عِرْضه ومالُه ودمُه »[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « مَن اغتُيب عنده أخوه المؤمن فنصره

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٣٨٤ .

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ ص ٢١٧ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٢ ص ٢٤٩ .

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٢ ص ٢٥٣ .

(٥) بحار الأنوار / ج ٧٤ ص ١٦٠ .

وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة ، ومَن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر خَذَلَه الله وحقّره في الدنيا والآخرة »[1].

ويقول أيضاً : « اذكر أخاك إذا تغيّب عنك بأحسن ممّا تُحبّ أن يذكرك به إذا تغيّبت عنه »[2].

٧ / لا للحسد والتحزّب.

في كلمة صريحة أيضاً يشدّد الإمام الصادق عليه السلام على ترك الحسد لأنّه سبب التحزّب والتفرقة ، ويؤكّد على أهميّة التواصل بين المؤمنين لأنّـه سبيل الوحدة والأُلفة، ويحثّ الإمام عليه السلام على ضرورة التعاون بينهم لأنّه يجلب العزّة والقوّة .

أُنظر إلى هذه الكلمة الحضارية العظيمة : « إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرّضوا لدخول الوهن عليهم وشماتة الأعداء بهم .. وهي : ترك الحسد فيما بينهم لئلّا يتحزّبوا فيشتّت أمرهم ، والتواصل ليكـون ذلك حادياً لهم على الأُلفة ، والتعاون لتشملهم العزّة »[3].

فهل بعد الوعي لهذه الضوابط والقيم والتعاليم والمبادئ يجرؤ أحد من (المؤمنين) أن يخالف الإمام الصادق عليه السلام ويسقّط مـؤمناً غـيره ويـهينه ويحقّره ؟

بالتأكيد لا يجرؤ إلّا أن يكون تسقيطياً حاقداً وحزبيّاً متعصّباً ، وإنساناً

(١) بحار الأنوار / ج٧٢ ص٢٦٢ .

(٢) بحار الأنوار / ج٧٢ ص٢٦٠ .

(٣) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٢٣٧ .

ساقطاً في داخله ومتأزّماً مع نفسه ويكون حينئذ خارجاً عن صفات المؤمنين ، ومثله يكون من الصعب أن تلينه تلك المواعظ وتهديه تلك البصائر المذكورة في الأحاديث الشريفة ، وهو بالتالي لا يكون إلّا ممّن ينطبق عليه قول الإمام الصادق عليه السلام : **« الجهل في ثلاث : في تبدّل الاخوان والمنابذة بغير بيان والتجسّس عمّا لا يعني »**[1].

● **المؤمن كيف يواجه التسقيط:**

المؤمن الذي يُبتلىٰ بأذى التسقيطيين يجب أن يكون سلوكه في الردّ من أسمى السلوكيات الموجَّهة بالتعاليم الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي منها :

١ ـ قول الإمام علي عليه السلام : **« المؤمن لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحبّ ، يعترف بالحقّ قبل أن يُشهَد عليه ، وإنْ بُغِيَ عليه صبر حتّى يكون الله عزّوجلّ هو المنتصر »**[2].

٢ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام : **« كُنْ محسوداً ولا تكن حاسداً فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود »**[3].

٣ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام : **« ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء المسلم**

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٢٣٠.

(٢) بحار الأنوار / ج٦٤ ص٣١٣.

(٣) بحار الأنوار / ج٧٠ ص٢٥٥.

إلّا عزّاً : الصفح عمّن ظلمه ، وإعطاء مَن حَرَمه ، والصلة لمن قطعه »[1].

٤ ـ قول الإمام الكاظم عليه‌السلام : « إن أتاكم آتٍ فأسمعكم في الأُذن اليُمنىٰ مكروهاً ثمّ تحوّل إلى الأُذن اليسرىٰ فأعتذر وقال : لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره»[2].

٥ ـ قول الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله : « المؤمن بِشْره في وجهه .. وحُزنه في قلبه.. أوسع شيء صدراً »[3].

٦ ـ قول الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله : « ألا أنبئكم بأشبهكم بي ؟ .. قالوا بلى يارسول الله ، قال : أحسنكم خُلْقاً ، وألينكم كنفاً ، وأبرّكم بقرابته، وأشدّكم حبّاً لإخوانه في دينه ، وأصبركم على الحقّ ، وأكظمكم للغيظ ، وأحسنكم عفواً ، وأشدّكم مِن نفسه إنصافاً في الرضا والغضب »[4].

٧ ـ قول الإمام الصادق عليه‌السلام : « إحْصِد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك »[5].

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٨ ص٤٠٣ .

(٢) بحار الأنوار / ج٦٨ ص٤٢٥ .

(٣) بحار الأنوار / ج٦٦ ص٤١١ .

(٤) بحار الأنوار / ج٦٦ ص٢٠٦ .

(٥) بحار الأنوار / ج٧٢ ص٢١٢ .

٨ ـ قول النبي صلى الله عليه وآله : « إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح وإذا افترقتم فتفرّقوا بالاستغفار »[١].

٩ ـ قول الإمام الباقر عليه السلام: «عظّموا أصحابكم ووقّروهم، ولايتجهّم بعضكم بعضاً ولاتضارّوهم وكونوا عباد الله المخلصين»[٢].

١٠ ـ قول الإمام علي عليه السلام : « قيمة كلّ امرئ ما يحسن » وقوله : «الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية »[٣].

١١ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام : « أعقل الناس أشدّهم مداراة للناس، وأذلّ الناس من أهان الناس» . وقوله : « أصلحوا ذات بينكم ، ولا يغتب بعضكم بعضاً، تزاوروا وتحابوا وليُحسِن بعضكم إلى بعض وتلاقوا وتحدّثوا ولا يُبطِن بعضكم عن بعض .. وإيّاكم والتصارم وإيّاكم والهجران »[٤].

١٢ ـ قول الإمام علي عليه السلام : « إحمل نفسك من أخيك عند صَرَمِه إيّاك على الصلة ، وعند صدوده على لطف المسألة ، وعند جموده على البذل،

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٣ ص٢٨.

(٢) بحار الأنوار / ج٧١ ص٢٥٤.

(٣) نهج البلاغة / قصار الكلمات.

(٤) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٣٨٢.

وعند تباعده على الدنوّ ، وعند شدّته على اللين ، وعند تـجرّمه عـلى الإعذار حتّى كأنّك له عبد ، وكأنّه ذو النعمة عليك ، وإيّاك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله في غير أهله .. ولا تطلبنّ مجازاة أخـيك وإن حثا التراب بـفيك .. ولا تـصرم أخـاك عـلى ارتـياب ولا تـقطعه دون استعتاب .. ولِنْ لمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك .. وإنْ أردتَ قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ولك يوماً ما »[1].

نعم .. بهذه الأخـلاقيات الفـريدة مـن نـوعها فـي قـاموس التـصالح والتماسك بات المؤمن قويّاً في مواجهة الصعوبات التي يتعرّض لها على أيدي الجهلة التسقيطيين ، وهو رغـم قـلبه المـحزون يـخاطبهم بكـلمة الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله : « **ليستح أحدكم من مَلَكَيْه الذيْن معه كما يستحي مِن رجليْن صالحيْن وهما معه بالليل والنهار** » !

إنّ هذه التوصيات من أهل البيت عليهم السلام قد وردتنا للصون عن كرامـة المؤمن ، وكيف به إذا كان عالماً وفقيهاً ومرجعاً ؟

والإسلام إنّما يقيم حكمه وعدله بهذا المؤمن القويّ وأمثاله ، ويـنشر بين الناس ودّه وجاذبيته بهذه الشخصيات الإيـمانية ، ويـبني حـضارته الأُممية السامية ببركة هـؤلاء وإن كـانوا غـير مـعروفين فـي البـهرجـة الإعلامية .

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٤ ص١٩٧.

● **احترام العلم النافع والعلماء الصالحين :**

على ضوء النظرية الإسلامية فإنّ العلم نور والعلماء مشاعل الطريق لتنوير الحياة البشرية والارتقاء بالمجتمعات المسلمة وتشييد الحضارات الإنسانية . وإنّما يكون ذلك واقعاً ملموساً على الأرض ـ وليس في بطون الكتب وعلى بساط الهتافات ـ إذا ما توفّرت ثلاثة شروط :

الأول : العلم النافع الآخذ بنبض الحياة ليسيّرها وفق شريعتها الأصيلة ، لا العلم القبوري الجامد الأجنبي عن روح الدين الحي المتحرّك ، والبعيد عن وادي الاحتياجات العصرية ، وكأنّ دور الدين قد انتهى في الحياة .

الثاني : العلماء الربّانيون وهم يقودون هذه المسيرة .

الثالث : الناس الذين يتوجّهون إلى العلماء ويلتفّون حولهم ويسندون مشاريعهم الحيوية .

ومع انتفاء هذه الشروط الثلاثة ستضرب مجتمعاتنا مزيد من الإعصارات الجاهلية وتُرتمىٰ الأجيال في وادي الضياع واللّاهدفية والعيش البهيمي الرخيص .

فالعلم والعلماء ـ بالوصفيْن المذكوريْن ـ هما رهان الإسلام في إنقاذ البشرية من عذابها مع الشرط الثالث ، ولذا منح الإسلام العلم أعلى الدرجات ودعى إلى تكريم العلماء بأجمل الكلمات. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١].

---

(١) المجادلة / ١١.

وقال أيضاً : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وعن النبي ﷺ : « أكرموا العلماء فإنّهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله »[3]. وقال أيضاً : « طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضاً بما يطلب »[4].

وفي حديث آخر يعطي الرسول ﷺ الارتباط بالعالم رافداً معنوياً ويجعل النظر إلى وجهه عبادة .

فليس من الغرابة إذن أن تكون الآية الأُولى التي نزلت على قلب محمّد ﷺ تأمره بالقراءة : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[5].

فالقراءة وطلب العلم ومجالسة العلماء والمضيّ قدماً لتضييق دائرة الجهل كلّ ذلك أُمور تجلب السعادة وتنقل الإنسان والمجتمع إلى مواقع متقدّمة من العزّة والكرامة والمجد وبذلك يرتفع شأن المجتمعات في العالم وتُثمّن منزلة الشعوب ويحتلّ الإنسان المنتمي إليهم مكانة مرموقة في القلوب . ولكن المأساة بل الكارثة قد وقعت في الأُمّة بعد تضييعها لمفهوم العلم النافع وانشغال أكثر العلماء بالسطحيات العلمية وعدم تكريم العلماء

---

(١) الزمر / ٩.

(٢) الأنعام / ٥٠.

(٣) نهج الفصاحة / ص ٨٤.

(٤) نهج الفصاحة / ٤٠١.

(٥) العلق / ١ ـ ٥.

الحقيقيين والاستفادة من وجودهم من قبل الناس، والأفدح في ذلك حدوث جزء كبير منه على يد العلماء أنفسهم أحياناً كثيرة . وذلك ما حذّر منه الرسول ﷺ في قوله: « مَن تعلّم العلم للتكبّر مات جاهلاً ، ومن تعلّم القول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلّم العلم للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلّم العلم لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلّم العلم للعمل مات مؤمناً »(١).

هكذا فالمأساة إنّما حلّت بأُمّتنا الإسلامية وبدأ فيها العدّ التنازلي والإنحدار نحو الأزمات تلو الأزمات عندما تحوّل العلم إلى وسيلة الجدل والمباهاة والغرور وتكديس الأموال وتحصيل الوجاهة وتوريث الزعامة .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم »(٢).

وهذا هو السبب في ظهور فئتين ارتدّتا على العلماء :

الأُولى : فئة لا تعطي قيمة للعلماء بتاتاً وربما استهزأ أحياناً .

الثانية : فئة تحاول الاحترام الظاهري البسيط مع شيء كثير من الحذر واستعداد كبير للمناقشة والنقد والردّ .

وقليل أُولئك الذين يحترمون العلم الديني ويكرمون حامليه ويقفون مع العلماء . فهل ننتبه ونوقف مسيرة التسقيط؟!

---

(١) لئالئ الأخبار / ج٢ ص٢١٨.

(٢) الكافي / ج١ ص٣٦.



الفصل الثالث

وفيه بيان (١٥)

موبقة يفرزها التسقيط

تمهيد:

نبيّن هنا بالاستناد الى النصوص الشرعية من القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الناهية عن التسقيط أهمّ وأبرز آثاره الدنيوية والأُخروية .

ومع القراءة التالية سندرك إن شاء الله بأنّ التسقيط مجمع الرذائل والمحرّمات ، لأنّ التسقيط لن يتحقّق إلّا بممارسة الموبقات ومخالفة النصوص الشرعية الواردة.

﴿١﴾

التسقيط يعني مزاولة سوء الظنّ وسوء الخُلق تجاه المقصود تسقيطه ، والقرآن الكريم أمرنا باجتناب ذلك قائلاً : **﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**(١)

ويحمِّل القرآن الكريم سيّئ الظنّ مسؤولية ما يرتّب على سوء ظنّه من الكلام التسقيطي في حق الآخرين: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾**(٢).

وكانت السيرة الأخلاقية الراقية للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الموقف من الآخرين تجسيداً كاملاً لهذه الآيات حتّى ورد أنّ أحد قادة جيش

---

(١) الحجرات / ١٢.

(٢) الإسراء / ٣٦.

المسلمين قتل مشركاً شهد بالإسلام في الدقائق الأخيرة من القتال، فلمّا بلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ زجره بشدّة، فبرّر القائد أنّه لم يسلم بقلبه وإنّما للنجاة من الموت، فقال له النبي ﷺ: **(هلاّ شققْتَ قلبه)** كناية عن أنّك لا تدري ما في قلبه، فكيف تقول أنّه لم يؤمن بقلبه؟

هذه سنّة وسيرة رسول الله ﷺ القاضية بعدم جواز محاسبة الشخص على ما لا نعلمه ممّا في قلبه ونواياه.

وأمّا سوء الخُلق فهو أثر يظهر على تصرّفات الإنسان السيء الظنّ والذي يعتمد على معلومات ظنّية حول الآخرين، ولقبح هاتين الصفتين فقد نبذهما الإسلام وحذّر المسلمين منهما نظراً إلى آثارهما المدمّرة لعلاقاتهم بعضهم مع بعض.

يقول النبي ﷺ: **«سوء الخُلق ذنب لا يُغفر، وسوء الظنّ خطيئة تفوح»**(1).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته إلى ولده محمّد بن الحنفية: **«يا بُني أحْسِن إلى جميع الناس كما تحبّ أن يُحسَن إليك، وارْضَ لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسّن خلقك مع الناس»**(2).

وهكذا ما انتصر الإسلام وخلد رجاله الأبرار عبر التأريخ إلاّ بعد الانصياع إلى هذا المبداء التربوي العظيم... مبدأ الخُلق الحسن مع الناس.

---

(1) المحجّة البيضاء: ج٥ ص٩٣.

(2) الحياة / ج١ ص٢٤٣.

(٢)

التسـقيط يـعني تـجميد سـنن المـداراة والودّ والسـلام والنـصيحة والإرشاد، ويعني نسف التزاور والآداب الإجتماعية وأحياناً قطع الأرحام وعقوق الوالدين وإضاعة حقوق الجار، أو التمظهر بـوجهين وازدواجـية الشخصية في الناس . وهذه كلّها ممّا نهى عنه الإسلام في النصوص التالية ودعىٰ الىٰ عكسها :

قال الله تعالى : **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾**[1].

وقال النـبيﷺ : «**أمـرني ربّـي بـمداراة النـاس كـما أمـرني بأداء الفرائض**»[2]. وقال ﷺ : « **التودّد إلى الناس نصف العقل** »[3].

وعن رسول الله ﷺ : « **صِلوا أرحامكم ولو بالسلام** »[4].

وقال أيضاً : « **من آذىٰ جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة ومأواه جهنّم وبئس المصير ومن ضيّع حقّ جاره فليس منّا** »[5].

وقال أمير المؤمنينعليه السلام : « **المؤمن مألوف ولا خـير فـيمن لا يألف**

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

(٢) الكافي : ج٢ ص١١٧ .

(٣) أصول الكافي : ج٢ ص٦٤٣ .

(٤) البحار : ج٧٧ ص١٦٠ .

(٥) مكارم الأخلاق : ص١٥١ .

ولا يؤلف »[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ المسلمَيْن يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حبّاً لصاحبه »[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ولا تدع النصيحة في كل حال . قال الله عزّوجلّ : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ »[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « من زار أخاه المؤمن في الله ناداه الله : أيّها الزائر طبت وطابت لك الجنّة »[4].

وقال أيضاً : « عليكم بالتواصل والتباذل وإيّاكم والتدابر والتقاطع»[5].

ويقول الراوي سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول : « تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وتعاطفوا »[6].

ومن المؤسف إذا رأيت فيمن يخالف هذه الأحاديث الشريفة بعض المنتسبين إلى المؤسّسة الدينية الذين يشرحون هذه الأحاديث للناس ويدعونهم إلى العمل بها !! وكيف يعمل بها الناس وهم يرون شرّاحها لا يعملون؟!

---

(١) نفس المصدر : ج٢ ص١٠٢ .

(٢) نفس المصدر : ج٢ ص١٢٧ .

(٣) تفسير نور الثقلين : ج١ ص٩٥ .

(٤) البحار : ج٧٤ ص٣٥٥ .

(٥) البحار : ج٧٤ ص٤٠٠ .

(٦) الكافي : ج٢ ص١٧٥ .

حضرتُ في مجلس جمعٍ من العلماء وفيهم (بعض التسقيطيين) فدار نقاش حول ظاهرة الإنحسار الديني وأسباب تراجع الناس عن حضور المجالس واحترام العلماء . فقال كلّ واحد قولته . ولم أتكلم! فقال أحدهم نريد أن نسمع رأي الشيخ... فقلت ان كنتم تتحمّلون الصراحة كشفت عن رأيي! فقالوا: تفضّل. فقلتُ أنّ السبب هو انطباق الآية التالية علينا جميعاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ لأنّ الناس يرون كلامي وكلامك ما أجمله في الدعوة الى الأخوة والوحدة والتعاون الإيجابي ونبذ الخلافات، ولكنهم يرون عملي وعملك ما أقبحه في تسقيط بعضنا وعدم الالتزام بما نقوله! فيتساءلون مع أنفسهم لو كان الدين سهل التطبيق لطبّقه دعاته السادة العلماء ! إذن فلنترك الدين لهم ولنذهب إلى دنيانا !

﴿٣﴾

التسقيط يعني الإجحاف وعدم الإنصاف وتحريف الحقائق وإخفاء حسنات الآخرين وإظهارهم بمظهر سوداوي كامل يسلبهم حتّى مظاهرهم الحسنة وأشياءهم الايجابية ، وهذا تجاوز على القيم الإسلامية والتي منها : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[1] ومنها قول نبيّنا الكريم ﷺ : « إنّ من فضل الرجل أن ينصف من نفسه ويحسن إلى من أساء إليه » . ومنها قوله : « الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف » . ومنها قوله :

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

« أنصَفُ الناس من أنصفَ من نفسه بغير حاكم عليه »[1].

كم هي عظيمة هذه التعليمات يا تُرىٰ وكم هي يتيمة بيننا في نفس الوقت!

ولعمري لو كان ممارسو التسقيط والإسقاط يختلون بأنفسهم ويتأمّلون في إيجابيات غيرهم وينظرون في سلبيات أنفسهم ويتجرّدون عن حاكمية الهوى والحزب والصداقة والجماعة والعشيرة لكانوا مع الإنصاف والعدل أقرب إلى التقوى ، ولذاقوا حلاوة تسليمهم لرسول الله ﷺ الذي قال في حديث قدسي عن الله تعالى:«إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا»[2].

فهل نريد رحمة الله أم نقمة الطغاة ومهزلة الساسة المستكبرين والدوران في دائرة الجهل والتخلّف والتكبّر، ثمّ نمنّي أنفسنا بالخلاص ، ولا خلاص !؟

﴿ ٤ ﴾

التسقيط يستلزم المكر والمكيدة والخديعة والغش . أليس الذي يخطّط للإيقاع بمنافسه يتوسّل بهذه الأساليب الغادرة المنهية عنها في أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام .

---

(١) هذه الأحاديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب غرر الحكم : ص٢٢٥ ـ ٦٤ ـ ٢١١ .

(٢) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٩٥ .

يقول النبي صلى الله عليه وآله : « **ليس منّا مَن ماكَرَ مسلماً** »[1].

وكان علي عليه السلام يقول : (لولا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « **إنّ المكر والخديعة والخيانة في النار** » لكنت أمكر العرب)[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً : « **ليس منّا مَن غشّ مسلماً أو ضـرّه أو ماكره** »[3].

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام : « **الغش من أخلاق اللئام** »[4].

وما أكثر المكر والغشّ والتلوّن في الذين يتآمرون بتسقيط غيرهم، وقد رأيت فترة العقود الثلاثة الأخيرة من أناسٍ لا ينبؤك ظاهرهم بهذه الرذائل في الوهلة الأولى، وتمنّيت لم أكن أراها في أُناس (مسلمين)!

﴿٥﴾

التسقيط لا ينفكّ عن الظلم وإيذاء الغير وأهله وعياله الأبرياء .

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : « **إيّاكم والظلم فإنّه يخرّب قلوبكم** »[5].

وجاء في الحديث عن مولانا الصادق عليه السلام : « **مَن أعان على مـؤمنٍ بشطر كلمة لقى الله عزّوجلّ يوم القيامة مكتوب بين عـينيه آيس مـن**

---

(١) عقاب الأعمال : ص ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تحف العقول : ص ٣٠.

(٤) غرر الحكم : ص٤٦.

(٥) بحار الأنوار : ج٧٥ ص٣١٥.

رحمتي »[1]. وعنه عليه السلام أيضاً: **« العامل بالظلم والمعين له والراضي بـه شركاء ثلاثتهم »**[2].

وظُلْم العباد لبعضهم ممّا لا يغفره الله تعالى مهما كانت للتسقيطي الظالم حسنات وأعمال ايجابية أُخرىٰ ، فـحتّى الشـهداء كـما فـي الأحـاديث يحاسبهم الله في حقوق الناس ، لأنّ الله عزّوجلّ آلَ على نفسه أن يأخذ للمظلوم حقه من الظالم بلا ذرّة تسامح.

وبناءً عليه أنّىٰ للمسلمين أن يستجيب الله دعاءهم فيتحرّروا من ظلم الطغاة وهيمنة المستعمرين وهم يظلمون بعضهم بـعضاً . حـتّى ورد فـي الحديث ما مضمونه أنّه قيل للإمام الباقر عليه السلام : يابن رسول الله ما لنا ندعو على الأُمويين فلا يستجاب لنا ونحن مظلومون وهم ظالمون ، أما تقولون أنّ دعوة المظلوم تخرق حجب السماء فيأخذ الله حقّه من ظالميه ؟

فقال عليه السلام : **« لقد ظلمتُم بـعضَكم بـعضاً فـصرتم ظـالمين لبـعضكم مظلومين مِن عدوّكم ، فَحَجَبَتْ ظالميتُكم مظلوميتَكم »**[3].

وفي سياق هذا الحديث قلت في بعض محاضراتـي إنّ الله قـد حـرّم النصر على الذين يأكلون لحوم إخوانهم إلّا بعد التوبة والإصلاح!

وهذا ما نشاهده في واقعنا، فكم من تضحيات وجهود وأتعاب وأعمار

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٦٨.

(٢) روضة المتقين : ج٩ ص٣٦٠.

(٣) الحديث سمعته من أحد الخطباء المعتمدين ولم يسنح لي الوقت للبحث عن مصدره ولكنّه منسجم مع الأُصول الفكرية لمذهبنا كما لا يخفى، وقد جاء في القرآن الكريم، «إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ».

واوقات يقدّمها المسلمون وعلماؤهم وأحزابهم وتأتي النتائج في غـالبها فاشلة، والسبب هو التسقيطات الداخـلية والقـلوب المـتشاحنة والظـلم المتبادل.

(٦)

التسقيط يعني ممارسة الغيبة والنميمة والبهتان والحقد ، لأنّ الإسقاط لا يتم إلّا بهذه الرذائل التي نَهَتْ عنها تعاليم النبي وأهل بيته عليهم السلام .

يقول النبي صلى الله عليه وآله : « **مَن سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها** »[١].

ويقول الإمام علي عليه السلام : « **الحقد من طبائع الأشرار** »[٢].

وروىٰ علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : « **ألا أُخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : المشّاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الأحبّة الباغون للبراء العيب** »[٣].

وهذه الرواية تجسّد سلوك الذين يعملون على خطّ التسقيط للآخرين تجسيداً دقيقاً ، إذ يـمشون فـي الاتّـصال بـهذا وذاك ، يـحذّرونهم مـن الارتباط بمن لا يرتضونه ، ويفتّشون عن عيوب منافسيهم ، ويـنشرونها بتضخيم وإشباع ، ويقطعون بـه صـلة الأرحـام والطـريق الى العـلاقات الحميمة بين الناس، ويكرّسون صـفات الحكّـام المسـتبدّين، ويـفرّغون

---

(١) الحكم الزاهرة : ص ٣٥٠.

(٢) غرر الحكم : ص١٠٦.

(٣) تفسير نور الثقلين : ج٥ ص٣٩٣.

المجتمع من مفاهيم الحرّية والنشاط والتعاون لبناء المؤسّسات الإسلامية.

وتراهم وهم بهذه الصفات يرجون الجنّة أيضاً في حين أنّ لأهل الجنة علامات متباينة لصفاتهم، قد ذكرها الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: **« إنّ لأهل الجنّة أربع علامات : وجه منبسط ، ولسان لطيف ، وقلب رحيم ، ويد معطية »**[1].

وشتّان بينها وبينهم !

وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في وصف الأبرار وخيار العباد بأنّهم : **« الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا وإذا أُعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا وإذا غضبوا غفروا »**[2].

فأين هذه العلامات والأوصاف من الذين يمارسون التسقيط ويتواصون فيما بينهم بالحذف والمقاطعة ويتناجون في الضدّيات وتوريث العداوات، ويلمزون ويغمزون ...

﴿٧﴾

التسقيط ، أقل ما يقال عنه أنّه خلاف الورع والتقوى والاحتياط الشرعي .

يقول الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد : **« ياكميل أخوك دينك فاحتط**

---

(١) مجموعة ورّام : ج٢ ص٩١.

(٢) وسائل الشيعة : ج١١ ص١٤٩.

لدينك بما شئت »[1]. وترى غالب الممارسين للتسقيط يتظاهرون بالورع والإحتياط الديني ويتمسّكون بالمستحبّات الفردية ولكنّهم جريؤون في اقتحام حرمات الآخرين والتشكيك في دينهم وتوقيع صكّ العذاب عليهم، فما أجرؤهم على الله في هذا الحقل الاجتماعي من حقوق الناس !

فالحذر كل الحذر من الإستدراج الشيطاني المغلّف بالدين ، فقد قال الإمام علي عليه السلام : « إنّكم مؤاخذون بأقوالكم فلا تقولوا إلّا خيراً »[2].

ومن الصعب كذلك على الممارسين للتسقيط أن يلتزموا بالوصية التي قدّمها النبي عيسى عليه السلام : « **طوبى لمن كان صمته فكراً ، ونظره عبراً ، وسكوته فكراً ، وكلامه ذكراً ، وبكى على خطيئته وسَلِمَ الناس من يده ولسانه** »[3].

وإنّما يلتزم بهذه القيم الايمانية لبناء المجتمع الإيماني كلُّ مَن تخلّص من رذيلة التسقيط والكلام ضدّ الآخرين ، ونزل إلى ساحة العمل الايجابي والتنافس بشرفٍ ونزاهةٍ وإخلاصٍ لله رب العالمين، فمن أخلاق الله تعالى أنه ستّار للعيوب ، فهل الذين يتستّرون بقشور الدين ويعملون على بثّ الكراهية في المسلمين تنطبق عليهم أخلاق الله.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة : ج١ ص٢٣٢.

(٢) غرر الحكم : ٢٩١.

(٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٢٨٢.

(٨)

التسقيط يستبطن الإعجاب بالنفس والاستبداد بالرأي وادّعاء العصمة من غير التفوّه بها . وكلّ ذلك ممّا أدانه الإسلام ، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « **فإنّه ليس عبد يعجب بالحسنات إلّا هلك** »[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « **إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله** »[٢].

وقال أيضاً : « **من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها** »[٣].

فالذي يصرّ على رأيه ويعاند شامخاً بأنفه متبختراً في مشيه يكون مُعرضاً عن وحي القرآن وهَدْي السنّة الشريفة ونور العقل وسيرة النبلاء، وينطبق عليه قول ربّنا تعالى : ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾[٤].

(٩)

التسقيط فيه الثرثرة والقيل والقال وحبّ الجاه وطلب الرئاسة وتتبّع عيوب الآخرين والاستماع إلى الغيبة والبذائة والكذب . وهذه الرذائل

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٢ ص٣٢١.

(٢) الكافي : ج١ ص٢٧.

(٣) بحار الأنوار : ج٧٥ ص١٠٤.

(٤) الكهف / ١٠٤.

تصمّ الأُذن عن الاصغاء إلى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[1].

فلا يكاد يفهم التسقيطيون هذا النداء.. نداء التقوى والقول السديد ، ولا يكاد يفهمون قول النبي صلى الله عليه وآله : « مَن كثُر كلامه كثُر سقطه ، ومَن كثُر سقطه كثرتْ ذنوبه ، ومَن كثُرت ذنوبه كانت النار أوْلى به »[2].

وكيف لهؤلاء الثرثارين أن يفهموا مثلاً وصية الإمام علي عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفية : « يابني لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم »[3]. أو يفهموا وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « إنّما هلك الناس باتّباع الهوى وحبّ الثناء »[4].

وصدق الإمام علي عليه السلام حيث يقول: « حبّ الرئاسة رأس المحن »[5].

فإنّ هوى الرئاسة إذا ضرب في الرؤوس فتحت أبواب المحن على الجميع وكانت آثارها السيئة على الآخرين أضعافاً إنْ آجلاً أو عاجلاً ، فكم ممن يتسلقون ظهور الناس الى قمم الزعامة والرئاسة يسبّبون المحن والمتاعب لغيرهم ولأنفسهم كذلك . وهذا لا يختص برؤساء الدول والحكومات المستبدين بل حتىٰ رؤساء الشركات والادارات والمراكز التعليمية والدينية وبعض خرّيجي الحوزات العلمية .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٠.

(٢) المحجّة البيضاء : ج٥ ص١٩٦.

(٣) تفسير نور الثقلين : ج٢ ص٢٦.

(٤) المحجّة البيضاء : ج٦ ص١١٢.

(٥) غرر الحكم : ٣٨٠.

فانك تراهم يمارسون الغيبة والبهتان تحت غطاء الأهم والمهم والغرض جلب مصالح لأنفسهم أو جماعتهم، وهم يعرفون مغزى قول الإمام الصادق عليه السلام : « **إنّ من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه وإنّ من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه**»(١).

وأما المستمعون لهؤلاء فهم شركاؤهم في الجريمة بنصّ قول النبي صلى الله عليه وآله : «**مَن سمع الغيبة ولم يغيّر كان كمن اغتاب** »(٢).

وهكذا نقرأ عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله : «**كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه**»(٣).

وهؤلاء ليسوا إلّا الحمقى ، بصريح كلام الإمام علي عليه السلام : « **مَن أنكر عيوب الناس ورضيها لنفسه فذلك الأحمق** »(٤).

يقول التسقيطيون سمعنا الثقة يقول كذا وكذا في فلان وفلان ! ونسوا أنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول : « **بين الحقّ والباطل أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحقّ وقد تسمع بأُذنيك باطلاً كثيراً** ... »(٥).

ولا أدري كيف يفهمون قول النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ : «**ياأبا ذرّ كفى بالمرء**

---

(١) البحار : ج٧٥ ص٢٤٨.

(٢) مستدرك الوسائل : ج٢ ص١٠٨.

(٣) الكافي : ج٢ ص٤٦٠ .

(٤) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٣٠٩.

(٥) الاحتجاج : ج١ ص٣٩٩.

كذباً أن يحدّث بكل ما سمعه »[1].

وترىٰ بعضهم يطريك في وجهك ويرميك من خلفك ، والنبي الأكرمﷺ يقول : « أبغض خليقة الله إليه يوم القيامة ، الكاذبون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملّقوا لهم ... »[2].

وبعضهم يصل به الحدّ إلى ممارسة الوقاحة والصلافة العلنية، فما أن اعتقد بسوء في الآخرين حتّى أخذ يبثّه بشجاعة وقاطعية وبقصد القربة إلى الله كما يدّعي ! وحسبه كلام الرسول ﷺ إنْ كانت له أُذُنٌ واعية : «إنّ الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذيٌ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له ... »[3].

ولقد رأيت بنفسي هذه النماذج كلّها في حياتي ولا أقولها عن سماع فقط. وهذا جزء من الجرح الذي لا أُريد الكشف عن كلّه !

﴿١٠﴾

التسقيط ليس من أخلاق الشيعة الملتزمين بنهج الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول : « شيعتنا المتباذلون في ولايتنا ، المتحابّون في مودّتنا ، المتزاورون في إحياء أمرنا ، الذين إنْ غضبوا لم يظلموا ،

---

(١) أمالي الطوسي : ج٢ ص١٤٩ .

(٢) المحجّة البيضاء : ج٥ ص ٢٨٠ .

(٣) الكافي : ج٢ ض٣٢٣ .

وإنْ رضوا لم يسرفوا ، بركة على مَن جاوروا ، سِلْمٌ لمن خالطوا »[1].

وروى أحمد بن محمّد عن ابن أبي نجران قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : « مَن عادىٰ شيعتنا فقد عادانا ... شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويبرؤون من أعدائنا، أُولئك أهل الإيمان والتُقىٰ والأمانة، مَن ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومَن طعن عليهم فقد طعن على الله...»[2].

وكما يلاحظه القارىء اللَّبيب ليس في هذا النصّ أن يكون هؤلاء من مقلّدي المرجع الفلاني والا فلا يشملهم المرسوم!

وكذلك أين التسقيطيون ممّا أمر به الإمام الصادق عليه السلام شيعته : «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً ، قولوا للناس حسناً واحفظوا ألسنتكم وكفّوا عن الفضول وقبح القول »[3].

ويقول أيضاً : « ليس مِن شيعتنا مَن قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا مَن وافقنا بلسانه وقلبه واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا أُولئك شيعتنا»[4].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في وصف الشيعة الرساليين أيضاً : « أنّهم حصون حصينة ، وصدور أمينة ، وأحلام رزينة ، ليسوا بالمذاييع البذر ،

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٣٦ .

(٢) الوسائل : ج١ ص١٥ .

(٣) مشكاة الأنوار : ص١٧٣ .

(٤) الوسائل : ج١١ ص١٩٦ .

ولا بالجفاة المرائين ... رهبان بالليل أُسود بالنهار ... لن تختلف قلوبهم وإن اختلفتْ بهم الدار »[1].

وسأل عليه‌السلام أحد الشيعة القادمين من منطقة نائية :

«أيجيء أحدكم إلى أخيه فيُدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟» فأجاب الرجل الشيعي : ما أعرف ذلك فينا .

فقال عليه‌السلام : «فلا شيء إذاً!»

فقال الرجل : فالهلاك ؟

فقال عليه‌السلام : «إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعدُ»[2].

بالله عليكم أيّها القرّاء الكرام ! أين جماعة الإسقاط والتسقيط من هذه الأحاديث العظيمة ؟ هل يطبّقونها ؟! وهل يلتقون مع هذه المعايير الحقّة والموازين الرساليّة وهم قد اتّخذوا معايير حزبية وموازين فئوية يقطّعون بها أوصال شيعةٍ أمثالهم في أصل الولاء لأهل البيت عليهم‌السلام ولعلّهم متفوّقون معهم في أكثر الأعمال الصالحة وإنّما يختلفون في تقليد المرجعية ، والمراجع كلّهم يتّفقون في القول بحرّية التقليد حسب قناعة الفرد المكلّف والطرق الشرعية. إذن لماذا التناقض بين الشعار والسلوك؟!

﴿ ١١ ﴾

التسقيط يكشف عن خلوّ القلب من العطف والرحمة والحنان

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٥ ص١٨٠.

(٢) الكافي / ج٢ ص١٧٤.

والشفقة، فلا يمارسه إلّا قاسي القلب، والمكفهر الوجه، والمتصلّف العنيف المتحايل المتلوّن، المتكبّر الذي يترصّد لصيدك وذبحك على الطريقة الشرعية !!!

وهذا طرف النقيض للحكمة الإلهية من إرسال الأنبياء والرسل الذين بُعثوا رحمةً للناس وليزكّوهم وينقذوهم من صفات القسوة والنفاق والعنف والتصلّف والتحايل والتلوّن والتكبّر والتصيّد .

فعن رسول الله ﷺ : « **إنّما يرحم الله من عباده الرحماء** » .

وقال أيضاً : « **خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر**»[1].

وكذلك بينما تجد أمير المؤمنين عليه السلام يأمر أتباعه « **أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلّا ويده بيد الله يرفعه** »[2] ترى السالكين في جهة التسقيط يدوسون ذوي المروءات إذا تعثّروا ويزيدون على ذلك بالمبالغة والتشهير والتشفّي وإظهار السرور لسقوطهم، وذلك خلافاً لإرادة الله الذي يأخذ بيده لينقذه من العثرات ويتوب عليه .

هذا ولو افترضنا كما يزعم التسقيطيون أنّهم الأصح والأحقّ والأفضل عند الله فإنّه يجب عليهم الامتثال لكلمة أُخرى قالها الإمام علي عليه السلام في روائع توجيهاته التربوية ، تلك هي قوله : « **إنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون**

---

(١) ميزان الحكمة: ج٤ ص٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٤٠٥.

الشكر هو الغالب عليهم »[1].

ولكنّ جماعات التسقيط بدلاً عن هذه الحكمة الإسلامية يفعلون ما يمنع سبيل الهداية والإصلاح ويقطع الطريق على التائبين .

وكم يجني هؤلاء بسلوكهم على أهداف الأنبياء والرسل وما أمر الله به نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[2]. ولو تأمّل ممارسو التسقيط في أطراف هذه المفاهيم الرحيمية الأليفة الرقيقة لتوقّفوا عن قبيح فعلهم في التسقيط والتعنيف ورجعوا الى فطرتهم واستقاموا على رشاد المواعظ الهادية لقادة الدين الإسلامي الحنيف ، والتي منها قول علي أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً : «إرحم مَن دونك يرحمك مَن فوقك ، وقِسْ سهوه بسهوك ، ومعصيته لك بمعصيتك لربّك ، وفقره إلى رحمتك بفقرك إلى رحمة ربّك »[3].

إنّ العنف اللساني أو اليدوي سلوك أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن أخلاق بني أُميّة ولا ندري كيف تسلّلتْ هذه السيّئة الأخلاقية إلى أوساط بعض الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام الرحماء الرؤوفين السمحاء الطيّبين . يقول الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ إمارة بني أُميّة كانت بالسيف والعسف والجور ، وإنّ إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقيّة وحسن الخلطة ـ

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٠ .

(٢) سورة الأنعام : ٥٤ .

(٣) ميزان الحكمة : ج٤ ص٦٨ .

أي المعاشرة والإختلاط ـ والورع والاجتهاد ... »[1].

نحن لا ننكر أهميّة الشدّة والعنف لردع الذين يمارسونه ظلماً بحق المظلومين والضعفاء، ولكن ذلك فقط ضدّ الخارجين على الدين ومن باب الدفاع وبشروط خاصّة وإشراف فقهي من ولاية الفقيه البارع أو شورى الفقهاء ، لا ضدّ المسلمين الذين يشتركون معنا في الأُصول وأكثر الفروع ، أو ضدّ المؤمنين في مذهبنا الذين لا نختلف معهم إلّا في الجزئيات والذوقيّات .

فبعدما أمر القرآن الكريم بالبرّ والقسط إلى الكفّار والمشركين الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا هل يجيز الاسلام لنا العنف ضدّ المسلمين الذين يختلفون معنا ؟!

فالممارسات العنفية المحدودة بعشرات الشروط الشرعية لماذا باتت سهلة التجاوز والتنفيذ وغير مقيّدة بأحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية بين شرائح من المسلمين !؟

أفهل يجوز العبور إلى الحقّ من بوّابة الباطل !

أفتونا يامعشر التسقيطيين؟![2]

---

(١) بحار الأنوار /ج٦٦ ص ١٧٠ .

(٢) أذكر بالمناسبة في سنة (١٩٨٥) اجتمعت برفقة الأخ المجاهد سماحة الشيخ محمد على المحفوظ (رئيس جمعية العمل الاسلامي حالياً في البحرين) مع ستة من اشداء الخط التسقيطي في مدينة قم المقدسة ضمن جولات حوارية كنت أقوم بها للتقريب بين الإخوة وتخفيف حدّة الصراعات السلبية، فبعد عنف اللسان الذي كان يكشف عن الجهل والتغطرس قام أحدهم يشمّر عن ساعديْه ويعربد ويهدّد لضربنا ونحن ضيفان قادمان من طهران.

﴿ ١٢ ﴾

التسقيط ينطوي في داخله على حبّ الذات وطلب الزعامة وإحتكار الوجاهة وجلب المال والسلطة الدينية والاجتماعية ، وهذا كلّه ممّا يرافق الانتقاص من حقّ الآخرين ويستلزم زحزحة المنافسين بوسائل غير مشروعة .

ولقد نسي هؤلاء ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « **مَن أحبّ أن يتمثّل له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار** »[١].

فأكثر الصراعات التسقيطية تستهدف منع الوجاهة والزعامة للآخرين وكسبها للنفس أو حصرها في الفئة المتداخل معها الفرد عبر القرابة أو الصداقة أو البيعة الحزبية . فبينما يرى الإمام الباقر عليه السلام ـ كما سبق ذكره آنفاً ـ أنّ من سمات الشيعي الحقيقي أنّ أحدهم إذا احتاج مالاً أدخل يده في جيب أخيه وأخذ حاجته دون إخباره بذلك وإذا علم الرجل فإنّه لا يحمل في قلبه عليه كرهاً ولا سخطاً ، تجد الممارسين لرذيلة التسقيط يندفعون في أكثر مواقفهم بدافع الحصار المالي على الطرف الآخر ويحرّضون بعدم تمويله ومنحه الخمس والزكاة وغيره ، ويُلبسون كلامهم

ولاتستغرب اذا قلت لك أن هذا الشاب المتطرّف ذهب الى جبهات القتال في الحرب العراقية ـ الايرانية وعاد منها مضروباً في يده التي رفعها علينا، ولا تستغرب أيضاً اذا قلت لك أنه اليوم ممن ندم على تأييده المفرط لذلك الخط المتشدّد ويعيش الآن بعيداً عن أصدقائه ومنتقداً لمبادئه التي كان مستعداً لأجلها أن يرتكب في حقنا ما ينهاه الاسلام. فاعتبروا يا أولي الألباب! ولكن ما اكثر العبر واقل الاعتبار أيها الشباب!

(١) نفس المصدر : ج٧٧ ص ٩٠ .

هذا بألفاظ دينية مغلّظة، مثل قولهم بعدم إفراغ الذمّة الشرعية أو أن القيامة لا مفرّ فيها من العقاب! أو أن الامام الحجة عليه السلام لن يرضىٰ منك إذا أيّدتَ فلاناً وفلاناً!!.

بهذه الأساليب يسخّرون عوام الناس الطيبين تحت (مافيا) سلطتهم لأجل إسقاط من ليس في مجموعتهم ، وهذا يدلّ على غياب قصد القربة إلى الله وبروز الفئوية (التمرجعية) كهدف أساسي في مقدّمة المقاصد والأهداف .

يقول الإمام الباقر عليه السلام محذّراً من هذا التلبيس الإبليسي الخطير : « ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راعٍ ، هذا في أوّلها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حبّ المال والشرف ـ أي الوجاهة ـ في دين المؤمن»[1].

﴿١٣﴾

التسقيط تكريس للإرهاب الفكري والجمود الثقافي بين الناس .

فكم من أشخاص يرغبون في التطلّع إلى الرأي الآخر ، أو التطرّق لمعرفة الآخرين ، أو التحقيق والتأكّد ممّا يسمعون عنهم ، أو التفكير والبحث حول الجديد ممّا يدور في مجتمعهم ، أو التطوير نحو الأفضل ، أو أنّهم يكرهون الخلافات ولا يريدون حصر أنفسهم في التصنيفات والتقسيمات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنّهم يتراجعون أمام حراب الذين يمارسون التسقيط ، إذ يوجّهونها إلى صدورهم ، إمّا

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٣ ص٢٤ .

بتخويفهم بالعقاب الأُخروي ـ حيث جعلوا أنفسهم قسماء الجنّة والنار ـ أو تهديدهم بالمقاطعة الاجتماعية أو توجيه الإهانات السافرة إليهم والحرب النفسية عليهم وعلى عوائلهم وحتّى على أطفالهم في المدارس الابتدائية ، بل ويذهب بعضهم إلى مقاطعة الذي لا يقاطع(١)!!

إنّ هذا هو الإرهاب الفكري بذاته ، وهو السبب في إبقاء الحالة الإسلامية تعيش تحت المستوى الحضاري ، مسلوبة الإرادة في الانفتاح والتطوير من ناحية ، وإبراز الإسلام في العالم كدين قمعي وغير متسامح من ناحية أُخرى .

وبذلك شُوّهتْ صورة الإسلام ، فعلى المستوى الداخلي يتمّ غلق العقول وتعطيل آيات الحرية والتفكّر والتعقّل والسير في الأرض والتدبّر في النفس والآفاق، وعلى المستوىٰ الخارجي تُعطىٰ المبرّرات للمستكبرين وللحكومات الاستبدادية الجائرة لكي تمارس ذات النهج الارهابي القمعي ضدّ الناس والجماعات الإسلامية والقوى الوطنية الشريفة .

مضافاً إلى أنّ ما يفعله جماعة الضغط والتسقيط يجعل الإسلاميين في صفّ كنائس القرون الوسطى التي كانت تدير محاكم تفتيش العقائد وقمع

---

(١) هذه حالات التسقيطيين عندنا في البحرين ، ومثلها موجودة في مناطق أُخرىٰ أيضاً ، ونحن سوف لن نهدأ إلّا بإصلاحها إن شاء الله. والبحرين بالذات متجذّر فيها مرض التسقيط والتعصّب والجدل منذ قرون ، وقد ذكرنا شواهد ذلك في كتابنا (علماء البحرين دروس وعبر) راجع مثلاً قصّة الشيخ حسين العاملي (والد الشيخ البهائي) مع علماء البحرين . وقصّة العلّامة الشيخ حسين العصفور مع خادمه الذي قتل تلميذ الشيخ! وغير ذلك كثير .

المفكّرين الذين يريدون الخروج من سجن الآحادية والمكبّلات المسيحية المزيّفة . وبالتالي ينفّر التسقيطيون الأجانب الراغبين في التعرّف على الإسلام واعتناقه بل ينفرّون الشباب الناشئين أيضاً. وهذا ما يبذل الاستعمار لتحقيقه المليارات من الدولارات ، وهؤلاء ينجزونه بلا مقابل.

علماً أنّ النصوص القرآنية وروح السلام والحرّية والإنعتاق التي يمتلكها الإسلام لن تلتقي مع هذه الزاوية التسقيطية الحادّة أبداً ، أليس الله يقول : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] ويقول ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[2] . ويقول أيضاً : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[3].

فليس لأحد تفويض من الله بالوصاية على أمثاله بأن يحاسب غيره ويعاقبه ويسقّطه ويسحقه باسم الدين والشرع والشريعة . وإذا وقع ذلك فيا لها على الإسلام من مصيبة !

﴿١٤﴾

التسقيط استغلال مبطّن للدين والناس من أجل مآرب فردية أو فئوية بعيدة عن قيم الدين ومنافع الناس المنظورة عند الله تعالى .

---

(١) البقرة / ٢٥٦.

(٢) الإنسان / ٢ـ٣.

(٣) الزمر / ١٧ـ١٨.

فهو سلوك لا يعبّر إلّا عن الذاتية الفردية أو الذاتية الفئوية ، وفيها من عبادة الأهواء وتصنيم الشخصيات الشيء الكثير ، وبالتالي فإنّه تسقيف لطموح الفرد والمجتمع وتحريف لوجهة الناس عن وجهة أرادها الله لهم من العبادة التوحيدية الخالصة لوجهه الكريم والمجرّدة عن الرياء والسمعة والشرك الخفيّ الذي يدبّ في النفس كدبيب النمل في ظلام الليل .

ولا يتردّد العارفون بالله حقّاً وذوو البصائر الإيمانية أن ينظروا في أمر هؤلاء المستغلّين للدين بنظر الشكّ والريب حتّى يثبت عكسه ، ولكن ليس بالضرورة أن يخلقوا معهم مواجهة تسقيطية مماثلة وإن كان القرآن قد أذن لهم في قوله تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ بل ينصحونهم بلطف وعفو وحكمة لعلّهم يتذكّرون مصيرهم ويخشون ربّهم ويتورّعون في أمر العباد ويخفّفون الأوزار التي تثقل ظهورهم في يوم يأتونه فرداً وكتابهم بين أيديهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

﴿١٥﴾

التسقيط يفعله من لم يسلّم أمره إلى الله ، بل سلّم أمره إلى الذي أحبّه من المخلوقين وانساق نحوه تحت تأثير العوامل العائلية والنسبية أو الصداقات والمصالح المادّية المشتركة أو الجهل بالحقيقة ، ومَن ينحىٰ هذا الاتّجاه يتوسّل بوسائل من نفس الاتّجاه لأنه يستحيل أن ينسجم مع الوسائل المشروعة وهو يدّعي الاتّجاه الإلهي القويم .

أفهل يمكن الطيران الىٰ الفضاء بالحمار!

أوَ هل يصح الغوص بالسيارة في أعماق البحار!

إذن لن تلتقي الغايات الإلٰهية بالوسائل الشيطانية ولا العكس أيضاً، كما لن يجتمع حبّ الله وحبّ غيره في قلب واحد . لأنّ الله لن يجعل في جوف امرءٍ من قلبين ؟! القلب واحد فإمّا يسكن فيه حُبّ الأجنبي عن الله أو يسكنه حبّ الله والثقة به والرضا بقسمته الحكيمة العادلة، وبالتالي لن يخوض معركة التسقيط ضدّ المؤمنين (غير التسقيطيين).

يقول الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « **من عرف الله وعظّمه ، منع فاه من الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعفى نفسه بالصيام والقيام ...** »[1].

وجاء في أقوال النبي صلى الله عليه وآله : « **اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير** »[2].

وقال كذلك : « **اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى يوم فقركم وإلّا فلا** »[3].

وممّا قاله أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الناحية العرفانية: « **إن كنتم تحبّون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا** »[4].

وقال : « **كيف يدّعي حبّ الله من سكن قلبه حبّ الدنيا** »[5].

---

(١) جامع أحاديث الشيعة / ج١ ص٤١٢.

(٢) المحجّة البيضاء / ج٥ ص١٠٤.

(٣) مستدرك الوسائل / ج١ ص١٣٨.

(٤) غرر الحكم / ٢٧٨.

(٥) غرر الحكم / ٥٥٥.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله»[1].

من هنا فإنّ الذي يرى غيره مزاحماً لمصالحه المتلبّسة بثوب الدين فيحاول بلطائف الحيل (الشرعية!) أن يزيله عن طريقه ، فإنّما نسي الله واعتمد هواه ، فويل له ثمّ ويل له من الدنيا الغدّارة والضربات المفاجئة ودوران الأيّام والدهر الخؤون، وعذاب الآخرة أكبر.[2]

فالتسقيط هو مِن عمل الغافلين عن حساب الآخرة والجاهلين لسنن الحياة، ومن عمل الذين لم يرضوا بقسمة الله للأرزاق ولم يسلّموا أمرهم لله تسليماً قلبيّاً كاملاً .

وينبؤك ذلك عن نقصٍ لديهم في معرفة الله أو غفلة عن ذكر الله . يقول الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله»[3].

وهكذا فإنّ مَن يتيقّن بقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[4] فإنّه لا يفعل أمراً ولا يتفوّه بشيء إلّا ويراقب نفسه وينظر الىٰ العاقبة ، لأنّه يرى نفسه بين يدي الله الرقيب العتيد الذي (لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا لفظة ، ولا ازدلاف ربوة ، ولا انبساط خطوة ، في ليل داجٍ ، ولا غسق ساجٍ)[5].

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٢٥ .

(٢) راجع قصص التسقيط في كتابنا (قصص وخواطر).

(٣) بحار الأنوار : ج ٧١ ص ١٥٧ .

(٤) المجادلة / ٧.

(٥) من خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة / خطبة ١٦٣ .

إذن لماذا يعزب التسقيطيون عن حساب الله في عباده ويسخطون على ما لدى الآخرين من عطاء الله ، فيعقدون العزم على تدمير ذلك أو الاستيلاء عليه لأنفسهم حسداً من عند أنفسهم ، أليس هذا السلوك ينازع مشيئة الله ، ومن ينازع مشيئة الله يسقط في الوحل لا محالة. فليس للتسقيطي أن يبلغ مايريد وإذا بلغه لن يدوم طويلاً.

يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قوله : « كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه ويحقّر منزلته والحاكم عليه الله ... »[1].

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام : « من لم يرض بما قسّم الله عزّوجلّ اتّهم الله تعالى في قضائه »[2].

وقال أيضاً : « من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتّت أمره ولم ينل من الدنيا إلّا ما قُسّم له ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله تعالى الغنى في قلبه وجمع له أمره»[3].

---

(١) بحار الأنوار / ج٤٣ ص٣٥١.

(٢) بحار الأنوار : ج٧٨ ص٢٠٢.

(٣) بحار الأنوار / ج٧٣ ص١٧.



وفيه (١٢) بصيرة

على طريق الوئام والتقريب

والنقد البنّاء

البصيرة الأولى:

(الواقع وضرورة السعي للإصلاح)

تجنّباً من الرؤية المثالية المخملية المنفكّة عن واقع السنن الإلهية ينبغي القبول بالأمر الواقع، وهو عدم زوال ظاهرة التسقيط كليّاً، إذ ما دمنا في دار الدنيا لابدّ من الابتلاء والامتحان، وما دام بلاء الجهل وحبّ الشهوات والمصالح الذاتية تقوّي الهوى ضدّ العقل، فإنّ التسقيط يبقى من أدوات الباطل في صراعه ضدّ الحقّ، فما نريده في معالجته إذن لا يتجاوز المحاولة للحدّ منه فقط وخاصّة في الأوساط الإسلامية التي أفرطت فئات كثيرة منها في تعاطي هذا المرض الخطير خلال العقود الثلاثة الأخيرة حيث اشتبكت المصالح وتعدّدت الآراء والتحاليل السياسية واشتغلت عناصر الاستخبارات الدولية في التغلغل وصناعة المعارك الوهمية بين الجماعات الإسلامية خاصّة.

فالمنشود من سعينا على هذا الطريق هو التراجع عن الخطوط الحمراء إلى حدود القيم الإلهية بالتجنّب عن سيّئات التسقيط وتبعاته بأعلى نسبة ممكنة.

وتحدونا إلى هذا الطموح رغبة الأجر عند الله وامتثال أمره عزّوجلّ في العمل لإصلاح ذات البين الذي هو أفضل من عامّة الصلاة والصيام، إذ لا قيمة لهما مع القلوب المشحونة حقداً وبغضاً على بعضها، وما فائدة

صلاة وصوم مفرَّغتين عن أهدافهما الإلهية وغاياتهما التربوية النبيلة .

فمتى ما طهُرتِ القلوب وصلحتِ العلاقات الاجتماعية تعود القيمة الحقيقيّة للعبادات وتظهر الفائدة من صلاةٍ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، ومن صيامٍ تحجز عن المعاصي وتقوّي القلب بتقوى الله . أليس الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1]. وقال أيضاً : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

وترى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبر أنّ فساد ذات البين حالقةً للدين وزائلةً لحكمة الصيام والصلاة والصدقة ، حيث يقول صلى الله عليه وآله : « **ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ إصلاح ذات البين ، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة** »[3].

كما يعتبر الإمام الصادق عليه السلام الإصلاح والتقريب صدقة يحبّها الله تعالى .. حيث يقول : « **صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا** »[4].

ويصل الأمر في أهمية الإصلاح البيني ومعالجة النزاعات التسقيطية أنّ الإمام الصادق عليه السلام يأمر مفضّل بن عمر بقوله : « **إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي** »[5].

---

(١) الحجرات / ١٠.

(٢) النساء / ١١٥.

(٣) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٢.

(٤) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٢.

(٥) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٣.

وربما يتأذّى الوسطاء المصلحون من أطراف النزاع فيحجم بعضهم من هذا العمل الصالح ويحلف أن لا يلجّ في المصالحة بين المتنازعين، إلّا أنّ الإمام الصادق عليه السلام ينصح مثل هؤلاء الطيّبين بقوله: «إذا دُعيتَ لصلح بين اثنين فلا تقل عليّ يمين ألّا أفعل»[1]. ورد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

ولأهميّة الدور الإصلاحي وترميم النفسيات المُثقَلة بالخلافات يحثّ الإمام الصادق عليه السلام على بذل المساعي في الإصلاح حتّى ولو احتاج المصلح إلى شيء من الكذب وهو ليس بكذب عند الله، يقول عليه السلام: «الكلام ثلاثة صِدْق، وكذب، وإصلاح بين الناس ... تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول: سمعتُ من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»[3].

وكذلك يستعيد المصلحون أنفاسهم وترتفع معنوياتهم حينما يقرؤون ما قاله الإمام علي عليه السلام: «من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور» و«مَن استصلح الأضداد بلغ المراد»[4].

فما نسعى إليه ونطمح بلوغه أيّها القارئ الكريم هو الإصلاح ما

---

(١) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٣.

(٢) البقرة / ٢٢٤.

(٣) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٤.

(٤) ميزان الحكمة / ج٥ ص٣٦٤.

استطعنا ، ولا يتحقّق ذلك اذا جهلنا آفاته ، وليس أضرّ آفة على الإصلاح من مرض التسقيط . فلابدّ من عدم اليأس في هذا الطريق الوعر، حفظنا الله وإيّاكم من زلّاته ونحن نعي الحديث الشريف جيّداً: «**أفضل الأعمال أحمزها**» ـ أي أصعبها وأشدّها ـ .

هذا ولكي لا نصبح من الذين قال عنهم الرسول ﷺ : « **بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، بئس القوم قوم يمشي المؤمنون بينهم بالتقيّة** »[1] فإنّ علينا الاستقامة في إصلاح أنفسنا والآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

---

(١) تفسير أبو الفتوح / ج١ ص٥٣٣ .

البصيرة الثانية :

(فرق البدعة والإبداع)

لا يقول قائل كيف يجوز السكوت عن البدعة ومروِّجيها ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : « **إذا ظهرت البدع في أُمّتي ، فليُظهِر العالِم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله** »[1].

لأننا نقول :

أوّلاً.. قال الحديث : (فليظهر العالم علمه) لا أن يسقط الطرف الآخر جملةً وتفصيلاً ويخرجه عن الدين ويصادر منه إيجابياته كلّها لبدعة ظهرت في آرائه . فالحديث يطلب إظهار العلم لتفنيد تلك البدعة فقط لا التشكيك في كل شيء يرتبط به ، فلابدّ إذن من تحديد مساحة النقاش ومحلّ النزاع مع الطرف الآخر . فلو اعتقدنا بخطأ شيء من أشياء الآخرين ندينه في ذلك الشيء ولا نعتدي على أشيائه الأُخرى .

ثانياً : مَن يشخّص البدعة المحرّمة عن الإبداع الحلال ؟! هنا يقع البعض في المصيدة عندما يخلط بينهما ولا يخرج إلّا بالميل إلى التسقيط والتعرية والتشهير إرضاءً لحسّ الانتقام والتشفّي والطبيعة الشرّيرة في النفس . فلكي يأتي التشخيص دقيقاً يجب تحرّي الحقيقة وبالدقّة المسؤولة .

---

(١) أُصول الكافي / ج١ ص٥٤ .

ثالثاً: إن موارد الخلاف بين علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ وهو موضوع بحثنا ـ ليست من موارد البدعة بل غالبيتها علىٰ الإطلاق من موارد الرأي الاجتهادي مقابل الرأي الآخر في باب التطوير والتطبيق، فليس هناك خروج علىٰ ضرورات المذهب الحق كي يستحقّ كلّ ذلك الكيل الذي يوجّهه التسقيطيون ويزايدون فيه إلى حدّ اتّهام الآخر بالخروج عن الدين والمذهب.

رابعاً: إنّ إظهار العلم في الردّ على البدعة، يعني الردّ العلمي وليس التجاوزات الأخلاقية والتكفير والتفسيق، لأنّ أُموراً كهذه تفتح أبواب المواجهة وبها تتصاعد موجة الخلافات وربما العنف والغلظة وتختلط الأوراق وينفذ بينها أعداء الأُمّة لمآربهم. بينما من الممكن تفادي المواجهة وتبعاتها من خلال الجدال بالتي هي أحسن، ومن خلال الرفق واللين والحوار والتفاهم وروح الأُخوّة وسموّ البسمة. أليس الله يخاطب رسوله صلى الله عليه وآله: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(١).

والنبي صلى الله عليه وآله يقول: **« إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلّا زانه، ولا نُزِع من شيء إلّا شانه »**(٢).

ويقول الإمام علي عليه السلام: **« عليك بالرفق فإنّه مفتاح الصواب وسجيّة**

---

(١) آل عمران / ١٥٩.

(٢) ميزان الحكمة / ج٤ ص١٥٦.

أولي الألباب »[1].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : « إنّ الله عزّوجلّ رفيق يحبّ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف »[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « إن شئتَ أن تُكرَم فَلِنْ ، وإن شئتَ أن تُهان فَاخْشَن »[3].

من هنا فإنّ العنف والتسقيط والإهانة واللعن والشتيمة ليست أدوات كفيلة بالنجاح في ردّ البدع ، بل هي أدوات تأجّج الصراع فتتوالد منه الإنحرافات وتتوالد بعده بدع أُخرىٰ . فالحلّ هو النقاش العلمي الموضوعي واستخدام لغة موضوعية أخلاقية جذّابة ، بهذا يظهر علم العالم الربّاني الحكيم الذي لا يريد التشفّي والغلبة على الخصم واستثارته وإنّما يريد هدايته واستمالته إلى دين الحقّ والرأي السديد، اقتداءً بالإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يكن يطلب النصر بالجور والوصول الى الحكم بسلاح العنف، وهو الشجاع الذي كان يمكنه القضاء على البدع بالسيف لولا مبادؤه الرسالية في اتخاذ الوسيلة الرسالية كذلك.

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ ص١٥٧ .

(٢) ميزان الحكمة / ج ٤ ص١٥٨ .

(٣) ميزان الحكمة / ج ٤ ص١٦١ .

البصيرة الثالثة :

(الجهاد والبراءة بالطريقة المقلوبة!!)

رُبَّ سائلٍ يثير سؤالاً هنا مفاده : أين إذن فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أليس ذلك يعني العنف والقتال والشدّة والهجوم والبسالة والتحدّي والحالة الثورية؟ فهذا هو التسقيط لمن نختلف معه والمنع من تأثيره في الناس !

الجواب : إنّ الجهاد ليس في وجه أخيك ومنافسك ومن يشترك معك في كلّ شيء إلّا في (بطاقته الشخصية) وأسماء الأُطر والمراكز التابعة له أو التي يحضرها ويتعاون معها .

وأمّا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلها شروط مدوّنة في الرسائل الفقهية لمراجع التقليد .

وما نحن فيه من بحث التسقيط ـ حيث نعبّر عنه بأنّه معصية كبيرة وظاهرة خطيرة من تخلّف الأُمّة ـ هو النزاع الذي نهانا عنه ربّنا تعالى وحذّرنا من نهايته الأليمة وهي الفشل وذهاب الريح والمهابة والقوّة المعنوية . فشتّان بين هذا والجهاد الذي فرضه الله لردّ المعتدين والكفرة المقاتلين ، وبين هذا وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أوجبها الله ضمن مراتب لإصلاح ما فسد من أُمور المسلمين .

وبعبارة أُخرى إنّ الإنقلاب الحاصل في الآية : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١] عند التسقيطيين يجب تعديله لنكون بالفعل رحماء بين أنفسنا وأشدّاء على أعدائنا الحقيقيين، فقد قال ربّنا تعالى في وصف المؤمنين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

إنّ المأساة مع التسقيطيين أنّهم خلطوا بين الصديق والعدو ، فهم يخدمون العدو بالتهجّم على الصديق ويمارسون الإستبداد ويدّعون الحقّ كما يمارسه ويدّعيه المستكبرون . السعي لابدّ أن يرتكز لإزالة الفرق بين اخوة تسقيطيين وأعداء مستكبرين ؟!

وهكذا فمحاربة المسلم والعالم والجماعة الإسلامية المنافسة بالتسقيط والتشهير يكون شيئاً ، ويكون الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فرائض مقدّسة شيء آخر .

إنّ الله عز وجل لم يفرض إسلامه على الناس ، فمن أنا ومَن أنت لنفرضه على اخوان يختلفون معنا في الفروع وفروع الفروع وقد أجاز الاسلام لنا ولهم الإبحار في محيط الحريّات والمباحات الواسعة وهي أصالة ثابتة يعتمدها الفقهاء في الفقه وأصوله؟! أما قال الله تعالى لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

ولننظر إلى موقف الإسلام من المشرك غير المحارب :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

---

(١) الفتح / ٢٩.

(٢) يونس / ٩٩.

مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فمن الجهل والسذاجة أن يندفع المسلم في وجه أخيه (المختلف معه في الرأي أو التقليد المرجعي) ثم يصبغ مواجهته بصبغة الجهاد المقدّس وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهذا توظيف جائر لهذه الفريضة العظيمة من أجل حماية الذات والانتصار لجهة الانتماء والإطار واللون . ونقول ذات الجواب فيمن يواجه أخاه المسلم (من توجّه آخر) مواجهة تسقيطية بحجّة البراءة من المشرك والفاسق !

أين هذا الحكم ـ حكم البراءة ـ من هذا المورد ـ مورد التعدّدية في الآراء بين المراجع والعلماء والعاملين ـ ؟

فمن الخطيئة وكبائر الذنوب ممارسة حكم شرعي في غير مورده وموضوعه ، ومن الخطأ المدمّر أن نظل أسرى المغالطات التي صنعناها في أذهاننا بغير حجّة قطعيّة من الله والنبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام.

يقول الله تعالى في محكم خطابه الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2].

أليس هذا الخطاب القرآني يقصد المؤمنين جميعاً ، ودعوتهم للدخول إلىٰ مدينة السلم والسلام مفتوحة لهم ما داموا بالإيمان موصوفين؟!

فلماذا تخصيصها بجماعة خاصّة وزحزحة الآخرين عنها وإخراجهم منها؟!

---

(١) التوبة / ٦.

(٢) البقرة / ٢٠٨.

ولماذا تجاهل التحذير من اتّباع خطوات الشيطان ، إنّها خطوة بالجهل فخطوة بالغيبة ثمّ خطوة بالبهتان ثمّ خطوة بالنميمة ثمّ خطوة بالمقاطعة ثمّ خطوة بالقتل . فهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السير على هذه الخطوات؟!

ولقد جرت هذه الخطوات بين المسلمين في افغانستان وباكستان ولبنان والعراق حيث وصلت إلى سفك الدماء وهم مجاهدون ـ حسب الزعم ـ وفي غيرها من البلدان ـ كدول الخليج مثلاً ـ ، لو كانت بأيديهم أسلحة لما تخلّفوا عن ركب أُولئك القوم بالتأكيد.

فالتسقيط إذن فتنة الشيطان يغري به المؤمنين والمسلمين ويستدرجهم بتلك الخطوات تحت غطاء الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن القيادة ، حتّى يستحكم بينهم العداوة والبغضاء ويحطّم من ورائهم جسور العودة كلّها .أهذه النتيجة هي المنشودة من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودولة الشريعة ؟!

أجل ليس أمامنا طريق إلّا التجرّد عن الأهواء والتسليم لما أراده الله منّا، فعلينا أن نعرف بأنّ للدخول إلى جنّة الأُخوّة آداباً وشروطاً ، منها :

١ ـ أن يتخلّىٰ الانسان عن عنف اللسان . قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[1].

---

(١) الحجرات / ١١.

٢ ـ أن يتخلّىٰ عن عنف الفعل والعمل . قال الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾[1] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2].

وحتّى في التعامل مع غير المؤمنين أعني المسلمين الظالمين ، وكذلك مع غير المسلمين وأعني المشركين والوثنيّين ، ترى الإسلام يمنعنا من عنف اللسان وعنف العمل ، ففي الفئة الأُولى يقول الإمام علي عليه السلام لأصحابه لمّا أخذ بعضهم يسبّ أصحاب معاوية في معركة صفّين : « إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم ، وأهدهم من ضلالتهم ، حتّى يعرف الحقّ مَن جهله ، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَن لهج به »[3].

ويُذكَر أيضاً أنّ الإمام عليه السلام ما كان يرضى تسمية مخالفيه بالكافر أو المنافق أو المشرك .

وأمّا في فئة المشركين والوثنيّين فإنّ الله عزّوجلّ يقول : ﴿وَلَا تَسُبُّوا

---

(١) الفرقان / ٦٣.

(٢) لقمان / ١٨ ـ ١٩.

(٣) نهج البلاغة ، شرح محمّد عبده / ج٢ ص٤٦٩ .

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

فأين لغة البراءة ؟!

وأين لغة العنف والبذاءة ؟!

وأين لغة المقاطعة ؟!

وإذا كان التسقيط جهاداً وبراءةً مشروعة فلِمَ أمرنا رسول الله ﷺ بمكارم أخلاقه العظيمة: « **تصِلْ مَن قطعك ، وتعطي مَن حرمك ، وتعفو عمّن ظلمك**»[2].

ولِمَ كان ﷺ يحترم غير المسلمين حتى اهتدوا بأخلاقه الكريمة الى الإسلام؟!

أليست هذه مبادئ أخلاقية راقية وشامخة في اللّاعنف والعقلانية الإسلامية والسلوك الأخلاقي الرائد، وإنّما يمارسها المسلم مع المسلم الخاطىء ؟ فكيف بالذي خطؤه لم يثبت برأي المعصوم وإنّما نَسَبَه إلى الخطأ مسلمٌ مثله لا يمتاز عليه بوثيقة من السماء ولا رسالة من الناحية المقدّسة، فلا يختلف حاله عنه بشيء يجيز له الحذف والتسقيط لمنافسه، فهو ـ أي التسقيطي ـ أيضاً قد يخطأ في أشياء أُخرى فيتساوى مع أخيه الخاطئ ؟.

فإذا جاز التسقيط بدليل الجهاد والتمسّك بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا، جاز لذاك أيضاً، وعليه فلا يبقىٰ مجال للحوار

---

(١) الأنعام / ١٠٨.

(٢) تحف العقول / ص٧.

والتفاهم وإرساء قواعد السلم والأُخوّة والدعوة الى الأخلاق، ثم لن تكون للدين باقية في حياتنا ، لأنَّ الجميع يكون في حال (الجهاد!!) وبالطريقة المقلوبة!! وهذا ما يحلم به الكفّار والمشركون ويتمنّاه المستعمرون.

البصيرة الرابعة :
(حوار الحضارات والأولوية الغائبة)

حينما نرفع شعارنا الإسلامي الرائع (حوار الحضارات) هل نعي ضروراته العملية أم نريد به الضحك على ذقون أنفسنا والآخرين؟!

بالتأكيد لا نريد هذا الأخير ، إذن فلابدّ من الوعي بضرورات تلزمنا بها في ميادين العمل والإنجاز لإثبات كوننا حضاريين بالحوار والتعايش واحترام الآخرين من غير المسلمين .

والسؤال : إذا كان هذا هو المطلوب مع الشعوب ذات الحضارات الأُخرى من غير المسلمين ، فلماذا لا نطبّقه مع أنفسنا أولاً ؟!

أما قال الله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[1]؟

إذن تعالوا لنتعارف ونقرأ بعضنا البعض ونؤسّس تجربة الحوار الداخلي كي ننجح بعد ذلك في تجربته مع غير المسلمين، ونحن نتلو عليهم قول ربّنا سبحانه: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ**

(١) الحجرات / ١٣.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

وقول ربّنا تعالى : **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[2].

وقوله عزّ وجلّ أيضاً : **﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[3].

أجل.. هذه دعوات قرآنية للحوار السلمي مع غير المسلمين ولكنّنا أَوْلىٰ بها في داخلنا يامسلمون ! قبل أن يشملنا قول الله عزّوجلّ : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**[4].

وهل مع انعدام الحوار الداخلي يبقى لنا ما نريد قوله لأصحاب الحضارات والأديان الأُخرى ؟

كلّا .. لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه. ولأن الذي لا يستوعب الأقربين كيف يستوعب الأبعدين ؟!

إذن دعوة الحوار معهم تكون مهزلة ولا تتجاوز عن الضحك على الذقون . فالمطلوب معالجة هذا التناقض ، لأنّ للحوار مع الآخرين

---

(١) البقرة / ٢٥٦.

(٢) يونس / ٩٩.

(٣) الممتحنة / ٧.

(٤) الصفّ / ١ـ٢.

أخلاقية ثابتة وآلية واضحة وآداب جذّابة ولها عمق في الإسلام وثـمار طيبة في الجنّة . تلك ما ذكرها الإمام الصادق عليه السلام لنا قائلاً : « **إنّ لأهل الجنّة أربع علامات ، وجه منبسط ولسـان لطـيف وقـلب رحـيم ويـد معطية**»[1]. وهي علامات يسلكها الناجحون في الحوار والانفتاح والبناء وفق التجارب الجديدة وتنتهي بهم إلى جنّة الإخاء والاتّحاد فـي الدنـيا وجنّة السعداء في الآخرة .

ولا أدري إن كانت هذه العلامات متوفّرة لدى جماعات التسقيط ومن يدعو منهم إلى حـوار الحـضارات أم هـي عـلامات مـعلّقة فـي الهـواء وشعارات لتضليل البسطاء ؟!

والغريب أنّهم يتحاورون الجهات التـي سـفكت دمـاءهم أو أفسـدت مجتمعهم ولا يتحاورون إخوة لهم اختلفت آراؤهم في مسائل لم تصل إلى حدّ الذي وصل مع تلك الجهات . ينبغي إذن التحضير للحوار الداخـلي تمهيداً للحوار الخارجي ، لأنّ الأولوية هي للحوار الغائب .

---

(١) مجموعة ورّام / ج٢ ص٩١.

البصيرة الخامسة:

(ماذا يعني نقد الذات)

لنتعلّم نقد الذات ، ونجعل البداية في ذلك هي الشجاعة ، وقبلها هو الإخلاص لله تعالى والنظر إلى الآخرة يومَ تُبلىٰ فيه السرائر ويكون الشاهد فيه هو الله العالم بكلّ شيء الذي إن يك مثقال ذرّة يأتي بها ثمّ يقضي قضاءً عادلاً وينفّذ الحكم سريعاً . إنّ الإخلاص هذا يثمر الشجاعة في إصلاح النفس وتجاوز المصالح الذاتية .

ولكن ماذا يعني نقد الذات ؟

نقد الذات هو نبذ الخطاب الاستعلائي على الآخرين واجتناب النظرة الفوقية والوصاية عليهم .

نقد الذات يعني محاسبة النفس ومعاقبتها ومراقبة السيرة الذاتية ومواكبة المسيرة الإلهية والطاعة لرسولها الأمين والتسليم لأئمّتها الهداة الطاهرين .

نقد الذات يعني قول الإمام الجواد عليه السلام : « **المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه ، وقبول ممّن ينصحه** »[1].

---

(١) تحف العقول / ص٤٥٧ .

نقد الذات يعني ترك اللجاجة التي يقول عنها الإمام علي عليه السلام : «اللجاجة تسلّ الرأي »[1].

نقد الذات يعني وعي هذه الحِكَم المتلألئة الواردة على لسان الأئمّة عليهم السلام :

قال الإمام علي عليه السلام : « من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه »[2].

وقال عليه السلام : « غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة»[3].

وقال أيضاً : « العاقل مَن اتّهم رأيه ولم يثق بكلّ ما تسوّل له نفسه»[4].

وقال الإمام علي عليه السلام : « ليكن أحبّ الناس إليك مَن هداك إلى أمر أرشدك وكشف لك عن معايبك »[5].

وقال أيضاً : « ليكن آثر الناس عندك مَن أهدى إليك عيبك وأعانك على نفسك »[6].

وقال الإمام الجواد عليه السلام : « قد عاداك مَن ستر عنك الرشد اتّباعاً لما تهواه»[7].

---

(١) الحياة / ج١ ص١٥٩.

(٢) غرر الحكم / ٢٧٣.

(٣) غرر الحكم / ٢٢٣.

(٤) غرر الحكم / ٤٤.

(٥) الحياة / ج١ ص١٧١.

(٦) الحياة / ج١ ص١٧١.

(٧) بحار الأنوار / ج٧٨ ص٣٦٤.

وقال الإمام الهادي عليه السلام : « من رضي من نفسه كثُر الساخطون عليه»[1].

وقال عليه السلام لبعض أصحابه : « عاتِبْ فلاناً وقُل له إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل »[2].

ولنا أن نجتهد وفي كل الأحوال لبناء سلوكنا على أساس تشريح الذات بين يدي العقل والوعظ والتواضع، وإن لزم بعد التشريح جلدها وتأديبها كما يؤدّيه الدعاء والمناجاة وصلاة الليل وكثرة الاستغفار، حيث فيه مجاهدة النفس لتحصيل روح الخشية والخشوع، حتى يصل الخاشع في تواضعه للحق وأهله درجةً يرى غيره أحسن منه ، ويخاطب ذاته : ما يدريك فلعلّ الله قد أخفىٰ عبداً مخلصاً له في هيئة ظاهرية لا تعجبك .

وهكذا حينما يروّض الانسان نفسه على حُبّ الله وطاعته فسيخضع لحبّ الآخرين باعتبارهم عباد من مخلوقات الله، ثم ينتقد نفسه ويحاكم ذاته كلّما تجرّأت بالإعتداء على حقوقهم وإساءة الظنّ بهم لكون ذلك يسخط الله.

وإذا أدركنا جيّداً أنّ الذات المحصّنة والأنا المعصومة هي العقبة الكؤودة أمام الخضوع لله الحق ومسيرة التفكّر والتطوّر والتنقيح والبحث والتقدّم ، فإنّنا ننهض بوجه ذاتنا ولا نعتقد بحصانتنا الذاتية وبعصمة أنفسنا، وبعدها تأتي القناعات أكثر نضجاً وتكاملاً وخلواً من النقص

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٢ ص٣١٥.

(٢) الحياة / ج١ ص١٧٤ .

والخلل والنزعة الهجومية والعدوانية والحذفية للآخرين.

قال الله سبحانه : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[1] لأنّ الذي ينتقد نفسه بإخلاص وشجاعة يفكّها من العقبات الحائلة بينه وبين الحقائق أوّلاً لينفتح على الآخرين ، فلا يلغيهم من دون قراءتهم قراءة منصفة لوجه الله . إنّها حقّاً لعملية شاقّة وجهاد أكبر ، تتطلّب الإقتحام على الأنا بقوّة المتوكّلين على الله . والتوكّل لا يمنحه الله أحداً إلّا إذا بدأ مع نفسه رحلة التغيير الجادّ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

فالنفس هي منطقة الخطر ، إن طوّقتها ارتفع الخطر وإلّا دمّرتْك ودمّرتْ مَن حولك وما حولك وجعلت عاليك سافلك !

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **من لم يكن له واعظٌ مِن قلبه وزاجرٌ مِن نفسه ، ولم يكن له قرينٌ مُرشِد ، استمكن عدوّه من عُنُقه** » .

فمن الصواب أن لا يمكّن الإنسان عدوّه من عنقه ، ولكن كيف يتمّ له الانفلات من هذا العدو ؟

إنّه عبر نقد الذات وجَلْد الهوى والرياضة النفسية واكتساب الصفات الحسنة والنزول إلى هذا المبدأ الأخلاقي الرفيع « **أحبب لأخيك ما تحبّ لنفسك** » .

ولكن النفس اللاهية تدفع صاحبها الىٰ حب الذات وتريد كل شيء لها ،

---

(١) البلد / ١١ ـ ١٢.

(٢) الرعد / ١١.

فلا تعي المـناقبيات وصـفات الايـثار والتـفاني والتـراحـم والتسـامح. ولخطورة هذه النفس كان يدعو رسول الله ﷺ ربه تعالىٰ : « **اللـهمّ لا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين أبداً** » .

فإذا اقتحم الإنسان عقبة نفسه وتجاوز حدود ذاته متجرّداً عن هـواه فقد خرج من سجن الأنانية الضيّقة إلى رحاب الإيثار وحلاوة التفاني في ذات الله وخدمة عباد الله، حتّى يبلغ درجةً يقول عنها الإمام علي عليه السلام : «**إنّ من فضل الرجل أن ينصف من نفسه ويحسن إلى من أساء إليه** »[1]. ويقول كذلك ما تجب كتابته بماءٍ من ذهب : « **وجدتُ في قائم سيف من سيوف رسول الله ﷺ ـ مكتوب ـ صِل مَن قطعك ، وقُل الحقّ ولو على نفسك، وأحسِنْ إلى مَن أساء إليك** »[2].

وهل الإنسان الذي تعوّد لسانه على الغيبة والبهتان والتسقيط والتشهير يتّصف بهذه الصفات الأخلاقية النبيلة ؟!

لا يمكنه ذلك ما لم يستلّ من جريمة التسقيط ويغيّر سلوك الحـذف والإلغاء جاعلاً رضا الله تعالى هو الغاية الأسمى لحياته في الدنيا. فـمعاً أيّها المؤمنون إلى العاقبة الحسنى .

---

(١) غرر الحكم / ٢٢٥.

(٢) مجموعة ورّام / ج٢ ص١٥٦.

البصيرة السادسة :

(العفو والحلم ثقافة أهل البيت عليهم السلام)

ممّا لا يقبل الجدال والنقاش ، أنّ مجتمعاتنا اليوم في ظلّ الهـجمات الاستكبارية الشاملة تحتاج إلى ثقافة الحلم والتعافي والتسامح والتغاضي أكثر من الماضي ، فما أجدر بالمؤمنين أن يطبّقوا قول ربّهم عـزّوجلّ : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْـمُحْسِنِينَ﴾[1].

وأن يتذكّروا دائماً حديث الإمام الباقر عليه السلام : « **مَن كظم غـيظاً وهـو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة** »[2].

ويُروىٰ أنّ علياً أمير المؤمنين وأُسوة الصادقين عليه السلام لمّا قاوم أعـداءه في حرب الجمل وانتصر عليهم كان يستطيع أن يؤسرهم جميعاً لكنّه لم يفعل ذلك وحين كان يتفقّد أحد مراكزهم صاحت في وجـهه نسـاؤهم وواجهنه ببذيءِ الكلام، فخاطبته (صفية بنت عبدالله بن خلف الخزاعـي) بقولها : ياقاتل الأحبّة يامفرّق الجماعة أَيَّمَ الله نساءك منك كـما أيّـمتَ نساءنا (أي رمّلتهن)، وأيتم الله بنيك فيك كما أيتمتَ أبناءنا من آبـائهم . فوثب الناس إليها (ليؤدّبوها) فقال لهم الإمام عليه السلام : كفّوا عن المرأة. فكفّوا

---

(١) آل عمران / ١٣٤.

(٢) الكافي / ج٢ ص١١٠.

عنها . ثمّ قال لها عليه السلام : لو كنتُ قاتل الأحبّة لقتلتُ من في هذه البيوت . فَفُتِّش فكان فيها مروان وعبدالله بن الزبير. وهما من قادة الفتنة التي بدؤوها .

وموقف آخر من أسمى المواقف الأخلاقية نقرؤه في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنّه عليه السلام سمع رجلاً يشتم قنبراً ـ مرافقه الخاصّ ـ وقد رام قنبر أن يردّ عليه ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : «مهلاً ياقنبر دَعْ شاتمك مهاناً ، تُرضِ الرحمٰن وتُسخِط الشيطان وتُعاقِب عدوّك ، فوالذي فَلَقَ الحَبّ وبرأ النسمة ، ما أُرضي الربُّ بمثل الحلم ، ولا أُسخِط الشيطان بمثل الصم ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»[1].

هذه أخلاقيات قادتنا الأبرار الذين أُمرنا بالتشيّع لهم والتأسّي بهم والإقتداء بنهجهم . فكم لدينا مواقف تشبه مواقفهم ولو نسبيّاً ؟!

دعنا عن الأُمور السياسية والموقف التسقيطي من المنافسين في العمل الديني والاجتماعي والسياسي ، فهل مع الزوجات والأطفال والأقربين نقف مثل مواقف أئمّتنا ولو بعض الشيء ، أم نردّ الصاع صاعين بمجرّد حصول اصطكاك في الرأي واختلاف في فهم شيء من الأُمور الفرعية في الحياة الزوجية والأُسرية ؟!

لقد علّمنا أئمّتنا عليهم السلام بأقوالهم وأعمالهم بأنّ الحلم يمثّل قمّة التسامي على السفاسف ، وأنّ العفو عن المسيئين يعني القفز إلى العظمة ، وأمّا التسامح فهو اعتراف بحقّ الآخرين في التفكير وتذوّق الحرّية وحرية

---

(١) بحار الأنوار /ج٧٤.

الاختيار خاصّة . إذن فلننظر بتجرد عن الأهواء والأحكام المسبقة، ولننظر بعدها كم تصبح صورة حياتنا والعلاقات بيننا وبين الآخرين جميلة لو اعتمدنا فيها تلك القيم النبيلة من مبادئ الحلم والعفو والتسامح؟

حقاً ، ما أجملها تلك الصورة وما أحلى الحياة معها والسير إلى خاتمتها الحسنى بقلب مفعم بالحبّ والرضا وبنفس مطمئنّة تنتظر نداء ربّها للدخول إلى الجنّة . فهذه هي نفس المؤمن الذي ليس على ظهره وِزْر الظلم لأحد ، ولا تثقل ظهره حقوقُ الناس ، ولا ما يوجب عذاب القبر.

ألا هكذا يفوز المخفّون .. ألا هكذا ربح الناجحون. إنهم هم المتّقون الذين وصفهم إمامهم في نهج البلاغة قائلاً : « **عَظُم الخالق في أنفسهم فصغُر ما دونه في أعينهم ... فهم والجنّة كمن قد رأوها وهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رأوها وهم فيها معذّبون** »[١].

إنّ هذا هو أساس البناء والقاعدة التحتية الصلبة التي يقف عليها وينطلق منها المحبّون السلميّون الايجابيون ، فلا ترى لهم حضوراً في المعارك الجانبية ولا عراكاً لأجل المصالح الدنيوية ولا نزاعاً على مساحات التأثير والواجهات السياسية والمراكز الاجتماعية والدينية . أوقاتهم وأعمارهم أغلى وأسمى من صرفها لأجل صراعات يكون الغالب والمغلوب فيها سيّان في الوبال والهزيمة والخسران ، ولدى ساعة الاحتضار يعرف الحدّيون والتسقيطيون والعصبيّون أنّهم كم كانوا

(١) ـ نهج البلاغة / خطبة المتقين.

يحتاجون لهذا العمر أن يصرفوه في أعمال أُخرى هي الصالحات الباقيات، وكم كانت الغفلة عن ساعة الرحيل الصعب ومتطلّباتها الحقيقية قد فوّتت عليهم الفرص في الدنيا. حتى اذا وُضع أحدهم في القبر:

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] ﴿كَلاَّ بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً * كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[2]. وقال تعالى عن أحوال أهل النار : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[3]. وهل ياتُرى يشتغل في الحدّيات وتأجيج نار الخلافات مَن فَهِمَ عُمق ما قاله النبي ﷺ : « **لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة** »[4].

العمر مرّة واحدة ـ أيّها القاريء العزيز ـ فلا يعود أحد إلى الحياة الدنيا بعد الموت ، فكيف نستفيد منه قبل إنتهائه بسكتة أو حادثة أو طلقة نارية؟

---

(١) المؤمنون / ٩٩ـ ١٠٠.

(٢) الفجر / ١٧ـ ٢٤.

(٣) المدّثر / ٤٢ـ ٤٥.

(٤) المحجّة البيضاء / ج٥ ص٣٥٩.

يعلّمنا أمير المؤمنين عليه السلام منهج الاستفادة من أعمارنا قائلاً : « إنّكم إن رغبتم في الدنيا أفنيتم أعماركم فيما لا تبقون له ولا يبقى لكم »[1].

إن هذه الرؤية الإيمانية والاعتقاد الغيبي تساندنا بقوّة للتخلّق بأخلاق الحلماء والمتعافين والمتسامحين ، وتجعلنا لا نتحسّس من الآخرين باتّجاه تسقيطهم ، أصابوا أم أخطؤوا ، تقدّموا أم تأخّروا ، أطاعوا أم أذنبوا، أحبّونا أم أبغضونا ، مدحونا أم اتّهمونا ... كل ذلك لا يهمّ إذا كان الله معنا وكان راضٍ عنّا واعتقدنا أنّ الأُمور تجري بعينه وتحت رقابته الخفيّة والدقيقة وهو القائل في محكم خطابه الكريم :

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[2] **﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾**[3] **﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾**[4] **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾**[5].

ونعود نؤسّس على هذه العقيدة لنقول ما قاله أمير المؤمنين ومولى الموحّدين علي عليه السلام : « **ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة ـ أي الدنيا ـ لأهلها ! إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها** »[6].

---

(١) غرر الحكم / ٢٩٢ .

(٢) الجنّ / ٢٨ .

(٣) الكهف / ٤٩ .

(٤) المجادلة / ٦ .

(٥) النبأ / ٢٧ ـ ٣٠ .

(٦) بحار الأنوار / ج٧٣ ص١٣٢ .

فالحلم جهاد النفس ، والعفو عن الآخرين صفة الأسخياء ، والتسامح سلوك الذين تساموا على ضيق الدنيا وحلّقوا في سعة الآخرة وفضاء الجنة، وتلك من أخلاق الله في تعامله مع المؤمنين والمشركين في هذه الحياة بلا فرق. فهلّا تخلّقنا ونحن في هذه الحياة أيضاً بأخلاق الله وحذّرنا أنفسنا من الصرامة والحديّة والبغضاء والتمادي ضدّ إخوان لنا في الدين ونظراء لنا في الخلق؟!

وهلّا تخلّينا عن ممارسة حقٍّ لم يجعله الله لنفسه ، فمن نحن والانتقام ، ومن نحن والتشفّي ؟!

أجل .. بكل تأكيد يمكن التخلّق بهذه الأخلاق الالهيّة اذا أوجبنا علىٰ أنفسنا الصبر في التعايش مع بعضنا وتحمّلنا ما خَلَقه الله فينا وفي غيرنا من أطوار تتفاوت عن أطوارهم ، أليس الله تعالى قال في محكم كتابه الكريم : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1].

فالفتنة هي الامتحان ، والحكمة منه أن يرانا ربّنا تعالى في معاشر الصابرين ليدخلنا جنّاته بغير حساب ـ كما وعد ـ وهذا هو تفسير قوله تعالى في وصف المؤمنين حقّاً : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2].

وما أروع ما قاله أُسوتنا في الرحمة والحلم والتسامح والانفتاح ، رسول ربّ العالمين ﷺ : « غريبتان ، غريبة كلمة حِكَمٍ مِن سفيه

(١) الفرقان / ٢٠.

(٢) الشورى / ٣٧.

فاقبلوها ، وكلمة سفهٍ مِن حكيم فاغفروها »[1].

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله لوصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام : « ياعلي ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة ، أن تعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم عمّن جهل عليك »[2].

وهذا ما لا يستطيع إليه أحدٌ سبيلاً إلّا من اجتمعت فيه صفة المودّعين لزخارف الدنيا والزاهدين عن لذّاتها.

ذات مرّة جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله عِظْني وأوجِزْ !

فقال صلى الله عليه وآله : « إذا صلّيتَ فصلّ صلاة مُودّع ، ولا تُحدّثن بحديثٍ تعتذر منه غداً ، واجمعِ اليأس عمّا في أيدي الناس »[3].

ولكنّ مشكلة الذين لا يتسامحون هي حبّ (الكراسيّ) التي استراحوا عليها، والفوائد الشخصية الكثيرة التي من الصعب تركها.

فياليت هؤلاء الذين قد يعزّون للإمام الحسين عليه السلام وقد تدمع أعينهم عند الاستماع إلى مصائبه الأليمة التي جرت عليه وعلى عياله وأصحابه في كربلاء .. أن يقرؤوا كلمة الإمام الحسين عليه السلام هذه: « إنّ أجود الناس مَن أعطى مَن لا يرجوه ، وإنّ أعفىٰ الناس مَن عفا عند قدرته ، وإنّ

---

(1) بحار الأنوار / ج٧٧ ص١٧٥ .

(2) وسائل الشيعة / ج١١ ص١٤٠ .

(3) المحجّة البيضاء / ج٦ ص٥٢.

أوصل الناس مَن وَصَلَ مَن قطعه »[1].

وهل إذا قرؤوها عملوا بها وتركوا أخلاق يزيد بن معاوية في (المقاطعة) و (التحزّب) و (التسقيط) !؟

هذا هو المأمول ، وما على الله بعسيرة هدايتهم إن فتحوا لها قلوبهم ووفّقنا معهم!

ولكنّك كم تتأسّف عليهم حينما تقارن بينهم وبين الخبر التالي.. قبل أيّام تحدّث لي صديق قادم من (نيوزيلند) أنّ مسيحيين سمحوا للمسلمين المهاجرين (الشيعة) إلى منطقتهم أن يستفيدوا من إحدى كنائسهم لممارسة شعائرهم الإسلامية ـ أيّام محرّم الحسين ـ ريثما يستطيعوا الحصول على مكان خاصٍ بهم.

وفي صالة الانتظار بمطار (أمستردام) ـ هولندا ـ خُصِّص مكانٌ للمسافرين المصلّين ، يقول لمّا دخلته للصلاة رأيت المكان مثل مساجدنا، فيه المصاحف وكتب الأدعية وحتّى التربة الحسينية لمن يريدها!

أخي القارئ .. إذا استوعبت هذيْن الخبريْن إبدء في المقارنة بينهما وبين ما نجده في بعض مجتمعاتنا ـ كالبحرين مثلاً ـ حيث يمنعون علماءً لهم مكانتهم عند الكثيرين أن يرتقوا منبراً في حسينية منطقته لمدّة ساعة! والحسينية وقف عام وليست ملكاً خاصّاً، ولم يكتفوا بذلك بل إذا دُعي هذا العالم إلى مكان آخر بعثوا من يفتّن عليه ويمارسون المكر السيء

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ ص ٤٠٠.

ضدّه من نشر الأكاذيب أو أعلنوا مجلساً في نفس الساعة ليضعّفوا الحضور عنده ! ياله من خبث السريرة ، ويا لمأساة التخلّف !! ولبئس ما هم يعملون . ثمّ ياويل لأُناس جعلوا من أنفسهم مركباً لهؤلاء كي يمرحوا علىٰ جهلهم ويتقوّوا بهم لزرع الأحقاد واستمرار الفتن وتأخير المسلمين فسلام على قادتنا المعصومين من آل محمدﷺ الذين قالوا: «**العفو عمّن ظَلَمَنا مروتنا أهل البيت**».

البصيرة السابعة :
(المعيارية في العلاقات)

لابدّ من إعادة نظر في قناعاتنا حول معايير الترجيح والتفضيل، فالتراث ليس وحياً، والقراءة النقدية فيه على ضوء القرآن والحديث والعقل المستنير بهما أمر مشروع وضرورة حياتية.

لذلك نتساءل : هل إيماننا بالله الحقّ هو الذي يحدّد مسارات حبّنا وبغضنا للشيء أم تُحدّده أهواؤنا الشخصية وعلاقاتنا المسترسلة التي صنعتها اللقاءات العفوية وصداقات الموائد والمصاهرة والتزاوج والقرابة؟!

أعتقد أنّ الإجابة الصريحة على هذا السؤال الصريح تفكّ جميع العقد المعقودة في مشاريع التسقيط!

يقول الإمام علي عليه السلام في وصيّته لولده الحسين عليه السلام : « يابني .. **أُوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر، وكلمة الحقّ في الرضى والغضب، والقصد ـ يعني عدم الإسراف ـ في الغنى والفقر، وبالعدل على الصديق والعدوّ، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدّة والرخاء** »[1].

ونتساءل بكل صدق وطيب وصراحة أيضاً : هل الساقطون في رذيلة

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٧ ص٢٣٦.

التسقيط والتشهير بالآخرين وانتهاك حرماتهم ونشر أسرارهم الشخصية والنفخ في أخطائهم الطبيعية وتضخيمها بقصد التدمير والسحق والانتقام ، ينطلقون في ذلك من منطلق المعايير الإلهية المذكورة في هذه الوصية ؟ أم ينطلقون من نظرية كل الحقّ معي ومع صديقي ، وأمّا غيري فلا وجود له بل لا يجوز أن يكون له وجودٌ مادام لن يقبل الذوبان في وجودي !!

إنّ من الواضح في سلوك التسقيطيين أنّ المعايير الحقّة ليس لها أثر في تقييمهم للآخرين ، بل المعايير عندهم هي ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أوّل ما عُصِيَ الله تبارك وتعالى بستّ خصال : حبّ الدنيا ، وحبّ الرئاسة ، وحبّ الطعام ، وحبّ النساء ، وحبّ النوم ، وحبّ الراحة** »[1].

فلكلّ رجل تسقيطي وامرأة تسقيطية معيار أو أكثر من هذه المعايير عندما يهاجم مرجعاً من المراجع أو عالماً من العلماء أو كفاءة من الكفاءات فور علمه بأنّ أحدهم لم يتّفق مع مرجعه أو عالمه أو جماعته في الرأي والطريقة. أهذه النظرة الضيّقة والخساسة والتطفيف في الميزان الفئوي هو ما أمر به الدين العظيم وارتضاه الربّ الكريم الذي وسعت رحمته كل شيء ؟!

أبداً .. الدين أسمى من جميع العاملين على خطّ الكبس والإلغاء والتسقيط ، وربّما أكبر عمّا يفعل التسقيطيون من رفعٍ لأنفسهم وإثباتها وتقديسها وتعصيمها ، وكبسٍ للآخرين جملةً وتفصيلاً ، وكأنّهم ليست

---

(١) الفصول المهمّة / ص٥٣٧.

فيهم حسنات ولا إيجابيات .

فليس للدين ومعاييره الإلهية حضور في الحسابات الفئوية ولا مصداقية لها في المواقف التسقيطية .

إذن من الضرورة أن يعمل المخلصون لإنقاذ تلك المعايير الالهية من عبث التسقيطيين ، فإن الحلّ لأزماتنا كلّها مكنون في العودة إلى المعايير الحقّة والإحتكام وفق معطياتها . وإلّا فإنّ التلاعب بالدين يُضعِّف مصداقيته لدى الناس ويزلزله في قلوب الشباب ويوقفهم عند حدود المتظاهرين به ويبعدهم عن المعتقدين والعقائديين ، وبينما تنمو رذيلة النفاق والإزدواجية لديهم ترى الجيل الناشئ بعدهم قد وصل إلى حدّ الاستهزاء بأصل الدين وقيمه ، وهنالك يتحقّق ما حذّر منه القرآن الكريم : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾**(١).

أقول للمتحمّسين الذين يتفاعلون مع التسقيط تحت لواء القيادات الآحادية والاستفرادية والمركزية والرمزية، أن صارحوا ضمائركم في الخلوات وأنتم تتذكرون وحدتكم في القبور المظلمات ، لتجدوا ضمائركم اللوامة كيف تعاتبكم وتأنّبكم علىٰ زجّكم إيّاها في أتون الصراع الداخلي، وكم هي مرغمة فيه وتناديكم الىٰ مناصرة القيم الالهية والمعايير الأصيلة المغروسة في فطرتكم ووجدانكم . و مع هذه المحاسبة عندئذ فإمّا يكون التفافكم حول الدين تماشياً مع الأجواء المحيطة به وهو النفاق

---

(١) مريم / ٥٩.

والازدواجية ، أو تهجرون معاييركم وأصدقاءكم التسقيطيين لتـهتدوا إلى روح الدين ويهتدوا هؤلاء بعدكم ان شاء الله ، وهذا هو الإيمان الذي قوامه الحبّ في الله والبغض في الله ، فهل تقرّرون قراركم الشجاع كما أرشدنا اليه القرآن: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أليس ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[1][2].

فلابد من الدعوة الخالصة إلى التجرّد عن غير الله ، والتحرّر عن عوامل التسقيط وعن كل ما يدفع المسلم إلى كره أخيه المسلم مادام الدين كلّه حُبٌّ وشفقة ورحمة وعواطف نبيلة . كما جاء في الحديث عـن الإمـام الصادق عليه السلام : « وهل الدين إلّا الحبّ »[3].

---

(١) البقرة / ١٦٥.

(٢) بالمناسبة كان عالمان يـعملان عـلى خـط التسـقيط للامـام الشـيرازي وجـماعته بكل قواهما حتى تاب أحدهما وندم فجاء للسيد (رحمه الله) معتذراً وكنت جالساً في المجلس. ثم التقاني بعد عامين تقريباً عند الكعبة المشرّفة وصارحني بكثير من بطولاته المشـتركة مـع صاحبه ضد السيد الشيرازي وضدّي (بالخصوص) وقال أنا تبت من كل قبائحي وأريد منك الحلّية ولكني أحذّرك من صاحبي (الشيخ...) فانه لا زال على نفاقه، فقد يتظاهر لك ودّاً ولكنه حاقد عليك بما لا تتصوره. نصحته كثيراً فلم يتأثر، حتى قلت له ان الأموال التي تجمعها باسم الخمس وترفّه بجزء كبير منها على نفسك وأهلك ستطوّقك في قبرك وتعذّبك في الآخرة. انه رجل يئست منه ولن يهتدي وليس وراءه إلا فتنة الخلافات. أعانك الله يا شيخ! ولا أخفي عليك أخي القارىء أن هذا الشيخ لا زال قاسياً قلبه على الشيرازيين منذ (٢٤) عاماً وينافقني كأني لا اعرفه. فاعرف إذن عمق بلائنا ومبرّرات هذا الكتاب! وأما الأخ النادم فقد انتقل إلى رحمة الله بعد لقائي معه في المسجد الحرام بيومين (رحمه الله ورفع من درجاته).

(٣) بحار الأنوار / ج٦٩ ص٢٣٧.

وتأكّدوا .. عندما ترتكز المعايير الالهية في النفس تـنعكس آثـارها الإيجابية البنّاءة على السلوك ، وإذا بهذا الإنسان الذي تخلّىٰ عن حدّيته ومعاييره الزائفة تجدونه مصداقاً للأحاديث التالية :

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : « **الخَلْق عيال الله ، فأحبّ الخَلق إلى الله مَن نفع عيال الله ، وأدخل على أهلِ بيتٍ سروراً** »(١).

وقال صلى الله عليه وآله : « **أحبّ المؤمنين إلى الله مَن نَصَب نفسه في طاعة الله ، ونَصَح لأُمّة نبيّه ، وتفكّر في عيوبه ، وأبصر وعقل وعمل** »(٢).

وعن الصادق عليه السلام : قال الله عزّوجلّ : « **الخَلق عيالي ، فأحـبّهم إليّ ألطفهم بهم ، وأسعاهم في حوائجهم** »(٣).

ولنتأمّل في محور الإيمان بالله الحقّ مـرّة أُخـرى وعـلاقته بـالعمل الاجتماعي كما في حديث ليلة المعراج إذ خاطب ربّنا تعالى نبيّه الأمين: « **يامحمّد ، وجبتْ محبّتي للمتحابّين فيّ ، ووجبتْ محبّتي للـمتعاطفين فيّ ، ووجبتْ محبّتي للمتواصـلين فـيّ ، ووجـبتْ مـحبّتي للـمتوكّلين عليّ...** »(٤).

ويتقدّم هذا الإنسان المتحرّر من مـعاييره الفـئوية السـابقة ليـمارس الإحسان العام لكل مَن هو في دائرة مخلوقات الله على ضوء الحـديث النـبوي الشـريف : « **ثـلاثة يـحـبّها الله سـبحـانه ، القـيام بـحـقّـه ،**

---

(١) الكافي / ج٢ ص١٦٤.

(٢) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢١٩.

(٣) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢١٩.

(٤) بحار الأنوار / ج٧٧ ص٢١.

والتــواضع لخلقه، والإحسان إلى عباده » [1].

وتراه يتقدّم أيضاً إلى خدمة الإنسان المسـلم مـع غـضّ النـظر عـن المعايير الفئوية التي أبعدته عن أخيه ، وذلك على ضوء الحديث التالي :

سُئِل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : **« اتّباع سرور المسلم، قيل يارسول الله : وما اتّباع سرور المسلم ؟ قال : شبعة جوعه ، وتنفيس كربته ، وقضاء دَينه »**[2].

وما أجمل الحبّ الذي يبادله الله حينئذ مع المسلم الذي أعتق رقـبته عن المعايير الفئوية التسـقيطية وتـحرّر مـن ضـغط الأصـدقاء وسـلطة الأجواء، يقول الإمام الصادق عليه السلام : **« إذا أحبّ الله عبداً ألهمه الطاعة ، وألزمه القناعة ، وفقّهه في الدين ، وقوّاه باليقين ، فاكـتفى بـالكفاف ، واكتسى بالعفاف ، وإذا أبغض الله عبداً حبّب إليـه المـال وبسـط له ، وألهمه دنياه ، ووكله إلى هواه، فرَكَب العناد ، وبَسَط الفسـاد ، وظَـلَم العباد »**[3].

أجل .. هذه درجة أصحاب المعايير الإلهية الحقّة في حبّهم وبغضهم ، إنّهم يشـقّون طـريقهم فـوق أمـواج الأحـزاب المـتلاطمة ، ويـتحمّلون صعوبات الطريق لأنّهم وجدوا ما فقدوه . وهم قد وصلوا الىٰ عمق ما قاله قدوة الصدّيقين وأُسوة المخلصين الإمام أمـير المـؤمنين عليه السلام : **« القـلب المحبّ لله يحبّ كثيراً النَصَب لله ، والقلب اللاهي عن الله يحبّ الراحة ،**

---

(١) ميزان الحكمة / ج٢ ص ٢٢٠ .

(٢) ميزان الحكمة / ج٢ ص ٢٢٠ .

(٣) ميزان الحكمة / ج٢ ص ٢٢٣ .

فلا تظنّ يابن آدم أنّك تدرك رفعة البرّ بغير مشقّة ، فـإنّ الحـقّ ثـقيل مُرّ»[1].

فالمطلوب من كل مسلم ومسلمة يريد (الشفاء) من (مرض) التسقيط لكيلا يضادد أخاه أو أُخته في الإسلام أن يراجع معتمداته من المعايير ويصحّحها على ضوء ما ذكرناه من أحاديث صحيحة ، وفيما نذكره لاحقاً أيضاً سوف يجد القارئ العزيز المزيد من تلكم الرؤى الايمانية الحاوية علىٰ معايير الحـق لبـناء العـلاقات السـليمة بـين المسـلمين وتـصحيح المسارات:

قال النبي الأكرم ﷺ : « ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شُعَبِ الإيمان، ألا ومن أحبّ في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، ومنع في الله ، فهو من أصفياء الله »[2]. وقال ﷺ لبعض أصحابه : « ياعبد الله أحِبَّ في الله ، وأبغِضْ في الله، ووالِ في الله ، فإنّه لا يُنال ولاية الله إلّا بذلك ، ولا يجد الرجل طعم الإيمان وإنْ كثرتْ صلاته وصيامه ، حـتّى يكون كذلك وقد صارت مواخـاة الناس يومـكم هذا أكثـرها في الدنـيا، عليها يتوادّون وعليها يتباغضون »[3].

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام : « كل من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له »[4].

---

(١) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢٢٦ .

(٢) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢٣٤ .

(٣) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢٣٤ .

(٤) ميزان الحكمة / ج٢ ص٢٣٤ .

البصيرة الثامنة :

(التسقيط سلاح العاجزين)

في الوقت الذي تفيد التعاليم الإسلامية أنّ الحوار والتفاهم والإبتسامة والتعايش من ضرورات الأخلاق الإسلامية ومن أدوات نشر الإسلام وهداية الأنام ، يتأكّد لنا بأنّ التسقيط ليس إلّا سلاح العاجزين عن الحوار والتعايش ، وديدن المستبدّين والأنانيين ، وسلوك الذين لا يتحمّلون النقد والتنافس الشريف ، ولا يعتمده في الوسط (الإسلامي) إلّا الذين أفلستهم ذاتياتهم عن النهوض بالأُمّة إلى مستوى الأخلاقيات الحضارية الإسلامية.

وهو الداء الذي أفرغ جهود الناشطين عن ثمارها وأقعد الكثيرين منهم على مائدة الفشل والندامة والأسى . ولذلك كان تسقيط الصالحين جريمة كبرى بحقّ الصلح العام والمجتمع الإنساني وتخسيراً للإسلاميين أنفسهم .

ويكفي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أوّل شخصية عظيمة ناله التسقيط من قِبَل المشركين أوّلاً ومن قِبَل المنافقين والمشبوهين الذين دخلوا الإسلام طمعاً في المغانم أو تحريفاً لوجهته ثانياً ، فبينما اتّهمه أُولئك بالجنون والسحر اتّهمه هؤلاء بالسهو والهجر والهذيان وعدم العصمة .

ثم كان الإمام علي عليه السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من نالته سهام التسقيط الأُموي حتّى سنّوا على المنابر المغتصبة سبّه كعبادة ضمن خطبة

الجمعة، وصبغوا هذه الرذيلة بصبغة إسلامية مزيّفة قرابة قرن من الزمان.

ثمّ استمرّت سنّة التسقيط السيّئة لتهمّش أولياء الله الصالحين والكفاءات الصادقة عن دورهم في هداية الأُمّة وترشيد أُمورها . وفي مقدّمة أُولئك المهضومين نرى رجالاً كالأئمّة الطاهرين من أبناء علي وفاطمة ، ونرى رجالاً ساروا على نهجهم بقدر ما استطاعوا إليه سبيلاً ، فكم لاحقوهم بسلاح التسقيط والتشويه وطاردوا أتباعهم الأمثلين فالأمثلين إلى يومنا هذا دون هوادة. حتىٰ ورد أنّه شكىٰ علقمة إلى الإمام الصادق عليه السلام من ألسنة الناس ، فقال له عليه السلام : **« إنّ رضا الناس لا يُملَك وألسنتهم لا تُضبَط ، وكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحجج الله عليهم السلام ... ألم ينسبوا نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله إلى أنّه شاعر مجنون ؟! ... وما قالوا في الأوصياء أكثر من ذلك ... إنّ ألسنة التي يتناول ذات الله تعالى ذِكْره بما لا يليق بذاته كيف تُحبَس عن تناولكم بما تكرهونه »**[1].

ذكر لي أحد الخطباء الثقات أنّ النبي صلى الله عليه وآله سُئِل لماذا ربّ العالمين ذكر أبا لهب ـ عمّ النبي ـ في القرآن الكريم ولم يذكر أبا جهل ـ وهو عمّ النبي أيضاً ـ علماً أنّ أبا جهل آذىٰ النبي صلى الله عليه وآله أكثر من أبي لهب ؟

فسالت دموع النبي صلى الله عليه وآله على خدّيه ثمّ قال ـ بما مضمونه ـ : لأنّ الطريقة التي اتّبعها أبو لهب لإيذائي وتسقيطي كانت أكثر إيلاماً ، فقد كان يجلس بشيبته عند باب المسجد الحرام ويقول للواردين بأُسلوب الناصح والمشفق : أنّ ابن أخي محمّداً قد تولّيتُ حضانته وتربيته فأنا أعلم بحاله،

---

(١) ميزان الحكمة / ج٤ ص١٥٤.

إنّه طيّب النفس ولكنّه بسبب يتمه كان منذ صغره مصدوماً نفسياً ومعقّداً روحياً ومتخلّفاً عقلياً . فلا تصدّقوا دعوته !!

وسبحان الله كم يشبه هذا الأُسلوب في زماننا مع أُسلوب التسقيطيين (العلماء) و (الإسلاميين) الذين يستخدمون شيبتهم وهيبتهم وطريقة كلامهم (المختصر المفيد) ونبرات صوتهم (التقدّسي) وأحياناً سكوتهم (البليغ) لاسقاط غيرهم والتشكيك فيهم وإبعاد الناس عنهم ، وهي ذات الطريقة التي آلمت قلب النبي صلى الله عليه وآله.

ولقد التقيت بكثير من هؤلاء المتظاهرين بالتديّن والقدسيّة والروحانية ورأيتهم كيف يسقطون غيرهم جملةً وتفصيلاً وبأُسلوب يخدعون به أنفسهم ومستمعيهم وهم لا يشعرون. قال لي أحدهم وكان ممّن يصرّح دائماً بعدم اجتهاد المرجع المجدّد السيد محمّد الشيرازي قدس سره ويحرّض الناس عليه وعلى جماعته وكأنّ الوظائف الشرعية قد انتهى منها وبقيت عليه هذه (الوظيفة الشرعية !) وبعد مدّة لمّا رأى أُسلوبه السابق لا يجدي وأن السيد وجماعته رقم حقيقي على الأرض وفي معادلات الساحة، قال في وجهي إنّي قرّرت أن لا أُصرّح بذلك ولكن إذا سألني الناس فسأسكت ولا عليَّ ضيرٌ إن فهموا من سكوتي أي شيء !!

هكذا فقد جمع الرجل (المتقمّص ثوب الفقاهة!) بين أُسلوب أبي جهل وأبي لهب معاً!

بهذه الأساليب المتقدّسة وبلطف وخبث سريرة يتم قتل الكفاءات وفتح الجبهات التسقيطية في الحوزات والمجتمعات. ولا تجد في خلفيّتها إلّا عدم الإطّلاع عن بعضهم أو لأسباب مالية (حلاوة الأخماس مثلاً) أو

الزعامة والرمزية والاحترامات بين العوام التائهين. وجـذر المأسـاة هـو الحرص على الدنيا وليس على الدين، ولذا تنطبق عليهم كلمة الرسـول الأعظمﷺ : « إذا عظّمتْ أُمّتي الدنيا نزع الله منها هيبة الإسلام»[1] وهذا هو الواقع فهل من ينكره؟! وهل بقيت هيبة للاسلام والمسلمين؟! فـهذه الصهيونية وتلك أمريكا وكل الأمم المستكبرة يفعلون بنا في عقر دارنا ما يشاؤون، لأننا نفعل في بعضنا البعض ما نشاء، فتعلّموا منا وتعلّمنا منهم، لا فرق!! وإنما الفرق في الأسماء والمستويات ﴿وكما تكونوا يُوَلّىٰ عليكم﴾ ـ صدق مولانا أمير المؤمنينعليه السلام ـ.

والجامع بين هولاء وهؤلاء هو الإستهزاء بالطرف الآخر، وقد كان هذا الأسلوب يتّبعه أهل الفسق والفجور لتـحطيم مَـن يـريدون إزالتـه عـن طريقهم، وما أوذي نبيٌّ في التاريخ مثلما أوذي النبيّ محمدﷺ بالسخريّة والإستهزاء حتى قال الله له : ﴿وكفاك الله شرّ المستهزئين﴾ لذلك نهىٰﷺ المسلمين منه. وجاء في القرآن الكريم ذلك النهي بألفـاظ مـنها ﴿يأيّـها الّذينَ آمنوا لا يَسْخَرْ قومٌ مِن قومٍ عسىٰ أن يكونوا خيراً مـنهُم ولا نسـاءٌ مِـن نساءٍ عسىٰ أن يَكُنَّ خيراً منهنَ ولا تَلْمِزوا أنفسَكم ولا تنابَزوا بـالألقب بِـئسَ الإسمُ الفُسوقُ بعدَ الإيمٰنِ ومَن لم يَتُبْ فأولئكَ هُمُ الظلمون﴾[2][3]

---

(١) مجموعة ورّام / ج١ ص٧٥.

(٢) الحجرات/ ١١.

(٣) إن من أليم النتائج لسلوك التسقيط في البحرين أن المـعتقلين فـي الأحـداث وهـم مـن جماعة السيد الشيرازي والمناوئين له، كان هؤلاء يؤذون أولئك بنفس الأساليب التسقيطيّة فوق ما يلاقونه جميعاً من أذىٰ المعذّبين في السِّجن !

البصيرة التاسعة :

المقاطعة الجاهلية حينما تصطبغ بلون الإسلام

كتب مشركو عصر الجاهلية صحيفة المقاطعة ضدّ رسول الله ﷺ والمسلمين الاوائل ، وعلى إثرها أخرجوهم إلى شِعب أبي طالب وفرضوا عليهم حصاراً اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً بالغ الأذى ، فمرّ المسلمون في أصعب الحالات ولكنّهم صبروا حتّى نالوا ما وعدهم الله ورسوله ، وكان الخزي للمشركين .

وكذلك يطبّق التسقيطيون وبسلوكهم الوقح بنود صحيفة المقاطعة الاجتماعية والحصار الاقتصادي ضدّ من لا يوافقهم الرأي في كل شيء. فكم من شباب (يقلّدون السيد الشيرازي) ذهبوا ليدرسوا في حوزتهم العلمية فرفضوهم وبعد اصرار شديد وافقوا عليهم بلا راتب شهري يأخذه كلّ الطلبة!(١)

فهذه قطاعات كبيرة من الأُمّة الإسلامية قد تأثّرت بهذه السلوكية السيّئة إذ كلّما اختلفت فيما بينها على مسألة عقائدية أو سياسية أو مصالح مادّية أو عائلية أو شخصية التجأت وبدافع الجهل والطمع والحسد وسوء الظنّ وحبّ النفس إلى الوسائل المحرّمة التالية :

---

(١) أمثال هذه المواقف كثيرة في ذاكرتي، ولا أدري كيف يريد أصحاب هذه العقلية أن يحكموا الناس إذا وصلوا إلى السلطة (لو افترضنا لا سمح الله)!؟

١ ـ الغيبة والنميمة .

٢ ـ البهتان والقذف .

٣ ـ المقاطعة والهجر والبراءة .

٤ ـ تتبُّع العثرات ونشرها بين الناس مع التضخيم والمزايدات .

٥ ـ قِبْلَوِيّة الذات والتشكيك في شرعية الطرف الآخر واتّهامه بالخروج عن الدين وعدم براءة الذمّة في اتّباعه او تقليده.

٦ ـ الاستهزاء والتسفيه والسخرية وبذائة اللسان .

٧ ـ الوشاية والسعاية .

٨ ـ الاغتيال والتصفية الجسدية .

كل ذلك ممّا نصّ الإسلام على قبحه وحرمته محذّراً من آثاره المدمّرة والأليمة على الصعيدين الدنيوي والأُخروي معاً كما ذكرنا في الفصل السابق .

ولا زال هناك من يتبجّح لتسقيط غيره وبملأ فمه يعلن بأنّ فلاناً في المقاطعة . دعوه ولا تتعاونوا معه !! ولعمري كم يشبه هذا بذاك الذي مارسه المشركون !

وممّا لا شكّ فيه أنّ قبح التسقيط وحرمته بين الناس يتضاعف بين العلماء والدعاة والطبقة المثقّفة ، نظراً إلى موقع الهداية الربّانية والإصلاح السياسي والإرشاد الأخلاقي وتنضيج الوعي الاجتماعي والعائلي المنوط بهم كورثة للأنبياء ورجال تُعقَد عليهم الآمال لتنوير الأجيال ، ممّا لن يجتمع مع وسائل التسقيط المحرّمة المذكورة وممارسة التراشق والتنابز بالألقاب وتوتير الأعصاب وهدم جهود الغير واستدراجه للتعامل بالمثل .

فالقبح هنا يكون على أشدّه، لصدوره عن أشخاص يدرسون علوم الشريعة وهم أعرف بتصفيف المبرّرات الشرعية وتحسين وجه التسقيط دينياً ! وإظهار المنكر بصورة المعروف وبالعكس متى ما غلبتهم الأهواء وغابت عنهم خشية الله وحساب الآخرة والحكمة والتزكية وانقادوا للعلمية المجرّدة عن وصايا أهل البيت عليهم السلام.

وياليتهم تأمّلوا بعض الوقت في قول الإمام الصادق عليه السلام هذا وتوقّفوا عمّا نُهوا عنه، إذ يقول عليه السلام : « **إنّ الايمان عشر درجات بمنزلة السُلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد، لست على شيء، حتّى تنتهي إلى العشرة ... ثمّ قال عليه السلام : فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك درجة فارفعه إليك برفق ولا تحملنّ عليه ما لا يطيقه فتكسره، فإنّ من كسّر مؤمناً فعليه جبره**»[1].

ويقول أيضاً: « **ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض، إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات** »[2].

---

(١) بحار الأنوار /ج٦٦ ص١٦٦.

(٢) نفس المصدر / ص١٦٨.

البصيرة العاشرة:
(أصالة الحرّية)

الحرّية مبدأ الإنسان السويّ في حركته وتقرير مصيره بنفسه ، وعليها بنىٰ الله تعالى استحقاقات الثواب والعقاب والجنّة والنار ، قائلاً في محكم كتابه : ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ * إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[1] وكان من عظمة الرسول ﷺ احترامه لحرّية الآخرين صديقاً كان أو عدوّاً .

ونادىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في الناس ـ مؤمنين وغيرهم ـ : « **يا أيّها الناس .. إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمةً ، وإنّ الناس كلّهم أحرار** ».

وصرّح بكلمات خلّدها التأريخ للبشرية ، نفخر ونباهي بها الأُمم أنّ علياً قائلها ومطبّقها هو إمامنا ومولانا وقائد مسيرتنا. يقول عليه السلام : «**الأصل في الناس الحرّية** »

ويقول عليه السلام: « **الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم**» وينهىٰ عليه السلام الإنسان أن يتنازل عن حرّيته قائلاً: « **لا تكوننّ عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً** » ويرشدنا كيف نصون جوهرة الحرّية من سرّاقها الداخليين قائلاً : «**لا يسترقّنّك الطمع وقد جعلك الله حرّاً** » وأنّ : « **العبد حُرّ ما قنع والحُرّ عبد ما طمع** »[2].

---

(١) الإنسان / ٢ ـ ٣.

(٢) نقلاً عن ميزان الحكمة / ج٢ ص٣٥١.

ويبلور هذا المنهج العلوي حفيده الإمام الصادق عليه السلام في قوله : « إنّ صاحب الدين رفض الشهوات فصار حُرّاً » ويقول عليه السلام : « إنّ الحرّ حُرٌّ على جميع أحواله ، إنْ نابته نائبة صبر لها ، وإن تراكمتْ عليه المصائب لم تُكسره ، وإنْ أُسِر وقُهِر واستُبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصدّيق الأمين لم يضرر حرّيته إنْ استُبعد وقُهر وأُسر »[1].

ولقد أسّس الفكر الشيعي في طول التأريخ حوزاته العلمية الشريفة ومجتمعاته المنتشرة في أنحاء العالم على أساس هذه المبادئ ، وحتّى الفقهاء بنوا كثيراً من الأحكام الشرعية وفق قاعدة « الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم » وقاعدة « أصالة الإباحة » وساروا على خطّ انفتاح باب الاجتهاد والحرّية الفكرية وأكّدوا في بداية رسائلهم الفقهية العملية على حرّية التقليد واختيار المرجعية حسب توفّر الشروط المنصوصة هناك وقناعة الفرد المكلّف .

إذن لماذا التسقيط والحرب على الحرّية والاختيار والمناداة بها في نفس الوقت ؟! ولماذا التنديد بتقليد فلان وفلان ؟!

أليس هذا التناقض هدم لذلك الصرح العظيم والمبادئ النبيلة والمفاخر التاريخية للأُمّة والتشيّع والحوزات ؟

ينقل التاريخ أن حركة الاجتهاد عندنا توقّفت عن التطوير وأصابها الركود بعد وفاة الشيخ الطوسي (الملقّب بشيخ الطائفة) في سنة (٤٦٠) الهجرية حيث (لم يكن من الهيّن على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ

---

(١) نفس المصدر السابق وراجع كتابنا (الحرّية ولا بديل) .

الطائفة في الفتاوى ، وكانوا يعدّون أحاديثه أصلاً مسلّماً ، ويكتفون بها ، ويعدّون التأليف في قبالها وإصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ وإهانة له ، واستمرّت الحال على ذلك حتّى عصر الشيخ محمد بن إدريس الحلّي (المتوفّى سنة ٥٩٨ / الهجرية) أي بعد (١٣٨) سنة من وفاة الشيخ الطوسي ، فكان ابن إدريس يسمّي علماء عصره بالمقلِّدة ، وهو أوّل من خالف بعض آراء الشيخ وفتاواه، وفتح باب الردّ على نظرياته)[١].

ومثل هذه الحالة نعيشها اليوم مع الخطّ التسقيطي الصارم ، فما من مرجع أو فقيه أو عالم أراد التفكير في خارج دائرتهم رموه بسهام التشكيك وعبّؤوا الناس عليه بأساليبهم الخاصة.

فما فعلوه بالإمام الشيرازي والإمام الخميني ـ قبل انتصار ثورته المباركة ـ يدخل في هذا النطاق المنبوذ الذي أخذ يطوّقهم منذ زمن ويفتّت سننهم الموضوعة على تلك الأُسس الخاطئة ، إذ باتت تلك السنّة السيّئة تلاحقهم اليوم فيتّهم بعضهم بعضاً بذات التّهم التي روّجوها ضدّ غيرهم لغرض التسقيط وفتح الطريق لأنفسهم .

(كما تدين تدان) هذه سنة الله في الحياة وقانونه لتأديب الأفراد والمجتمعات، فقد ورد في القرآن الكريم :

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ .

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

---

(١) أعيان الشيعة / ج٩ ص ١٦٠.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ .

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .

وورد كذلك في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام :

١ ـ أحْسِنوا في عَقِب غيركم ، تُحفَظوا في عقِبكم .

٢ ـ برّوا آبائكم ، يُبِرُّكم أبناؤكم ، وعِفّوا عن نساء الناس يُعفّ عن نسائكم .

٣ ـ مَن سلّ سيف البغي قُتِل به .

٤ ـ مَن شبّ نار الفتنة كان وقوداً لها .

٥ ـ مَن صارع الحقّ صُرِع .

٦ ـ مَن عاب عيب .

٧ ـ مَن كَشَفَ حجاب غيره انكشفتْ عورات نفسه.

٨ ـ مَن مَكَر حاق به مكرُه .

٩ ـ مَن وطئ فراش غيره وُطِىءَ فراشه .

١٠ ـ مَن يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شرّاً يحصد ندامة، ولكلّ زارع ما زرع .

وكذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام « لا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنّك كما تدين تُدان»

ويقول عليه السلام أيضاً: «مَن حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه»[1].

---

(١) راجع كتاب كما تدين تدان ، للسيد محمّد رضيّ الرضوي، وفيه الكثير من الشواهد

فهذه حقيقة أثبتتها الحوادث التاريخية ولا تزال تتوضّح وتتجلّى في الأحداث المعاصرة بما فيها سيرة الذين أسقطوا غيرهم ظلماً.

ولم يكتفِ الأئمةعليهم السلام بهذه التحذيرات بل وضّحوا وبيّنوا عليهم السلام في أحاديثهم تعاليم كثيرة لرفع المستوى العلمي والعقائدي والأخلاقي في الأمة كي ترتفع الىٰ مستوىٰ مواجهة المخاطر التي تهدّد دينها ودنياها وآخرتها، فلا يقع أبناؤها ضحية التسقيطات والإحترابات الداخلية.

والقصص لإثبات ذلك.

البصيرة الحادية عشر :
(مرض الغلوّ وتصنيم الشخصيات)

يعتبر الإسلام أنّ الغلو في حبّ الشخصيات العظيمة والتأييد الأعـمى لها من المحرّمات الأكيدة ، لأنّه يتعارض مع المبادئ الإسلامية وأهدافها التقدّمية في الحياة والحـركة الحـضارية للـرسالات الـسماوية ، إذ مـن الواضح إنّ المغالي متعصّب ورافض للحوار والاستماع إلى الغير ، ويدفعه غلوّه إلى التوقّف عند محبوبه وعدم التطلّع إلى ما وراء هذا الجدار عمودياً وهذا السقف أفقياً، ويدفعه حبّه المفرط فـيه إلى التـجاوز عـلى حـقوق الآخرين والنظر إلى الأُمور بعين واحدة وغير واقعية ، ممّا يؤدّي إلى خلق صراعات وتدافعات بين المسلمين والمؤمنين ، فلا يكاد المغالي بعد ذلك يسمو إلى الله تعالى سمواً تكاملياً خالصاً ، إذ شغل قلبه بغير الله عزّوجلّ. وهذه هي الحالة الصنمية التي حاربها الإسلام منذ أعلن ثـورته لتـحرير الانسان من ذاته وذاتيات غيره، فلا يفرّق الاسلام في ثورته بين أصـنام الجاهلية والشخصيات الصنمية، لأنهما عـقبتان أمـام العـبودية الخـالصة لوجه الله سبحانه والحرية الحقيقية لإنطلاقة الإنسان.

وحتّى لا يقع الإنسان في هذه الضلالة تدريجياً وهو لا يشعر بـنفسه فقد شدّد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام على ظاهرة الغلو وأدانوا سلوك المغالين فيهم .

فهذا رسول الله ﷺ يقول للمسلمين : « **لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً** »[1].

وهذا مولانا الإمام علي عليه السلام خرج إلى محبّيه يحذّرهم: « **إيّاكم والغلو فينا ، قولوا إنّا عبيد مربوبون ، وقولوا في فضلنا ما شئتم** »[2].

وهو أيضاً صاحب الكلمة القائلة: « **يهلك فيّ إثنان محبّ غال ومبغض قال**»[3].

والسؤال هنا يحيط عوامل الغلو عند الإنسان، فما هي تلك العوامل التي ترمي الانسان في الغلوّ؟

إنها لا تتجاوز عن أربعة عوامل أساسية:

١ ـ الشعور بالنقص والمذلّة والمسكنة ، ونسمّيه (الجهل).

٢ ـ الخوف من سلطة الأجواء ، ونسمّيه (الجبن) .

٣ ـ الطمع في مصالح خاصّة ، ونسمّيه (النفاق) .

٤ ـ الحرمان والاضطهاد الشديد ، ونسمّيه (الضعف) .

وغالباً يكون أبناء الشيعة المغالون في شخصياتهم القيادية الشامخة هم من النوع الرابع ، فإنّهم لشدّة القمع والاضطهاد الذي وقع عليهم في التاريخ سرعان ما يأووا إلى كهف المنقذ البطل لينصرهم على عدوّهم ، ثمّ تصل بهم درجة الإعجاب فيه إلى الغلوّ وعدم السماح لأي أحد بالمساس

---

(١) بحار الأنوار / ج٢٥ ص٢٦٥ .

(٢) بحار الأنوار / ج٢٥ ص٢٧٠ .

(٣) بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٨٥ .

بشخصية المنقذ أو نقده ولو كان النقد يصبّ في المصلحة العامّة ، ولا شكّ أنّ العوامل الثلاث الأُخرى تدخل بعض الشيء هنا لإفراز هـذه الحـالة السلبية.. حالة الغلوّ.

وفي عصرنا لقد وقع في هذه الفتنة بعض الناس تجاه الإمام الراحل آية الله العظمى السيد الخميني ﷺ الذي قاد أعظم ثورة في الشرق الأوسـط ضدّ شاه ايران حتّى اضطرّ ومن ورائه أسياده الأمـريكان للـخروج مـن البلاد فأسّس دولة الجمهورية الإسلامية ، وكان هذا إنجاز لحلم كبير، إلّا أنّ الإمام الخميني حيث كان عابداً زاهداً وسياسياً واعياً قد أدرك هـذه الفتنة فأخمدها في مهدها عندما صرّح مرّات عديدة في خطاباته للناس بما يمنع الغلو في حقّه ، مثلاً في ردّه على كلمة المدح المفرط والاطراء المغالي التي ألقاها الخطيب المفوّه فخر الدين الحـجازي فـي أوّل لقـاء لأعضاء مجلس الشورى الإسلامي مع الإمام ﷺ في بداية الثورة[1].

ولكن رغم ذلك التحذير فقد وقع بعض الناس ولا سيّما فـي خـارج ايران في فتنة الغلو ، فصاروا يغالون في شخصية الإمام (رضوان الله عليه) ويختلقون قصصاً من أوهامهم ونسيج أحلامهم في عظمة لم يعترف بـها الإمام الخميني (قدّس الله نفسه الزكية)[2] ومثله يعيش بـعض الآخـرين

---

(١) وهذا أمر طبيعي في الثورات التاريخية الكبرى ، وظـهور الشـخصيات النـموذجية بـين الشعوب ، فما كان عليه العرب تجاه الرئيس جمال عبدالناصر هو نوع من هذا الغلو ، وما عليه السلفية بالنسبة إلى الشيخ محمّد بن عبدالوهاب وابن تيمية لا يقلّ عن ذلك .

(٢) وفي الغالب يغذّي هذا الاتّجاه الخاطئ رجال مصلحيّون ، وإنّي أعرف بعضهم كان مـن أشدّ المناوئين للإمام الخميني في النجف الأشرف وقد ناقشني مرّات محاولاً أن أتراجع عن

تجاه مراجعهم أيضاً من الغلو المفرط ممّا يؤدّي بهم في بعض الأحيان إلى التراشق بالمحظورات الشرعية واللعب على عقول الناس وإن كان الطيور على أمثالها تقع .

وليس هؤلاء في الوسط الشيعي الواسع إلّا شراذم لا تقاس بهم مبادئ المذهب الحقّ ولا المواقف الأصيلة للأكثرية المطلقة من مقلّدي الإمام الراحل والمراجع الكرام (حفظهم الله).

ولكن معرفة هذه الحقيقة لأجل صدّها عن التوسّع تنفع المصلحين وتدعوهم إلى التحذير واليقظة والتأكيد على قيمنا الإسلامية الوسطية الثابتة ، لئلّا تصبح ثقافة المغالاة والمتاجرة بالكرامات التخيّلية فكراً ومنهجاً في حياة الأُمّة.

فمن المسؤولية الملقاة على العلماء الأفاضل أن يقودوا الناس نحو الخطّ الوسطي المستقيم ويقولوا بكلّ شجاعة ما هي صفات الأُمّة الوسطية وما هي مواصفات (حزب الله) الحقيقي في القرآن؟

تأييدي لحركة الإمام ﵀ قبل انتصار الثورة ، ولكنّه بعد الانتصار صار يختلق كرامات ينسبها للإمام الخميني كذباً ودجلاً ويزجّ فيها اسمه ليظهر نفسه أمام الناس (البسطاء) وكأنّه كان صاحب أسرار الإمام الخميني وأمين صندوقه الخاصّ !! ويعمل ذات الدعاية الرخيصة والمبالغة الوضيعة للإمام الخامنئي (دام ظلّه العالي)، والعجيب أن الرجل يحطّ من مكانة السيد القائد في جلساته الخاصة حتّى يقول لي إنّما أقول ما أقوله للملأ العامّ رعاية للأجواء. ولكن الحقيقة هي رعاية للمتاجرة والوجاهة وجمع الأخماس. وهذا الرجل معروف عنه جرأته النفاقية العالية في تسقيط غيره سرّاً وعلانيةً. نعم هكذا تختلط الأوراق ويتسلّل هؤلاء الدجّالون حينما تسيطر على الناس حالة الغلو والصنمية.

إنّ الأُمّة التي تريد أن تكون خيراً للأُمم وشاهدة لها على الحياة الطيّبة وقائدة لها إلى وحدانية الله ورحمته الواسعة لا تكفّر ولا تسقّط ولا تهاجم ولا تغلّظ ولا تعنّف ولا تقول للناس إلّا الحسنى ولا تخلط الأوراق وتفتح أبواب الإزدواجية والنفاق والنفعية الذاتية بين الناس.

يقول الله في نبيّه محمدﷺ: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾**[1].

على هدىً هذه البصائر القرآنية يجب أن نمتصّ الغلو والتطرّف ونوازن الحبّ ونهذّبه بأدب الإسلام الرائع وصدره الرحب ، عسى بذلك أن نعيد التسقيطيين إلى جادّة الصواب والاعتدال بعون الله تعالى ولا يتلبّس بعضهم بلباس (حزب الله) وكأنّه هو (الشخص) المبشّر به في القرآن فقط!

إنّ حزب الله ليس بالإسم وإنّما بالعمل وإن كان الاسم لفظاً آخر ، أرجو أن يفهم الشباب الطيّبون مغالطة المغالين الذين يستغلّونهم لمعركة المصالح باسم حزب الله ضدّ أُناس كذلك يؤمنون بالله .. وليسوا بصهاينة ولا أمريكان ولا عملاء.

---

(١) سورة آل عمران / ١٥٩.

البصيرة الثانية عشر:

جريمة الإسقاط وحرمان الناس من الكفاءات

إنّ أكثر ما تطال تلك الوسائل التسقيطية كبار الشخصيات التي يخشى أصحاب المصالح من صعودها إلى مواقع التأثير والقرار، وبحجم التسقيط والأجواء المضادّة لتلك الشخصيات يكتشف المتأمّل المنصف حجمها وقوّتها وعمقها.

وفي خصوص تسقيط المرجع المجدّد الإمام الشيرازي (طاب ثراه) فإنّ تنوّع مصادر السهام عليه ﷺ يدلّ على تنوّع أبعاد شخصيته الشمولية المتميّزة.

فلقد رماه الحكّام منذ الخمسينات ـ الميلادية ـ لخوفهم من نظريته الشورائية والتحرّرية في الحكم والسياسة والإدارة.

ورماه الشيوعيون لخوفهم من كتاباته العصرية وتقدّمه واستقطابه الشباب والجماهير والكادحين.

ورماه بعض الشخصيات الدينية لتأثّره بتقارير الحاشية والعناصر المتسلّلة أو توانيه في قراءة نظريته حول تطوير المناهج الفكرية والحوزوية وإدارة شؤون الأُمّة والطائفة الشيعية[1].

---

(١) سوف تقرأ بعض هذه النظريات في الفصل الخامس والسادس.

ورماه بعض أصحاب النفوذ لخوفهم على ما بأيديهم في مناطق نفوذهم وجباية الأموال.

ورماه بعض خطباء المنبر (والملالي) لانسياقهم مع الجوّ وخوفهم من مقاطعة المآتم لهم وذهاب المال ومصلحتهم المعيشية.

ورماه بعض المثقّفين الاسلاميين لعدم انفتاحهم عليه ولحبّهم لبيئتهم النخبوية وخوف القطيعة وقطع المدد المالي.

ورماه بعض أصحاب المال لتأثّرهم بالتقوّلات عليه وخوفهم من تضرّر علاقاتهم الرفاهية ومصالحهم التجارية.

ورماه بعض الأحزاب الإسلامية لتعصّبهم الفئوي وخوفهم من اكتساح نظرياته في التعدّدية والحرّية والشورى.

ورماه الهمج الرعاع في المجتمع لميلانهم جهة كل ناعق وقعودهم عن تحرّي الحقيقة وانشغالهم بالدنيا وطبيعتهم القائمة على قاعدة: (حِبّ وقُلْ أُبْغُضْ وقُلْ)!

وأخيراً توقّف بعض الطيبين عن التعرّف عليه (رحمه الله) احتياطاً ـ كما يظنّون ـ أو هروباً من التصدّعات والحرب النفسية التي يمارسها التسقيطيون.

ومع ذلك فقد حطّم هذا العالم الربّاني الجليل السدود أمامه وتقدّم وانتشر في العالم واحتل موقعاً مرموقاً في المجتمعات البعيدة والقريبة. ولكن المؤسف أن المخابرات الدولية المتغلغلة في بلاد المسلمين قد استغلت تلك الخلافات والتقوّلات لتفتيت القوى الإسلامية والحركات الإصلاحية وتشغيلها بنفسها وتوجيه حرابها إلى صدور بعضها، ولو لم

تجد المخابرات هذه الخلافات والأرضية الخصبة للـنزاعـات التسـقيطية لكانت تختلقها لأجل مآربها الاستعمارية فكيف وقد سهّلت لها الطـريق نزاعاتنا. وهكذا كان النزيف الداخلي أهم عوامل ضعف المقاومة وتوالي الضربات والانتكاسات التي حلّت بتلك القوى والحركات في مـواجـهة الأعداء الحقيقيين للإسلام والأُمّة ، وصارت النتيجة ما نشاهده في كـل المنطقة وخاصّة في العراق حيث تلعب بنا المخطّطات الامريكية وماكنتها العسكرية ولا يستطيع أحد منا أن يحلّل حقيقة الأوضاع المتردّية فضلاً عن اتخاذ مواقف تحاكي المباديء.. فكما العراق دماءٌ وحـيرة، شكـوك واتّهامات، وآراء متضاربة ، وشـلل فـي الإرادات وإطـلاقات عشـوائـية بـاللسان وبـالنيران كـذلك البـلدان الأخـرى. فـقد أصـبحت الحـركات الإسلامية التي أسرفت في تسقيط غيرها والحوزات العلمية التي مـزّقت نفسها ولا سيّما في الضدّية مع السيّد الشيرازي﵀ أصبحت تدور حـول نفسها اليوم حائرةً ومستنزفة ، واكثرها عـادت إلى نـقطة البـدايـة بـعد تضحيات جسيمة ومتاعب جمّة آلتْ إليها قطاعات واسعة من الناس !

ولقد فطن الإمام الشيرازي عمق هذه المؤامـرة واللـعبة الاسـتعمارية عندما تقدّم بإيمانه الراسخ وعلمه الغزير وأخلاقه الرفيعة وصبره العجيب وطموحه العالي ووعيه السياسي الثاقب وسعة معلوماته العصرية ونظرته الشمولية إلى الأُمور وعدم نـزوله الىٰ المـعركة التسـقيطية وردود فـعلها الصبيانية ، إنّه فطن اللعبة منذ شبابه فقدّم إلى الأُمّة على مدار ستين عاماً غاية ما استطاع إليه من مـجهوده المـبارك لإنـقاذها وتـصحيح مسـيرة مؤسّساتها الدينية وحوزاتها وأحزابها ومثقّفيها وأبنائها ، وتـحذيرها مـن

مصيدة الاستعمار والدوران في دائرة التخلّف. ولذلك جـيّش الاسـتعمار نفوذه المباشر وغير المباشر لتطويق هذه الشخصية العملاقة الخطيرة على مآربه ، فقام بتشويه صورة هذه النابغة الرسالية وخلق الزوبعات حـولها ليبعد الجماهير والكفاءات عنها حتّى صار يتجرّأ على مقامه الرفيع صبيان بعض المجتمعات ويشتمه الحثالات من أولاد الشوارع الذين تعلّموا من أُولئك (المحترمين) القاعدين في غرف نائية عـن الواقـع المـؤسف فـي مجالس البطالين، ولا يعلمون آثار كلماتهم التسقيطية الىٰ أي مدىٰ بلغت بها درجة التدمير في الدين والأخلاق والعوائل والحوزات و...

نعم هكذا نجح الاستعمار في حرمان غالبية الأُمّة من هـذا المـرجـع النهضوي والمجتهد الحركي والمفكّر الموسوعي الذي قال عنه المـرجـع الورع السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي ﷺ وهو يظهر تألّمه وأسـفه على الجهل بمقام الشيرازي ونبوغه : (إنّ المسلمين سوف يـدركون مـا يقوله هذا السيد الجليل بعد قرنين من الزمن).

وممّا يزيد في الجرح والألم وقوع بعض الطيبين في هذه الفـتنة لمّـا راحوا يصدّقون الشائعات حيناً وينشرونها حيناً ـ وبقصد القـربة إلى الله والعمل بالوظيفة الشرعية !! ـ وإذا أراد أطيبهم أن يحتاط شـرعاً تـوقّف عند منطقة الحياد (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) . وهذا أقلّ ما كان يريده الاسـتعمار وعـملاؤه المـندسّون لتـضعيف الحـركة الولائـية التـوعوية التصحيحية والمؤسساتية الرسالية في الأمة الاسلامية .

ولقد عانت مجتمعاتنا آلام التسقيط وأوجـاع التـجاذبات فـي قـضية المرجع المجدّد الشيرازي المظلوم بما أدّت المـهاترات فـيها إلى أحـقاد

وكراهيات وسخافات لا تمت إلى الشرع والعقل والأخلاق والإنسانية والضمير والحكمة بأية صلة . فكم من عوائل تمزّقت ، وكم من صداقات تهدّمت ، وكم من مشاريع تعطّلت ، وكم من قلوب تألّمت ، ودموع سُكبتْ ، وأكاذيب وتُهَم فاضحة نُشرتْ ، وسُنّة سيّئة وُضعتْ حتّى احترق بها واضعوها والذين تعاطوها ، فصاروا اليوم يسقطون بعضهم بعضاً عند أبسط الأُمور . وهكذا صفّق الأعداء وأهلّوا واستهلّوا فرحاً ، يضحكون على كل المتنازعين (الشيعة) بلا استثناء حتّى قال لي ضابط جلّاد في استخبارات إحدى الدول العربية : (إنّنا كلّما شعرنا بالخطر من جماعة الشيرازي حرّكنا جماعة فلان عليهم ، والعكس العكس ..)[1].

حقّاً إنّ تسقيط رجل عظيم مصلح عطوف كالإمام الشيرازي وما ترتّب عليه من شروخ بين المؤمنين وتصدّعات بين الناس منذ أكثر من أربعين

---

(١) والتقيت بأحد كبار العلماء المعروفين فأظهر لي الندم والأسف على تورّطه ضدّ المرجع الشيرازي في الكويت، وأضاف يقول إني وجدته ذا قلب كبير وروح عظيمة وتأسّفت على جهلي الطويل وتسبيبي في حرمان كثيرين من هذا السيّد المظلوم.

ولقد كتب هذا العالم النادم كتابيْن ينتقد فيهما الأُسس الفكرية التي ربّاه عليها حزبه التسقيطي المعروف ذو المبدأ القائل (من ليس معنا فهو ضدّنا) !!

ولا زال يكفّر عن ذنبه في تسقيطه للمرجع الرائد السيّد محمّد الشيرازي، ولقد فوجىء التسقيطيون في البحرين حينما قدّم آراءه الجريئة حول موقفه الإيجابي من السيّد الشيرازي وقضية التطبير وموضوع ولاية الفقيه وأهميّة الاعتدال ونبذ الخلافات المرجعية، وقد كانوا يظنون أنه على نهجه السابق. وياليت في الجماعة يمتلكوا كهذا العالم الجليل شجاعة التوبة والرجوع عن الخطأ.

عاماً كان عملاً خاطئاً وسنّة سيّئة فتحت أبواب الخطيئات وتبادل التهم والبذاءات وكرّست في الأُمّة تخلّفها ومذلّتها وأسرها في حبائل الاستكبار الأجنبي وعملائه المحليّين ، وهذا ما وصلنا إليه بعد سقوط صدّام وبدأت الأوراق تنكشف بعضها وتأتي العبرة دائماً في الوقت الضائع، حيث اعترف بعضهم باجتهاد السيد ومرجعيته بعد وفاته! يا ويل لأمةٍ تقتل قادتها ثم تمشي في جنائزهم وتقرأ لهم الفاتحة! (تقبّل الله يا قوم...)!

وللإنصاف نؤكّد أنّ جريمة تسقيط كفاءات الأُمّة لم تختصّ بالإمام الشيرازي الراحل المظلوم ، بل الاستعمار وأذياله قد نال من كل الكفاءات الإصلاحية عندما نجح في تحريك جهلة الأُمّة لإشاعة الأكاذيب ضدّها وضرب بعضها ببعض ، حتّى سقط في رذيلة التسقيط بعض الكفاءات نفسها من حيث لا تشعر . ولو كانت تلتقي ببعضها لقطعت الطريق على تمرير الاستعمار لخططه التمزيقية عليها . وهذه هي الثغرة التي انتبه لها الإمام الشيرازي حينما اقترح للمراجع والكفاءات الناشطة لقاءات دورية ومحاورات داخلية تنتهي إلى تأسيس العقل الجمعي بدلاً عن العقل الفردي في قيادة الأُمّة وأجزائها المترامية . وتلك هي شورى المراجع مشروعه الحضاري الذي ينتظر المزيد من البحث والبلورة وإخراجها الىٰ حيّز الوجود بهيكلية حضارية .

وأُسجّل للتاريخ هنا ما كان يمارس من تسقيطٍ ضدّ الإمام الخميني (رضوان الله عليه) منذ الستينات وقد شاهدت بنفسي كيف حاربوه في النجف الأشرف وعلى ألسنة بعض العلماء حيث كانوا يشكّكوني فيه بذريعة النصيحة وأولوية الدراسة الحوزوية وأنّ السياسة لو كان فيها خير

ما تركها الأئـمّة الطـاهرون عليهم السلام ـ حسب زعـمهم ـ فكـنت مـنذ عـام (١٩٧٦م) ـ حيث انتقلت إلى تقليده ـ أُدافع عنه إلى أن انتصرت ثـورته وإلى هذا اليوم ، وفي سبيل ذلك تـحمّلت عـذاب السـجون وصـعوبات التهجير وأذى الألسن ، وما كان المدافعون عنه ـ كـما شـهدتُهم بـنفسي آنذاك ـ إلّا الإمام الشيرازي نفسه وأتباعه المنتشرون في دول الخـليج ، وما كان مُسقِطوه في ذلك اليوم إلّا الذين صاروا بعد انتصار الثورة يرفعونه إلى حدّ المبالغة والتطرّف والغلو وهم يوجّهون التهم الرخيصة إلى الذيـن تحمّلوا صعوبات الدفاع والنصرة آنذاك ، فصوّرهم التسـقيطيون أعـداءاً للثورة وقفزوا على المغانم في صورة ثوريين !

وهذه من مهازل الدهر التي تذكّرني بقصّة السارق الذي سرق ونادىٰ في الناس إقبضوا على السارق إنّه قد هرب ، وأخذ يركض مع الناس على سراب البحث عن سارقٍ هو بينهم !

هكذا تُسرَق الثورات بأيدي القراصنة وتُـبَدَّل وِجـهتها وتُـذبَل قـيمها وتُذبَح من القفىٰ وتنتهي على أيدي المتطفّلين عليها والطفيليين حولها!

ولا زلتُ حائراً من براعة هؤلاء السرّاق المتلوّنين في قـيادة جـموع الشباب المتحمّسين وبعض المغفّلين المسيّسين بالعواطف . ولكن الحيرة تخفّ عندما أقرأ في تاريخ السقيفة وما جرى على إمام المظلومين عليٍ أمير المؤمنين عليه السلام الذي دفع ثمن إخلاصه وأسبقيّته في الإسلام والجهاد حتّى ما بقي له أحد ، فوصلت به الحالة أن كان يسلّم ولم يجيبوا عـلى سلامه! وكان يقول عليه السلام بتألم: «**ما ترك الحق لي من صديق**». وصدق عليه السلام : « **الناس أعداء ما جهلوا** » وإن كان أهل زمانه لم يجهلوه بل كانوا جبناء

وبسطاء وعشّاق الراحة والعافية . كما أكثر أهل زماننا .

فما أعظم براعة الذين كانوا قبل انتصار الإمام الخميني يقولون عنه (مركب الشيوعيين) ثمّ غيّروا قولهم إلى غير هذا. ولكي (يتغذّوا بمن يعرفون حقيقتهم قبل أن يتعشّوا بهم) صنعوا أجواءً على الإمام الشيرازي وجماعته بأنّهم ضدّ الجمهورية الإسلامية وقائدها الراحل . فاختلطت الأوراق عند القيادة الإيرانية بين مَن صدّق ومَن لم يصدّق. فعنّف الذين صدّقوا ضدّ الإمام الشيرازي ممّا جعل الأخير ينتقد سلوكهم بشدّة المتألّم المحبّ فاستغلّ التسقيطيون هذا الموقف وفسّروا نقده بالعداء للجمهورية ممّا جعل الطرفين يدوران في حلقة الفعل وردّ الفعل بشكل تصاعدي وتصعيدي . هذه حقيقة الخلاف كما واكبتُها من بدايتها باعتباري ذو علاقة مع كلّ الأطراف وكنت أسمع منهم مباشرة .

ولهذا فلم أتأثّر بالزيف والمهاترات ولم أجعل نفسي أُساق كما يُساق العاطفيون وخاصّة الشباب الذين ولدوا بعد انتصار الثورة ، فلم يعرفوا تاريخ ما قبلها والأُمور التي جرت أثناءها وتطورت بعدها، فصاروا لا يميّزون بين من هم الرجال ومن هم أشباه الرجال ، ولو لم أكن أخشى الفتنة لذكرت الأشخاص بأسمائهم وكشفت عن أسرار يرافقها سقوط الأعمدة ، ولكن ـ كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام : « **إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون** »[1].

---

(١) ومن المناسب أن أذكر هنا ما دار بيني وبين قائد الجمهورية الاسلامية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي «حفظه الله» من حديث ثنائي خاصّ في شهر شوال عام ١٤٢٣ هـ بعد

وأمّا ما أثاروا بأنّه (طاب ثراه) لم يكن مجتهداً فتلك مهزلة ضحك عليها الإمام الشيرازي بعطائه الموسوعي المتميّز وأجابهم بعمله الدؤوب.

إنّها الفتنة التي صنعها البعثيون ليدفعوا خطر السيد الشيرازي عن كيانهم في انقلاب الرابع عشر من تموز سنة (١٩٦٨م) فوقع فيها بعض رجال الدين من حيث لا يعلمون ـ لعدم فهمهم مغزىٰ السياسة ولعبة الاستعمار

بيانه الرائع الذي أصدره في تأبين الامام الشيرازي. فبعد صلاة الظهر والعصر خلفه في منزله بطهران اختليتُ به لعشرة دقائق ومما قلتُ له: إنّ الساحة ـ في البحرين خاصة ـ لن تتحمّل حدّية أشخاص ينادون باسمكم الكريم ويخلقون مواجهات مع مقلدي مراجع آخرين. فقال سماحته: نحن لسنا مع التطرّف ولا نؤيد مَن يعمل الاختلاف بإسمنا. أرجو أن تُبلغوا المؤمنين في البحرين بهذه النصيحة.

ومع المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمّد الشيرازي (طاب ثراه) قُلتُ له في إحدى لقاءاتي: أنّ بعض محبّيكُم لايلتزمون بأفكاركم الرسالية وأخلاقكم التسامحية، يسيئون الكلام ضدّ الجمهورية الاسلامية إلى حدّ النسف لأساسيّاتها. فقال: هناك فرقٌ بين النقد وبين الهراء. فنحن إذ من مبادئنا الحرية فاننا نؤيد النقد البنّاء وهذا ما تجده حتىٰ في الصحافة الايرانية وكذلك يكفيك ساعة تجلس عند الراديو وتستمع الىٰ البث المباشر الحيّ لمناقشات مجلس الشورىٰ الاسلامي لتعرف صحة هذا التوجّه، ونحنُ لمّا ننتقد فلأنّنا كنّا من بُناة هذه الثورة منذ ما قبل ولادتها، فما نقوله من التعددية والحرية والشورىٰ والحوار واصلاح القوانين التي تُرهِق المستضعفين يقوله المسؤولون في الدولة والبرلمان أيضاً. وأما الهراء والشتم والدعوة إلى إزالة الجمهورية الإسلامية فليس من أخلاقنا وتوجهنا، ومَن يتّجه بهذا الاتّجاه فإنّه لايمثّلنا. فقلتُ له: أليس من الأفضل أن تُبعدوا هؤلاء من حولكم. فقال: لم أسمَع منهم شيئاً ولا أدري من تقصد منهم ولكن بصورة عامة أنا لا أطرد أحداً من حولي تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان في أصحابه الصالحون والطالحون، وكان يأمل في هداية هؤلاء وإتمام الحجة، فلم يطردهم.

الشطرنجية ـ وبعض آخر هم رجال حزب البعث في لباس المعمّمين قد أجّجوا نار الفتنة فتوارثها جيل الشباب في الحوزة من غير وعي للجذور وهؤلاء أثّروا على النـاس فـي مـجتمعاتهم وتـدحرجت كـرة التسـقيط (المقدّس الشرعي) كالكرة الثلجية وتناقضوا فيما بعد ذلك حيث ينادون اليوم باجتهاد أنفسهم وهم تنطبق عليهم كلّ المآخذات التي طبّقوها على الإمام الشيرازي لإثبات عدم اجتهاده، ولابدّ من الصراحة .. بأنّ القـضية وما فيها هي الصراع على أموال الحقوق الشرعية لأخذها من كبار عمالقة المال في الشيعة، ولذلك أصبحت باؤهم تجرّ وباء غيرهم لا تجرّ[1]!

وهنا مضافاً إلى ذلك أُبيّن للقارئ المنصف قاعدة كـلّية فـي السـبب الرئيسي لتسقيط الكفاءات الحقيقية على طول التأريخ :

إعلم ياعزيزي إنّ حراب التسقيط لا يتوجّه إلّا نحو صدور العـاملين، فالذي لا يعمل لا يوجّه إليه هذا الحراب ، والذي لا ينشط في المجتمع لا يتكلّمون عليه . أما ترون الشجر المثمر كيف ينال حجر الصبيان والمارّة؟!

فهناك الحسد الداخلي ـ وأكثره يكون بين أهل الصنف الواحد ـ وإلى جانبه الخطط الاستعمارية الموجّهة إلى الشرق الأوسط (فرّق تسد) يدكّان في الكفاءات المتميّزة دكّاً دكّاً.

فاحذر أنت أيّها المسلم أن يجعلوك حطباً تتّقد بك نار التسقيط مـن حيث لا تشعر ، فإنّ الحاسد عـاقبته النـار وكـذلك الذي يـعمل لخـدمة الاستعمار. والسؤال الأخير: مَن المسؤول عن جريمة إسقاط الكـفاءات وحرمان الناس عنهم ؟!

---

(١) ـ راجع كتابنا (قصص وخواطر) قصة بعنوان (ليلة ميلاد الحق)، ففيها المفاجأة !.



الفصل الخامس

وفيه ثلاث محطات :

المحطة الاولى:

التسقيط في فتاوى المراجع الكرام

المحطة الثانية:

التسقيط بأقلام المثقفين

المحطّة الثالثة :

التسقيط في المنظومة الفكرية

للإمام الشيرازي ﵀

المحطة الاولىٰ:
التسقيط في فتاوىٰ المراجع الكرام (حفظهم الله) .

تمهـــيد:

جرىٰ حوار بيني وبين أحد الشخصيات الإسلامية[1] أُبيّن منه قـبساً تمهيداً لعرض الاستفتاء والإجابات:

قال الأخ: لقد اجتمع رؤساء الدول العظمىٰ لبحث القضية العراقية سواء منهم المتحالفون مع أميركا أو المـعارضون لهـا ، واجـتمع رؤسـاء دول المنطقة لبحث القضية سواء الذين كـانوا مـع صـدام أو ضـده ، وكـذلك اجتمعت الأحزاب وخاصة غير الإسلامية، واجتمعت المنظمات الحقوقية والإنسانية ، واجتمع كلّ من لديه مصلحة في العراق من بعيد ومن قريب . ولكن هل اجتمع مراجع الدين الشـيعة وكـبار الفـقهاء والعـلماء لبـحث القضية، علماً أنّهم قادة لهم الأكثرية الشيعية من الشعب العراقي وهم أكثر المتضرّرين من الحكومة الصدامية الدموية ؟!!

وأضاف : لو افترضنا أنّ كِبَر عمرهم وبُعد أماكـنهم هـو المـانع مـن اجـتماعهم، فــلماذا لا يـتبادلون الرأي عـبر تكـنولوجيا الاتّـصالات

---

(١) وهو أحد العلماء الذي خلع عمامته قبل (٢٤) سنة بسبب الأشكال الدخيلة على هذا الزيّ المقدّس والتي سَبّبت صراعات طفيلية في الأوساط العلمائية آنذاك ولازالت .

ويصدرون بياناً مشتركاً في نقاط رئيسية ، يبيّنون من خلالها رأي الإسلام في ما يدور على أرض العراق وماذا يريدون لمستقبل هذا الشعب؟!

وأضاف لي قائلاً: بماذا تفسّر هذا الغياب العجيب للموقف المرجعي الموحَّد ؟ في الوقت الذي يكفي سقوط ملايين الشهداء الأبرياء خلال حكومة صدام لتوحيد كلّ المتخالفين في العالم وليس في العراق فقط ؟!

قلت : السبب لأنه لم تكن بينهم جسور سابقة ليتسنّىٰ لهم اليوم مثل هذا التنسيق بسهولة . ومهما أقول فقولك هو الأقوىٰ . النقد وارد فما هو الحلّ في رأيك؟

قال : الحل في شورىٰ المراجع أو الإعلان عن العجز عن إدارة شؤون الناس ليذهب الناس خلف قادة آخرين من حثالات الأُمّة أو ثوّار المقاهي أو الساسة المشبوهين!

قلت : الحلّ الأول هو مشروع السيد الشيرازي (المهجور) وأمّا الثاني فهو لا يمكن طبعاً.

قال : ياليت المشكلة فقط أنّهم لا يجتمعون ليقولوا بصوت واحد ما هو المطلوب ، ولكن المشكلة أيضاً أنهم إذا شقّ أحد طريقه الى الأمام يرشقونه بالفتاوىٰ ، فمتىٰ تعالج هذه الإشكالية ؟

قلت : الإشكالات كثيرة ياأخي ، دعنا عن هذا الموضوع فإنّ من (تحرّش) بالمراجع العظام يصاب بمرض الجذام ! أعطني اقتراحاتك لتطوير كتابي (التسقيط) لعلّ الله يجعل فيه صلاحاً وإصلاحاً ويكون سبباً لعلاج هذا المرض وليس نقضاً للغرض.

قال : اذكر لي فصوله والعناوين .

ذكرتها له حتّىٰ وصلت إلى هنا (محطّة الاستفتاءات من المراجع حول مرض التسقيط) .

فقال : مَن منهم أجابك على استفتائك ؟

قلت : قبل ثلاثة أشهر أرسلت إلى (١٢) مرجعاً منهم فوصلتني أجوبة ثلاثة، وأعدت الإرسال مرّة أُخرى إلى الجميع فجاءتني أجوبة أربعة آخرين . وبعد أشهر جاء جواب آخر .

قال : مِن (١٢) يجيبك (٨) ؟! والحال أنّ السؤال بسيط ومهم . فما هو الإشكال في عدم التفاعل؟ بينما لو كان السؤال عن أحكام الصلاة والصوم مثلاً لأسرعوا في الجواب!

قلت : قرّرنا أن نغلق هذا الباب فلا طاقة لنا بمرض الجذام ياأخي !!.

ألستم تؤمنون بالحرّية ، فمراجعنا أحرار إن أرادوا اجتمعوا أو لم يجتمعوا وإن أرادوا أجابوا على الأسئلة الحرجة أو لم يجيبوا ! ثم فلنقل تعدّد أدوار ونخلّص أنفسنا ، قل ما عندك لي أو عليّ في هذا الكتاب. ففي الحديث **«أعقل الناس من جمع عقول الناس الىٰ عقله»**.

قال : إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام كان يُرحّب بالنقد والنصيحة وهو المعصوم عن كلّ نقص وخطيئة ، فلماذا تتهرّب من كلامي حول المراجع؟ حسناً فأنا لا أتكلّم. إنّه حسب معرفتي بأفكارك الإصلاحية ـ والتي لا يقدّرك فيها أحد إلّا بعد رحيلك من هذه الدنيا ـ فإنّي أعتقد أنّك حكيم في اختيار المواضيع ومعالجتها قرآنياً وروائياً مع الشواهد التجريبية الحيّة بحيث لا تترك ثغرة لأحد ضدّك إلا أن يكون معلّماً للشيطان .

قلت : ليس أحد يعيش من غير ضدّ ، فحتّى ربّنا تعالى والأنبياء

والأئمّة عليهم السلام ضاددوهم . فلا نرجع إلى أصل الموضوع، إنّ الإجابات الواردة على سؤالنا من بعض المراجع متقاربة لبعضها، وأتصوّر أنّ الآخرين الذين لم يجيبوا على السؤال يكون جوابهم على نفس المنوال .

قال : المهم إنّهم لم يجيبون جميعاً على داءٍ أكل من الجميع مأكلاً عظيماً واذا أجابوا أجابوا وكالعادة بكلمات مختصرة أو مبهمة !

قلتُ: لاتنسىٰ أن أكثر المراجع لايباشرون بأنفسهم في الأجوبة علىٰ الأسئلة، الحاشية هي التي تُقرّر في كتابة الإجابات وعدمها ، وأحياناً حتّى في إيصال الرسائل إلى المرجع ، وعدم إيصالها !

قال: أبيتَ إلاّ أن تكون مدافعاً وحدوياً. ولكن هلّا تعبتَ من كثرة الدكّ على قضية الوحدة ونبذ الاختلاف ؟ أرى إنّ أكثر من خمسين في المئة من عطائك الثقافي يصبّ في هذا المنحىٰ . دعهم يتناطحون ياأخي فالذين لا يتنازلون عن أنانيتهم وهم يعلمون قيمة الوحدة لا يستحقّون صرف الوقت أكثر من هذا .

قلت : ذلك لأنّ الآخرين يصبّون في مناحي أُخرى ، ولنكن نحن نضع أصابعنا على أصل الجرح الدامي ونحاول استئصال جذر المتاهات والمشاكل والمآسي .

قال: إنك تحاول رتق فتق لجيوب مخروقة ، مهما يحاول أمثالك فإنّهم يرجعون إلى نقطة الصفر، هذه سنة الحياة ولابد من اختبار الناس في الخلافات.

قلت: دع عنك التشاؤم وما علينا إلا العمل بالوظيفة الشرعية كما بيّنتها الآيات والروايات. والباقي علىٰ الله تعالىٰ .

نصّ الإستفتاء والإجابات الواردة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

سماحة المرجع الديني آية الله العظمىٰ ... ... (دام ظلّه العالي).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحيّة طيّبة ودعاؤنا لكم أن تكونوا للإسلام سَنَداً وللمسلمين رَشَدًا.

وأمّا بعد: نرجو أن تبيّنوا لنا رأيكم الفقهي مشفوعاً بالنصيحة التي هي من حقوق المسلمين على بعضهم، حول التسقيطات والتشهيرات وتبادل الاتّهامات العلنيّة التي يمارسها بعض المعمّمين والناس ضدّ بعضهم ممّا يؤدّي إلى شحن النفوس بالعداوات والبغضاء وسوء الظنّ والتفرقة وبالتالي يساعد على تكريس الاستعمار في بلاد المسلمين وابتعاد الجيل الناشيء من الدين والعلماء الصالحين والمراكز الدينية وانغماسهم في مجال اللهو والفساد.

ودمتم سالمين ودمتم موفّقين لكل خير.

داعيكم عبدالعظيم المهتدي البحراني

٥ / جمادى الأُولى / ١٤٢٤هـ

فكانت الإجابات التالية التي وصلتنا من بعضهم ولم ننتظر بعضها الآخر لضيق الوقت ولعلمنا أنّها إجابات تتّفق على نفس المضمون والمحتوى، وقد رتّبناها حسب تاريخ وصول الإجابات ونحن لهم شاكرون:

١ ـ **جواب الشيخ المنتظري** (بسمه تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبعد قال رجل لرسول الله ﷺ : أوصني ، قال : « **احفظ لسانك** » ثمّ قال: أوصني ، قال : « **احفظ لسانك** » ثمّ قال : أوصني قال : « **احفظ لسانك وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلّا حصائد ألسنتهم** » .

وفي القرآن الكريم : ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** ...﴾ نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لحفظ ألسنتنا عن كلّ غيبة ونميمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٧ جمادي الثانية / ١٤٢٤ هـ) .

٢ ـ **جواب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي** (ج ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ وفّقكم الله ١١ / جمادىٰ الثانية ١٤٢٤ هـ) .

٣ ـ **جواب السيّد محمد صادق الروحاني** (بسمه جلّت أسماؤه لا إشكال في أنّه من المحرّمات الأكيدة الاتّهام وانتساب شيء إلى شخص وهو بريئ منه سيّما إذا ترتّب عليه ما ذكر من المفاسد ـ كما لا ريب في أنّه يحرم الغيبة وهي ذكرك أخاك وقولك فيه بما ستره الله من العيوب ومع ترتّب المفاسد المشار إليها تشتدّ الكراهة ـ ولكن تجوز الغيبة في موارد منها المتجاهر بالفسق ومنها قصد ردع المغتاب عن المنكر الذي يفعله ـ ومنها قصد حسم مادّة فساد المغتاب عن الناس كالمبتدع ـ وقد يجب

وهو ما إذا كان المغتاب عالم السوء الموجب السكوت في مقابله وهن الشريعة وضروريات الدين وما شاكل وفي مثل ذلك قال ﷺ : « إذا ظهرت البدع فعلىٰ العالم أن يُظهر علمه وإلّا فعليه لعنة الله » ، وفي بعض النصوص أشدّ من ذلك.

(٥ رجب / ١٤٢٤)

٤ ـ **جواب الشيخ بهجت** (بسمه تعالىٰ يجب على كلٍّ مِن آحاد المسلمين العمل بالوظيفة الشرعية من جميع الجهات التي منها عدم إهانة المؤمنين فضلاً عن المعمّمين والعلماء العاملين فإنّ الإهانة من المحرّمات) .

٧ / رجب / ١٤٢٤ هـ

٥ ـ **جواب السيد صادق الشيرازي** (بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ وفي حديث رسول الله ﷺ : «الرفق لم يوضع على شيء إلّا زانه ، ولا ينزع من شيء إلّا شانه » البحار / ج٧٢ / ص٥١) .

١٢ / رجب / ١٤٢٤ هـ

٦ ـ **جواب السيّد محمّد تقي المدرّسي** :(بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا حرامٌ بنصّ الآيات القرآنية في سورة الحجرات التي تقول : ﴿**يا أيّها الذينَ آمنوا لا يَسْخَر قومٌ مِن قومٍ عسىٰ أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ مِن نساءٍ عسىٰ أن يكُنَّ خيراً مِنهُنَّ ولا تَلْمِزوا أنفُسَكُم ولا تَنابَزوا بالألقاب بِئسَ**

الإسمُ الفُسُوقُ بعدَ الإيمان ومَن لَمْ يَتُب فأولئِكَ هُمُ الظالِمون * يا أيّها الذيـنَ آمَنوا إجتَنِبوا كثيراً مِـنَ الظَـنّ إنّ بـعضَ الظَـنِ إثـمٌ ولا تَـجَسَّسُوا ولا يَـغْتَب بعضُكُم بعضاً أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهتُموه واَتّقوا اللهَ إنّ اللهَ توّابٌ رحيمٌ﴾ حيث سمّىٰ القرآن الكريم هذا العمل بـالفسوق ونـهىٰ عـن سوء الظن والتجسس والغيبة . محمّد تقي المدرِّسي ـ كربلاء المقدّسة

٢٧ شعبان المعظّم / ١٤٢٤ هـ

٧ ـ **جواب مكتب السيّد علي السـيستاني** : (بسـمه تـعالىٰ: لايـجوز الاستغابة والاتهام ويجب التجنّب عن تلك المجالس)

٢٨ شعبان المعظم ١٤٢٤ هـ

٨ ـ **جواب مكتب الشيخ فاضل اللنكراني** : (بسم الله الرحمن الرحيم : **﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[1]. ١٠ / ٨ / ١٣٨٢ ـ هـ. ش

---

(١) الأنفال / ٤٦.

المحطة الثانية:

التسقيط، بأقلام المثقفين (أيّدهم الله)

ندخل هنا علىٰ موقع الانترنت (كتابات) لنقتطف سطوراً مما كتبه المشاركون في موضوع (ثقافة التسقيط في الأدب السياسي العراقي).

- **المقالة الأولىٰ للكاتب (سرمد عبد الكريم) بعنوان (ثقافة التسقيط المعارضة العراقية مثالاً):**

وحتى أكون مباشراً وبدون لف ودوران لحساسية الموضوع سأتناول الموضوع من جانبين .

الجانب الاول – تعريف الاسقاط .. ماهو الاسقاط ؟ ولماذا الاسقاط ؟

الاسقاط هو محاولة اخراج طرف ما خارج اللعبة السياسية بوسائل مختلفة ، وهذا مشروع في حالة التنافس الديمقراطي الشريف ، لكن من غير المشروع استخدام الضرب تحت الحزام باستخدام معلومات شخصية او عائلية او سقطات خاصة لغرض الابعاد.

والجانب الثاني – خصوصية هذه الظاهرة في المعارضة العراقية وهي لعبة قديمة لعبها ميكافيلي صاحب نظرية (الغاية تبرر الوسيلة) .

إنّ مسألة المشروعية وعدمها مسألة نسبية ولايجوز الاطلاق فيها ، وخاصة في قضية سياسية معقدة مثل القضية العراقية لامتدادتها المتشابكة

والمتفرعة ، ولكن لايمكن وضع قياسات دقيقة هنا او هناك باعتبار هذا مسموح وذاك ممنوع ، لأنّ قضيتنا خرجت اصلا من اطارها الوطني والقومي وصارت مرتعا خصبا لكل الطفيليات...

وهناك تشابك غريب بين المصالح الشخصية والاهداف السياسية وغلبة الاول على الثاني نتيجة قسوة الحياة والغريزة البشرية بالبقاء ومحاولة البقاء مع الحصول على المال والسلطة .

إذن الضمير والضمير وحده هو الذي يحدد السلوك الوطني او السلوك اللاوطني وهو نسبي ومرن بنسبة معينة أيضاً ، لكن شيء واحد ثابت ولايمكن تجاوزه هو المصلحة الوطنية العليا خط احمر كونكريتي لايمكن تجاوزه .

١ـ أن تحويل الحوار إلى نزاع شخصي في كل الأحوال ـ وهذا ما يكثر حصوله لدينا للأسف الشديد ـ يجعل الأفكار ضحية الانفعالات والحساسيات، إضافة إلى ما يؤدي إلى عدا وات شخصية أو فئوية لا يخفى على أحد مدى خطورة مردوداتها.

٢ ـ غالباً ما يعمد المحاور إلى التفسير والتأويل لأفكار خصمه الفكري، ويؤسس على هذا التأويل ويبني عليه على أنه يمثل الحقيقة النهائية فيما يقصده المحاور، حتى لو حاول ذلك المحاور أن يصحح سوء الفهم، ترى الطرف الآخر يصرُ على فهمه، وانه يعلم بسرائر صاحبه أفضل مما يعلمه هو بنفسه، أو كأنه فتح عقله وقلبه واطلع على خفاياه، أو أخبره جبرائيل (ع) بما خفي على الآخرين.

٣ ـ الانطلاق في أغلب الأحيان من أن الآخر سيئ السريرة، وليس

مجرد أنه قد يكون واقعا في شبهة أو خطأ غير مقصود، هذا مع فرض أن فكرة الآخر خاطئة. وهنا تبرز عقلية التعامل مع نظرية المؤامرة والتخطيط الخبيث على الفريق المختلف معه، وتعميم ذلك الحكم على كل قول وفعل وموقف، فيلغي العامل الشخصي الفردي في عناصر ضعفه كما في عناصر قوته، ويحول الفرد إلى موجة متحركة داخل بحر لا تختلف فيه موجة عن أخرى، أو إلى قطعة من قطع ماكنة كبيرة تعمل بانسجام تام، وتحركها يد واحدة من زوايا مظلمة من وراء الستر.

٤ ـ ادعاء كل من الطرفين أنه وحده قد أنزل عليه جبريل (عليه السلام) الوحي والحق والعصمة في كل ما يفكر وفي كل ما له من نوايا ومنطلقات، فيحتكر امتلاك الحقيقة، بل يعصم نفسه وحده مما تقع في النفس الإنسانية من حالات ضعف، فعمله هو وحده خالص لوجه الله - إن كان إسلاميا أو متشرعا - أو خالصا لمصلحة الوطن.

٥ ـ وعندما نجد أن طرفا توصل إلى قناعة - مع فرض صحة القناعة - إلى خطأ الآخر أو سوء نيته، أو سوء تعامله في الحوار والخلاف، يتحول لتعميم الخلل على كل من ينتسب إليهم ذلك الطرف، من دون أن تكون له دراسة موضوعية مجردة من الحساسيات، ما إذا كانت تلك الظاهرة المَرَضية التي اكتشفها عند طرف النزاع الفكري، تمثل بالفعل ظاهرة عامة مستحكمة، أم هي تمثل حالات مفردة قد تكون موجودة عند هذا الفريق و ذلك الفريق. فبعدما تحول من لغة (فكرتك) إلى لغة (أنت) في مرض شخصنة النزاع، يتحول هنا من لغة (أنت) إلى لغة (أنتم) في مرض تعميم النزاع، حتى لو كانت الفكرة أو الموقف يمثلان بالفعل

قناعة شخصية وليست بالضرورة منطلقة من موقف الجماعة التي ينتسب إليها.

٦ ـ كل القيم الأخلاقية تسقط عند البعض في حالات التنافس، فيتحول الآخر من آخر نسبي إلى آخر بالمطلق، فلا مكان لحمل الأخ على سبعين محمل، ولا مكان للعدل في التقييم حتى لأشد الناس عداوة ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ولا مكان لتحمل الرأي الآخر واحترامه والقدرة على التعايش معه، ولا موقع للأخلاقية الديمقراطية أو أخلاقية انشراح الصدر، فتتحول الكلمات إلى مخالب وأنياب.

٧ ـ استخدام الحرب النفسية والاضطهاد الفكري، في نسبة التهم إلى الآخر أقلها التخوين وطنياً والتفسيق شرعياً والتكفير عقيدياً والتسقيط خُلُقياً...

وحالة الاعتدال أو المحايدة أو صاحبة الميل إلى هذا الموقف أو ذاك لا تعني أيضا التبرئة المطلقة لمنطلقات ودوافع الجميع، فنغيّب عناصر الوعي والحذر تماماً من التعامل مع الآخر. ولكن تشخيص أو احتمال أو ترجيح عدم سلامة النوايا للطرف الذي يخالفني في الموقف، أو حتى الطرف الذي يوافقني مع احتمال اختلاف المنطلقات وإن اتحدتْ النتيجة، لا بد أن يتم التعامل معه على عدة نواح وبعدّة مستويات:

١ ـ فضح صاحب النوايا السيئة إذا ثبت سوء نواياه بالقطع واليقين، وإذا كانت هناك مفسدة كبيرة في السكوت عنه.

٢ ـ إبقاء القناعة دون التصريح بها إذا كان ذلك مضراً بالمسيرة.

٣ ـ أو التحدث بها بلغة حضارية حوارية هادئة وعقلانية تتسم بالموضوعية، وعدم اللجوء إلى خطاب التسقيط والتراشق والسباب والتخوين والتكفير.

وفي النهاية أحب أن أذكر بعضا من العوامل الأساسية من عوامل التسقيط:

١ ـ انخفاض في مستوى التربية الأخلاقية.

٢ ـ انخفاض في مستوى الرشد والوعي والثقافة.

٣ ـ التعصب.

والتعصب أو العصبية تنعكس بعدة ألوان وصيغ:

أ) التعصب للأنا.

ب) التعصب للحزب.

ت) التعصب لفكرة اللاحزبية.

ث) التعصب للقائد أو المرجع.

وكلها ممقوتة وتمثل حالات مَرَضية، فيجب أن نميز بين عمق القناعة والتمسك والالتزام بها، وبين العصبية المقيتة، وتحويل النسبيات إلى مطلقات، والمتحوّلات إلى ثوابت، والمتغيرات إلى نهائيات. عندها ستنفتح أذهاننا وعقولنا وقلوبنا وعقولنا على الآخر القريب، بل وحتى على الآخر البعيد. وعندها نعيش إنسانيتنا في آفاقها الواسعة، ونحقق أخلاقيتنا في قيمها الراقية، ونتمثل وطنيتنا في مسؤوليتها التاريخية، ونعيش إسلامنا بعيداً عن الازدواجية، أقول قولي هذا وأستغفر لي ولجميع إخواني، وأسأل الله أن يعطينا حُقنة من عقل تكبر بها عقولنا، وشُحنة من صفاءٍ

تسمو به نفوسنا، ولست منزّهاً لنفسي مما أشرت إليه، فالإنسان خطاء إلا مَن رحم ربي وعصم، وأنا وأنت الذي تـتفق والذي تـختلف مـعي بَشَـرٌ والبشر خطّاؤون، فلا ننظرنّ عندما نتناول الأمراض إلى الآخرين، كم هم مصابون بها، دون الالتفات إلى ما يمكن أن أصابنا منها ولو بنسبة، فاتهام الذات، سواء كانت الذات الفردية فيما هي الـ(أنا)، أو الذات الجماعية فيما هي الـ(نحن)، خطوة نحو تشخيص الداء، ولا ينفع دواء أو علاج مـا لم يشخّص الداء. أصلح الله كل ما فسد من أمورنا وما توفيقنا إلا بالله.

❊ ❊ ❊

● **المقالة الثانية للكاتبة الدكتورة (عائشة عثمان التويجري)**
تحت عنوان (حتمية الحوار، وثانوية الجدل في النهج الثقافي البُنيوي).

١) استثناءً للمحترفين !

أشعر بسعادة غامرة وأنا أطالع الأقلام الواعدة التي تدلي بعطائها الثر ، وترفد جعفر الإبداع من مناهل وينابيع ، عبر روافد تلتمس طريقها بحذر صوب النهر الكبير .

لتديـم حلقات الوصل لسلسلة الأجـيال المـتعاقبة ، كـي لا تـنقطع ، وتختبئ في جنباتها مَلَكة متحفزة للانـقضاض نـحو الهـدف ، ولكـن .. بأدوات لم تصل بعد لمرحلة النضوج ، وبوتائر تحركهـا في الغالب حمى الانفلات (ومعذرةً) بعض مفردات الانزلاق اللفظي .

ولن يندرج هذا الوصف في خانة القلق والخشية ، لأن مـع كل حبْوٍ عثرة ، ولكل فارسٍ كبوة ، ولأي مبتدئٍ هفوة .

واستثناءً لأقلام الرواد والأسماء اللامعة في حقول السياسة والأدب النقدي والنقد المقارن التي تمنحنا متعة القراءة والمتابعة ، والتواصل المطلوب مع أحداث الساعة . تطالعنا نتف من النتاجات التي تُنشر في المواقع العربية ، تثير في النفوس الاشمئزاز ، قد وجدوا ضالتهم عبر وسائل الإعلام البديلة ، ومنها (الإنترنت) في منعطف ثورة الاتصالات المتاحة للجميع ، وكسروا قيودهم بعنف ، وفق نظرية (التراكم الكمي يولّد تغيراً نوعياً) وتدفق السيل العارم المكبوت من حناياهم ، ليشق طريقه على غير هُدىً وبلا (مُسنّاة) .

٢ ـ أهلية المواقع ، ودورها في التشذيب .

على ضوء ما سلف يكون لزاماً على أصحاب المواقع تبني المسؤولية الأخلاقية ، لحماية (المستهلك) والمواطن والأشخاص المعنويين والأطراف السياسية والشخصيات الدينية من التشهير والتنكيل ، والنعوت الجارحة والمفردات البذيئة والألفاظ (السوقية) وكل ما ينم عن نكوص أخلاقي (ونقص مناعي) في تطهير الذات من الزلل. وإبداء وجهات النظر المتباينة بروح التسامح ، ورجاحة في تقدير الضرر الناجم عن إيذاء الغير، ومنها الأضرار النفسية التي يفوق وقعها في الكثير من الحالات، الأضرار الجسدية القابلة للاستشفاء .

وممارسة النقد المنضبط البناء والمعبر عن روح المسؤولية بوسائل ليّنة وأدوات طيّعة ، وانتقاء المفردات بخفة ونعومة فائقة، فانّه حتىٰ في حالات التيارات الجارفة من العواطف ، والتي لا يَقدر المرء أن يفصل بينها وبين مشاعره بجدار من الفولاذ ، على الكاتب المقتدر الحصين

والناقد البارع الرصين والباحث الجاد الأمين ، أن يسبغ عليها لمسات من البراعة واللين وأن ينأ بنفسهِ عن صغائر الأمور ويذود عن مكانتهِ بالوقار ، إجلالاً لقدسية القلم واحتراماً للذات .

فثقافة الهِجاء وبضاعة (التسقيط) هي من صنف التجارة البائرة ، عبر مراحل التطور البنيوي لتاريخ الأدب العربي بكافة أوجههِ .

فإذا ما هبط الأديب اللامع على قرّائه بمظلّة من القِش المهترء وتعاملَ مع خصومه بنفس مفردات المرحومة «أُم ستّوري» عندما كانت تتشاجر مع جاراتها! فقد أضحىٰ الأديب في عِداد الأموات ، وإن كان حياً .

٣) ضوابط لا بد منها .

وتأسيساً على ما أشرنا إليه ، ولحماية الكاتب ، والقارئ بعين الوقت من كل ما يعكّر الصفو ، ويثير الفتنة ، ويؤجج الأحقاد والضغائن، ويدفع بالقارئ للعزوف عن المتابعة ، ويرسي أسساً لصحافة نيرة ، وآداب سامية ، ترقىٰ إلى مصافّ الأدب العالمي...

ويجب أن نعلم جميعاً ، أن حرية أي فرد (تتوقف) عندما تتقاطع مع حرية الآخرين .



● **المقالة الثالثة للكاتب (فائق الياسري)**

تحت عنوان (التسقيط ظاهرة مَرَضية):

ترجع نشأة ظاهرة التسقيط في الأدب والخطاب السياسي العراقي إلى بدايات القرن الماضي الذي استهل كما هو حال هذا القرن بالغزو الغربي

للمنطقة العربية إثر هزيمة الدولة العثمانية التي كانت منطقتنا جـزء مـن ممتلكاتها حيث انقسم المجتمع العراقي متمثلا بفئاته السياسية ومؤسساته الاجتماعية والدينية إلى موال للغازي المحتل القادم من الغرب الصليبي أو رافض بشدة لهذا الغزو وداع لحمل السلاح والمقاومة الوطنية بجانب الجيوش العثمانية الممثلة لامتداد الخلافة الإسلامية آنذاك...وبعد وفي مرحلة لاحقة تطورت أساليب التسقيط لتبلغ حدّ القتل المعنوي... وتعددت معها وسائل التسقيط وتطورت أنماطها نحو الانحدار لتشمل الطعن في شرف الافراد وممارساتهم السلوكية الخاصة إضافة للاتهام بالخيانة والعمالة للأجنبي والتآمر ضد الدولة والتجسّس وما إلى ذلك من السمات المنفرة في مجتمعنا المحافظ والتي أعطت في كثير من الأحيان أجهزة السلطة الحق في قتل الخصوم وتغييبهم عن ساحة العمل السياسي.

و في مرحلتنا الحاضرة وإثر تمادي طغيان الحاكم وطول الفترة النضالية التي مرت بأزمات عديدة انعكس تأثيرها على أخلاق الكثير من المناضلين المتأزمين في تطبعهم نتيجة عوامل عديدة تضاف إلى العاملين السابقين يأتي في مقدمتهما وعلى المستوى الجمعي تنوع الاتجاهات الفكرية للفئات السياسية وتعدد ولاءاتها وتدخل أجهزة المخابرات الدولية والإقليمية والمحلية في الشأن العراقي المعارض أفرادا ومؤسسات وعلى المستوى الفردي النأي عن الوطن وإطلاق العنان للنفس الإنسانية الأمارة بالسوء في إتباع الهوى والجري خلف المنفعة الذاتية ونسيان الهدف السياسي النبيل مما مهّد هذا وغيره لبروز حالة من التيه الفكري

والقيمي والتنافس غير الشريف في ساحة العمل السياسي، حيث سعى كل طرف إلى إلغاء الآخر أو تهميشه وقتله معنوياً من خلال إطلاق العبارات المخدشة للأخلاق والمنتهكة للحرمة والمسيئة للسمعة وإلصاق التهم التي تجاوزت السلوك العام إلى السلوك الشخصي وإفشاء أسرار الحياة الخاصة للمتنافسين أو حتى مصادرة جهودهم النضالية عندما يكونون في محل الخلاف والاختلاف ووصمهم بالردة، أو أنهم أوراق خريف تتساقط في الطريق حتى أضحى الشجر أجرداً والساق في طريقها إلى اليبوس، والتقوى لم يَعُد لها مكاناً في الأخلاق السياسية.

لقد تحول التسقيط إلى حالة سلوكية مَرَضية هابطة وعقبة كأداء تعيق تقدم الأداء السياسي وتسفه المتبنىٰ الفكري بعدما أخذ ذلك بُعداً شخصياً نأى به بعيداً عن السلوك السياسي الذي يفترض توجيه النقد الموضوعي البناء للأداء السياسي المتعلق بالمصلحة العامة أو المتبنىٰ الفكري للجهة المنافسة فرداً كان أو جماعة، وخاصة حينما يكون الهدف واضحاً أمام كل الأطراف في الساحة السياسية التي يجب أن تتقبل هذا النقد وإن أتى لاذعاً في أحيان كثيرة بسبب خطورة المتبنىٰ أو الأداء على المصلحة العامة لأنه ـ أي النقد ـ بالتالي يهدف إلى تقويم المسيرة لا هدمها كما هو حال التسقيط .



● **المقالة الرابعة للكاتب الدكتور (فخري مشكور)**

تحت عنوان (القول الوسيط في ثقافة التسقيط):

التسقيط عن طريق إلصاق تهمة شنيعة بالخصم - سواء كانت واقعية أم لم تكن - اسلوب مألوف في السياسة العالمية والاقليمية على طول التاريخ وعرض الجغرافية، وفي تاريخنا الاسلامي كان "النفاق والزندقة والبدعة والرفض والنصب والارجاء " أدوات صالحة للاستخدام ضد الخصوم في صدر الاسلام والفترة الاموية وشطرٍ من الفترة العباسية، حيث كانت المعيارية الاسلامية هي الارضية في الصراعات السياسية.

وفي التاريخ القريب للمنطقة العربية تغيرت الآليات واصبحت تهم العمالة والجاسوسية والانتهازية والخيانة اكثر استعمالاً وانسجاماً مع معيارية الدولة الوطنية او القومية.

وبدخول التيارات اليسارية الى الثقافة السياسية ظهرت تهم الرجعية واليمينية والامبريالية والليبرالية والشوفينية.. الخ.

◘ **سيكولوجية التسقيط**

يختزن الفرد العراقي في داخله قروناً من القهر والظلم الجسدي ودهوراً من المنع والقمع الفكري. فقد عانى العراقي من سلطة الخليفة الاموي ثم العباسي ثم العثماني. تلتها الحكومة التي نصبتها بريطانيا معتمدة قهر الاغلبية كسياسة ثابته واتهام من يعترض عليها بتهمة الطائفية. ثم جاءت سلطة البعث التي صادرت البقية الباقية من هامش حرية الفكر والتعبير واصبح العراقي مخيراً بين التفكير والتعبيرمع سكن القبور او التصفيق

والتأييد مع سكن الدور...

هذه القرون من القهر والكبت عندما تجد مجالاً للتصريف سواء فـي المهجر او في احدى دول الجوار او على صفحات الانترنت فانها تنفجر بصورة غير محسوبة كطائر مقصوص الجناح يطلق من قفصه بعد سنين نسي خلالها الطيران فينطلق بكل اتجاه وقد يرتطم بجدار او شجرة، ويغيّر اتجاهه بين الفينة والفينة وقد يسقط وقد يجنح... كل ذلك لانه لم يـعتد الطيران.

فاذا أضفنا الى ذلك ما يقال عن طبيعة الفرد العراقي المتميزة بـالحدة والعنف، وحرمان الفرد العراقي من فرصة التربية على الثقافة الاسـلامية المأخوذة من القرآن لامن أفواه الرجال، وأخذنا بـنظر الاعـتبار العـلاقة العكسية بين الرصيد الفكري والمخزون اللغوي من الشتائم، تكوّنت لدينا صورة شبه كاملة عن الارضـية السـيكولوجيةالتـي تـقوم عـليها ثـقافة التسقيط.

▣ متى يلجأ الخصوم الى التسقيط ؟

لا يحتاج أحد للتسقيط اذا كانت درجة الحرارة فـي الجـو السـياسي ضمن المعدل والرياح معتدلة السرعة. لكن ارتفاع درجة الحرارة في الجو السياسي الجاف والعاصف يفرض على المتصارعين حشد كمية اكبر من الاسلحة والذخيرة.ان المفكر يلجأ الى سلاح الفكر في صراعه مـع مـن يختلف معه فاذا كان الفكر محدوداً لدى البعض فانه يستدعي الاحتياط من مفردات قاموس يتناسب حجمه عكسياً مع حجم دائرة المـعارف.إن التسقيط يبدأ حيث ينتهي الفكر.

▣ التسقيط من وجهة النظر الاسلامية

التسقيط عن طريق الاتهام ينقسم الى قسمين:

١ ـ اتهام كاذب .

٢ – اتهام واقعي .

فالاول يعتبر في الميزان الشرعي "بهتاناً" وهو محرّم، اما الثاني فهو "غيبة" وله أحكامه الخاصة التي منها: عدم جوازها إلا في حالات كتعرض الانسان للظلم.

في القرآن الكريم نلاحظ وجود منهج للتعامل مع المخالف فكرياً وسياسياً. يقوم هذا المنهج على التبشير بالفكرة وبأفضل الوسائل **﴿البلاغ المبين﴾** وبوعي **﴿على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾** واحترام أي وجهة نظر تقوم على البرهان **﴿ومَن يَدْعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانّما حسابه عند ربّه﴾**.

ومطالبة الآخر بالدليل **﴿قُل هاتوا برهانكم إنْ كنتُم صادقين﴾** أمام الدليل الذي يقدّمه الاسلام **﴿هذا ذِكرُ مَن معي وذِكرُ مَن قبلي﴾**.

ضمن هذا المنهج يوفر الاسلام لغير المسلم فرصة للسياحة الفكرية برفع كل الحواجز التي تمنع الحرية الفكرية **﴿وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجزه حتى يسمع كلام الله ثم أبلِغه مأمنه﴾** حيث تتكفل الدولة الاسلامية مسؤولية تأمين رجوع الكافر الى "مأمنه" بعد اطلاعه على "كلام الله " دون مطالبته بتحديد موقفه لكي لا يشكل وجوده تحت السيادة الاسلامية عامل ضغط على حريته الفكرية.

ويبرز الحوار كظاهرة متميزة في المعترك الفكري الاسلامي الذي

يشكل القاعدة للصراع السياسي.

أما البحث عن المقولات المشتركة مع الآخر وتسليط الضـوء عـليها وتفعيلها وجعلها أساساً ومنطلقاً لتعاون بنّاء فقد حثّ عليه القرآن الكريم حتى في التعامل مع من لا يؤمن بالاسلام و القرآن و النبي ﷺ:

﴿يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم: أن لا نـعبد إلا الله ولا نُشرِك به شيئاً ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً مِن دون الله﴾.

فإذا رفضوا فالموقف هـو: " فـقولوا اشـهدوا بأنّـا مسـلمون " وليس التسقيط أو التشهيرأو السب والشتم.

اما التسقيط والتراشق الكلامي فهو غريب عن المنهج الاسلامي، يقول تعالى:

﴿ولا تسبّوا الذين يدعون مِن دون الله فيسبّوا الله عَدْواً بغيرِ علْم﴾.

وقال رسول الله «ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان».

وسمع الامام علي أصحابه يسبّون خصومهم السياسيين فنهاهم عـن ذلك وقال: «أكره لكم أن تكونوا سبّابين» ودلّهم على المنهج الصحيح في التعاطي معهم: «ولكن لو وصفتم أفـعالهم». إن وصـف افـعالهم عـملية معيارية قائمة على الصدق لا الافتراء.

ومـن هـذا الحـديث نسـتنتج أنّ التسـقيط يـصلح للاستخدام فـقط بالاسلوب المـعياري و ذلك بـوزن افـعال الخـصم بـميزان مـقبول لدىٰ الطرفيْن.

▫ جدلية الشتم والشتم المضاد

يحذر القرآن من الانزلاق الى منحدر الشتم لئلا يولد رد فعل مـماثل

﴿ولا تسبّوا الّذين يدعون مِن دون الله فيسبّوا الله عَدْواً بغير علم﴾.

لكن هناك حالات نادرة يسمح بها الاسلام بالشتم كعملية تصريف نفسي تدرأ مفسدة أكبر، كما اذا وقع على الانسان ظُلْم لا يستطيع دفعه فيحتاج الى متنفَّس كلامي ﴿لا يُحِبّ اللهُ الجَهْرَ بالسوءِ مِن القول إلا مَن ظُلِم﴾

فشتم المظلوم للظالم حقٌّ مشروع لا يجوز مصادرته لأنه لا يملك غيره، أو حين يكون الشتم قِصاصاً يمنع ردة فعل غير متكافئة كما حصل عندما شتم أحد المسلمين الامام عليه السلام فقام اصحاب الامام يريدون قتله، فنهاهم الامام قائلا: «سبٌّ بسبّ أو عفوٌ عن ذنب». ولا شك أن خُلق الامام كان هو العفو ﴿وإنْ تعفو أقربُ للتقوى﴾.

▣ لماذا يلجأ الخصم السياسي إلى التسقيط؟

يدلنا القرآن الكريم على أن التسقيط هو الوسيلة التي يلجأ اليها الخصم عندما يعجز عن مقارعة الحجة بالحجة ويوشك على الهزيمة في الميدان الفكري أو السياسي. يتضح هذا جلياً من دراسة تجارب الانبياء السابقين وتجربة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله فمثلاً عندما ارسل الله موسىٰ عليه السلام الى فرعون بسلطان مبين قال فرعون: ﴿وما ربّ العالمين؟ قال: ربّ السماوات والأرض وما بينهما إنْ كنتم موقنين﴾. قال لمن حوله: ﴿ألا تستمعون؟ قال: ربُكم وربُ آبائكم الأولين﴾ هنا يجد فرعون نفسه في موقف صعب، فهو قد ادعىٰ أمام شعبه قائلاً ﴿أنا ربّكم الأعلى﴾ لكن موسى يفنّد دعواه بمنطق بسيط التركيب محكم البناء حين يواجهه بالسؤال عن ربّ الناس قبل

فرعون ﴿ربّكم وربّ آبائكم الاولين﴾، واذا كان فرعون رب مصر فان الله رب السماوات والارض وما بينهما. امام هذا المنطق لا يعثر فرعون على قطعة من سلاح الفكر يدافع بها عن نفسه فيلجأ الى التسقيط: قائلاً: ﴿إنّ رسولكم الذي أُرسل اليكم لَمجنون﴾ ويتهمه - إضافة للجنون - بالدجل والشعوذة: ﴿إنّ هذا لَساحرٌ مبين﴾ ويضيف - على سبيل الاحتياط - تهمة اخرى وهي التخطيط لاقتراف جريمة التهجير الجماعي: ﴿يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره﴾ ويتحول فرعون في هذه اللحظات العصيبة (كصدام) الى ديمقراطي من الدرجة الاولى حين يوكل الامر الى الشعب ويطلب منهم اتخاذ القرار! ﴿ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره، فماذا تأمرون؟﴾ فيتحول الشعب الى (مجلس وطني عراقي) عندما يبدي الرأي بالاستعانة بما يكافئ القنوات الفضائية ومثقفي الكوبونات: ﴿ارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾.

لماذا لجأ فرعون الى التسقيط عن طريق الاتهام بالسحر والجنون والتهجير الجماعي؟ هل كان بحاجة لذلك لو كان في مخزونه الفكري ما يقابل به فكر موسىٰ عليه السلام ؟

وفي تجربة نوح عليه السلام نجد أن كُبراء قومه عندما أرادوا مقاومة دعوته لم يقدموا فكرةً تستحق التوقف عندها بل جهّزوا له تهمتيْن: السعي الى الزعامة والجنون ﴿ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم، ولو شاء الله لانزل ملائكة... ان هو إلا رجل به جِنة﴾.

وتتكرر الحالة مع أغلب الأنبياء الذين تحدثت عنهم سور (الشعراء والمؤمنون والانبياء والاعراف وغيرها من السور المكية) وتبرز الفكرة

بوضوح اكبر في السور التي تُعدّد التـهم التـي أُلصـقتْ بـخاتم الانـبياء محمد(ص) كتهمة الكذب ﴿وقالوا ان هذا الا افك افتراه﴾ والعمالة للأجنبي ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ والرجعية ﴿وقالو اسـاطير الاوليـن﴾ والسـحر ﴿ان هذا الا سحر يؤثر﴾.

وفي السيرة النبوية نجد قائمة اخرى من التهم التي وُجّهت للنبيﷺ منها شق وحدة الصف الوطني لمجتمع مكة، وتمزيق وحدة العائلة التـي يؤمن بعض افرادها به، والتطاول على المـقامات العـليا، وعـدم احـترام مقدسات المجتمع ... الخ.

* * *

● **المقالة الخامسة للكاتب الدكتور (عبدالخالق حسين) تحت عـنوان (قراءة في الأبعاد الخلفية لظاهرة التسقيط):**

المقصود بالتسقيط هنا، وحسب تصوري للموضوع، هو العـمل عـلى تشويه صورة إنسان ما والإساءة إلى سمعته والحط من قدره في المجتمع وحتى تصفيته، لأسباب عديدة ومختلفة، أهمها المنافسة الشرسة وغـير الشريفة على احتلال موقع اجتماعي أو سياسي أو لتحقيق ربح مادي أو اختلاف فكري وسياسي على حساب الآخرين. وتشتد حملة التسـقيط ضراوة من قبل الأفراد القادمين من المجتمعات المتخلفة وخـاصة تـلك التي تحكمها أنظمة قمعية. وقد تناول المختصون في علم النـفس وعـلم الإجتماع هذه الظاهرة وربطوها بالإستبداد والتربية وإنغلاق المجتمع على نفسه ودرجة الإضطهاد الذي تعرّض له الفرد والمجتمع. والتسـقيط فـي

الأدب السياسي هو شكل من أشكال العنف الذي يمارسه المثقف.

فمن المعروف أن الفرد نتاج البيئة وجزء من المجتمع وما يتعرض له المجتمع ينعكس على سلوك الأفراد...

وهذا لا يعني أن المجتمعات المتطورة تخلو من ممارسة التسقيط، إلا إنه يمكن القول أن الثقافة التسقيطية تشتد عنفاً في المجتمعات الضيقة والمعرضة للإضطهاد أكثر من غيرها. كذلك يختلف الأفراد في المجتمع الواحد في ممارسة التسقيط بالدرجة. فالإنسان المثقف يختلف عن الإنسان الأمي الجاهل في المظهر الخارجي فقط، لأن العقل الواعي هو الجز المرئي من الجبل الجليدي والذي يشكّل العُشر، أما العقل الباطن فيشكّل تسعة أعشار منه، وهو الذي يتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا دون وعي منا وفيه المخزون التربوي والإجتماعي. والثقافة تعمل على صقل الإنسان وتهذيب طباعه والتخفيف من غلوائه واندفاعاته، ولكن في لحظة معينة عند شعوره بالخوف والتهديد تطفو نزعاته الحيوانية والعدوانية على السطح وتتغلب على القشرة الحضارية الخارجية الخفيفة أو الجزء البارز من الجبل الجليدي.

فالإنسان المضطهد وخاصة الذي تعرض للإضطهاد منذ طفولته، يعاني من التشويه النفسي الذي يظهر في سلوكه اليومي مع الآخرين على شكل عنف. وقد اثبتت الدراسات في علم النفس والتحقيقات الجنائية أن المنحرفين أخلاقياً والذين يمارسون العدوان الجنسي على الأطفال مثلاً، هم أنفسهم كانوا ضحايا هذا العدوان في طفولتهم، وسلوكهم العدواني في سن البلوغ هو انعكاس لما عانوه في طفولتهم وما لازمهم من شعور

بالنقص والرغبة في الإنتقام من المجتمع.

هذه العدوانية يعبر عنها الإنسان بأشكال مختلفة وحسب إمكانياته والموقع الذي يحتله. فإذا احتل موقعاً سياسياً سلطوياً يستغل منصبه لإضطهاد الناس الذين تحت حكمه بلا رحمة. وأغلب الطغاة في التاريخ من هذا النوع . وإذا كان معلّماً يضطهد تلامذته، وإذا كان أباً يضطهد أسرته... وإذا كان كاتباً يحاول الحط من الذين يختلف معهم، أو شاعراً ترى شعره كله هجاء وليس التغني بالجمال وحب الحياة.. الخ .

والجدير بالذكر أن هناك أنواعاً من الجنون والإنحراف لا يمكن تشخيصها بسهولة لأنه ليس هناك حد فاصل بين الإنسان السوي والإنسان الذي يعاني من هذه الأشكال من الجنون و الانحراف، بحيث لا يمكن معرفة المنحرف إلا بعد فوات الأوان أي بعد قيامه بجرائم مروعة. لذلك قيل (الجنون فنون!!) وأغلب المجرمين من هذا النوع المنحرف منتشرين بين أفراد المجتمع يعاملون كأفراد أسوياء لا يعرف أحد بشذوذهم ، بل يتمتع البعض منهم بإحترام الآخرين لما يتميزون به من مواهب، إلى أن تقع الكارثة على شكل قتل جماعي أو ذبح أفراد أسرهم أو القيام باعتداء جنسي على الأطفال أو البالغين.

وهؤلاء موجودون بين مختلف شرائح المجتمع، يعانون من الشخصية الإنفصامية التي من أبرز أعراضها الشعور بالإضطهاد من قبل الآخرين. فالمصاب بالانفصام يشعر أن الجميع يضمرون له العداء ويتربصون به الدوائر ويتآمرون عليه للإيقاع به. ولذلك تتولد عنده نزعة عدوانية اتجاه

الجميع ودون استثناء. وهذا الشخص عنيف في علاقات حبه وصداقـاته مع الآخرين التي تكون عادة قصيرة الأمد تنتهي فـجأة إلى عـداء دائـم شديد وبدون سبب معقول، ولمجرد سوء فهم بسيط. وهو في حالة انفصام عن الواقع وكل تفسيراته لما يحصل غير واقعية، يعيش حالة في أوهـام من الذعر الدائم والعداء الدائم وحياته مليئة بالمنغصّات كما ينغص على الآخرين حياتهم...

والتسقيط في الأدب السياسي هنا ناتج عن خلافات فكرية وسياسية بين مجموعة من المثقفين يكون واحد أو أكثر من أطرافها يعاني من تلك التشوهات النفسية التي أشرنا إليها أعلاه. وهو رغم إدعائه بالديمقراطية واحترام الرأي الآخر، إلا أنه لا يستطيع التسـاهل مـع الرأي الآخـر ولا يحاول إتباع المنطق والحوار المهذب في إقناع الآخر برأيه، بل يلجأ إلى الهجوم العنيف وتسقيط الخصم وتلويث سمعته بالوحل وتهيئة الأرضـية للإجهاز عليه وتدميره وإعدامه إجتماعياً وأخلاقياً وإزاحته عن السـاحة والتخلص منه إلى الأبد وهو دليل إفلاس سياسي وفكري.

كذلك نلاحظ في حالة المنافسة النزيهة في المجتمعات الديمقراطـية المتطورة وفـي أي نشـاط إنسـاني، أدبـي، سـياسي، ريـاضي..الخ بـين متنافسين أسوياء وناضجين، بل وحتى الأطفال، تتم بروح رياضية عالية، يحاول كل واحد منهم الإرتقاء بنفسه وإبراز أفضل ما عنده من إمكانيات يقدمها للمجتمع والفوز على مـنافسيه بـالطرق النـزيهة وبـذلك يكسب إعجاب الآخرين به. أما في حالة من يمارس "مهنة" التسقيط، فـيحصل العكس، أي أن المنافس بدلاً من أن يعمل على كسب إعـجاب النـاس

بإبراز تفوقه ومحاسنه، يحاول إختلاق مساوئ لخصمه ليبدو هو كأفضل منافس في هذا الصراع أو المنافسة. وهذا إسـلوب الفـاشلين المـصابين بالعاهات النفسية.

❊ ❊ ❊

● **المقالة السادسة للكاتب (غالب حسن) في حلقات تحت عنوان (علم التسقيط الحوزوي) جاء فيها:**

الشيعة أمانة بيد الحوزة العلمية ، أليس كـذلك ؟ هـم يـقولون ، هـم يطرحون أنفسهم ، قادة ، ساسة ، أسوة ، الحـوزة تـقول ، إذن يـجب ان تكون الحـوزة قمة في السـلوك النقـدي ، ويـنبـغي أن تكــون آلــية وحدة ، وآلية تجميع ، وآلية تكتيل، هل تمارس الحـوزة هـذه المـهام ؟ الحوزة ليست مقدسة ، هذا الكلام هراء ، فيها مقدّسون وفيها مَنْ عمل الاهوال !

الشيعة أمانة بيد الحوزة ، والشيعة في العالم منقسمة مطحونة بسـبب العلماء بالدرجة الاولى ، والله يعلم أين ستؤدي خلافاتهم وتسـقيطاتهم بشيعة العراق ، الله وحده يعلم .

يجب التعامل مع الحوزة من منطق نقدي وليس من منطق قدسي...

التسقيط الحوزوي من أبشع أنواع التسقيط ، وهـو يسـتجلب القـتال والفرقة والدمار للإسلام والشيعة والتشيع !

فمعذرة للأخوة الناصحين ، يجب أن نهب جميعاً لنقول للحوزة كفىٰ مهاترات وكفىٰ تسقيطات ، كل شيعي غيور يجب أن يحاسب الحـوزة ،

لان المستقبل لا يبشر بخير، كلمة واحدة من المراجع تدعو الى الوحدة وتندّد بالتسيقط سوف تقلب المعادلة رأسا على عقب ، ولكن يبدو بعضهم مرتاح لذلك .

❊ ❊ ❊

● **المقالة السابعة للكاتب (ضياء الشكرجي) تحت عنوان (التسقيط .. مرضٌ):**

الوقت يضغط بلا رحمة، لذا أحاول أن أكتب بلغة البرقيات ...

أحب أن أبين بعض النقاط:

أي إنسان عندما يكتب في حالة مرضية، سياسية، اجتماعية، أخلاقية، أو فكرية، ينبغي ألا يتصور أنه تحوّل إلى معيار يوزَن به الآخرون ومسطرة تُقاس به مقاساتهم، وأنه إنما يكتب عن تلك الأمراض من خارجها، فوحده المشافىٰ منها. هذا الكلام موجَّه لي قبل أن يكون موجَّهاً لغيري. لذا فنحن أيضا قد نكون واقعين ولو بنسبة من النسب في المرض موضع بحث المحور. وهذا لا يجب أن يكون على نحو الإطلاق، إذ يمكن أن يكون واحد منا أو أكثر من واحد معصوماً من الإصابة بهذا المرض بالذات، أو قريبا جدا من العصمة، دون أن يعني ذلك العصمة له في كل شي.

وننقسم – نحن الذين نتكلم عن هذا المرض ونكون أنفسنا مصابين به بدرجة – بناءً على ذلك إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يعيش شيئا من الازدواجية، دون أن يعي ازدواجيته .

٢ ـ قسم يعيش الازدواجية وهو يعيها جيداً ويخطط لها، ويـمارسها بكامل وعيه ومع سبق الإصرار ...

٣ ـ قسم لا يعيش الازدواجية، بل هو صادق في تشخيصه للمرض، وفي سعيه للابتعاد عنه، دون أن يدعي لنفسه العصمة في ذلك. بل قد يقع أحيانا في حالة انفعالية، أو في ظرف ما في ممارسة مَـرَضية مـن هـذا القبيل، دون أن يعني أنه مصاب بهذا المرض على طول الخط. بـل هــي الزلات الطبيعية التي لا تعدو الحالات المفردة في سلوكه، ولا ترقىٰ إلى مستوى الظاهرة العامة المستحكمة في شخصيته.

والازدواجية أمر ممقوت من قبل كل المدارس الأخلاقية، لا سيما إذا استحكمت. وأسوق شاهديْن من القرآن على ازدواجيتيْن، ازدواجية وقع فيها جمع من اليهود، وأخرى وقع فيها جمع من المسلمين.

في الأولى يخاطب الله اليهود الازدواجيين بـ :

﴿يا بني إسرائيل ... أتأمرون الناس بالبر، وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب؟ أفلا تعقلون﴾

وفي الثانية يخاطب المسلمين الازدواجيين بـ :

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾

وقد علّمنا القرآن وكما علمتنا الموضوعية العقلائية أن نتجنب التعميم والإطلاق، فالقرآن ينبه المسلمين على هذه الحقيقة ويحذرهم من التعميم فيقول عن أهل الكتاب: **﴿ليسوا سواءً﴾**.

إني شخصياً حتى لا أقع في الازدواجية فأمارس ما أنتقده، حاولت في مقالتي أن أشير إلى حالات التسقيط من كل التيارات، وأشرت إلى ظاهرة التسقيط في الوسط الإسلامي، ربما أكثر مما أشرت إليها في الأوساط الأخرى، ولكنني سقت أمثلة متعددة التوجه الفكري والسياسي.

وبصراحة إني وباعتباري أتمتع بعلاقات مع أصناف متنوعة من الناس، لا أقبل أن يعمم تقييم سلبي عن طرف أختلف معه. بل سرعان ما أدافع عن ذلك الطرف وهو غائب، وبالرغم من الاختلاف الفكري الحاد بيني وبينه. لأني أعلم أن فيهم الموضوعي والمعتدل والمنفتح والصادق وإن كنت لا أتفق معهم في متبنياتهم الفكرية والعقيدية والسياسية.

فلا أسمح لنفسي ولا لغيري أن يجعل نفسه شرطيا على بوابة حرية التعبير عن الرأي. حتى الله سبحانه وتعالى لم ينصبنا شرطة على أبواب حرية التعبير عن الرأي والاعتقاد.



المحطة الثالثة:

معالجة التسقيط في رؤية الإمام الشيرازي

تمهيد :

نستلهم هنا من فكر الإمام الشيرازي وهو المصداق الأجلى للمظلومية من حيث ما ناله التسقيط ـ كما قلنا في المقدمة ـ وانتصر عليه بصبره الإيجابي الطويل وعمله الدؤوب المتميّز ، نستلهم ملامح من منهجه في معالجة هذا المرض الخطير أو الحدّ من تسلّله إلى جدار المناعة الداخلية للمجتمع المسلم الذي بات يتعاطى الكثير من أفراده (فيروس) هذا المرض المعدي جهلاً بالدين واسترسالاً مع العادات السيّئة الموروثة [١].

فأقول : لمّا كان المبتلون بمرض التسقيط هم ممّن :

ـ لا يرون كرامة للإنسان وقيمة للشعوب .

ـ أو يجهلون الثقافة الإسلامية الملتزمة .

ـ أو لا يمتلكون في داخلهم العواطف الرقيقة وحالة السلم واللّاعنف .

ـ أو لا يلتزمون بحقوق الأُخوة الإسلامية والشراكة الإنسانية .

ـ أو لم يتذوّقوا طعم الحرّية في نبذ العصبية .

ـ أو لا يريدون التطوير في مصادر العلوم الدينية والمناهج الحوزوية .

ـ أو لم يقتنعوا بتأسيس شورى لمراجع الأُمّة أو اللقاءات التشاورية .

---

(١) ـ هذه محاضرتنا التي ألقيناها في حسينية القصاب ـ بالبحرين في ندوة لدراسة فكر الامام الشيرازي بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته (أعلى الله درجاته) .

ـ أو لا يتطلعون للنهضة الحضارية الإسلامية العالمية .

ـ أو لم يستوعبوا العمل الجمعي والحضارية المؤسساتية .

ـ أو لا يطبّقون أقوالهم على أفعالهم .

نعم لمّا كان المبتلون بمرض التسقيط هم من اجتمعت فيهم هذه الأسباب العشرة أو بعضها فإنّه قد انبرى الإمام الشيرازي بمنظومته الفكرية المتكاملة لمعالجتها بعلوّ همّته وسموّ رساليته .

ونحن إذ نحاول هنا أن نقتبس من هذه المنظومة حلولاً عشرة نؤكّد أنّها حلول مؤثّرة ومضمونة ولكنّها لا تعيها إلّا أُذن واعية ، وهي التي رَمَتْ (القطن) عنها فحلّقتْ في سماء الحرية بحثاً عن حلول الأزمات والحكمة في الحياة وإن كانت الحلول الحكيمة تصدر من لسان الرأي المخالف لهم . وإليك التفصيل مع ذكر رشحات من الخواطر المحفوظة في ذاكرتي معه ﴿ﺗﺋ﴾ :

* **أوّلاً ــــــــــــــــ كرامة الإنسان وقيمة الشعوب :**

يقول الإمام الشيرازي في كتابه[1] : (إنّ الدين الإسلامي الحنيف بالغ في احترام كيان الإنسان وشخصيته لدرجة التحذير والمنع من إرهاب الإنسان أو تخويفه أو الإساءة إلى كرامته ، ولذا أعطى الرسول ﷺ بواسطة الإمام علي عليه السلام مالاً لمن ارتعب وارتهب بسبب خالد بن الوليد ، حتّى يرضوا عن رسول الله) .

---

(١) هل للشعوب قيمة : ص ١٠ .

ويترتّب على هذا المبدأ الإسلامي الرفيع أنّ المسلم الذي يلتزم به يتورّع عن إختراق حرمة الآخرين وإسقاط كرامتهم مهما اختلف معهم، فهو يتذكّر دائماً قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ومثله لن ينسى أبداً أنّ محمّداً ﷺ كم كان يدعو الله ليغفر عن قومه الجاهلين وكم كان يصفح عن أذى المشركين، وكم كان أمير المؤمنين عليه السلام ينظر إلى الإنسان كأخ للإنسان إمّا عبر ميثاق الدين أو نظير له في الخلق عبر وثاق الإنسانية المشتركة. إذن فليس هناك ما يبرّر لأحد أن يكون سَبُعاً ضارياً على غيره وخاصّة على أخيه في الدين.

وأمّا المرجع الشيرازي (رحمه الله) فمن خلال معاشرتي ولقاءاتي الطويلة معه أستطيع القول بضرس قاطع أنّي لم أسمع منه ما يسقط به مناوئيه أو يشتمهم أو ينسبهم إلى أُمور دون دليل، ما عدا النقاش والنقد والعتاب والتحذير من سيرتهم التسقيطية حسب المناسبة وهو في كل ذلك لم يذكر أسماءهم بالطبع.

*** ثانياً ـــــــــ توعية المجتمع بثقافة الأصالة وبلغة الحداثة:**

يقول الإمام الشيرازي في كتابه[1]: (من الواجب على كل مسلم أن يعمّم الوعي الإسلامي العقائدي والاقتصادي والتربوي والعسكري والزراعي والصناعي والاستقلالي في كل البلاد الإسلامية بواسطة الإذاعة

---

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص١٩.

والصحف والمجلات والنوادي والكتب والمؤتمرات وغيرها) .

ويقول أيضاً[1]: (لقد تركنا توعية الناس ونشر المعارف الإلهية فتأخّرنا، وقام المبطلون والمنحرفون بنشر أفكارهم فتقدّموا ... وتلك هي سنّة الله في الحياة) .

ويقول في أهمية نشر الثقافة الإسلامية[2]: (الثقافة هي التي ترسم للأجيال مسيرتها ، وهي التي تحدّد طريقة تعامل الأُمّة مع الأحداث والوقائع، وهي التي تعيّن مستقبل الأُمّة . فالثقافة الإسلامية الأصيلة تجعل الأُمّة تسير سيراً متميّزاً في الحياة فكرياً وعملياً ، ونظرياً وسلوكياً . والمسلمون في الصدر الأوّل تحلّوا بهذه الثقافة فحرّروا نصف الكرة الأرضية بعد أقل من ثلث قرن من بداية جهادهم المقدّس في السنة الأُولى للهجرة) .

ومن الواضح أنّ مرض التسقيط ينخر في أوساط الجاهلين وأمّا المستنيرين بحقيقة العلم فلا يفترسهم هذا المرض، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام : « **لو سكت الجاهل لسقط الاختلاف** » إذن وانتهى التسقيط وزالت المجابهات الإيذائية بين المنتمين إلى دين واحد أو مذهب واحد أو جماعة واحدة . ولذلك صحّ ما قاله الإمام الخميني رحمه الله (أنّه لو اجتمع الأنبياء كلّهم في زمان واحد ومكان واحد لما اختلفوا بينهم ، لأنّهم بلغوا حقيقة العلم الواحدة) .

---

(١) في نفس المصدر : ص٢١.

(٢) في نفس المصدر : ص٣٢.

من هنا ينبغي البحث لإعادة النظر في المناهج الحوزوية التي تخرّج أفراداً جدليين متنازعين ؟! أين يكمن الإشكال ؟ هل في نوعية العلوم ومفرداتها أم في المناهج أم في الوسائل أم في غياب الأُطر الجامعة بين المجتهدين ؟ أم في غياب الدروس الأخلاقية كأصل ثابت في الدراسة الحوزوية ؟ أم ماذا ؟

إنطلاقاً من هذه التساؤلات كان الإمام الشيرازي ﷺ يحثّ زائريه من العلماء والشباب والنساء أن يتعلّموا ويعلّموا ويؤلّفوا وينشروا ويشجّعوا النشئ الجديد على الوعي والقراءة ، وأن يؤسّس كل واحد منهم في منزله مكتبة للمطالعة . حتّى لم يكن أحد يزوره إلّا ويسمع منه كلمات مثل (أُكتُب، أَلّفْ، إقرأ، ساهِمْ في طباعة ونشر الكتب بين الناس، واعمل جلسات تدرس وتدرّس فيها) . وكانت الأرقام التي يذكرها لهم فوق المليون كتاباً مثلاً مما تكشف عن علوّ همّته وحكمته في بعث الهمم ، ثم يقدّم لزائريه من آخر مؤلفاته وهو يؤكد علىٰ نصائحه لهم لإصلاح الفكر الحوزوي التسقيطي وإنهاء ثقافة التسقيط عند الناس وتوعيتهم بالأحكام الفقهيّة إلى جانب التوعية السياسية وفهم المستجدّات العصرية .

حكى لي سماحة آية الله السيّد هادي المدرّسي[1] أنّه دخل عليه ذات مرّة ـ وهو خاله ـ فوجده يكتب ، فسأله عمّا يكتبه ؟ فأجاب الإمام الشيرازي : أكتب (كتيّباً) . فقلتُ له كم صفحة تقريباً سيبلغ هذا الكتيّب ؟ قال : ستمائة صفحة !

---

(١) وهو عَلَمٌ من أعلام الصحوة الإسلامية المعاصرة .

هذا ولقد عُدّتْ مؤلّفات السيّد الشـيرازي (أعـلى الله مـقامه) فـبلغت (١٢٥٠) كتاباً وموسوعة وكتيّباً وهذا رقم قياسي في العالَم ، فلم يـخطأ الذين لقّبوه بـ (سلطان المؤلّفين) .

*** ثالثاً ـــــــــــ الدعوة إلى السلم وممارسة الرفق واللّاعنف :**

يرىٰ الإمام الشيرازي ﷺ أنّ بداية هذه الخصلة الإنسانية تكـون مـن نفس الإنسان ، فيوجّه نصيحته إليه قائلاً : (إنّ للتلقين أثراً كبيراً في داخل النفس ، فالإنسان بطبيعته يغضب ويثور ويذكر معايب الآخرين ويدخل مع الناس في صراع ونزاع وحقد وبغضاء وعـداء ومـقاطعة ومـا أشـبه. فاللازم اجتثاث جذور هذه الأُمور من قلب الإنسان وبالتبع جـوارحـه، وذلك بالتلقين الدائم بأنّه إنسان ملائم مسالم، حازم، عاقل، مفكّر، مدبّر، مدير .. فإذا لقّن الانسان نفسه بهذا التلقين ليله ونهاره وشهره وسنته فإنّه يتطبّع بطابع السلم.

وكذلك يجب على الإنسان أن يكون حافظاً لدينه ، لقلمه ، لحركته ، لسكونه ، لكل شيء ، حتّى يتمكّن من أن يقدّم الأُمّة إلى الأمام . ومن ثمّ يجب أن يشمل السلام كل شيء فـي حـياتنا .. السـلام فـي العـلاقات الاجتماعية ، والسلام في العـلاقات العـائلية والأُسـرية ، والسـلام بـين الحركات الإسلامية ، والسلام بين أعضاء الحركة الواحدة ، والسلام فـي العلاقات السياسية ، والسلام في الشراكة الاقتصادية ، والسلام بين أبناء

الوطن الواحد ، والسلام حتّى مع الأعداء فضلاً عن الأصدقاء)[1].

تؤسس هذه الكلمات للسلام العالمي والشمولي، وعلى ضوئه لا يكون الحدّيون والعنفيّون والبذيئون في تسقيط الآخرين إلّا الذين يتجاهلون أبرز القيم الإسلامية وهي السِّلْم الذي يشكّل روح الإسلام التي قال عنها رسول الله ﷺ : « **المسلم مَن سَلُمَ الناس مِن يده ولِسانه** ».

وبناءً عليه.. أين ممارسو التسقيط ممّا يقرؤونه في زيارة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام : «**سِلْمٌ لمن سالَمَكم وحرب لمن حاربكم** » ؟

بالله عليكم أليس الذين يختلفون معهم أيضاً يوالون أهل البيت عليهم السلام ويسالمونهم ويسلّمون عليهم؟! إذن فَلِمَ الحرب عليهم والسلم مع غيرهم تحت ذريعة الوحدة الإسلامية؟!

بل إنّ الله عزّوجلّ قد طالبنا أن نبرّ ونقسط حتّى مع غير المسلمين ما داموا لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا . قال الله تعالى : ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2]. فكيف أصبح بعضنا يمنع الخير والبرّ عن أخيه المسلم ويكون حرباً عليه ، يترصّد له ولنشاطه ليجهضه ويسدّ طريقه ويوصي الناس بمقاطعته . وهو لم يقاتله في الدين ولم يخرجه من دياره وإنّما يختلف معه في الرأي الفرعي ربما بنسبة (٢٪) .

أليس هذه الحالة المخزية كارثة على الدين ومهزلة وتخلّف ؟

---

(١) نفس المصدر : ص٢٣٢.

(٢) الممتحنة / ٨.

لا أدري وإنْ التسقيطيون يقرأون الآية المذكورة بتقديم (السين) على (القاف) هكذا (إنّ الله يحبّ المسقطين)!

نعم .. فمن أسباب علاج التسقيط أن نكون سلميّين أليفين ، لأنّ المسلم أليف ليس له أنياب يفترس بها أخاه المسلم ، ولقد كان المرجع الشيرازي ﵀ قمّة في الأُلفة والرفق والسلم والعطف وحبّ الآخرين ، إنّني أحتفظ له مواقف وشواهد كثيرة ، لعلّ أجملها كان قبل وفاته بأشهر حيث زرتُه مع عائلتي لنصغي إلى توجيهاته التربوية ونصائحه الوداعية ، فكان إبني (محمّد جواد) البالغ من العمر أربع سنوات يتحرّك في أرجاء الغرفة كثيراً ويمنعنا من التركيز في الإصغاء إلى سماحة المرجع ، فمسكتُه وضربتُه على متنه ضربةً خفيفة ليركن بجانبي ، فقطع السيد الشيرازي حديثه والتفت إليّ بلطف وابتسامة قائلاً : لا للعنف ياشيخ !

ثمّ أخذ إبني ولاطفه وأعطاه حلاوة كانت بين يديه وأجلسه عنده وغيّر حديثه معنا إلى ضرورة التربية السلمية وزرع اللّاعنف في نفوس الأطفال كي يكبروا على الرفق وعدم المشاكسة في علاقاتهم مع الآخرين.

*** رابعاً ـــــــــــ أصالة الأُخوّة الإسلامية والشراكة الإنسانية :**

يركّز الإمام الشيرازي في منهجه الإصلاحي الوحدوي النابذ للاختلاف والتسقيط على أصالة الأُخوّة الإسلامية كعامل أساسي لإماتة سيئة التسقيط وغيرها من عوامل التخلّف ، لأنّ المسلم إذا تأصّلت في قلبه الأُخوّة وحقوقها الثلاثون ـ كما في الأحاديث ـ فسيمتنع عن تسقيط أخيه

والتشهير به حتماً ، وسوف يتحمّل اختلافه معه في الرأي والذوق ولا يتصرّف بما يجلب بينهما العداء والبغضاء.

يقول ﵀ في كتابه[1]: (العربي والفارسي والهندي والأندونيسي وغيرهم من المسلمين كلّهم إخوان ، لا تمايز بين أحدهم في أي شيء ، وهم متساوون أمام القانون الإسلامي ، فلا قوميات ولا إقليمات ولا لغات ولا ألوان تفصل بين المسلمين عن بعضهم وقد آخى الرسول ﷺ بين الرجال بعضهم مع بعض ، كما آخىٰ بين النساء بعضهنّ مع بعض عندما ورد المدينة المنوّرة) .

ويقول : (لقد فرّق بيننا الاستعمار ووضع الحواجز بين الأخ وأخيه ... لقد خسر المسلمون الكثير عندما خسروا الأُخوّة الإسلامية) .

ولا تنفصل الأُخوّة الإسلامية عن مفهوم الأُمّة الواحدة التي يقول عنها أيضاً : (نحن تفرّقنا بعد أن كنّا أُمّة واحدة فالحدود الجغرافية التي نشاهدها اليوم لا يتجاوز أمرها ثلاثة أرباع قرن . وكان أوّل من وضع هذه الخطوط الوهمية هو الاستعمار البريطاني) .

ويضيف قائلاً : (لقد خسرت الأُمّة الكثير عندما خسرت وحدتها ، لقد كان المسلم يخرج من بيته إلى أي بلد إسلامي يريده دون أن يُطالَب بأي شيء ، أمّا اليوم فقد تغيّرت الصورة تماماً)[2].

وكان يؤكّد على العمل لحذف الحدود الجغرافية التي فرضها الاستعمار

---

(١) الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرّية والرفاه والسلام : ص٤٩١.

(٢) في نفس المصدر : ص٣٦.

لتقطيع البلدان الإسلامية وإيجاد خلافات وحروب قوميّة بين الدول وشعوبها من أجل الأرض والتراب التي هي لهم جميعاً .

ويبني الفقيد الشيرازي الكبير على هذا الأساس دعوته إلى الوحدة الإسلامية أيضاً كمنهج عملي وليس كلاماً معلّقاً في الهواء ، حيث يقول﵀ في كتابه[1]: (من أهم ما يلزم على السالكين سبيل النجاة الحفاظ على الوحدة الإسلامية ، أمّا بالقول فهو سهل يسير ، وأمّا بالعمل فهو صعب عسير، ولذا لا تجد حتّى جماعة واحدة لا تنادي بها وفي نفس الوقت لا تجد حتّى جماعة واحدة تتحمّل مسؤولياتها وتسلك طريقها إلى حيّز الوجود) .

ويرى ﵀ أنّ الوحدة الحقيقية ليست بذوبان طرف في الآخر ، بل باحترام كيانه المستقل وباعترافه لحقّه في الاجتهاد وحرّية التطوير ضمن إطار الثوابت الشرعية ، وبدعوته إلى التعايش والتنافس إلى الخير وإبداء الرأي في جوّ من العدل والإنصاف والشفّافية .

ومن الواضح أنّ هذا الفهم لآلية الوحدة التطبيقية الممكنة يؤدّي بالطرفين بل الأطراف إلى القناعة بالرأي الأصوب والقول الأحسن عند أحدهما أو غيرهما ، وأمّا الوحدة الذوبانية فهي تستلزم الخطاب الاستعلائي من جهة واحدة وتستلزم المقاطعة فلا يكون معها بالطبع فهمٌ للحقيقة أبداً . وكيف يفهم الحقيقة مَن غيّبته سلطة الأجواء عن البحث والحوار والتحرّي في المسموعات والموروثات .

---

(١) طريق النجاة: ص١٤٤.

وهذا المفهوم للوحدة ـ الوحدة التعاونية ـ هو ما اعتمده الإمام الخميني الراحل (أعلى الله مقامه) مع إخواننا أهل السنّة لمّا أمر الشيعة بالصلاة خلفهم في مكّة والمدينة مثلاً وغير ذلك ، ولكن أين بعض دعاة خطّ الإمام من هذا المفهوم الوحدوي مع الأقربين الذين يشتركون معهم في أكثر الأُمور وفي طليعتها ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام بينما إخواننا أهل السنّة لا يؤمنون بها فضلاً عن ولاية الفقيه . ولكن الحقيقة كما واكبتُها شخصياً قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها هي أنّ رجال مسيرة التسقيط قد تلوّنوا بلون الثورية لمواصلة الهجمات ضدّ الإمام الشيرازي بعد أن كانوا يهاجمونه وحليفه الإمام الخميني منذ الستينات (الميلادية) ويوصمون حركته في جلساتهم شبه المغلقة بالشيوعية ! وإذ لم يتجرّؤوا عليه بعد انتصار الثورة ركبوا موجة المصالح بلغة جديدة لمواصلة تسقيط الإمام الشيرازي وهم في داخلهم وحقيقتهم لا يؤمنون بكليهما . ومشكلة الجيل الناشيء بعد الثورة هي عدم معرفته بهذه الجذور والخلفيّات وتاريخ المتاجرين بعواطفه . وأنّى له أن يعرفها وقد حذّره المتاجرون من القراءة في وجهة نظر الذين أبغضوهم وملؤوا قلوبهم عليهم أحقاداً ، حتّى جعلوهم يتصوّرون السيد الشيرازي كما تصوّر أهل الشام علياً أنّه لا يصلّي!

إنّ ما جلبتْه جماعة التسقيط من استعداء للجمهورية الإسلامية المباركة بهذه الطريقة وإبعاد حلفائها السابقين عن مراكز تطويرها ودعمها، كان جريمة بحقّ الجمهورية التي يدّعون حبّها ، ولا أدري لهذا الحبّ معنىً إلّا كمن حُبّه يضرّ الحبيب ويخسّره كفاءات وامكانات ، هذا إذا

أحسنّا النيّة وأزلنا شبهة النفاق والمصلحية في أُولئك الحدّيين المتزلّفين الذين افترشوا مائدة الغنائم بعد انتصار الثورة!

وماذا عساني أن أقول عن العدّ التنازلي لأوضاع الساحة إلّا أنّه دليل واضح على تقدّم المفضول على الفاضل. والتاريخ يعيد نفسه. وإن كان أقطاب الفكر التسقيطي لا يصارحون أتباعهم بأسباب العدّ التنازلي الحقيقية ويحاولون إلقاء اللوم على مَن يخالفهم الرأي مُضيّاً في المزيد من التسقيط الذي تعوّدوا عليه منذ نعومة أظفارهم وتوارثوه . ولكن الأمل يحدونا الىٰ النجاة برجال شجعان في الأُمّة يضعون النقاط على الحروف مستهدفين بها وضع نهايةٍ حاسمةٍ لفتنة التسقيط قبل أن ينتهي الجميع بها؟!

*** خامساً ـــــــــــــــ الاهتمام بالحرية ومشروعية التعدّدية:**

ويراها الإمام الشيرازي واحدة من أهم الركائز لمعالجة أمراض الاستبداد والأنانية والتسقيط والتهميش والمقاطعة ونشر الكراهية . ويستدلّ عليها بأصالة الإباحة الشرعية وقاعدة « الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم » وبالعديد من النصوص الإسلامية الصريحة ، مثل قوله تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[2]. وقوله تعالىٰ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا

---

(١) الأعراف / ١٥٧.

(٢) البقرة / ٢٥٦.

أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[1].

وقد أفرد سماحته ﷺ لهـذه المسألة الهـامّة كـتاباً بـاسم (الحـريّات) وعدّدها إلى مئة نوع في أبواب الأحكام الفقهية . كما ذكرها فـي كـتابه (الحرّية الإسلامية) و (الصياغة الجديدة) وذكرها في الفصل الثـاني مـن كتابه (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) وغير ذلك .

يعتقد الإمام الشيرازي المجدّد (أعلى الله مقامه) أنّ الحرّية قيمة إلهية ونعمة أنعمها الله على البشرية فلا يحقّ لأي بشر مصادرتها من غيره إلّا إذا أراد أن يُدَوَّن في ديوان الظالمين . لأنّ التسقيط يعني فيما يعنيه كمّ الأفواه ومصادرة حرّية الفكر والرأي وممارسة الإرهاب ضـدّه ، وبـالتالي فـإنّ التسقيط هو الديكتاتورية والاحـتكارية بـعينها والتـي تـعني سـدّ بـاب الاجتهاد حتّى ولو بحصره في فئة واحدة ذات نمط عقلي واحد أو أدبيات حزبية خاصّة تعتبر نفسها قبلة الشرعية كلّها ولا شرعية لمنافسيها الذين هم من نفس الاتّجاه المذهبي الواحد . وهذا لعمري هو الظلم والإعوجاج وتكبيل العقول عن التفكير والانتاج وسبب للخلافات والارتجاج .

يقول ﷺ في كتابه[2]: (فبدونها ـ أي بدون الحرّية ـ لا يستطيع الإنسان أن يتقدّم قيد أنملة ، فالحرية هي التي تفسح الطريق أمام قدرات الإنسان وكفاءاته لكي تتفجّر في مجال العـمل المـثمر . وكـما تـقدّم المسـلمون الأوائل بسبب الحرّية ، فإنّهم سيتقدّمون أيضاً ويعودون قادةً للعالم وروّاداً

---

(١) الغاشية / ٢١ ـ ٢٢.

(٢) الرجوع إلى سنن الله تعالى : ص ٥٠ .

للعلم والفضيلة والتقوى إذا عادوا لاستخدامها من جديد) .

ولولا الحرّية لما كان ينتعش مذهب أهل البيت عليهم السلام على مرّ العصور بفتحه باب الاجتهاد وتشجيعه على الدراسة الحرّة ونبذ الإستبداد والتدابر والتنازع وفكّ القيود على حركة الفكر .

أذكر مرّات عديدة كان العلماء في مجلس الإمام الشيرازي يناقشونه في مسائل علمية حوزوية ، وبعضهم يتحمّس لرأيه بشيء من العُجْب والاستبداد ، فكان الإمام الشيرازي يناقشه بهدوء وثقة وابتسامة ويستدلّ على رأيه من غير توجيه إهانة إليه ، ولما لم يقتنع برأيه كان يقول له : لك حرّيتك ولكن راجع المصدر الفلاني لتجد أدلّتي فيه .

هكذا كان ينهي النقاش العلمي الهادىء والإيجابي قبل أن ينتهي إلى الجدل والمراء والتفاخر والتباهي كما هو مسلك بعض طلّاب العلم !

* **سادساً ـــــــ ضرورة التجديد في مناهج الدراسة الحوزوية :**

كان يؤكّد عليها المرجع الشيرازي الفقيد باعتبار أنّ الحوزات العلمية مصدر الإشعاع الديني في الأُمّة ، وفي حال جمودها وتخلّفها عن فهم القضايا العصرية وعدم مواكبتها لاحتياجات الناس ، سوف تُستبدل إلى مصدر للتصدّع ولأمراض التسقيط والخلافات الهدّامة المصبوبة على رؤوس الناس من رأس الهرم إلى قاعدته.

ومن هذا المنطلق جاءت مؤلّفاته الجريئة التي خاطب بها المراجع الكرام والعلماء والمدرّسين الأفاضل وطلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية . منها مثلاً :

١ ـ رسالة أهل العلم .
٢ ـ الحاجة إلى علماء الدين .
٣ ـ مقوّمات رجل الدين .
٤ ـ إلى الحوزات العلمية .
٥ ـ هل رجال الدين مقصّرون ؟
٦ ـ إلى طلّاب العلوم الدينية .
٧ ـ نظام الحوزات العلمية في العراق .
٨ ـ كيف ينبغي أن تكون قم المقدّسة .
٩ ـ دور الحوزات العلمية في بناء المجتمع .
١٠ ـ إلى وكلائنا في البلاد .

ولأجل ذلك أيضاً كتب في العلوم الحوزوية شروحاً لأصعب أُمّـهات الكتب الدراسية التي لا زال يعتمدها مدرّسو وطلّاب الحوزات في أرجاء العالم ، مثل كتابه (الوصول إلى كفاية الأُصول ـ في خمسة مجلدات) و (إيصال الطالب إلى المكاسب ـ في ثمانية عشر مجلداً ـ) و (الوصائل إلى الرسائل ـ في خمسة عشر مجلداً ـ).[1]

---

(١) حكى لي بعض العلماء أنه في النجف الاشرف (معقل الضدّية للسيد الشيرازي) وجدت في احدى المدارس الحوزوية كتاباً في شرح رسائل الشيخ مرتضى الانصاري (حول علم الأصول) وهو من الكتب الصعبة والمهمة عند الطلبة ولكثرة مطالعته وتنقله على أيدي الطلبة والاستفادة منه كانت متمزقة وآثار الأيادي والإستعمال واضحة على الكتاب. ولكني لاحظت اسم المؤلف ممسوحاً بشكل أثار عندي حبّ الاستطلاع. فاكتشفت أن الكتاب من تأليف السيد الشيرازي واسمه (الوصائل في شرح الرسائل) والقوم يستفيدون من الكتاب بهذه الطريقة

ومن ذلك حثّه الشديد على التربية الأخلاقية لطالب العلوم الحوزوية الذي يوشك أن يصبح عالماً في المجتمع ، له تأثيره وقدوتيته بين الناس سواءً في السلب والإيجاب والهدم والبناء إنطلاقاً من المقولة المعروفة: (إذا صَلُح العالِم صَلُح العالَم، واذا فسد العالِم فسد العالَم) .

يقول رحمه الله في كتابه[1] كما في موقعه على الانترنت : (يجب أن تتهذّب النفوس حتّى يكون طلّاب العلوم الدينية أُسوة ونماذج لعصرهم لأنّ فضيلة الإنسان إنّما هي في طهارة النفس وتزكيتها ، والإسلام الذي وصل إلينا إنّما كان من أثر الفضائل النفسانية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام لأنّ أي قائد إسلامي يجب أن يتحلّى بأكبر ما يمكن من الخُلُق الرفيع والمعاملة العطوفة المحبّبة مع الناس لكي يجلبهم إلى نور الإسلام أو يبقيهم في الإسلام ، فإنّ أفضل وأسهل وأسرع وأعمق العوامل لزرع المحبّة في القلوب هي الأخلاق الفاضلة والمعاملة الإنسانية العطوفة مع الناس) .

وكذلك دعا العلماء أن يقرؤوا زمانهم قائلاً في كتابه[2]: (لكل قطر ولكل زمان ولكل أُمّة منطق خاص ، إن عرفه العالم تمكّن من القيام

(الحضارية)!

ثم اكتشفت أن كتبه الأخرى في شرح الكفاية والمكاسب أيضاً مطلوبة عند العلماء والطلبة ونسخها قليلة جداً. ولا يريدون إظهارها لئلا يكتسب مؤلفها (السيد الشيرازي) دعاية ومؤيّدين من الطلبة فتتهشّم دعاياتهم ضدّ السيد!

(١) راجع كتابه دور الحوزات العلمية في بناء المجتمع .

(٢) إلى وكلائنا في البلاد : ص ٣٠ .

بالشؤون الإسلامية ، وإن لم يعرفه العالم كانت النتيجة الضمور والفشل . فعلى العالم أن يتعلّم المنطق الملائم لحل مهمّته ، مثلاً إذا عرف العالم الأُمور الاقتصادية حسب ما هو مذكور في كتاب (الشرائع وشرح اللمعة والمكاسب) ولكنّه لم يعرف النشاطات الاقتصادية في زماننا هذا ، من بنوك وتأمين وبورصة وما أشبه ، كيف يتمكّن أن يجيب على مئات من المسائل التي توجّه إليه بهذه الشؤون ؟ فإنّه سواءً لم يجب عنها أصلاً أو أجاب بأجوبة غير ملائمة للعصر كان الفشل المحتّم) .

وفتح آفاقاً فقهية واسعة وأبواباً جديدة في موسوعته الفقهية التي بلغت (١٦٠) مجلداً . حيث كتب في الطب والادارة والحقوق والقانون والمرور والبيئة والسياسة والاقتصاد المقارن والعولمة .

وكتب إلى مراجع الأُمّة وفقهاء المستقبل كتابه النموذجي الرائد والذي صدر تحت عنوان (المرجعية الإسلامية ، رؤى في الأساليب والأهداف) ذكر فيه كل ما يحتاجه النظام المرجعي الصالح لتحقيق أهداف المرجعية الرشيدة وأخلاقية التعامل مع الجماهير وقضايا الأُمّة[(١)].

ذات مرّة كنت جالساً عنده مع جمع من الخليجيين فأخذ السيّد الشيرازي ﷺ يتحدّث حول أُفول النجم الشيوعي واندحار النظرية الإلحادية في السوفييت . فذكر سماحته أرقاماً واحصائيات حول الوضع الاقتصادي والمعيشي للشعب الروسي وما يجري داخل مطبخ العائلة

---

(١) لأهميّة هذا الكتاب وارتباطه غير المباشر بأسباب تسقيط السيّد الراحل أتينا بتلخيصه في الفصل القادم حول القراءة في زوايا الفكر الوحدوي عند الإمام الشيرازي .

الروسية ومحتويات ثلّاجتها . وتنبّأ بعد ذلك السرد العلمي بسقوط الدولة الشيوعية . ولمّا خرجنا من عند السيّد ﵀ قال أحد الزوّار التقينا خلال هذه الأيّام بجمع من المراجع والفقهاء ، فمنهم من لم يتكلّم إلّا إذا تكلّمنا معه ، وإذا تكلّم لا يتجاوز كلامه عن مسائل فقهية بسيطة ومنهم من يتكلّم في وادٍ بعيد . أمّا هذا السيّد فرجل عجيب .

* **سابعاً ـــــــــــــــــــــــــــ شورى مراجع الأُمّة :**

نظريته في قيادة الأُمّة عبر شورى المراجع ، فهي نظرية أُشتُهر بها كثيراً، وسبّبتْ له تصدّعات كثيرة ولعلّها كانت أهمّ معلول رفعه عليه التسقيطيون في الآونة الأخيرة من حياته ، واستدرجوا القيادة الايرانية ضدّه بحجّة أنّها نظرية تنفي ولاية الفقيه الواحد . ولكن حسب رأي المراقبين لسير الحوادث في أطراف الأُمّة الإسلامية والتحدّيات الاستكبارية الكبرى فإنّها والأيّام أثبتت صحّة النظرية الشورائية الاستراتيجية الجامعة للكلمة على التقوى والقاضية على سُنّة التسقيط وظاهرة النزاعات الداخلية وتشتّت المراجع وتنازعهم في بعض الأحيان وصرف الأموال وجهود الأتباع وأوقاتهم في ذلك . فالشيعة لا زالت تعيش الأزمات والتفكّك ولم تستطع نظرية ولاية الفقيه الواحد أن تلمّ الجميع وتنهي حالة الصراع الداخلي الهدّام ، فلابدّ من تجديد النظر في الأمر للوصول إلى صيغة حلّ أساسي تنقل الشيعة بمرجعيتها ومراجعها ودولتها وكياناتها في العالم إلى مرحلة أكثر انسجاماً وتقدّمية وتماسكاً أمام التحدّيات الاستكبارية . فما هي نظرية شورى المراجع ؟

إنّها دعوة لكلّ الفقهاء المراجع المتصدّين لشؤون الأُمّة وفاعلياتها

الإسلامية إلى الاجتماع ضمن هيكلية إدارية متطوّرة لولاية الفقيه المتعدّدة ذات الشرائط الجامعة باعتبار أنّ روايات النيابة للإمام الحجّة عليه السلام ناظرة إلى جمع الفقهاء وليس إلى أحدهم بالخصوص، فلا مبرِّر للاستثناء ما دامت الشرائط المنصوصة في الروايات اجتمعت في أكثر من واحد وقلّدته وسام النيابة للإمام المعصوم الغائب (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) بهذه الأدلّة وغيرها فإنّ شورى المراجع في نظرية الإمام الشيرازي هي تفعيل للمرجعية الجماعية وقطع للطريق على الأعداء من استغلال بيوت المراجع في سبيل خلق إحتراب داخلي بينهم وتفتيت الوحدة الجماهيرية.

ولعلّ تركيزه على هذا المحور يشكّل أهم الآليات في إماتة ظاهرة التسقيط بين بعض المراجع وأتباعهم، لأنّ اجتماعهم ولقاءاتهم تُقَرِّب لوجهات نظرهم في الأحكام والموضوعات من ناحية، ومن ناحية أُخرى تُحبِّبهم إلى بعضهم وتذوّب الحواجز النفسية بينهم، وتحوّلهم الىٰ قدوات وحدوية تآلفية لمقلّديهم وتصونهم من تأثير الأخبار المغرضة والتقارير المرفوعة عبر بعض القنوات والحواشي ذات الأهداف المشبوهة أو الأخطاء غير المقصودة.

حكىٰ لي السيّد المرجع الشيرازي (أعلى الله مقامه) أنّه التقى بأكثر مراجع حوزة قم المقدّسة وذكر لي أسماء السيد الگلپايگاني والسيّد المرعشي النجفي والشيخ المنتظري والشيخ مكارم الشيرازي أنّهم أبدوا ارتياحهم للفكرة واستعدادهم للمشاركة إلّا أنّ الظروف حالت دون تحقيق المشروع[1].

---

(١) وشخصياً سعيت في سنة (١٩٨٦ ـ ١٩٨٧) في طهران لترتيب لقاء بين الإمام الخميني

هذا ولمّا سأله ﷺ أحد الثقاة عن مقدار الزمان الذي يأمل بعده أن يتحقق مشروع المجلس الشورىٰ للمراجع قال: إنْ تحقّق بعد مئة عام فذلك بالنسبة لي إنجاز كبير !

وهكذا فإنّ اللقاءات التشاورية لاتّخاذ قرارات شورائية تحضىٰ في رؤية الإمام الشيرازي بأهمية قصوى باعتبارها نبذاً عملياً للتفرقة وتجريداً للساحة من أسباب الخلاف والنزاعات.

فالشورى سواءً في القادة الكبار او وكلائهم الموزّعين في مناطق العالم تحتلّ مكانة مركزية في النظام والتنظيم الاسلامي عند الامام الشيرازي، وهي من أقوى دعائم التقدّم في الحياة ومعالجة التخلّف والإنحطاط ومرض التسقيط . لأنّ مبدأ الشورى يتضمّن الإعتراف بالكفاءات وإحترام العقول واعتماد الحوار مع الأفكار بدلاً عن تسقيطها بالعنف ووأدها بالقوة ممّا يخلق الردّ وردّ الردّ وتدوير الصراعات الداخلية مع الأشخاص وإنهاك القوى . وبالتالي فإنّ الشورى وخاصة على مستوىٰ القيادات العليا يكون عامل تنضيجٍ للأفكار وسبيلاً لمعرفة الأحسن بين الأقوال .

ولقد أبدع السيد الشيرازي في كتابه الرائع (الشورى في الإسلام) حول هذه النظرية الحضارية مستعرضاً من خلال فصوله الثلاثة (ضرورة

والإمام الشيرازي لمناقشة هذا المشروع ، حتّى وصلتُ إلى المرحوم السيّد أحمد الخميني ، والشيخ الكروبي ، طارحاً عليهما المقدّمات المطلوبة للقاء ، إلّا أنّ العقبات كانت ثقيلة . وعاودت السعي بلا نتيجة في سنة (١٩٨٨) عن طريق وزير العمل والشؤون الاجتماعية السابق السيّد سرحديزاده ونائبه (الوزير الحالي) الأخ حسين كمالي، وعبر وزير الكهرباء والاتّصالات الهاتفية السيّد غرضي وكانت علاقتي بهم وثيقة.

الشورى والمشورة ومساحة الأُمور التي تلزم فيها ، وفشل الأحزاب الدكتاتورية في العالم الثالث ، والهيكلية الناجحة لإدارة التنظيمات ، وأقسام التمركز ومفهوم الديمقراطية والمؤسّسات الحكومية وغير الحكومية ، ومسألة الحزب الواحد ومقارنته مع النظام القائم على الحزبين المتنافسين ، وموضوع التجمّعات الضاغطة والعمل السرّي والرأي العام والبرلمان والإنتخابات) .

بناءً علىٰ ذلك فإنه لا يخفى الأثر الإيجابي العظيم لمبدأ الشورى في القضاء على مرض التسقيط والتهميش والتجاوز والتجاهل وتبادل التّهم .

وبهذه المناسبة أنقل هنا ما حكاه لي الإمام الشيرازي من أنّ الإمام الخميني طلب منه في بداية الثورة أن يدخل معه في المهام التأسيسية لحكومة الجمهورية الإسلامية حتّى يعيّنه خليفة له من بعده . وكان ذلك قبل تعيين سماحة آية الله العظمى الشيخ المنتظري لهذا المنصب . يقول السيّد الشيرازي قلتُ للسيّد الخميني إنّني أُؤمن فقهيّاً بالقيادة الشورائية، فمن المطلوب أن نستعين ببقية المراجع الواعين لقيادة الأُمّة ونشكّل مجلس شورى على مستوى المراجع . إلّا أنّ السيد الخميني لم يوافق رأيي هذا ـ وذلك إنطلاقاً من تفاوت الرأيين الاجتهاديين ، وحرّية الفكر الاجتهادي ، والاستقلالية التي تنفي عن المجتهد تقليده لغيره ـ وهكذا جاء تنصيب الشيخ المنتظري امتداداً لنظريته ﷺ في ولاية الفقيه الواحد . ثمّ جرى بينهما ما جرى .

وهنا أُعلّق على التسقيطيين الذين يتّهمون الإمام الشيرازي أنّه نازع الإمام الخميني طلباً للقيادة ، أقول كم هؤلاء صغار العقول وكم تكون

خطورتهم موجعة حينما يكبروا دون أن تكبر عقولهم . ويظهر لك ذلك من سلوكهم الصبياني التالي :

في الثمانينات خَرَجَتْ في طهران إحدىٰ صحف المعارضة العراقية بدراسة حول تاريخ مجيء الإمام الخميني إلى العراق بعد نفيه من إيران في الستينات، وهنالك صورة تاريخية ـ لعلها وحيدة ـ للإمام الخميني جالساً إلى جانب المرجع الشيرازي في كربلاء وهي الصورة التي تثبت وقوف الإمام الشيرازي مع حركة الإمام الخميني يوم كان أكثر المراجع والعلماء في العراق لم يقتربوا من الامام الخميني ، إمّا خوفاً من السفارة الايرانية وذيولها في الحوزة أو ذهاباً لبعض المصالح أو شكّهم في شرعية حركة الامام.

تجد هذه الصورة التاريخية في تلك الصحيفة تُطبَع مع تلوين عمامة الإمام الشيرازي السوداء بلون أبيض ليوحوا إلى القرّاء بأن الجالس عند الإمام الخميني هو شيخ من المشايخ !!

ولم يكن ذلك الا تحريفاً للتاريخ وإخفاءً للحقيقة عن أعين الناس والقرّاء . هكذا يضحك التسقيطيون على عقول الناس للاستحواذ على الساحة أو قيادتها بأي قيمة ، وكذلك يفعلون!![1]

---

(١) للعلم إن جذور الحقد والجهل على الامام الشيرازي في اكثر المناطق ـ والبحرين بالذات ـ تعود الى فروع هذا الحزب العراقي المصاب اليوم في داخله بالإنقسام والتسقيط المتبادل بين أعضائه وكبار مؤسّسيه.

وفي تحليلي للأمور أرىٰ أن هذا الحزب وتيّاره والمتأثرين به قد استفادوا من تغلغلهم في النظام الايراني وشوّهوا صورة الامام الشيرازي عند أقطابه، وسبّبوا في تصاعد الخلافات

وهذا في الوقت الذي لاينكر أحد ـ حتىٰ المخالفين المنصفين ـ موقف الإمام الشيرازي في سنة (١٩٦٢) لمّا اعتقل الإمام الخميني في انتفاضة خرداد المجيدة في ايران حيث أرسل المرجع الشيرازي ابن شقيقته العلّامة المجاهد السيّد هادي المدرّسي إلى بيروت لدعم حركة الامام الخميني إعلامياً وسياسياً، وسافر هو إلى النجف الأشرف وأقنع المرجع الشاهرودي والخوئي للاجتماع في منزل السيّد محسن الحكيم في الكوفة للإبراق إلى الشاه وإنقاذ حياة الإمام الخميني باعتباره مجتهداً، والدستور الايراني يمنع إعدام المجتهد إذا عارض الحكومة ـ ولم يكن الإمام في ذلك اليوم معروفاً بالاجتهاد ـ وعلّق زاهدي سفير الشاه في بغداد على تحرّكات السيّد الشيرازي آنذاك ـ كما جاء في مقابلته مع مجلّة المستقبل ـ قائلاً: (أنّ الخميني ثار في ايران والشيرازي أوصل صوته إلى العالم)[١].

ويكشف هذا المقطع التاريخي عن فائدة المجلس المرجعي، حتىٰ قال لي أحد الفقهاء أن الاجتماع بين السيد الحكيم والشاهرودي والخوئي بتحرّك السيد الشيرازي لقضية كبيرة كان الأول من نوعه ولم يتكرّر إلا نادراً جدّاً.

بين العملاقين المتحالفين سابقاً (الخميني والشيرازي).

(١) ذكر هذه القصّة أيضاً الشيخ حيدري الكاشاني الذي ارتقى المنبر في مجلس فاتحة أقامه الإمام الخامنئي (دام ظلّه العالي) في مسجد الأعظم في مدينة قم على روح المرجع الشيرازي رحمه الله.

* **ثامناً ـــــــــ التزام مقدّمات النهضة الحضارية لعصر الظهور:**

يعتبر الإمام الشيرازي لدىٰ دارسي الصحوة الإسلامية المعاصرة واحداً من أبرز رجالها والمهندسين المحنّكين لمسارها والمؤسّسين لمقدّمات النهضة الحضارية الإسلامية العالمية القادمة بقيادة الإمام المهدي (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) .

ويتجلّىٰ ذلك لكل باحث عند مطالعته لعناوين المواضيع التي تطرّق إليها المرجع الشيرازي في مؤلّفاته التي تجاوزت الألف ومائتي كتاب وكتيب والذي حقّقت موسوعته في الفقه الإسلامي البالغة (١٦٠) مجلّداً أعظم إنجاز لم يسبقه فيه أحد من المراجع والفقهاء.

ففي كتاب واحد من مجموعته الكاملة مثلاً وهو كتاب (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) بحث في العناوين التالية : (التربية الروحية) و (الصبر على المكاره) و (جمع الطاقات والقدرات) و (الهمّة العالية) و (بُعد النظر) و (الاستمرارية) و (تفجير الطاقات الكامنة) و (مقابلة السيّئة بالحسنة) و(الاهتمام لتحقيق الهدف) و (عدم الانشغال بالهامشيات) و (تجنّب الطفولة السياسية) و (حرمة الدماء والنفوس) و (الشجاعة المزيجة بالحكمة) و (مكافحة الجهل) و (سياسة العفو والصفح) و (معرفة مكائد كفّار الشرق والغرب) وعن (الزهد والورع) أيضاً ، وهذه عناوين رئيسية لمن يفكّر على مستوى النهضة الحضارية للإسلام العالمي .

وممّا كتبه أيضاً في كتابه (طريق النجاة) يستلهم القارئ مفاهيم عملية كثيرة في نبذ التسقيط ومعالجة التعصّب ، منها مثلاً ما سطّره حول (التكاتف فيما بين القوى الإسلامية) و (مفاسد الاستبداد) و (أسباب

القلق) و (كيف تحطّمت بلاد الإسلام ولماذا) و (الحروب وأسبابها) و(عوامل التقدّم والازدهار) و (احترام أموال الناس ودمائهم وأعراضهم) و(الاعتبار بالتاريخ) و (دور الأخلاق في الإنقاذ) .

وهل ياتُرىٰ لو كان الذين مارسوا ويمارسون تسقيط هذا الرجل الصالح يمتلكون روحه الحضارية العالية كانوا يمارسون مثل فعلهم؟!

لا والله بل لتعاونوا معه في خطّه الإسلامي الرائد وكانت النتائج سارّة للجميع، ولكن صدق الإمام علي عليه السلام إذ قال : « **الناس أعداء ما جهلوا** » حقّاً إنّهم جهلوه وأصرّوا على جهلهم به حتّى قال أحد العلماء (الجهلاء) لقد أُهديتْ لي كتب الشيرازي فألقيتها في (الزبالة) ! يالها من بطولة !.

ومن الواضح بأنّ التفكير في القضايا الكبيرة والاهتمام بحلّ مشاكل الأُمّة ومعرفة حجم المؤامرات الدولية ضدّ الإسلام والمسلمين ، يجعل الإنسان مترفّعاً عن الإنشغال بالتسقيط ودفع الناس في الضدّيات وإلهائهم بالسفاسف.

أذكر بهذه المناسبة الإمام الخميني قدس سره في سنة (١٩٧٥م) كما حكاه لي أحَدَ مقرّبيه في النجف الأشرف أنّ بعض الكويتيين جاءوا يسألونه عمّا أُثير في تلك السنوات ضدّ المرجع الشيرازي (مجتهد أم لا) فغضب عليهم الإمام الخميني قدس سره وقام وخرج من مجلسه حتّى سقطت عباءته ثمّ أرسل مرافقه ليقول لهم : هل إنتهت مشاكل الأُمّة حتّى تنشغلوا بهذه الأُمور التافهة .

أقول : ويا ليت الآخرين كانوا على مستوى الإمام الخميني يفكّرون في الأُمّة والمكائد حولها ، فلم يمزّقوها بفتاوى حطّمت روح الأُخوّة والمحبّة

والتماسك فيها وأدّت بمستوى الناس إلى حضيض التراشق . وليس التورّط في مصيدات أهل الدنيا والسياسات الاستعمارية في بلدانـنا إلّا لبعد بعض علمائنا من العلم بأوضاع زمانهم والمكائد الدولية حولهم وطريقة احتواء الاستخبارات لهم بالوسائل الخفيّة . وصدق الصادق من آل محمّد عليه السلام حيث قال : « **العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس** » . وعلوم الزمان كثيرة وشبكة المؤامرات على الإسلام والعلماء والأُمّة واسعة ومعقّدة ، فلا يستغني المراجع والقادة عن بعضهم في التماسك لمواجهة الأخطار المحدقة . أليس الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص ؟ والقتال ليس بالضرورة كونه بالسلاح والقنابل فهذا واحد من مصاديقه ، خاصّة في عصرنا الذي تغيّرت أساليب الهيمنة الاستكبارية على الأُمّة ومحاربة الأعداء للإسلام .

*** تاسعاً ـــــــــــــــ العمل الجمعي والحضارية المؤسّساتية :**

إنّ فكرة التسقيط وحذف الآخرين تنشأ غالباً من حبّ السيطرة الفردية والعائلية والحزبية ، وهذا ما رفضه الإمام الشيرازي بالتشجيع على العمل الجمعي والارتكازات المؤسّساتية في طول المجتمع وعرضه ، معتبراً أنها أقوى الدعائم الحضارية للإسلام في مواجهة الحضارة المادّية .

ولقد عانى قدس سره من أجل نشر فكرة المؤسّسات في العالم أشدّ المعاناة حيث أنّ العديد من مناوئيه راحوا يشنّعون عليه ذلك ويحاربونه ليل نهار بلا هوادة ويثبطون أهل الخير كلّما أرادوا دعمه في إنشاء مؤسساته أو نشر أفكاره المؤسساتية، حتّى أنّه قدس سره رغم صبره العجيب أخذ يشكو

مظلوميته في مقدّمة الطبعة الثانية من كتابه « مباحثات مع الشيوعيين » ولعلّ ذلك كان المورد شبه الوحيد في تلك الفترة الذي أطلق به الإمام الراحل لقلمه عنان بثّ شجونه وتسجيل غربته ومظلوميته . فقال رضوان الله تعالى عليه : « .. وبالمناسبة فلا بأس أن أُشير في مقدّمة هذا البحث إلى التّهم التي تلقّيتها في الجملة مع تحفّظي على نظافة الكلام ، فإنّي لا أُريد أن أجرح أحداً ، ولذا تماسكت عن ذكر الأسماء وبعض الخصوصيات التي ربما تكون مؤشّرة إلى ما يوجب الجرح .

١) ذات مرّة اجتمعنا مع عدّة من الأصدقاء لتأسيس مكتبة في المدرسة الهندية في كربلاء المقدّسة باسم المكتبة الجعفرية ، فقالوا : إنّهم يريدون استملاك كتب الناس بهذه الحجّة ! وقالوا : إنّ هذا العمل هدم لموازين أهل العلم !

٢) اجتمعنا لتأسيس مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الأهلية ، فقالوا : إنّهم يريدون فتح مدرسة أبي حنيفة لا مدرسة الإمام الصادق ! وقالوا : إنّهم يريدون نشر التجدّد واللّادينية تحت هذا الشعار !

٣) اجتمعنا لإخراج مجلّة « أجوبة المسائل الدينية » فقالوا : إنّهم شكّلوا لجنة « سلوني قبل أن تفقدوني » ! وقالوا : هذا فضح لرجال الدين لأنّ المثقّفين سيستشكلون إشكالات تعجزون عن الجواب عنها ، وذلك يسبّب فشل الدين ورجال الدين !

٤) لمّا قرّرنا تأسيس « الجمعية الخيرية الإسلامية » قالوا : هذا هدم لحوزة الطلبة في كربلاء لأنّه يسبّب جرّ أهل العلم إلى التجدّد !

٥) وحين اشتركنا لتأسيس « مطبعة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام »

قالوا : إنّ هذا العمل يوجب تسليط الفسّاق على المتديّنين حيث إنّ المطبعة توجب تحرّك الأقلام المنحرفة !

٦) ولمّا أن طبعت وسائل الشيعة ومستدركاتها قالوا : هذا هدم للتشيّع لأنّ المستدرك كلّه ضعيف ، وقد تعب علماء الشيعة لإخراج الضعاف عن منهج التشيّع فهذا إرجاع إلى الوراء !

٧) ولمّا طبعت « هكذا الشيعة » قالوا : هذا تفرقة وطائفية !

٨) وقد خرج منشور طويل عريض من (حزب خاص) ينتقد فيه كل كتبي ، وقد عدّد عليها خمسين إشكالاً ، وصدرت الأوامر إلى (الحزب) بحفظ هذه الإشكالات وتعدادها ونشرها في المجتمع !

٩) ولمّا طبعت « المقالات » قالوا : نفران أفسدا العراق (عبدالكريم قاسم) بثورته و (محمّد) بتأليفه المقالات !

١٠) ولمّا طبعت كتاب « الفقه » قالوا : ليس له !

لم تكن تلك الافتراءات إلّا نزراً بسيطاً ممّا واجهه الإمام المظلوم الراحل في مشروعه الحضاري الإصلاحي الكبير ، وإلّا فإنّ ما دوّنه السيّد الإمام في مقدّمة كتاب « مباحثات مع الشيوعيين » من التهم قد بلغ ٦٠ تهمة وافتراء وإشاعة ! علماً أنّه ﷺ لم يذكر إلّا القليل ممّا لاقاه من أجل هداية الأُمّة وإصلاحها .

وتذكّرني هذه الشجون (الشيرازية) بوصيّة أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي عليه السلام لابنه الحسن الزكي عليه السلام : « **فما طلّابك لقومٍ، إنْ كنتَ عالماً عابوك ، وإنْ كنتَ جاهلاً لم يرشدوك ، وإنْ طلبتَ العلم قالوا : متكلّف متعمّق ، وإنْ تركتَ طلب العلم قالوا : عاجز غبيّ ، وإنْ تحقّقتَ لعبادة**

ربّك قالوا متصنّع مراء ، وإنْ لزمتَ الصمت قالوا : ألْكَنْ ، وإنْ نطقتَ قالوا : مِهذار ، وإنْ أنفقتَ قالوا : مُسرِف ، وإنْ اقتصدتَ قالوا : بخيل ، وإنْ احتجتَ إلى ما في أيديهم صارموك وذمّوك ، وإنْ لم تعتد بهم كفّروك ، فهذه صفة أهل زمانك »[1].

ولقد نظم أحد الشعراء مفاهيم هذا الحديث قائلاً :

وما أحد من ألسن الناس سالماً
ولو أنّه ذاك النبي مطهّر
فلو كان مقداماً يقولون أهوج
وإن كان مفضالاً يقولون مبذّر
وإن كان سكّيتاً يقولون أبكم
وإن كان منطيقاً يقولون مهذّر
وإن كان صوّاماً وبالليل قائماً
يقولون زرّاق يرائي ويمكر
ولا تحتفل بالناس في الذمّ والثنا
ولا تخش غير الله والله أكبر

*** عاشراً ـــــــ وأخيراً تقارن القول والفعل :**

إنّ سلوك المرجع الشيرازي في الفعل والعمل كان طبقاً لما يقوله ويكتبه ، وهذا من أهم الجوانب المشرقة في شخصية هذا الفقيد الكبير ،

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٧ ص٢٣٤.

لأنّ الداعية إن كان عاجزاً عن تطبيق ما يدعو الآخرين إليه فليس بداعية جدير بالطاعة . إذ ما أسهل الكلام وأصعب الالتزام وهو الميزان في تقييم الإنسان . وفيما يرتبط بموضوع البحث هنا فقد دلّت مواقف الإمام الشيرازي تجاه الذين أسرفوا جهدهم في تسقيطه وتهميشه والإساءة إلى سمعته وتخريب مشاريعه ، إنّه ﷺ كان حليماً صبوراً ، عفوّاً ورعاً تقياً وقوراً ، لا يردّ بالمثل وهو قادر عليه . وحسب قراءاتي في قصص المراجع والعلماء ولقاءاتي مع كل الأطراف وأصحاب التوجّهات لم أجد مَن كان مثله في السابقين ولا المعاصرين من حيث شدّة الهجمات التسقيطية عليه ومحاولات حذفه من كل الأصناف وبكلّ الأساليب التي انحدرت إلى مستوى الصبيانية في بعض البلدان بل إلى مستوى التهم التي تترتّب عليها أحكام الحدود الشرعية ، حتّى قال لي أحد كبار فقهاء الحوزة في قم المقدّسة : إنّني وإن لم أقرأ فكره ومؤلّفاته ، فإنّي أعترف له بصبره وتحمّله وأخلاقه العظيمة في عدم ردّه على مناوئيه بالمثل .

وقال لي ابن أحد كبار المراجع في النجف الأشرف : إنّ السيد الشيرازي بصموده في وجه الهجمات التسقيطية المستمرّة عليه منذ الخمسينات (الميلادية) قد أثبت أنّه أقوى من مخالفيه بكثير ، ولقد أعجبني صموده ذو الثلاثين عاماً بينما ذات الجماعة التسقيطية هاجمونا ولم نصمد ثلاث سنوات حتّى توفّي والدي غمّاً وغصّة .

وسمعت مجتهداً يقول عنه : لو كان غيره لانتهى منذ بدايته ، ولكنّه رغم ذلك فقد زاد قوّةً وانتشاراً. وهو لو لم يكن يُحارَب لكان أكثر انتشاراً في العالَم بلا شكّ .

أقول : هذا دليل أحقّيته ومظلوميته ﷺ أليس بمثله نستدلّ على أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي كلّما زادت محاولات طمسه وتسقيطه والدعايات الكاذبة عليه ، كلّما زاد قوّةً وانتشاراً في العالم منذ (١٤) قرناً من الزمن ؟

فكم كنت أراه يوصي زائريه بالصبر على جهل الجاهلين ثمّ يسرد لهم قصص النبي وأهل بيته عليهم السلام والعلماء الصالحين الذين تساموا عن الردّ على مناوئيهم وأبوا إلّا التركيز على أهدافهم الكبيرة في الحياة .

وكم سمعته ينصح محبّيه بالكفّ عن الإساءة إلى الآخرين وتسقيط المنافسين ، وإذا سمعوا شتيمة له أن لا يردّوا إلّا بالنصيحة الحسنة الهادئة وأن يوجّهوا النقد بقصد التصحيح والهداية لا بقصد الهدم والإساءة .

ولما كنتُ أذكر له مواقف المسيئين إليه وأنا أتألّم بشدّة ، كان يبتسم ويقول : لا تُعِر بالاً ، كذلك فعلوا بالأنبياء والأوصياء ، ونحن لا نساوي تراب أقدامهم ، فاصبر ولا تغتمّ وسوف يكتشفون الحقائق قريباً . أمَا تُؤمِن بسنّة الحياة حيث لا يصحّ فيهاإلّا الصحيح ؟! فاعمل لله ولا تبالي. ﴿إنّ اللهَ يدافِعُ عنِ الّذينَ آمَنوا﴾[1].

وكرّره لي قبل وفاته بشهر واحد قائلاً : بعد شهر واحد تتبيّن الحقائق.

وبالفعل تبيّنت الحقائق فتراجع بعد وفاته كثير من مناوئيه وندموا على محاربتهم له أيام حياته.

وكثيراً ما كان ﷺ يعلن العفو عمّن يمارس تسقيطه ويقول لقد غفرتُ

---

(١) الحجّ / ٣٨.

لهم أليس الله يغفر لعباده المذنبين ؟ فلابدّ لنا أن نتخلّق بأخلاق الله الغفور الرحيم ، ولابدّ لنا أن نخرج من هذه الدنيا وإبتلاءاتها نظيفين غير ملوّثين .

وكان عند الكلام حول فتنة التسقيط والأُسلوب الأمثل لصدّها ، يقول لي : اكتب حول التعدّدية ، والشورى ، والحرّية ، واحترام الرأي ، وضرورة الأُمّة الواحدة ، وحقوق الأُخوّة الإسلامية ، ونبذ العنف ، وأهمية التحلّي بالأخلاق والتقوى على كل حال ، وأن تعمل جهدك في قضاء حوائج الناس بروح إيجابية متفائلة ، ثمّ تترك الباقي على الله الذي يقول في محكم كتابه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وكان يقول إنّ المجتمع لن يرى وجه السعادة إلّا إذا وعىٰ هذه المفاهيم، ولذا يجب على أصحاب الفكر أن يكتبوا وينشروا ويخطبوا ويتحدّثوا مهما أُوتوا من وسيلة وفرص ، فلا يبالوا بالشائعات ما دام الله الشاهد هو الحاكم العادل وهو لا يضيع أجر العاملين.

كم للإنسان من الوقت في هذه الحياة ليصرف وقته ضدّ هذا وذاك من اخوانه ، ومتى يصرفه لشراء الجنّة وبناء القصور فيها.

هذه كلماته التي لا زالت بنبرة صوته تطنّ في أُذني، وما كان يتفوّه بها إلّا وقد طبّقها على نفسه قبل ذلك.

هكذا كان الإمام الراحل المجدّد المعاصر السيّد محمد الشيرازي مطبّقاً لمنهجه في العمل الإسلامي المتميّز ، ومجسّداً لروح الوحدة مع رعاية

---

(١) العنكبوت / ٦٩.

الأخلاق والحرّية وسلامة الحركة الإجتهادية المواكبة لحركة الزمن والملتزمة بمبادئ القرآن والسنّة النبوية الكريمة الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام المطهَّرين عن كل رجس. وهو مع ذلك لم يتهجّم على مخالفيه بمنطق التسقيط والإساءة والتشهير، دون أن يذكر أسماءهم عند النقد والتلحيظ.

ولو أمعن القارئ الكريم في كلمات ومواعظ الرسول الأعظم وأهل بيته عليهم السلام لوجد حفيدهم الفقيه الواعي السيّد محمّد الشيرازي عالماً عاملاً على خطىٰ أجداده.

هذا هو المرجع المجدّد، والمفكّر الموسوعي الملتزم، والعالم الولائي المنفتح، والمتواضع الزاهد الصابر المظلوم الذي جهله مناوئوه فأسقطوه، ولم يعرفه أكثر محبّيه فأنزلوه إلى دوائرهم الضيّقة أو جبنوا في الدفاع عنه بالطريقة التي كان يريدها وهي عدم التهجّم على مناوئيه وتسقيطهم. لأنّ التسقيط حرام سواء كان موجّهاً ضدّ الشيرازي أو غيره من المراجع الكرام والعلماء الأجلاء.



نظرات الإمام الشيرازي الإصلاحية

وفيها (١١) مقالة

وتلخيص لرؤيته في النظام المرجعي الرسالي.

تمهـيد:

قد لا نحيد عن الحقيقة لو قلنا أنّ المرجعية الدينية ـ بنمطيها التقليدي المحافظ والتغييري الناهض وكلاهما أُسلوبان نافعان ـ هي الجهة الوحيدة القادرة على معالجة مرض التسقيط بين الأتباع أو الحدّ منه، ولكن شريطة أن تقرّر إحداث التغييرات التالية في كيانها الفكري وبنيتها الإدارية[1]. والتغييرات المطلوبة تبدأ بالاقتناع فيها وبالإرادة نحوها وفق الخطوات التالية مثلاً:

١ ـ تصفية الحاشية من كلّ فرد آحادي الفكر، متشنّج الأعصاب، حدّي المزاج، عبوس الوجه، ضدّي المسار والاتجاه.

٢ ـ التوزيع التخصّصي للمجالات الفقهية والشؤون الحوزوية والاجتماعية والسياسية والعلاقات العامّة والموارد المالية والاستثمارية، فلكلّ مجال يكون رجاله الإختصاصيون الذين هم بمثابة المستشارين للمرجع.

٣ ـ فتح خطوط اتّصال مباشر بين المرجع والمراجع الآخرين، لتبادل الرأي وتمتين الصداقة وترطيب الأجواء، والقيام بالتزاور.

---

(١) ـ والتغييرات قادمة شاء البعض أم لم يشأ لأن التغيير سنّة كونية والحياة اليوم في تغير سريع ومستمر، ومن يتوقف بوجه التغييرات يتهشم ويتجاوزه قطار الأجيال.

٤ ـ منع كلّ تصريح تسقيطي ، وخاصّة إذا كان فردياً وارتـجالياً وذا آثار تمزيقية في المجتمع .

٥ ـ إصدار بيانات إلى الناس ترشدهم إلى مفاهيم الأُخوّة وفقه التعاون ونبذ الاختلاف وعدم التدخّل فيما لا يعنيهم من شؤون الحوزة والمرجعية والعلماء .

٦ ـ في خطوة متقدّمة أن يعقد المراجع جلسات دورية (تشـاورية أو شورائية) وعلى الأخصّ لمناقشة القضايا المصيرية الكبرى في الأُمّة. ثم بيان موقفهم عبر خطاب واحد باسم الجميع أو الأكثرية.

هذا ولقد لاحظنا من خلال تتبّعنا لمسيرة التسقيط ودوافعها وظروفها أنّ التجاذبات التسقيطية التي أرهقت الجميع وضيّعت جهودهم تعود في الأساس إلى الموقف الصامت للمراجع في هـذه القـضية وربـما سـقاها بعضهم أحياناً قليلة أو بيوتهم أحياناً أكثر ممّا كرّست الحالة التجابهية في طلبة العلوم الدينية وانتقلت العدوى إلى الناس، والناس يزايدون عليها الىٰ حدّ لا يقبلها المرجع نفسه حتى إذا بلغته يستنكرها بشدّة ويأسف أنّ نقداً عابراً وكلاماً بسيطاً قد تحوّل عند الناس الىٰ قنابل إنشـطارية مسـتمرة الأثر الهدّام . وتلعب الحاشية و (فـطاحل الطـلبة الشـباب المـتظاهرين بالتقدّس) دوراً أساسياً في هذه (التناطحات) !

لذلك لابدّ من بحثٍ حول نظامٍ مرجعي جديد يـمارس مـهامّه وفـق المستجدّات في الساحة والتحدّيات الاستراتيجية المعاصرة ويأخذ بعين الأهمية درجة الحسّاسية للأُمور والأولويـات، ويـؤدي بـالفرد الى بـناء علاقاته وفق القيم الأخلاقية والروح المسؤولة والعبرة من الماضي.

وقد بذل عدّة من المراجع جهوداً مشكوراً على هذا المسار ولكنّها توقّفت عند حدود الكتابة والتنظير ولم تأخذ سبيلها إلى حيّز العمل والتأسيس ، ما عدا مشروع سماحة الإمام الخميني ﷺ والذي استمر عليه الإمام الخامنئي (حفظه الله) في المرجعية القائمة على أساس (ولاية الفقيه) وصلاحياته الواسعة عبر أجهزة الدولة التابعة له . وهذه النظرية تدير اليوم دفّة الحكم في الجمهورية الإسلامية والمساحات الخاصّة بها، لأنّ الحوزات والمرجعيات الشيعية الأُخرى سيّما التقليدية المحافظة في ايران وغيرها فضّلت بقاءها خارج الدائرة السياسية وأجهزة الدولة والأنظمة الإدارية الحديثة.

وبينما المرجعيات التغييرية الناهضة الأخرىٰ تطالب بالتعديلات في هذه النظرية لتحقيق المزيد من الاتّحاد المرجعي المطلوب أو الاطار الجامع للأكثرية، لم يعد هذا المشروع يمثل قسماً إلا من الشيعة وليس كلهم. وهذا أمر واضح للصديق والعدو.

ومن المراجع الذين قدّموا مشروعاً للنظام المرجعي في الشيعة ولم يتحقق أيضاً علىٰ أرض الواقع هو سماحة المرجع الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر ﷺ والذي سمّىٰ مشروعه بالمرجعية الرشيدة وقد ذكرت بعض بنوده في المقترحات الست المذكورة آنفاً .

ومن هؤلاء المراجع أيضاً سيّدنا الأُستاذ سماحة آية الله العظمى السيّد محمّد الشيرازي ﷺ حيث صمّم مشروعه على صعيدين صعيد المرجع نفسه وبيته وجماعته ، وصعيد العلاقة والتنسيق مع المراجع الآخرين وسمّاه شورى المراجع ، وبيّن أدلّته الفقهية ووضع له الأُطر الإدارية العامّة التي ذكرها في عدّة كتب ومقالات ومحاضرات ، وأهمّها كتابه (المرجعية الإسلامية .. رؤى في الأساليب والأهداف) ولأهميّة هذا الكتاب من

ناحية وارتباطه بموضوعنا (حول التسقيط وعلاجه) من ناحية فقد ارتأينا أن نقدّم للقرّاء الكرام هنا تلخيصاً له، ولإثراء الموضوع مهّدنا له بمقالات كتبها المرحوم ﷺ قبل أكثر من ثلاث عقود ، ومع الدقّة في قراءة السطور التالية من هذا الفصل أعتقد سيصل القارئ العزيز إلى :

١ / رؤيةٍ أكثر تكاملية حول التسقيط وعلاجه عموماً .

٢ / معرفة الإمام الشيرازي وإدراك غزارته وشموليته ونظراته البعيدة في بناء الأمة .

٣ / وعي شيء من الأسباب الحقيقية وراء المحاولات الطويلة والعنيدة الرامية لتسقيطه، والتي منها تسقيط مشروعه الإصلاحي الكبير وحرمان الأُمّة منه.

فالبحث في هذا الفصل من الكتاب إذن بعد هذا التمهيد نقسّمه إلى قسمين: الأوّل مقالات استراتيجية كتبها الإمام الشيرازي وفيها جانب من نظراته الاستراتيجية في الاصلاحات العامة[1]. والقسم الثاني ما كتبه ﷺ حول المرجعية الرسالية ودورها الحضاري في التغيير.

وأمّا حول نظريته في شورى المراجع فلم نتعرّض لها بالتفصيل هنا بعد ما ذكرنا أهمّ مبرّراتها وأبعادها في الفصل السابق ، وللمرحوم الشيرازي ﷺ بحوث كثيرة في كتبه حول الشورىٰ يمكن مراجعتها[2].

---

(١) ـ وسأعلق في الهوامش ببعض الإشارات.

(٢) وردت الأدلّة الفقهية والأُصولية والعلمية لهذه النظرية بشكل مفصّل في كتاب لنجله سماحة آية الله السيّد مرتضى الشيرازي وأحد تلامذته فضيلة العلّامة الشيخ ناصر الأسدي في كتابيهما (شورى الفقهاء) و (شورى المراجع) .

القسم الأول: النظرات الاصلاحيّة

المقالة الأولىٰ:

نظرته العميقة إلى الحياة ورسالته للمصلحين ..

فقد كتب ﷺ :

جرت سنن الكون على التقلّب والتحوّل ، فيصير النـهار ليـلاً والليل نهاراً، والخريف شتاءً والربيع صيفاً ، والبـرّ بـحراً والبـحر بـرّاً ، تـورق الأشجار ثمّ تسقط الأوراق ، ويحيى الجماد ، ثمّ ينقلب الحـي جـماداً ، وهكذا دواليك ، وليست القوانين الاجتماعية ، والفكر والعادة والعلم وما إليها ، إلّا ما يسيطر عليه نظام التقلّب وقاعدة التحوّل ، فليس الفكر صخراً يبقى ما بقي الكون ، ولا العادة والارتكاز يتمتّعان بالحياة الأبدية مـا أمّ نجم في السماء نجماً ، ولا النظام الاجتماعي كالشمس المضيئة التي تطلع كلّ يوم عن مشرقها وتغرب في مغربها ، ولا تزحزح ، ولا تضعضع ، بل كلّها ممّا تلعب بها أصابع الأقدار ، وتدور دورة الفلك بُسعدها مرّة فتبقىٰ دهراً طويلاً ، وبنحسها أُخرى فما تلبث إلّا وتجري عليها أعاصير الفناء ، وتجعلها في خبر كان .

إنّ النظام الفاسد الذي يسود المجتمع لابدّ وأن يـخلي مكـانه لنـظام صالح وإن طال به البقاء ، ومدّ جذوره إلى أعماق الأرض ، وفروعه إلى عنان السماء ، لكنّه ليس انقلاب النظام كتقلّب الأيّام يدور بـنفسه ، بـل

يحتاج إلى مصلح قدير، يشذب شجره، ويعبّد سبيله، ويسقي فسيله، ويتعاهد روضه تعاهد الفلّاح جنّته، وذلك ما يحتاج إلى التضحية ويفتقر إلى التفدية، فإنّ خلع العادات عن رقاب الناس لا يسهل، واجتثاث جذور التقاليد عن الأفئدة غير هيّن، ولذا يعاني المصلح ما لا قِبَل له به من أنواع الأذى، ويُصَبّ عليه ما لا يحمل غيره من سياط العذاب.

فعلى من يريد الإصلاح، سواءً أكان دينياً، أم سياسياً أم وطنياً، أن يوطّن نفسه على صنوف الآلام، وأقسام السخرية والاستهزاء، ثمّ لايدري بعد هذا وذاك أينجح في حياته أم بعد مماته، ويقدر في إحدى الحالتين، أم لا ينال شيئاً ممّا يطلب.

فطريق المصلح وَعِرٌ خَشِن فُرِش بالقتاد، وألسنة من يريد إصلاحهم أحرّ من النار، وأفئدتهم تتلظّى غضباً عليه ونقمة منه، فمن كان باذلاً ـ في هذا السبيل ـ مهجته، وموطناً لكلّ شيء نفسه، فليقدم على ذلك.

إنّ المصلحين الكبار الذين قاموا لهذا الشأن عانوا ما عانوا، ولاقوا ما لاقوا، أمّا سلسلة الأنبياء والأولياء عليهم السلام فمصاعبهم ومتاعبهم حديث الألسن، وشنف السماع، ونصب الأعين، وأمّا غيرهم من الذين سجّل التاريخ صحائفهم النضالية باسم المصلحين والثائرين، فكم قاسوا صنوف العذاب وسيموا الخسف والذلّ، مات أحدهم في السجن، والآخر تحت وقع السياط، والآخر التهمته النيران، والآخر مشرّداً عن الأوطان.

فـ(غاندي)[1] كان مشرّداً عن وطنه، يلقيه سجن إلى سجن، وينشره

---

(١) زعيم سياسي وروحي هندي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨م) لقّب المهاتما، نادى باللّاعنف وبالمقاومة السلبية، عمل على تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني، دعي (مهندس الاستقلال الهندي)، قتله هندوسي متعصّب.

حكم ، ويطويه حكم ، فقضى عمره في فقر وإرهاق .

و (لامارتين)[1] لـم يـجـد فـي أُخـــريات سـاعـاته إلّا كـلـباً كـان يـلازمه، فيبثّ إليه حزنه ، ويشكو إليه غدر أصدقائه .

و (كورني)[2] لم يكن يجد من متعة الحياة إلّا الهواء والشمس ، ورقعة الأرض يجرّ في رجليه نعالاً بالية ، ويشرف جسده من ثقوب ثوبه .

و (سقراط)[3] لم يزل يدعو إلى الإصلاح ، حتّى سقوه بالسمّ .

و (ساقور لانا)[4] كان يعطف على البائسين ، ويصيح في وجـه بـائع الدين ، فأحرقوه بالنار .

و (جمال الدين)[5] كان تلفظه أرض إلى أرض ، حتّى قضى عمره بين شرد وطرد ، وعذاب وعقاب ، ويقال : لم يمت حتف أنفه ، بل قُتِل قتلاً .

المصلح يحتاج قبل كلّ شيء إلى صدر رحب ، وإرادة قوية ، وعزيمة

---

(١) ألفونس دو لامارتين (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩م) شاعر وسياسي فرنسي ، تولّى رئاسة الحكومة الموقتة بعد ثورة ١٨٤٨م ، له أعمال أدبية .

(٢) كورناي (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤م) شاعر مسرحي فرنسي كبير ، ولد في روان ، يعتبر مبدع الفن المسرحي الكلاسيكي في فرنسا .

(٣) سقراط (نحو ٤٧٠ ـ ٣٩٩ق م) فيلسوف يوناني ، يعتبر هو وأفلاطون وأرسطو من واضعي أُسس الثقافة الغربية ، حارب السفسطة وانتقد الحكم ، فاتّهمه أخصامه بالزندقة وحكموا عليه بالإعدام ، شرب السمّ فمات في سجنه .

(٤) ايرونيمو ساقونارولا (١٤٥٢ ـ ١٤٩٨م) راهب دومينيكي ، رئيس دير القدّيس مرمقس في فلورنسة ، طالب بالإصلاح وحاول إقرار نظام تيوقراطي ، حكم اسكندر السادس بحرقه.

(٥) جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) شيعي اثنى عشري من كبار رجال الدين المصلحين ، ومن فلاسفة الإسلام في عصره ، جال في الشرق والغرب ودعا إلى الوحدة الإسلامية ، أصدر مجلّة (العروة الوثقى) في باريس ١٨٨٤م .

صخرية، وذكاء ثاقب، وصدق لهجة، وحلم واسع، واستمرار في العمل، وعدم اليأس مهما لم يوفّق لنتيجة، يُؤذىٰ المصلح فلابدّ أن يصفح، ويُسجَن فلابدّ أن لا ييأس، ويُغضَب فلابدّ أن يكظم، لابدّ أن يستمرّ المصلح في عمله وإن لم يثمر بذره، ولم يفرّع شجره ولم ينبع الماء من حفره، ولم يؤمن به أحد، إنّ نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً[1]، وصالح عليه السلام دعىٰ شعبه مائة سنة، وعيسى عليه السلام دعى ما دعى فلم يؤمن به إلّا اثنى عشر شخصاً، ومحمّد صلى الله عليه وآله دعىٰ عشر سنين فلم يؤمن به إلّا نفر قليل. من لبس جلباب الإصلاح لابدّ وأن يخلع جلباب العزّ والاحترام، والتجلّة والإكرام، والراحة والرفاه [2].

إنّ فشل المصلح عاجلاً لا يضرّ بعد العلم بأنّ النظام الصحيح الجاري فعلاً من نتائج أعمال المصلحين، وإن كان بينهم بعض الفروق بنجاح أحدهم ورسوب الآخر، فإنّ تاريخ البشرية خيط طويل اشترك في فتله ونقضه أنكاثاً طائفة لا يستهان بهم، كثرة من المصلحين والمفسدين، فمصلح يبرم ومفسد ينقض، وهكذا حتّى يتقشّع سحاب الفوضىٰ، وتجلو شمس النظام ليس عليها غبار.

لو عدم المصلح الاحترام في حال حياته، فإنّه لا يعدم الارتياح بصحّة عمله، وإن أهانه الناس وهو بين أظهرهم، فسيعظّموه إذا فرّ مِن عالَم الأحياء إلى عالَم الأموات، ولو رموه بالجنون، فسيجعلوه أعقل العقلاء يوماً ما، ولو قالوا عنه: إنّه خائن، فالزمان كفيل بأن

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ سورة العنكبوت: ١٤.

(٢) ـ هذا ما انطبق علىٰ كاتب المقال نفسه سماحة المرجع الشيرازي (قدس سرّه).

يزدحموا على تعاليمه ليتلقّوا عنها دروس الوفاء والأمانة ، قليل أن يجتمع للرجل عزّ العظمة وعزّ الاحترام والتجلّة ، فهو إمّا عظيم لايحترم ، أو يحترم وهو حقير [1].

أُوذي علي عليه السلام وسُبّ ، وقوتل ، وظُلِم ، وقُتِل ثمّ لم يلبث أن صار : أعظم عظماء الشرق والغرب ، وأعلم علمائهما ، وأفصح عربي تكلّم ، وأكبر أمير ، وخير خليفة للرسول صلى الله عليه وآله يفتخر به الشيعة لأنّه إمّامهم ، والمسلمون لأنّه خليفتهم ، والعرب لأنّه من عنصرهم ، والشرق لأنّه من عظمائهم ، والدنيا لأنّه من أبناء جلدتهم .

نظام اليوم مدين لكلّ مصلح مهما اختلف مذهبه ، وحيثما كانت نشأته، وأينما دعىٰ ، ومن الجدير بالإنسان سواء أكان دينياً أم اجتماعياً أم سياسياً أم حقوقياً ، أن يربأ بنفسه من أن يكون في صفّ المديونين ، ولا يكون في رعيل الداينين .

لم يتمّ صلاح العالَم بعد ، بل ربما كانت الحروب الطاحنة ، والرذائل المنتشرة المدمّرة ، اللتين هما أكثر بكثير من الأزمنة الخالية ، دليلين على أنّ الفساد ـ في الحال ـ أكثر منه في الأيّام الغابرة ، فليشمّر المصلحون عن ساق الجلد ، ويجدفوا بملأ الحبّ ، ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ [2].

---

(١) ـ هذه حقائق عصرنا كتبها السيد (رحمه الله) قبل أربعين عاماً تقريباً .

(٢) سورة الطلاق : ١ .

المقالة الثانية :

نظرته إلى دور رجال الدين ..

فقد كتب ﵀ :

يرتئي زمرة من الناس ، أنّ شأن رجال الدين في المجتمع شأن التمثال الظريف ، الذي ينبغي أن لا تمسّها يد الغبار ، ولا يدنّسه مدنّس ، ولا يعلّق به ما يخدش جسمه ، ولا تبلغه أشعّة الشمس حتّى يتغيّر لونه ، وطلباً لهذه الغاية المتوخّاة ، وتوفيراً لهذا الجمال ، يجب أن يتطرّف عن الضوضاء ويتنكّب الطريق ، ويعتزل اعتزال مَن قَبَعَ في كهف من الكهوف ، يأكل رزقه إلى أن يأتيه حتفه ، فيحصرون عمله في الدرس والمناظرة ، والصلاة في الجماعة ، وجواب الأسئلة التي تُوجَّه إليه على أن لا تمسّ عاطفة أبداً ، وإذا زادوا على ذلك جوّزوا له أخذ بعض الدراهم المفروضة في الشريعة وإعطائها إلى مصارفها مشروطاً بأن يلاحظ عرضه في التقسيم ، يؤلّف القلوب بالدينار والدرهم ، كما كان يعطي رسول الله ﷺ المؤلّفة قلوبهم وقد أمره الله تعالى بذلك ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ... وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾[1].

أمّا التدخّل في الشؤون العامّة ـ سواءً ارتبطت بالأُمور الدينية أم الأخلاقية أم الاجتماعية أم غيرها ـ فقد حمىٰ عن رجل الدين بسياج شائك ، وجدار مكهرب ، وهو سياج (السياسة) فما أشقّها وما ألأمها ، لا توضع على شيء إلّا هدمتْه من أساسه ، ولا اقتربت مِن عالِم إلّا ألبسته

---

(١) سورة التوبة : ٦٠.

جلباب البعد عن الحقّ والقرب من الباطل ، وبهذا يصبح غريباً عن العالَم : لا تُسمَع له كلمة ، ولا يُستجاب له دعاء ، ولا يُسلَّم عليه ، ولا يجاب إذا سلّم ، ولو كان ما وسم بهذا الاسم المنحوس ، ومن خالص الدين ، وصحيح الأخلاق وصريح الآداب ، ونافع الاجتماع ، من أجل الصالح العام .

والعامّة همج يتّبعون كلّ ناعق ، سواء أكان صحيح الغرض أم فاسده ، فإذا وسم مُغرِض عالِماً بشيء : فهو الوحي المنزل ، الذي لا يتضعضع ولا يتزلزل ، سامح الله الناس وعفي عنهم ، لا أدري لِمَ افترقتِ الدنيا عن الدين وابتعدت الأُخرى عن الأُولى ، ولأي أمر تناكر الشؤون العامّة وشؤون الصلاة والدرس والمناظرة ، تناكر الأضداد ، وتعادي الأنداد ، وهل أنزل الله من سلطان يدعم رأي هؤلاء الناس ؟ أم وصّى بذلك أحد المرسلين ؟ أم يأمرهم بذلك أحلامهم ؟ أم هم قوم جاهلون ؟!(١)

أتدري لِمَ تقارب لفظ الدنيا والدين ؟ أم تعلم لِمَ تقدّم المتقدّمون في ميادين الحياة وتأخّر المتأخّرون ؟ ليس تقارب اللفظين إلّا لتقارب المعنيين : فالدنيا مزيج بالدين ، والدين دخيل في الدنيا تداخل السُّدى واللحمة ، وحيث أنّ الأوّلين عملوا على هذا الأساس تقدّموا ، وعمل المتأخّرون في ناحية واحدة وطاروا بجناح واحد ولذا تأخّروا ، إنّ المرسلين والأئمّة عليهم السلام وسائر المصلحين بعثوا إلى الأُمم وتدخّلوا في جميع الشؤون ، فإنّ الإصلاح والتهذيب يتوقّف على التدخّل ، وكما تحتاج صغار الأُمور إلى الإصلاح ، تحتاج كبارها إليه .

إنّ رجال الدين لا يكونون من الدين في شيء إلّا إذا احتذوا حذو

(١) ـ هكذا كان يتنبأ السيد الشيرازي أن يتعامل معه الجاهلون من الناس .

الرسل ، وتبعوا الخلفاء والأئمّة ، وانتهجوا مناهجهم ، وسلكوا سبلهم ، وفعلوا ما فعلوا ، وتحمّلوا ما تحمّلوا ، وقد ضرب الرسل والمصلحون المثل الأعلى للتدخّل في الأُمور : صغيرها وكبيرها ، أخلاقيها واجتماعيّها ، دينيّها ودنيويّها ، ألم يكن إبراهيم عليه السلام حارب نمرود بلسانه وجنانه ، وناقش الأُمّة جميعها في معبوديّاتها ، وأخذ طريقاً لنفسه وتبرّأ حتّى من أقرب الناس إليه ، وأُوذي في ذلك وشرّد وطرد ، حتّى أسكن أهله بوادٍ غير ذي زرع ، وأُلقي في النار بعدما حكم عليه بالإعدام ، إنّه كان بنفسه أُمّة قانتاً ، عندما كان معاصروه بأجمعهم أُمّة أُخرى ، فكان هو يقابلهم بما فيهم الملك والسوقة ، والكبير والصغير ، والشريف والحقير ، والغني والفقير ، ألم يكن هذا تدخّلاً في (السياسة) على مصطلح هؤلاء الذين ذكرناهم ؟!

ألم يكن موسى عليه السلام خالف فرعون ، وخلع عبوديته عن رقبته ، وأقام عليه الدنيا وأقعدها ، ونصحه ووعظه ، وأمره وزجره ، وكافحه كفاحاً مريراً بلا هوادة ولا فتور ، وانتقصه بقوله : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾[1] وأخذ بني اسرائيل وهم الأُلوف المؤلّفة معه ، وقُتِل مِن أتباع فرعون مَن قُتِل ، أليس هذا كلّه تدخّلاً في شؤون الدولة ـ بداعي الإصلاح ـ وتعرّضاً لأُمور الدنيا بحذافيرها ؟!

أليس عيسى عليه السلام حارب الملوك والكبراء بقوله وعمله ، فكان (ذي بلاطس) و (هوردس) منه في حذر ، وجاهد المرائين من أحبار اليهود وسبّهم بقوله : (ياأولاد الأفاعي) ونحوه ، وأخذ يهزّ كيانهم ويحطّم كبرياءهم ، ويفرّق شملهم ، ويفنّد مزاعمهم ، حتّى صلبوه (بزعمهم) ؟ ألا

---

(١) سورة الإسراء : ١٠٢ .

يكون هذا من أروع الأمثلة لتدخل العالم الزاهد العزوف الحصور، في الأُمور تدخّلاً سافراً، لا يبالي حتّى بنفسه، ويوطّن نفسه على كلّ شيء حتّى الضرب والصلب؟

ألم يكن محمّد ﷺ من أعظم الأمثلة للبطولة والعزم والثبات، والاستقامة والإيغال في شؤون الفرد والجماعة، والدولة والملّة، تدخّلاً في الأفكار والعقائد، والعادات والإرادات، والأخلاق والأعمال، والاقتصاد والاجتماع، وقد قاسى في سبيل إصلاحه من الظلم والعسف، والإرهاق والإرهاب، والضرب واللطم والشتم، تَتَسلَّقُه الألسنة بأبشع الألفاظ، وتزدريه العيون بأفضح الازدراء، حتّى قاطعه الناس وقاطعوا أهليه وذويه شرّ مقاطعة، وشرّدوه عن عقر داره، وابتعدوا عن جواره؟ أليس في هذا كلّه ذكرى واعتبار، وعظة وادّكار، حتّى يحذوه رجال الدين إن أرادوا التهذيب والإصلاح؟

إلى غيرهم من الرسل العظام، والمصلحون الكبار، فإنّ أفعالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم ليشبه بعضها ببعض، وتجمع كلّها في إطار واحد، إطار الوضع والرفع، والمنع والدفع، والدخول والخروج، والابتعاد والازدلاف، لا يلوون على شيء، ولا يبالون بأمر، ولا تأخذهم في مبدئهم لومة لائم، ولا عتب عاتب، مشمّراً عن ساق الجدّ إلى أن يأتيهم الحِمام.

فرجل الدين ليس بالتمثال الذي يضرّه الغبار، ولا بالجسد الذي لا يأكل الطعام، ولا بالزجاج الذي يصدعه الحجر، ولا بالشبح الذي تدميه الشوكة، وتستفزّه الشتمة والتهمة، بل هو المصلح الذي يُسبّ ويُهان، وينتقص من قدره، وينسب إليه كلّ شيء: من الخيانة والجنون، وحبّ العظمة، والسفاهة، والخدعة، وما إليها.

بل لو جدّ في الإصلاح ولم يساعده جِدّه في البقاء ، لضُرِب وحُبِس ، وصُلِب وأُحرِق .

ألم يُضربَ أمير المؤمنين علي عليه السلام ؟

ألم يُسمَّ الإمام الحسن عليه السلام ؟

ألم يُقتَل الإمام الحسين عليه السلام ؟

ألم يُصلَب زيد عليه السلام وحُرِق ؟

بلى كلّ ذلك قد كان ، وقد كانوا لهم السبّ المقذع ، والإهانة الشنعاء ، والاستهزاء والإيذاء ، فلم يكن ثانيهم يردعه عن إصلاحه ما يـراه فُـعِل بأوّلهم ، ولا يثني عزيمته ما يَعلَم مِن أنّه سيُفعَل به كما فُعِل بمن قبله .

يقال : إنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يتدخّل في شأن من الشؤون ، وكذلك بعض الهداة من قبله وبعده ، لكنّ الكلام أقرب إلى المغالطة مـن الحـقيقة ، فـإنّ الأئـمّة عليهم السلام لو لم يكـونوا يأخـذون جـانب الصـلاح والإصلاح، وكانوا يجرون كما تشتهي السفن ، لما عـصفت بـهم الريـاح المسخبة والإعصارات المسمّمة ، ولما نالوا الضيق والتشـريد ، والوعـيد والتهديد ، ولما ابتعدوا عن الأوطان ، ولما التهمت بيوتهم لهات النيران ، سامح الله القائل : فلماذا يجوز للرجل الديني : الصلاة جماعة ، والدرس والمناظرة ، وأخذ الأخماس والزكوات ، وإرشـاد النـاس فـي الغـدوات والروحات ! أليس الإمام السجّاد ، ومن بعده من هداة العـباد ، يـصلّون بانفراد ، ولم يكن الإمام الكاظم عليه السلام يلقي الدروس ، ولا الإمام الرضا عليه السلام يأخذ المادّيات ، إنّ الأئمّة كانوا يعملون حسب محتمل الزمان ، فمنهم من يجلس في الدار، ومنهم من يأخذ بالثأر ، ومـنهم مـن يـلقي الدروس ، ومنهم من يسكت ويُزجّ في الحبوس (ولنا برسول الله أُسوة حسنة) ؟!

وما أعجب عجبي من جماعة كانوا يسرّون إلى بعض رجـال الديـن

بعدم التدخّل في شأن من شؤون الدولة ولو كان لطلب الدين ، فإذا أراد أن يستعطف الأمراء في منع الخمور ، أو يستهوي الوزراء لغلق باب الفجور ، أو يتضرّع إليهم لمنع حكرة ، أو يستكين لعدم المنع عن حجّ أو عمرة ، جاؤوا وحداناً وزرافات ناصحين مشفقين ، يزيّنون إليه الأعراض، ويتشبّثون بكلّ حشيش لإدخال ما ارتأوه في قلبه ، يوصدون عليه أبواب الرجاء ، ويفتحون أمامه أبواب الضرر ، حتّى يثنوه عن عزمه ، حفظاً على سمعته واسمه.[1]

---

(١) ولا يزال بعد (٤٠ عاماً) تقريباً من كتابة هذه السطور نفس العقليات متحكّمة في مجتمعاتنا، ولكن هذه المرّة عند بعض (الثوريين) حيث يشكّكون في كلّ من يجالس حاكماً لهذا الغرض. ومن الجدير مطالعة كتاب (تلك الأيام) لسماحة المرجع الراحل السيد الشيرازي حيث يتطرّق فيه إلى لقاءاته مع بعض الشخصيات السياسية والرسمية وما دار بينه و بينهم من حواراتٍ حول تطبيق القيم والأحكام الإسلامية.

المقالة الثالثة:

نظرته إلى التعدّدية واختلاف الآراء ..

فقد كتب رحمه الله :

صدق من قال : « إنّ بعدد الأدمغة آراءً ، وقدر اختلاف الأشكال اختلاف المدارك » ، فكما أنّ الناس ذوو ألوان متباينة ، وهيئات متباعدة وإن اجتمع الجميع في التشابه ، كذلك لكلّ فرد فكر وحجى غير فكر الآخر وحجاه ، فترى الأخ يخالف أخاه في المذهب والطريقة ، والابن يضادّ أباه في المرمى والروية ، والزوج يرتئي غير ما ترتئي زوجته ، والحاكم لا يصافق المتداعيين في كيفية النظر .. ومهما حصلت الوحدة الفكرية بين اثنين فإنّ هناك لابدّ وأن يكون بينهما خلاف في الحدود والخصوصيات !

وأغرب من هذا كلّه أنّ فرداً يرى الحقّ في جانبه ، ويخيّل إليه أنّ الأدلّة تعضد فكرته ، ويظهر هذا الاختلاف في كثير من أعمال الناس ، وطور سلوكهم ، فهذا يختار الكسب ، وذاك يرتضي العلم ، ثمّ لا يقنع أصحاب كلّ من هذين الأمرين بالسير في طريق واحد ، وانتهاج طريق فقط ، بل يختار فرد الطب ، وآخر الهندسة ، وثالث الجغرافيا ، ورابع علم الدين ، وخامس علم الفلك وهكذا .. ويجتبي أحد مختاري الكسب البناء، وثانٍ التجارة ، وثالث الزراعة ، ورابع النجارة ، وخامس الصناعة ، وهكذا.. وتبدو اختلاف الفكر في اللباس والمسكن والمركب والمنتزه وما إليها ..

إنّ اختلاف الآراء بحدود معيّنة لا شكّ وإنّه من أفضل نعم الله على

خلقه ، وخير ما جهّز به البشر ، وإلّا اختلّ النظام ، وكان حال الإنسان حال الوحش الذي يسكن في القفار والغاب ، فلو اختار كلّ الناس علم الطب لم يجدوا دوراً وقصوراً وثكناً ومسكناً ، ولو ارتضى كلّ فرد الكسب والتجارة مات المرضى ، وفشت الأوبئة الفاتكة ، ولو اجتبى كلّ اللون الأبيض ـ مثلاً ـ لاضمحلّت الألوان الأُخر ، ووقف مغرسها ومصنعها وعاملها وبائعها عن العمل ، وفي ذلك شلل عضو من أعضاء الكون !! إنّ اختلاف الآراء كاختلاف الأعضاء ، فكما أنّ الإنسان يحتاج إلى عين يبصر بها ، وأُذن يسمع بها ، ولسان يتكلّم ، وأنف يشمّ بها ، ويد تبطش ، وقلب وكبد ورئة ومعى .. كذلك الإنسان يحتاج إلى شخص يرتئي الكسب ، وآخر يختار العلم ، وثالث يحبّ الإمارة .. وكما إنّه لو كان الإنسان ذا حاسّة واحدة بطلت سائر الحواس ، وانهدّ الاجتماع ، كذلك لو كان المجتمع الإنساني ذا رأي واحد ، وفكرة فردة ، لانهار النظام ، وصار العمران يباباً ، والبلدان خراباً .

لكن هناك شيء واحد ، وهو أنّه يلزم حفظ حدود الآراء في إطار صالح ، فإنّه لا شكّ أنّ الآراء قد تطغى ، فتذهب نحو الإيجاب إلى خارج حدود المصالح ، أو تنكّس إلى جهة السلب إلى حيث تخرج عن الخير إلى الشرّ ، ـ مثلاً ـ حسن حفظ الذات ، إذا خرج نحو الإيجاب عن حدوده لكان وبالاً على الآخرين ، فإنّ من يريد حفظ ذاته مطلقاً ، يغشّ ويحتكر ويؤذي ويظلم وما إليها ، وإذا خرج نحو السلب عن إطاره ، لكان وبالاً على النفس فإنّ من لا يبالي بحفظ ذاته ، لا يأكل قدر قوام جسمه ، ولا يكسب لإقامة صلبه ، ولا يتعب لأهله وذويه ، وكذلك لو خرجت نظرة الشجاعة عن حدودها ، انقلبت تهوّراً في جانب الإفراط ، وجبناً وخَوْراً في جانب التفريط .

والغالب أنّ الشرائع السماوية ، والقوانين المدنيّة تسترعي هذه الناحية بكلّ اهتمام ، وإنّما هناك فرق بين الشريعتين : فإنّ الأُولى تخلق في النفس فكرة حفظ الحدود ، حتّى يكون للنفس من ذاتها حافظ ، يحرسها حتّى في أضيق المسالك ، وأحرج المواقف ، ولذا نرى أهميّتها البالغة بجانب الأخلاق الفردية والعائلية والمدنية ، وليس كذلك القانون المدني ، فإنّه لا يعني نحو الوازع النفسي عنايته نحو الاجتماع ، ولهذا السبب نفسه يكون الدين السماوي قانوناً واجراءً في وقت واحد ، بينما القانون الذي يضعه المجلس أو البرلمان ، يعوزه الإجراء الذاتي .

ثمّ إنّ الآراء تفترق في ناحية مهمّة جدّاً ، وهي ناحية التركّز والاستقامة، والتزلزل والإعوجاج ، إنّ هناك أُناساً جبلت آراءهم زائفة مائلة عن القصد ، لا تزيدها التجربة والاختبار إلّا ميلاً وانحرافاً ، ومثل هذه الآراء مثل القاذورة التي لا تزيد بها الرياح إلّا نتناً وعفونة ، ونحن لانتكلّم في هذه الآراء ، وإنّما الكلام في القسم الثاني منها : وهي الآراء التي هي كالأغصان الرطبة ، إذا توفّرت لها شروط التربية والمحافظة ، اعتدلت وأينعت ، وأورقت ، وأثمرت ، وهذا النمو هو الطابع الغالبي على الآراء ، ويتربّى هذا النحو من الرأي في ظلال ملاحظة الآراء المختلفة ، والأفكار المتضاربة ، فكما أنّ مَن يرى الألوان الكثيرة اختار أجودها ، ولو لم يرقه أحدها ، ابتكر مزيجاً منها ، يكون أبهج وأنضر من الألوان البسيطة ، كذلك من يطالع الأفكار المختلفة ، لابدّ وأن يختار إمّا الأشدّ منها ، وإمّا أن يخترع رأياً غيرها يستمدّ من خلط بعضها ببعض ، وأخذ جذور مختلفة تنتج ثمرة شهيّة .

وكلّما كان مطالعات فرد في الآراء أكثر ، يكون نظره أحسن ، وثمره أنضج ، إنّ المهندس الذي يصرف عمراً في ملاحظة دور وقصور ،

وشوارع ونواطح ، لابدّ وأن تكون هندسته أجمل ، وبناه آنق ، والطبيب الذي يباشر مرضى ، ويعالج أمراضاً ، يكون ـ بلا شكّ ـ ذا حدق وخبرة لا يوجدان في مَن لم يعمل عمله ولم يراجعه الناس بقدر ما راجعوه ، والحاكم الذي تكثر عنده الدعاوي ، وتتوفّر لديه الشكايات ، يكون علمه بالقضاء ، وتمكّنه من تمييز الحقّ عن الباطل ، أكثر من غيره .

وعلى هذا فمن المفضّل لكلّ فرد أن يكثر من مراجعة آراء كبار المفكّرين ، كلّ بحسبه ، فإن كان دينياً نظر في الأديان والملل ، وإن كان سياسياً طالع أعمال السياسيين ، ونظر في كتب السلاطين وتواريخ الأُمراء والملوك ، والوزراء والساسة ، وإن كان مخترعاً لاحظ الاختراعات ، وعمل في ضوء أعمالهم ، وإن كان كاتباً ، أكثر من مطالعة مقالات الكتّاب ، واستحصل لبّ ما ارتئوه في منهج الكتابة والبيان ، وبهذا يكون كمن غرس فسيلاً ، وسقاه الماء ، ووفّر فيه شرائط الصلاح والنتاج ، ثمّ بعد ذلك فوّض أمره إلى الله ، فإمّا أن يوفّق لما يرومه من الصالح ، ولاخير أفضل منه ، وإمّا تحول المقادير دونه ، فلا يكون أمام ضميره ملوماً .

نعم الرأي قائداً إذا صلح ، وبئس القائد الرأي إذا فسد ، فهو كالماء إن استعملته بقدر انتفعت به ، وإن أفرطت فيه ضرّك ولا تلام إلّا من قبل نفسك.[1]

---

(١) أين مستوى هذه النظريات مما يطرحه مناوئوه؟! مالكم كيف تحكمون؟!

المقالة الرابعة:

نظرته إلى النسيج الاجتماعي ورضا الناس ..

فقد كتب ﷺ :

رضا الناس لا يملك ، ومن السفاهة أن يتطلّب الشخص مرضاتهم ، إنّ الناس خُلِقوا وكلّ يباين الآخر في الطريقة ، ويضادّه في الفكـرة ، فـهذا يحسن شيئاً ، بينما الآخر يقبّحه ، ورجل يُفضّل أمـراً ، حـين أنّ الثـاني يفضّل عليه غيره ، فيكون مرتاد رضاهم ، كالكرة التي يطرحها هذا لذاك ، فإذا لقفها الآخر لا تلبث في يده ، حتّى يـرميها نـحو الآخـر ، وهكـذا دواليك.. وبهذا قد خسر رضا الناس ورضا نفسه دفعة واحدة ، ومهما عمل الإنسان من خير وشرّ ، وحسنة وسيّئة ، فإنّ بعض الناس يناله بلسانه ، ويزدري عليه عمله ، وقديماً قيل : لا يسلم أحد من ألسنة الناس : فإن اقتصد في المال ، قيل : بخيل ، وإن جاد ، قيل : مسرف ، وإن أقدم على المخاوف ، قيل : متهوّر ، وإن أحجم عنها ، قيل : جبان ، وإن تواضع ، قيل: مبتذل ، وإن ترفّع ، قيل : متكبّر ، وإن قلّل من الكلام قيل : به عيّ ، وإن أكثر ، قيل : به ثرثرة ، وإن غنى ، قيل : يشمخ بأنفه ، وإن افتقر ، قيل : يبحث عن حتفه بظلفه ، وإن رام معالي الأُمور ، قيل : يحبّ الظهور ، وإن لم يَرُمْها ، قيل : دنيء الهمّة ، وإن ظرف ، قيل : مهذار ، وإن سكت ، قيل : متجهّم ، وإن قام بالإصلاح ، قيل : فيه جنون العظمة ، وإن لم يقم ، قيل : لا يقوم بالتكليف ، وإن تعلّم ، قيل : مرائي ، وإن جهل قيل : كسول ، حتّى إنّه إذا نزل عليه الذكر الحكيم ، قيل : لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟!

وقد ضرب لقمان لابنه مثلاً رائعاً ـ فيما يُحكى ـ وكان حينذاك سائراً مع ولده يسوق حماره إلى مزرعته ، فقال لابنه : أي بني ، إنّ الشخص لا يسلم من لسان الناس ، فقال له الولد : وكيف ذاك ياأبه ؟ قال لقمان : الآن آتيك بتجربة :

ثمّ ركب هو حماره وأمر ولده بأن يردفه ، فما سارا شيئاً ، حتّى قال الناس : ما أقسى هذا الشيخ ، إنّه يركب هو وولده حماراً ضعيفاً ، لا طاقة له بهما .

فبقي لقمان راكباً ، وأنزل ولده من على الحمار ، وما أن سارا ـ هـذا راكباً ، وذاك راجلاً ـ حتّى مرّا بملأ ، ولمّا نظروا إليهما ، قالوا : ما أظلم هذا الشيخ ، إنّه يركب الحمار ، وولده يسـير راجـلاً مـع أنّ الولد أحـقّ بالركوب ، لأنّه فلذة كبده ، وإنّه لا يقوى ما يتحمّل الكبير !

فعكس لقمان الأمر : فنزل هو ، وأركب ولده ، فما سارا شيئاً ، حتّى مرّا بقوم ، فقالوا : ما أحمق هذا الشيخ ، لا يؤدّب ولده صغيراً ، حتّى ينتفع به كبيراً ، إنّه يجرئه على الركوب ، ويبقى هـذا الشـيخ الضـعيف الوالد ، راجلاً !

فأنزل لقمان ولده عن الحمار ، وسارا كلاهما راجلاً ، والحمار قدّامهما، فما أن مرّا بجماعة حتّى قالوا : ما أسفه هذا الشـيخ ، إنّ الحـمار خُـلِق للركوب ، فيمشي هو ، ويتعب ولده ، ويجعل الحمار لا راكب .

حقّاً أصاب لقمان في تصوير المطلب ، والناس فـي جـميع الأزمـنة والأمكنة يشابه بعضهم بعضاً ، والغرّ الغافل يـصيخ إلى مـقالهم ، والنـبيه العاقل من يختار الطريقة المثلى والصراط المسـتقيم ، فـيسير عـليه ، لا

يلوي على شيء ممّا يقال فيه ، ولقد جرّبتُ هذا الأمر بنفسي[١]، فقد كنتُ أعمل عملاً أراه صواباً ، فيأتيني جمع يباركون صفقتي ، ويطرون فكرتي، ويمدحوني مخلصاً ، ويشكرون لي صنيعي ، وهناك أقوام آخرون يؤتى إليّ بكلامهم ، أو يأتي إليّ بعضهم في لسان ناصح ، وهم ـ فيما أعلم ـ بين مخلص يعتقد ما يقول ، ومغرض حرّكه غرضه ، فيذمّون عملي ، وينصحوني بتركه .

وقد يزعم بعض الناس : أنّ كلّ من يخالف رأيهم ، ويباين مسلكهم فهو مغرض خبيث ، لكنّ الأمر ليس على ما زعموا ، فإنّه وإن كان في الناس أعداء حاسدون ، إلّا أنّ جميعهم ليسوا كذلك ، وإنّما الاختلاف ، باختلاف المدارك ، فكما أنّ أحدهم يختار المدينة ، والآخر الريف ، وبعضهم يهشّ للربيع ، وبعض للخريف ، كذلك يصطفي أحدهم فعلاً ، والآخر ضدّه ، ويجتبي شخص عملاً ، والآخر ندّه ، وعلى الإنسان أن يسلك ما يراه صواباً ، وإن رآه غيره خطأً وعذاباً ، ولو ترك صوابه إلى خطأ يرتضيه غيره ، فقد الصواب والرضا في وقت واحد.[٢]

---

(١) دقّق أخي القارئ في السطور التالية !

(٢) كلام في صميم الحكمة.

المقالة الخامسة:

نظرته إلى صفة الأنانية في الإنسان ..

فقد كتب ﷺ :

ليس الرجل الأناني إلّا قاصر العقل ، ضعيف المدارك ، كثير الهواجس ، قليل الهمّة ، بعيداً عن الإنسانية ، وضيعاً عند الناس ، صغيراً في الأعين ، ضئيل النفس ، فلا يغترّ الرجل بعلمه ، إلّا إذا كان وطيف العلم ، خفيف الحِجى ، إذ العلم بحر واسع ، لا يُدرَك غوره ، ولا يُسبَر قعره ، ولا يُحاط بجانبيه ، ولا يُعلَم طوله وعرضه ، ومهما أُوتي الشخص من العلم الغزير ، والمعرفة الجمّة ، فإنّه بالقياس إلى جميع العلوم ، أقلّ من نسبة القطرة إلى البحر ، فيكون مَثَلُ المغرور بعلمه كمثل مَن اغترف مِن الاقيانوس غرفة ، ثمّ شمخ بما عنده من الماء ، والمغترّ بمعلومه ، إمّا لا يعلم بحدود العلم ، وإمّا لا يدرك ضآلة معلومه ، وكلا الأمرين جهل ... .

ولا يغترّ بماله ، إلّا من كان ضعيف المشاعر ، زهيد العقل ، إذ مقدار الشخص لا يرتفع بالمال ، وإنّما رفعة المرء بحسبه وأدبه ، لا بفضّته وذهبه، وإنّما يحترم المال الأغبياء الذين لهم في المثرين مأرب ، ويدلّ على ذلك أنّ التاريخ يحفظ العظماء : من الملوك والعلماء ونحوهم ، ويأنف من أن يخصّ صفحة من صفحاته بالأغنياء .

ولا يغترّ بجماله ، إلّا التي غير المحجوب لتقلّب الدهور ، واختلاف الأحوال ، فإنّ الجميل مهما أُوتي من الاعتدال القوام ، وإناقة الهندام ، لايلبث حتّى يتقوّض سلطان جماله ، ويذهب رونقه وبهجته إدراج العمر ، وربما انقلب الجميل بشع المنظر ، قبيح الصورة ، كريه الوجه .

ولا يبالي ببلاغته ، إلّا من يؤت حظّاً من النهية ، ولم يرزق قسطاً من اللبّ ، أما يرى ما أكثر مِن فصيح بليغ ، وخطيب مفوّه ، وشاعر مجيد ، لايُعرَف له قدر في المجتمع ، وليس له حظّ من الحياة ، بينما مَن لا يعرف أن يتكلّم عيّاً وحصراً ، قد استوزر أو أومر ، أو أُشير إليه بالبنان وذُكِر ، وهو لا يجد حتّى قوت يومه ، ولا يحترمه حتّى زوجه وقومه .. ؟

ولا يغترّ بجاهه ومنصبه ، مَن كان له أقلّ إلمام بالتاريخ ، أو بعض الحِجى ، فإنّ الجاه يزول بأسرع مَن لمح البصر وارتداد الطرف ، وقد تُرينا العِبَر أُناساً كانوا سادة ، فأصبحوا مسوداً ، أو أضحوا أُمراء ، فأمسوا عبيداً، ولقد نظرنا بأُمّ أعيننا إلى مَلِك ، كان يطاع دون الله ويُعبَد ، ويُركَع له ويُسجَد ، فلمّا حان حينه ، وأتى وقته ، أُجبِر بالنزول عن عرشه واستبدال ولده به ، وبَعُد عن وطنه إلى جزيرة نازحة عن العمران ، رهين نصب ومرض وفقر وحرمان !

وإلى مَلِك كان الناس يظهرون له الطاعة والإخلاص ، والودّ والمحبّة ، يستقبلونه إذا جاء استقبال العبد لسيّده ، ويهتفون باسمه هتاف الوالدة بوحيدها ، فلمّا أن جاء دوره ، وهاج ثوره ، هجموا عليه في عقر داره ، وقتلوه شرّ قتلة !

وإلى مَلِك أودى به أصحابه ، وتبرّأ منه أخلاؤه وأحبابه ، وهو في غدة بينهم مطاع ، يأمر فيطاع .

ولا يغترّ بالخلّان والجيران ، والأقرباء والأقوام ، والأهل والولد ، والعطاء والصفد ، إلّا من كان قليل المدارك ، فلربما تغيّر الأخلاء أعداءً ، والأقرباء حسّاداً، والعطاء وبالاً ، والعيش مع الأهل محالاً .... .

أمّا الصحّة فهي ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[1]، ويتلألأ عند باصرته الهواء دأماءً، فلا تذهب الأيّام حتّى تنقلب مرضاً مضنياً، وسقماً مردياً .

ولو أراد أحد أن يغترّ ، فليغتر بالفضيلة والأخلاق ، والكمال والآداب ، والملكات الحسنة ، والخصال المستحسنة ، وليباهي بالعلم والعمل ، والسخاء والعفو ، والإخلاص والصدق ، والوفاء والحياء ، والأمانة وحسن البشر ... أمّا عدم احترام الناس لأنّه حاكم ، أو عدم الاعتناء بهم لأنّه عالم، أو الافتخار بالنسب لأنّه ذو محتد أصيل ، أو المباهات باللسان لأنّه فصيح بليغ ، فليس إلّا من أعمال النوكى ، وأطوار الحمقى ، وأفكار المجانين وأحلام المساجين .

إنّ من لا يقدر على الخير ، لابدّ وأن يتعزّى بالشرّ ، ومن لا يعرف الفضيلة ، لابدّ وأن يعتزّ بالرذيلة ، ومن لا يكاثر بالحسنات ، لابدّ وأن يباهي بالسيّئات ، وكذلك حال الأنانيين المغرورين ، والبلهاء المحدودين ، وقد قدّرت المقادير أن تعكس طلبة المغترّ ، فلا يكون في عين الناس إلّا حقيراً ، وفي أنفسهم إلّا سخيفاً ، وفي المجالس إلّا مهاناً ، وعن الناس إلّا مباناً ، يتبرّم به الصديق ، ويستثقله الرفيق ، ويتجانبه القريب ، ويتباعد عنه الغريب[2].

ولو افتكر الأناني في نفسه ، وما كان بالأمس وما يكون غداً ، وما تجلب عليه الأنانية من الويلات والشرور ، لأقلع عن غلوائه ، وأقصر عن

---

(١) سورة النور : ٣٩.

(٢) ما أجمل هذه الحِكَم والمواعظ ، واصل في التأمّل أيها القارىء اللبيب كي تنفتح آفاق الحقيقة التي غيّبها الأنانيّون التسقيطيّون عنك وعن كثيرين.

كبريائه ، فقد كان نطفة تستقذرها الطباع ، وسيكون جيفة تتنفّر منها حتّى السباع .

وهو على كبره ونخوته   في جنبيه يحمل العذرة[1]

وهو بنخوته وكبريائه ، يجلب إلى نفسه الآلام والهموم ، والأحزان والغموم لأنّه ينتظر من كلّ أحد تقديره ، ويترقّب من كلّ بشر احترامه ، والناس يأبون لمثله إلّا إذلالاً ، ويفرّون منه فراسخ وأميالاً ، فيكثر أعداؤه، ويقلّ أودّاؤه ، ويصبح بلا صديق حبيب ، ولا نجي قريب ، وربما آل الأمر بمثل هؤلاء ، أن ينعزلوا الناس انعزال وحش القفار ، أو يعيشوا عيش ذلّ وصغار .

وبالعكس من هؤلاء الأريحي الذي يضع نفسه موضعها ، ويعرف لشخصيته مقدارها ، بل ينزل نزول الطائر عن مقامه ، فلا يرى لنفسه فضلاً على سواه ، ولا يتكبّر على غيره بما وعاه ، فيرى ما علم ضئيلاً ، وما أُعطي قليلاً ، وجاهه طفيفاً ، وعزّه وطيفاً ، وبهذا يكرم الأنام ، ويقوم لكلّ أحد بواجب الاحترام ، فيكبر بذلك في عين الناس ، ويتعاظم قدره ، ويعتلي جدّه ، فهو كالدرّ الذي يغوص في الماء ، لثقله وحصافته ، بينما الهباءة تعوم في الهواء ، لخفّتها وعدم متانتها .

ولذا نرى أنّه كلّما كان الشخص أعظم قدراً ، وأعلى شأناً ، تكون أنانيته أقلّ ، وتواضعه أكثر ، وبهذا يكون عند الناس أرفع ، وفي الأبصار أشرف ، وهو في راحة واطمئنان ، وواحة وجنان ، بل إنّ الأنانية تنزل صاحبها ـ دوماً ـ في مهالك مردية ، وصحارى مقفرة ، فتطيع به الطوائح ، وتلفحه اللوافح .

---

(١) راجع مسكن الفؤاد : ٩٢.

المقالة السادسة :

نظرته في الموقف من الوقيعة وشتيمة الجاهلين..

فقد كتب ﷺ :

يفرّ غالب الناس من السبّ والوقيعة فرارهم من الأسد الغضبان ، فلو عرفوا أنّ أحداً سبّهم ، دارت بهم الأرض الفضاء ، ويضطرب لذلك قلوبهم، وتتهاوى جوارحهم ، وتتغيّر ألوانهم ، ويستشيطون غضباً ، فكأنّ القيامة قد قامت عليهم ، وإنّ احترامهم رهن ألسن الناس ، فإن لاكوا بشعتهم ، ولو عن كبر وعناء ، ذهب ريحهم ، وسقطت مكانتهم في القلوب، وربما يخيّل إلى بعضهم أنّه ينظر إليه الناس ، حين يمرّ بمنتدى ، أو يجلس في مجلس ، وقد يتهيّئوا للانتقام ، فيكيلون سباباً مقذعة ، وافتراءات وسقطاً من القول ، لمن مسّ كرامتهم ، ونال منهم ما نال .

إنّ حفظ العرض لَمِن أهمّ الأُمور ، وحراسة الكرامة من كبر النفس والشهامة ، والغضب على من صدرت منه الوقيعة ، سمة من سمات الغيرة، وخاصّة من خواصّ صاحب الفضيلة والأخلاق ، فإنّ من لم يبال بما قال وما قيل فيه يكون منقوص الهمّة ، عديم النجدة ، قليل الحياء ، لكن أمر مهمّ دعانا إلى بيانه وهو : إنّ كلّ مصلح ومفسد لابدّ وأن تناله الألسن بما لا تحبّ ، أمّا المفسد فليس مِن مرمى البحث في هذه الكلمة ، وإنّما البحث في المصلح ، فنقول :

كلّ من قام بإصلاح لابدّ وأن يرميه الناس بسهام الانتقاد ، ويرشقوه بنبال السبّ ، ويسلقوه بألسنة حداد ، وينقسم النائلون منه إلى رجلين :

رجل لا يقدر أن يراه يعتلي ، وإن كان على بصيرة من أمره ، فهو يسبّه حسداً ، لعلّه يتمكّن من إنزاله من منعته الرفيعة والسمو ، إلى حيث مستوى نفسه ، فإنّ مَن صغرتْ نفسه ، وقلّتْ همّته ، لا يتمكّن أن يعلو إلى حيث علا قرينه ، فيتأخّذ حيلة لإنزال قرينه ، حتّى يجعله في ربقته ، فهو كمن يرى صديقه على السطح ، وإذ لا يتمكّن من الصعود ، يحتال لإنزال صديقه إلى مقرّه .

ورجل لا يطّلع على دخيلة أمره وإنّه يريد الإصلاح ، أو يعلم لكنّه ينافي مصالحه الشخصية ، أو مصالح النوع بنظره ، فهو ينال منه لئلّا يفسد النظام الاجتماعي ، فهو كمن يزعم أنّ فلاناً يريد أن يقتله ، فيسبق إلى قتله ليستريح منه[1].

إنّ السبّ الموجّه إلى المصلح لا يخلو من أحد هذيْن الوجهيْن ـ في الأغلب ـ والنظرة الإصلاحية لا تستوحش من السبّ ، فإنّ الرجل لا يقدم على الإصلاح ، إلّا إذا وطّن نفسه على أُمور أهونها الشتم والوقيعة فيه ، لكن سرعان ما يتقشّع السحاب ، ويجلو العمى ، فيطريه السابّ ، ويفتخر به الشاتم ، ويعظّمه النائل منه ، ولو كان المصلح مجهّزاً بحلم وثبات شديديْن ، لكان اللازم عليه أن يفرح بالسبّ أكثر من أن يفرح بالمدح فإنّ من يمدحه جميع الناس ، لا قيمة له ، إذ يكشف ذلك عن نفس ضعيفة تنقاد لكلّ أحد ، وعنق ذليل يجعله الناس جسراً ، يعبّرون عليه إلى مقاصدهم ، ومَن يكون الناس في حقّه فرقتان ، مادح وذامّ ، وسابّ ومطري ، هو الذي له المكانة والقدر ، ولو قيل : إنّ السابّ يحمل

---

(١) هذه من النقاط الهامّة في وعي الموقف الإصلاحي ومظلومية المصلحين . واصل في القراءة بدقّة .

حجر عظمة المسبوب ، لكان لهذا القول محلّ من الصواب ، فإنّ العظمة يحمل أحجارها الصديق والعدو على حدّ سواء ، فالأوّل يرصفها والثاني ينحتها ، حتّى تكون قصراً فخماً مطلّاً على الأجيال ، لا يزحزحه تغيّر الزمان ، واختلاف المكان ، وتشعّب الأقوام ، وتشتّت الأفكار .

وقد يكون السابّ أقرب إلى تدعيم المسبوب ، وتركيز جذوره ، من الصديق المادح ، إذ المادح متّهم ، بخلاف السابّ ، فإنّه لابدّ له أن يذكر شيئاً من أعمال المسبوب ، كي يتمهّد له الطريق لسبّه والقدح فيه ، وكثيراً ما يكون لذكر عمله ترفيعاً له ، وتثبيتاً لدعامته ، مثلاً يقول : إنّه صاحب قلم ، لكن يصرفه في الإفساد ، أو صاحب مقول ، لكن يطلقه في الإضلال، أو تاجر لكنّه غاشّ ، أو عالم لكنّه ممّن يبيع الدين بالدنيا ، أو مخترع لكنّه يحبّ الظهور ، أو مدرّس لكنّه معوج الذوق ، أو ما أشبه . وفي هذا يكون قد أثبت له اليراع واللسان ، والتجارة والثقافة والاختراع والتدريس ، وغالب الناس يقبلون المدح من الذامّ ، ويحملون ذمّه على أغراض شخصية ، ومنافع مادّية ، فتسقط وقيعته ، وتتركّز مديحته .

وهناك أمر آخر يرجع إلى العظمة ، يخدمه الذامّ والمادح على حدّ سواء ، بحيث لولا الذامّ ، لذهبت أدراج الرياح ، بل ربما كانت خدمة الذامّ أكثر ، ويرجع النصيب الأكبر فيه إليه ، وهو : أنّ السابّ الذامّ ، لا يسكن جأشه إلّا ببسط المسبّة على مائدة مجالسه ، وإبداء عورة المسبوب ، وهجنته في ممساه ومصبحه ، وبذلك يستشيط المادح غضباً ، فيعارضه بدحض كلامه ، وإعلاء محاسن الممدوح ، ويأخذ أهل الحِجى من بين الأمرين صورة عظمة المنازع فيه ، وبذلك يستطيل فرعه ، ويكثر أنصاره ، ويقوى جذره ، وكثيراً ما يعظم وهو في التراب دفين ، ويُحتفَل له وهو عظام رميم ، ويرجع أكثر الفضل في ذلك إلى السابّ ، فإنّه لولاه لخفي مدحه ، واندرست محاسنه ، وانهارت عظمته .

وكثيراً ما يظنّ الباحثون أنّ بقاء عظمة العظماء من عوامله أنامل الخصماء، فلولا الظُلْمة ما عرف عظمة النور، ولولا الحرور لم يقدر الظلّ، ولولا المرض لم يعرف نعمة الصحّة، ولولا التعب ما ظهرت قيمة الراحة، ولولا نمرود، وفرعون، وقارون، وهيردوس[1]، وذي بلاطس، وأبو جهل، وأبو لهب، ومعاوية، ويزيد، لم يكن يظهر لنا بعض السجايا الكريمة، والأخلاق الفاضلة والحلم في قبال الطيش، والعلم في قبال الجهل، والعفو في قبال القسوة، والإحسان في قبال الشدّة، والعدالة في قبال الظلم، والزهد في قبال التكالب، وما أشبه، التي برزت من إبراهيم وموسى، ومحمّد وعيسى، وعلي والحسن والحسين، عليهم أفضل التحيّة وأزكى السلام، وليس هذا الظنّ بكثير بعيد عن الصواب، فإنّ أبا سفيان كان يؤلّب، ولمّا ملك النبي ﷺ أطلق، والذوق يرى ازدياد الجميل جمالاً، إذا قابله القبيح البشع.

وربما يكون السابّ الذامّ، من أقوى الأسباب لهدم كيان نفسه، بنحو لا يقدر عليه المذموم لو أراد، فإنّه بالذمّ يبدي دخيلة نفسه، وقبح ما انطوى عليه قلبه، وخباثة جبلّته، وقذارة طينته، مثلاً لو لم يكن زوج آكلة الأكباد ينتقص النبي ﷺ ويناله بلسانه وبنانه، لانغمر في مجاهل التاريخ، وكان كسائر من لم يسطّر له القلم ذكراً من البعداء عن الإنسانية، لكنّه بعمله هذا نصب نفسه مسبّة الأجيال، وكشف سوءته لدى الأُمم والأعقاب، ولولا ذلك ثمّ أخبر النبي ﷺ عن دخيلة فؤاده، وغلّ صدره، لآمنا بذلك تعبّداً وإذعاناً، لا رؤية وعياناً.

---

(١) هيردوس ملك اليهودية في ظلّ الرومان، أمر قبيل وفاته بذبح جميع أطفال بيت لحم في محاولة لقتل الطفل يسوع.

المقالة السابعة:

نظرته إلى ظاهرة اليأس وفئات المثبّطين عن الإصلاح ..

فقد كتب رحمه الله:

كلّنا نعرف الداء، وإنّما الخلاف في الإصلاح، فالأغلبية الساحقة يرون أنّه غير ممكن، ولهم حجج ومستندات.

يقول فريق: أمير المؤمنين علي عليه السلام مع كثرة اهتمامه بالإصلاح لم يتمكّن، مع أنّه كان مثالاً لكلّ شيء للعدالة والنشاط والدين .. ، وكان بصيراً بمواقع الأُمور ومصادرها.

ويقول آخرون: إنّ الوقت هو الوقت الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، بكونه آخر الزمان، ولابدّ أن يقع ما وقع، ولن تجد لمشيئة الله تعالى تحويلاً.

ويقول زمرة: يدور العقار المنتج، مدار وحدة كلمة العلماء، فإن اتّحدت صلح الناس، وإلّا فلا يرجو راجٍ إلّا بلال، لكن الاتّحاد محال .. .

ويقول ثلّة: اتّسع الخرق على الراقع، فلا يفيد كلام وعظة، وصياح ونياح، وبكاء ولطم، وقلم وقدم.

ويقول جماعة: نحن لا نتمكّن من إصلاح أنفسنا فكيف نتمكّن من إصلاح غيرنا.

ويقول بعض: إنّ الغرب والشرق فغرا فاهما لالتهام هذه العدّة القليلة من المسلمين، وليس للمسلمين عَدد ولا عُدد، ولا سلاح ولا كراع، وليسوا مجهّزين بما يتطلّبه الزمن، من الآلات والمعدّات، والمعامل

والمصانع ، والمدافع والقنابل ، ومع هذه الأوضاع لا يمكن تقدّم شبر .

ويقول فئة : لو فرضنا أنّ أحداً قام بالإصلاح ، رماه ـ حتّى أقرب الناس إليه ـ بالجنون ، وأخذ الأُجرة ، والعينية ، وما أشبه ، وبذلك تسقط كلمته ، ويذهب هو بنفسه شهيد التّهمة ، فإنّه مع عدم تمكّنه من الإصلاح ، أفسد نفسه ، وأذهب بروحه على عالم آخر .

وهكذا يقولون .. ويقولون .. .

أنا أدري : إنّ كلّ نهضة ، وكلّ فكرة ، كانت مهدّدة في بدو أمرها بكلّ هذه ، وقد لاقت كلّ هذه المتاعب والمصاعب ، وجوبهت بجميع هذه المجابهات ، ومع ذلك فقد نجح كثير منها ، مع أنّ ما يذكرونه بعيد عن الصواب ، فإنّ علياً عليه السلام وفّق للإصلاح تمام التوفيق ، إذ ليس شرح الإصلاح : أن يستتبّ الأمر له في زمان حياته ، ولو نظرنا إلى ما بذره علي أمير المؤمنين عليه السلام ، لرأينا غابته الشجراء التي تكوّنت ببركة بذرته ، ولا تزال تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها .

وحديث كون الوقت آخر الزمان : لا يدعمه شاهد ، وقد ظنّ كلّ قوم هذا بالنسبة إلى زمانهم ، وأمّا وحدة كلمة العلماء فليست هي المدار الوحيد ـ على ما يزعمه القائل ـ فإنّه لم ينزل الله لذلك من سلطان ، مضافاً إلى أنّ توحيد كلمة العلماء على المصلح المشمّر ذيله ، غير عزيز ، وهل تفوّق الحكومات الأُخر والمبادئ الشائعة في غرب الأرض وشرقها ناجمة من اتّحاد كلمة علمائهم؟![١]

---

(١) يحاول السيد الراحل هنا أن يزيل العقبات الوهمية أمام الإنطلاق في الإصلاحات، فكم من كسالى يبرّرون خنوعهم بعدم وجود اتحاد بين العلماء، فما دام الاتحاد مفقوداً إذن نستسلم لكل الضربات.

ومن يقول : لا ينفع كلام وعظة ، فهل يدعم كلامه دليل ؟ أو أُوحي إليه مَن يوحي إلى أوليائه ؟ وهل كلّ هذا الأثر الباقي إلّا من الكلام والعظة ؟!

ولا كلام لنا بمن لا يتمكّن من إصلاح نفسه ، فهو بمعزل عن مدار الكلام ، وإنّما نطاق الحديث يدور على من يزعمون الإصلاح ، نعم حديث الغرب والشرق صحيح ، لكن صحّة هذا ، لا يمنع عن الفكر وتداول الكلام حول طريق الإصلاح ، والتاريخ يشهد : على أنّ المسلمين كانوا يرصدون غزو الغرب والشرق ، فما عكس الأمر منذ نصف قرن تقريباً ، هو كفيل بأن يجري المياه في مجاريها الأوّلية .

وأمّا رمي المصلح بالجنون وما أشبه ، فكم له في التاريخ من نظير ، وكم نجح الذين رُمُوا بالجنون ونحوه[1].

يرفض السيد الشيرازي (طاب ثراه) هذا التبرير ويضع الجهد المبذول بإخلاص هو البديل الذي به يتحقق اتحاد الكلمة في المراحل المتقدمة للعمل الخالص. فالمطلوب هو العمل ثم العلم ثم العمل.

(١) رحمك الله أيّها المظلوم .

المقالة الثامنة:

نظرته إلى المسار الحقيقي للأخلاق الفاضلة..

فقد كتب رحمه الله :

ربما يظنّ الظانّ أنّ معنى حسن الأخلاق : هو البشاشة مع الناس ، ومبادرتهم بالسلام والتحيّة ، والمصانعة والابتسام ، والمداهنة والاستسلام، لكنّ الأمر ليس بهذا الهوان، وليست الحال بهذه السهولة، بل الخُلْق الحسن شمس مطلعها القلب، وأشعّتها منبثّة في الجوارح والمشاعر، والخلق الحسن ليس إلّا إيفاء كلّ ذي حقّ حقّه، خالقاً كان أمّ مخلوقاً، قريباً أو بعيداً، جماداً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً، ماءً أم تراباً أم هواءً أم نوراً .

الخلق الفاضل : هو أن لا تطلق اللسان في كلّ مذهب ، ولا تلجمه في كلّ مأتي ، فلا تسبّ ولا تكذب ، ولا تغتاب ولا تعيب ، ولا تهمز ولا تلمز ، ولا تطعن ولا تجرح ، ولا تقول هجراً ، ولا تأمر نكراً ، ولا تهجو أحداً ، ولا تتّخذ في الكلام ملتحداً ، ولا تخوض في أباطيل الكلام ، ولا تهدر هدير الحمام ، تقول الحقّ وإن كان عليك ، وتحكم بالعدل ولو على الأقربين ، وتأمر بالمعروف الحسن ، وتنهى عن المحذور القبيح ، تختار الصدق ولو ضرّك ، على الكذب ولو نفعك .

هو أن تحدّ العين في حدّها ، وتضرب بينها وبين الرذائل بسور ، فلا تنظر إلى أحد نظر خيانة ، ولا تسرق النظر ، وتطالع آيات الكون ، وعلامات الحقّ ، وتسرح اللحظ في مجاري الفكر ، وتمنع العين عن

السوم فيما يورث حسرة ، أو يجلب غـصّة ، أو يسـبّب ألماً ، أو يـعب مغرماً.

هو أن تزمّ الأُذن بزمام الخير ، ولا تطلق سراحها في المقافر المهلكة ، فلا تسمع إلى ذمّ أحد ، ولا تصغ إلى عيب ، أو نقص ، أو كذب ، أو بهتان ، أو غيبة ، أو تهمة ، أو كلام باطل ، أو صوت لهو ، ولا تصيخ إلى وشاية واشٍ ، أو لغو حديث ، أو ما يفسد قلبك ، أو يبتل فؤادك ، وتسمع إلى ما ينفعك من الفضيلة والدين ، والعلم والثقافة ، وتواريخ الكبار ، وقـصص العظام ، والعبر والآثار ، والعظة والأخبار .

هو أن تقبض اليد عن السرقة والخـيانة ، والضـرب واللـطم ، واللـهو واللعب ، وأخذ الرشا ، ونيل المحظور من المنى ، وتبسطها نـحو الخـير والمعروف ، والجود والإحسان ، تمسح بها على رأس اليتيم ، وتحمل بها سلّة الأرملة من السوق إلى الدار ، وتخدم الإنسانية بـيراع أو اخـتراع ، وتنظيف أو تخفيف ، لا غشّ وتطفيف وقتل ونهب وتخريب .

هو أن تستعمل الرِجْل في العمل للصالح العامّ ، تمشي فـي حـوائـج الناس ، وتذهب للكدّ على الأهل والعيال ، وتحضر في حفلات الأخلاق والفضيلة ، والمدارس العلمية ، والمعاهد الأدبية .

هو أن تحفظ القلب ـ وهو الأساس ـ عن كلّ رذيلة مردية ، وصـفة مهلكة ، فلا تنوي الشرّ ، ولا ترائي ، ولا ترتاب في الحقّ ، ولا تحسد ، ولا تحقد ، ولا تضمر العداء ، ولا تـخفي البـغضاء ، وتـبذر فـيه الخـير والمعروف ، والإحسان والإخلاص ، والحبّ والوداد ، والصلاح والرشاد ، والشجاعة والجود ، والحميّة والإنسانية ، والشهامة والبسالة .

إنّ هذا هو الجمال ، وهو الأخلاق ، وهو الفضيلة . الفـضيلة هـي أن

تعدل ، لا أن تبتسم ابتسامة المصانعة والرياء ، هي أن تحسن معاشرة أهلك وولدك وسائر من تعاشر .

لا أن تحفظ رطب التاريخ ويابسه ، ثمّ تجلس في المجالس وتحوز قصب السبق في الثرثرة والنقل ، والظرافة والطراوة .

لا أن تحسن رفع اليد بالسلام ، وكسر الجفون والعيون في المحشد والمجتمع ، ثمّ تكذب ما شاء هواك ، وتقع في أعراض الناس ما يوحي إليك كبرياءك .

لا أن تصانع الزبائن بلسان ألين من الأراقم ، ثمّ تغشّهم بقلب تدبّ عليه عقارب الخديعة والنفاق ، ويشير بالبغي والشقاق .

لا أن تصانع في الملاء ، ثمّ تعادي في الخلاء :

أمّا اللسان فمطلي به عسل　　　أمّا القلوب زنابير وحيّات

إلى أُلوف غيرها ، ممّا يجعله علماء الأخلاق ، تحت عمودي الفضيلة والرذيلة ، والمساوئ والمحاسن[1].

وقد انقلبت الآية في هذا العصر ، وكأنّه وقع زلزال في أبنية الأخلاق ، فانتقل ما في قائمة الفضيلة تحت عنوان الرذيلة ، وما في قائمة المساوئ تحت عنوان المحاسن ، فسمّي الجبان محتاطاً ، والشجاع مخاطراً ، والكرم إسرافاً ، والبخل اقتصاداً ، والغيرة توحشّاً ، والاستهتار تمديناً ، واليقين خرافة ، والشكّ حرّية ، والعفّة جُبناً ، والخلاعة جرأة أدبية ، وسمّي الصادق أحمقاً ، والكاذب ذكيّاً ، والغاشّ عالماً بالمكسب ، والناصح جاهلاً بمقتضى الزمن .

---

(١) ياليت التسقيطيين يقرؤنك بهذا العمق الذي أنت عليه أيّها السيّد الجليل .

إنّ من يقرأ في تاريخ الغابرين ، أو يطالع في صفحات بعض المدائن : إنّ هناك أُناساً لا يغشّون في المعاملة ، أو لا يكذبون في معاشرة ، أو يرحمون الضعفاء بجمعيات خيرية ، أو يكرمون الغرباء بحفلات الحفاوة ، أو يدافعون عن نواميسهم وأعراضهم مدافعة الأبطال ، أو يمدحون المحسن ويذمّون المسيء ، يكاد أن يخيّل أنّ تلك من أساطير الأوّلين ، أو خيالات الآخرين ، وإنّ تلك لم تتمتّع على هذه الكرة بيوم أو بعض يوم، فهي حكاية عن سكّان المريخ ، أو قضايا كحكايات : كليلة ودمنة ، أو ألف ليلة وليلة .

ولو قدّر يوماً أن رأينا بأُمّ أعيننا العدل منبسطاً ، والجور منكمشاً ، والصدق فاشياً ، والأمانة ذائعة ، والنصح بادياً ، والحلم ظاهراً ، والعلم عامّاً ، والجهل معدوماً ، والأُخوّة شاملة ، والعداوة زائلة ، والمكر بعيداً ، والإخلاص قريباً ، والنفاق مدبراً ، والاستواء مقبلاً ، لرأينا ما يرى الأعمى حين يرتدّ بصيراً ، أو من كان في الظلمة فيستبدل بها نوراً ، حيث يرى الأرض الفسيحة ، والمروج والرياض ، والأشجار والأنهار ، والكواكب الزاهرة ، والشمس الساطعة ، والقمر البازغ ، والسماء الزرقاء والألوان الزاهية ، والصور الجميلة ، والحدائق ذات بهجة ، فيخيّل إليه أنّه انتقل من عالَم إلى عالم آخر .

لكن هيهات وأنّى ؟ وكيف لنا ذلك ؟ والجهالة فاشية ، والأخلاق زائغة ، والقلوب متنافرة ، فترى كلّ واحد يخفي لآخر ضباً ، ويضمر له سوءاً ، فهذا يعامل ذاك بالكذب ، وذاك يبادله بالغشّ ، وكلّ يرى أنّ دولاب

مصالحه لا يدور إلّا بهذه الأخلاق وتلك الأعمال.[1]

لكن لا يأس من روح الله ، ولا قنوط من رحمته ، ونحن بعد ننظر إلى المصلحين بعين تستمنح منهم الإصلاح ، وننتظر من قادة الأُمّة وكتّابها ، وعلمائها وساستها ، أن يشمّروا عن ساعدهم ، ويقيموا المعوج من النظم ، والزائغ من الأهواء، ويرجعوا المتنكّب إلى الطريق وماذلك على الله بعزيز.

(١) صفات سيئة تجترّها مجتمعاتنا، ولا فرق كبير بين الحاضر وبين زمن تأليف الكتاب (قبل ٤٠ عاماً). ومع ذلك تابع قراءة الهمّة العالية في روح الكاتب المرجع الشيرازي.

المقالة التاسعة :

نظرته في جزئيات تطبيقية للعلاقات الاجتماعية..

فقد كتب ﷺ :

إنّ من أفضل الحسب الأدب ، فهو كنز لا ينفد ، وبئر لا تنزف ، وعين لا تنضب ، ونجم لا يغيب ، وكمال لا يزول ، وفضيلة لا تدانيها فضيلة ، ولو اعتبر الأدب معتبر ساتراً للعيوب ، كان من الصواب بموقع ، وليس الأدب خاصّاً بحالة دون حالة ، أو زمان دون زمان ، أو مكان دون مكان، بل تجري الآداب في الأقوال والأفعال ، ونظرة العين ، ولفتة الجيد ، وأسلّة اللسان ، ومرعف اليراع ، وجلسة الندوة ، ونوم الليل ، ويقظة النهار ، وحركة الأصابع ، ومراودة المجامع .. وأقرب مثل للأدب : العقل ، فكما أنّ العقل يتدخّل في كلّ شيء ، فينظّمه ، ويجري في كلّ حركة وسكون ، فينسّقهما ، كذلك الأدب .

الأدب في الناظرة : أن لا تسيمها في كلّ منتدى وندوة ، ومجلس وجلسة ، والرياض الزاهرة ، والمآسد الفاغرة ، وأن لا تقحمها في كلّ دار من الكرة والباب ، وتهاجم بها على البدن العاري والجسم البارز ، وأن لاتخطف بها الصور المستورة ، ولا تختلس ما يوجب حسرة ، ويعقب ندامة.

والأدب في السامعة : أن لا تصغي إلى سرّ مكتوم ، أو نجوى مرموز ، ولا تستمع إلى كلام يورثك هيجاناً ، أو يجرّ إليك محناً وأشجاناً .

والأدب في اللافظة : أن لا ترمي بها الأبرياء ، ولا تنال من أعـراض الشرفاء وأن لا تجعلها كالكلب العقور يعضّ كلّ مجرم وبـريء ، ونـذل وسري ، وأن لا تطلقها حيث ينبغي التقييد ، ولا تقيّدها حـيث يـرجّـح الإطلاق .

والأدب في الباطشة : أن لا ترسلها إلى أموال الناس ، أو تـعين بـها باطلاً ، أو تخطّ بها سمّاً زعافاً ، أو تبطش بها في غير مورده .

والأدب في المجمع : أن لا تبصق ولا تمتخط ، ولا تجلس جلسة كبر وخيلاء ، وفتور واتّكاء ، ولا تتكلّم أثناء كلام أحد ، ولا تلمز وتـهمز ، ولاتشير بعين ، ولا تقلّد بيد أو رجل أو وجه أو حاجب .

والأدب في العائلة : أن لا تأمر ولا تنهى ، ولا تصيح ولا تعيب ، ولا تغضب للتوافه ، ولا تقطب ولا تزعج ، وأمّا البطش باليد والرفس بالرجل، فهما من أعمال الحمر والثيران ، لا العقلاء من بني الإنسان .

والأدب في الأكل : أن لا يلفظ النواة ما أشبه مـن فـمه لفـظاً ، وأن لايأكل من أمام رفاقه ، وأن لا يكبر اللقم ، وأن يحفظ فاه حتّى لا يسمع صوت مضغه .

والأدب في مجلس الدرس : أن لا يثرثر ، ولا يجادل ، ولا يـناقش كثيراً ، ولا يلهو بشيء .

والأدب في العشرة : أن يـزور الصـديق والغـريب ، ويـحترم الكـبير والصغير ، ويحفظ لسانه عن نيل أخلائه ، ولا يحمل عبأه على وديده .

والأدب في الكتابة : أن لا يباهي ولا يماري ، ولا يسبّ ولا يتضجّر ، ولا يصعد مرّة إلى السماء وينزل أخرى إلى قعر الدأماء ، ولا يـبالغ فـي المدح ، ولا يغرق في الذمّ ، ويجعل رائده الصدق والأمـانة ، لا الأجـرة والتعصّب .

والأدب في النوم : أن لا يقلّه ولا يكثره ، ولا يغط .

والأدب في التجاور : أن لا يؤذي جاره ، ولا يلقي قمامته عند داره ، ويزوره في الأوقات المناسبة .

إلى غير ذلك من الأدب في الغسل والكنس ، والأخذ والعطاء ، والسفر والحضر، والأمر والنهي، والزواج والاختتان، والبيع والشراء ، وما إليها ....

والأدب في الغالب منبعه أحد أشياء ثلاثة : إمّا النفس المؤدّبة التي تكون بطبيعتها ذات أخلاق وآداب ، وفضيلة وعدالة ، وإمّا مصاحبة ذي أدب جمّ ، وملكة رفيعة ، وإمّا الإكثار من مطالعة كتب الآداب ، وتطبيقها مع الخارج .

وربما يستفاد الأدب ، ممّن لا يتأدّب ، فإنّ الإنسان إذا نظر إلى القميء البذيء الوسخ السخيف ، لا يبرح حتّى يستنكر فعله ، ويزدري عمله ، وينظر إلى فاعله نظر احتقار وتصغير ، وبذلك يدرك نقص العمل وإنّه ينبغي أن يتجنّب ، ويفيده ذلك الأدب ... .

فإنّك إذا نظرتَ الرجل القاذورة ، تنفّرت منه نفسك ، وعلمت أنّ مثله ينبغي أن يُحتَقَر ، فتترك القذارة إلى حسن الخلق ، وإذا نظرتَ إلى الثرثار ، أدركتَ قبح الثرثرة ، وحسن الصمت ، واكتسبت بذلك الصمت ، وهكذا ، ولذا قال (بوذرجمهر) الحكيم حين سُئِل منه : عمّن تعلّمت الأدب ؟ «عمّن لا أدب له » وما أعظمها من كلمة ، بل يمكن أن يقال : إنّ هذا النحو من الاكتساب أفضل، من الأنحاء السابقة ، إذ في تلك الأنحاء إنّما يدرك الإنسان الفضائل صورة ، وفي هذا يدرك عملاً ، فكم فرق بين من يعرف إنّ خلف الوعد قبيح ، وبين من وعده شخص بشيء ، ثمّ انتظره في أبان حاجته ، فأخلف ، وهكذا ... .

ولو داوم الإنسان على الأدب ، وقهر نفسه عليه مدّة من الزمن ، لم يلبث أن يعلّق الأدب بذهنه ، علوق الشجاعة بنفس الشجاع ، والكرم بروح الكريم ، فيكون ذا أدب رفيع ، لا يتدخّل في شيء إلّا تدخّلاً أدبياً ، ولا يخرج من شيء إلّا خروجاً أدبياً ، ويكون قدوة للمتأدّبين ، ومثالاً فذّاً للمطالبين ، وكتاباً متحرّكاً للأخلاق والآداب.(١)

وليعلم : أنّ كثرة مراعاة الأدب ، ككثرة الكرم ، والشجاعة ، وغيرهما من الصفات الجميلة ، ربما تنقلب إلى الضدّ ، فكما يكون الإفراط في الكرم إسرافاً ، والإفراط في الشجاعة تهوّراً ، يكون الإفراط في الآداب ، قيداً وسفهاً ، فإنّ من يجلس جلوس أدب ونزاهة ، في خلواته جلوسه في النوادي ، كان أقرب إلى السخف من العقل ، ومن لا يتعلّم السباحة لكونها منافية للوقار ، أقرب إلى السفه من الحِجى ، فلكلّ شيء مقام ، ولكلّ موضوع محل ، والشيء إذا جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه .

---

(١) رأيته رحمه الله في آدابه مع زائريه قمّةً في التواضع والحيويّة، فما دخل عليه كبير أو صغير إلا قام مرحِّباً به حتى يجلس، ثم يبادره مبتسماً فيسأله عن صحته واسمه وبلدته ومهنته وهل هو متزوج ام لا. ثم كان يأخذ في إرشاده بما يتطلب المقام.. تصوّر مرجعاً على مستوى الشيرازي العظيم يقوم على قدميه احتراماً لشابٍ يافع كما يقوم لشيخ كبير السنّ. وهل يوجد مثله قدس سره إلا في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام والأمثلين الأمثلين.

المقالة العاشرة:

نظرته الى ظاهرة الكذب والمغالاة والمبالغة..

فقد كتب رحمه الله:

قسم من الناس يجيّش في نفسهم جائش الاضطراب، فلا يجدون ملجأً لإطفائه إلّا بإعمال إحدى المشاعر، إمّا أن يبطش بيده فتكاً وقتلاً وضرباً وحركةً ولعباً، وإمّا أن يرفس برجله ويركض ويحرّكها حركة، وإمّا أن يصيغ إلى أنغام وأصوات وما أشبه، وإمّا أن ينظر إلى مناظر مدهشة، أو منازه مطربة، أو أُمور عجيبة، وإمّا أن يسوم لسانه في الرطب واليابس، سوم الماشية في الحشيش والخلاء، فيطلق مقوله رفعاً وخفضاً، وسبّاً وشتماً، ومبالغةً وإغراقاً، فإنّ النفس الجائشة كالنار المحبوسة في التنور المسدود، لا تجد أبداً من أن تخرج من بعض ثقوبه، حتّى تتنفّس وتقذف بعض ما بها من الضغط، ولذا يهدأ الغضبان إذا استعمل بعض أعضائه استعمالاً خارجاً عن المعتاد.

المبالغة قسم من الكذب، إلّا أنّه كذب لا يؤاخذ به إذا لم يخرج عن حدودها المعروفة، فربما يبالغ المُسهِر في ساعة من الليل، فيقول ما نمت البارحة، وربما يخطو إلى فوق ذلك فيوقل: ما غمض لي جفن في الشهر الماضي، وربما يغرق فيقول: ما زار الكرى عيني في العام الغابر، إنّ الأخير ـ والحقّ ـ مبالغة بشعة لا يستسيغها الذوق، وإن اشتركت الثلاثة في كونها تخالف الحقيقة وتنافي الواقع.

قد يقول المبالغ : إنّ فلاناً كالبحر جوداً ، أو كالمزن كفّاً ، أو أفضل منه: (فذاك يعطي ويبكي ، وأنت تعطي وتضحك) .

وقد يمثّل وجهه بالشمس الضاحية ، أو القمر ليلة البدر ، وقد يشبّه المسلمين ـ وهم ستمائة مليون[1] ـ بحفنة الكفّ ، فيقول : ما قدر ما تصنع هذه الحفنة تجاه أعدائها الألدّاء .

الأفضل للرجل أن يترك المبالغة قليلها وكثيرها ، إلّا قدر ما يستلذّه الواقع ، ويستسيغه الطبع ، ولا يتنفّر منه الذوق السليم ، والذي أخال أنّ كراهة الشعر في الشريعة الإسلامية ، بعض أسبابها : هي هذه المبالغات التافهة التي لا يزال الشعراء يستعملونها ، والألطف أنّ كلاً من المبالِغ والمبالَغ فيه ، ومن السامعين والناظرين في الدواوين ، لا يفوتهم كذب المقال ، وإنّ هناك مأرباً خفيّاً جعل الشعر ستاره المسدول ، من رغبة أو رهبة ، أو تفريغ خاطر ، أو متعة بأوهام .

ويفوت المبالِغ أنّ الواقع أظهر من أن يخفى تحت حواجب المبالغة والإغراق ، إنّا كلّاً نعلم أنّ حاتم الطائي أجود من فلان وفلتان ، ممّن مدحهم الشعراء بمدائح هي غاية ما بلغ إليه فكر الشاعر ، إلى غير ذلك من أوصافهم في البساطة والنجدة ، والإقدام والاقتحام ، والحسن والجمال ، والخدم والحشم ، والعلم والكمال .

وأمّا المبالِغ في النثر فهو أسقط من المبالغ في الشعر ، إذ ينصر الشاعر ناصر فيقول : أكذب الشعر أعذبه ، أو أعذبه أكذبه ، لكن المبالغ في القول

---

(١) هذه الإحصائية كانت وقت تأليف الكتاب، أما في وقتنا فقد بلغ عدد المسلمين المليارين حسب الاحصاءات الأخيرة عام ٢٠٠٠م.

لا يجد ناصراً في الأرض ولا في السماء، فلا يزال يبالغ، حتّى يعرفه الناس بذلك، فتقتحمه العيون احتقاراً، وتشمئز منه النفوس صغاراً، وتتجافى عنه المسامع أنفة واستكباراً. فيعرف في الملأ بأنّه ممّن يجعل الجنّة قبّة، والذرّة درّة، والأرض سماءً، والقطرة دماءً.

ولقد منيت فيما منيت به برجل يقول عن استقبال حفاوة بوفد، وقد لا يكون عدد المحتفّين أزيد من مائة: استقبله مائة ألف أو يزيدون، ويقول لسهاد هزيع من الليل من وجع سنّ ألم به بعض الإلمام: أنّه أُصيب في الليلة بسهر مستمر لوجع رباعية لم ينزل بأحد من الأوّلين والآخرين، ولا يبالي أن يقول عن عالم ما أظنّه تجاوز حدود أقرانه ـ لو أحسنت الظنّ ـ أنّه لا يمرّ بالصراط ـ بعد مَن اختاره الله للرسالة أو اصطفاه للولاية ـ أدقّ ذهناً، وأقوم ذوقاً، وأعدل سليقة، وأقرب فهماً منه، ولقد رأيت فيمن رأيت من هذه الطبقة من جعل عدد تلاميذ بعض المدرّسين فوق الخمسمائة، ومن سوء الحظّ! إنّي كنت أحضر درسه ولم يكن يتجاوز عددهم عن العشرين، إلى غيرهم من المبالغين.

إنّ من يتكلّم عدلاً، ويقول فصلاً، ولا يرفع شيئاً فوق مستواه، ولا ينزله دون مأواه، يكثر الاعتماد عليه، والاستناد إلى قوله، ويوسم عند الناس بسمة الوسط، وإنّه غير مقل ولا مكثر، ولا معظّم ولا محقّر، ومثل هذا الشخص هو محور التاريخ، وقطب الأخبار، وميزان الرجال، ومقياس الحوادث والوقائع، ولذا نرى فيما يرى أنّ بعض المؤرخين يوصمون بوصمة الإقلال أو الإكثار، أو الجرح أو التعديل، أو التعظيم أو التحقير، فلا ينقل عنهم ناقل إلّا موصماً، ولا يكتب عن أسفارهم كاتب إلّا معلّقاً، وبذلك تنهار مكانتهم الاجتماعية، وتذهب ريحهم، ويلحقهم الفشل.

ليعلم المتكلّم، وليدرك الكاتب، أنّ المبالغة هجنة وعار ومنقصة، وإن ترك المبالغة أقرب إلى قبول الناس، والنفوذ إلى أفئدتهم من المبالغة، فإنّ الباطل لا يعلو وإن تعالى، ولا يكبر وإن تكبّر، وإنّ الحقّ هو خير وأبقى، وليترك كلّ منهما المبالغة إن أحبّ سمعته، وأكبر منزلته.

ومن الغريب المناقضة التي تقع بين المبالغين، فهذا يرفعه إلى السماء، وذاك ينزله حتّى يلصقه بالدقعاء، وكلّ واحد منهما ضئيل الفكر، مضطرب الجنان، لا يقدّر لكلام ميزاناً، ولا يحسب لقلمه حساباً، ويبوء بالآخرة بخسران الثقة عن السامعين والناظرين، ولم يحصل ما رامه من رفع ممدوحه في أنفس المُصغِين، وإنزال خصمه في أعين المُبصِرين، أو ما إليهما ممّا يتطرّقه الإغراق، وتشينه المبالغة[1].

والمبالغة والإغراق، وإن كانا يظهران في المقول واليراع، إلّا أنّ منبثقهما القلب، فمن حفظ قلبه حفظ اسلات لسانه وأطراف بنانه، وليس بين هاتين الخصلتين: الاعتدال والمبالغة، إلّا الملكة الحاصلة من التمرين، فمن زمّ لسانه، ولجم بنانه عن الزيغ والميل مدّة فلم يفرط في الكلام ولم يفرّط في الأقلام، وفّق للوسط وحصل على ملكة عادلة، وذوق مستقيم، فيرى بشاعة المبالغة فيتركها، وقبح الإغراق فيتجنّبه، وبذلك يصبح أميناً في الحديث، معتمداً في النقل، ثقة في الأنظار، يؤمن

(١) هذا ما كان سابقاً ولا زال في مجتمعنا التطرّف في مدح المحبوب ويلازمه التطرّف في ذمّ غيره سارياً للمفعول، فالمتطرّف يدخل محبوبه في الجنّة بغير حساب، ويلقي غيره في جهنّم بلا أي ورع واحتياط. حتى قال أحدهم لو رقىٰ فلان الى السماء وأتى بشهادة منها لعدالته لما صلّيتُ خلفه ما دام هو شيرازي!! يا لها من قيمٍ أمويّة.

شططه ، ولا يخاف مينه ولغطه ، ويكون ممّن يفتخر به التاريخ إن كان مؤرخاً ، والصحف إن كان كاتباً ، والجليس إن كان صديقاً ، والتريب إن كان حميماً ، والبعيد إن كان مطّلعاً .

والمبالغ لا يؤمن جانبه على كلّ حال ، فإن كان مادحاً أوصل الممدوح إلى الجوزاء ، وإن كان ذامّاً نزل به إلى الغبراء ، وإن كان ناقلاً زاد في الحديث إن أحبّ الثرثرة ، ونقص منه إن راقه الانتقاص ، فهو كالأرجوحة التي لا تبقى على حال ، وإنّما تترجّح بين الهبوط والصعود ، والمترنّح الذي يتمايل يمنة ويسرة .

المقالة الحادية عشر:

نظرته في تحصيل السلطة والقوة لإجراء المبدأ الإسلامي في الحياة.

فقد كتب رحمه الله:

إنّ المبدأ مهما كان خيراً أم شرّاً لا قوام له إلّا بالقوّة، أمّا المبدأ الفاسد فلأنّ الناس لا يدينون به ـ لعلمهم بفساده ـ فإذا لم تدعمه القوّة لكان حريّاً بأن لا يقبل، وإن قُبِل بالقوّة ثمّ ارتفعت لكان حقيقاً بأن ينهار، ولعلّ من الشواهد لهذا الأمر مبادئ (نابليون)[1] و (هتلر) و (موسوليني)[2] حيث قام المبدأ بالإرهاب والقوّة بما لهما من معنى متّسع ثمّ انهارت بانهيار قواهم.

وأمّا المبدأ الصحيح، فلأنّ البشر لا يدرك الصالح ولو قام عليه ألف دليل، ولو أدرك لا ينساب إليه ما عارض التقاليد والعادات، ولو انساب إليه اضطهده آخرون، ممّا سيؤدّي إلى رجوعه، ثمّ هناك عوامل أُخرى تكافح اعتناق المبدأ وإن كان في طرف الكمال، وهو كفاح أرباب المبدأ

---

(١) نابليون (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) ولد في أجاكسيو من أُسرة بونابرت، امبراطور فرنسا (١٨٠٤ ـ ١٨١٥) اشتهر في حملة ايطاليا الأُولى ١٧٩٤ والثانية ١٧٩٩، قاد حملة على مصر (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩).

(٢) بنيتو موسوليني (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥م) زعيم ايطاليا الفاشية، أسّس الحزب الفاشي عام ١٩١٩م أنشأ مع هتلر محور روما برلين عام ١٩٣٦م، أعلن الحرب على الحلفاء عام ١٩٤٠ ولكن هزيمة قوّاته أدّت إلى سقوطه عام ١٩٤٣م، قتله خصومه عام ١٩٤٥م.

الآخر .. وكون المبدأ مهما خفّ فهو ثقل على عاتق المعتنق ، فإنّه لا يتيح الحرّية المطلقة حتّى ما أضرّت الآخرين ، لكلّ فرد ، فلابدّ وأن يقع التصادم بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة ممّا ينجرّ إلى خلع الفرد المبدأ عن عنقه ، كي يمشي وراء صالحه .

وقد صاغ التاريخ لذلك أمثلة من أصحاب الأديان وغيرهم حيث كان المبدأ ما لم تدعمه القوّة غير ملتفت إليه ، ثمّ لمّا عاضدته القوّة ـ على اختلاف صنوفها ـ آوى إليه الناس ، وأقبلوا يتهافتون عليه تهافت الفراش على الزبالة ، دعى عيسى عليه السلام إلى الله أعزل ، فلم يؤمن به إلّا نفر قليل ، ثمّ لمّا ساعدت القوّة مبدأه ، أخذ يوسّع رقعته في غرب الأرض وشرقها ، والنبي محمّد صلى الله عليه وآله دعى برهة من عمره فلم يكن نصيبه أكثر من نصيب أخيه من قبل ، وبعدما هاجر وتعزّز جانب الإسلام ، رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً .

وجملة القول : إنّ القوّة دعامة المبدأ ، ولو أخذنا مبدأ بلا قوّة فجدير بأن ينهار ، كما إنّه لو كان هناك قوّة بلا مبدأ لم تتمكّن من القيام ولو استقلّت يوماً أو بعض يوم .. .(١)

---

(١) هذا المبدأ تبنّاه الامام الخميني قدس سره في مشروع الثورة على الشاه وإقامة حكومة الجمهورية الإسلامية، وقد بيّن رأيه الفقهي حوله في كتابه (الحكومة الإسلامية) وتعاون معه الامام الشيرازى لايمانه بهذا المبدأ منذ تلك السنوات، فشنَّ عليهما التسقيطيون حرباً وقالوا انهما يعملان للسلطة والدنيا. ولما انتصر الامام الخميني تلوّنوا بلونه وبقوا على حربهم ضد الامام الشيرازي لتنحية من أبغضوه عن المنافسة كما كانوا يتصوّرون. أذكر قبل انتصار الثورة الاسلامية (سنة ١٩٧٨) ألقيت محاضرة في جمعية... في البحرين حول تفسير سورة الحمد في بعدها السياسي وذكرت (اهدنا الصراط المستقيم) أنها تؤيد مشروع الحكومة

المسلمون كان يدعم مبدؤهم القوّة في زمن الرسول ﷺ بعد الهجرة ، وهكذا توالت الحلقات في زمن الخلافة حقّاً كانت أم باطلة ، أبي بكرية أم عمرية أم أُموية أم عبّاسية أم عثمانية ، ولذا كان قوانين الإسلام والقرآن لم تزل قائمة على ساق ولو بنسبة أو أُخرى ، وإن اختلف فهم الخلفاء تلك المبادئ ، وإذا كان أفاد هذا شيئاً وذاك شيئاً ، وكثراً ما كان الدين يفرغ قوالب السياسة فسيكون شنفاً في أُذن الخليفة ، وقلادة في رقبة زوجته ، ووشاحاً على جاريته ، لكن الدين بما هو دين قائم ومنبع الثقافة والاختلاف والاتّفاق هو في القرآن الحكيم ، وإن نبذه الخليفة وراءه ظهرياً حين خلا بندمائه وجواريه ، وأنبذته ومغنّيه ، وليس حال المسلمين في هذا الأمر إلّا حال سائر الملوك الذين يعتنقون المبادئ ، فالبشر هو البشر تجلّى في لباس خليفة ، أو تقمّص قميص الملك ، أو لبس طيلسان كسرى ، أو جلس مجلس قيصر .

فتح الغرب عينه في هذا القرن ، ونفض عن جناحه غبار الخمود ، وأخذ يمدّ يديه على عينيه ، ليتأكّد عن أحوال ما في الكون ، فإذا قادة المسلمين نائمون ، وهذا أتاح لهم الفرصة للتدخّل في شؤون المسلمين بلفظ الحقّ الذي يراد به الباطل ، والظاهر الخلّاب المنطوي على آخر من النار ، قطعوا أوّل الأمر أفلاذاً من مملكة آل عثمان حرباً ومعاهدة

الإسلامية و (غير المغضوب عليهم) تشير الى (لا غربية) (ولا الضالين) تشير الى (لا شرقية) فلما أنهيت المحاضرة قال لي أحد الرموز المستمعين: إنك كشفت بهذه المحاضرة عن تقليدك المرجعي، فأنت إما تقلّد السيد الخميني أو تقلّد السيد الشيرازي! قلت له: كيف؟ قال: لأنهما الوحيدان اللّذان يطرحان هذه الأفكار.

وغيرهما ، ثمّ أسّسوا جمعية الدستور ـ الاتّحاد والترقّي ـ وفي الحقيقة لم تكن الحرب إلّا بين عبدالحميد وتبعه الخلافة الإسلامية بقضّها وقضيضها، وبين دول الغرب ، وتمخّضت عن سقوط الأوّل ، فصارت الوحدة الإسلامية المتماسكة ، والقوّة التي تدعم المبدأ ، أشلاء مبعثرة بين عراق يملكها فيصل الحسين ، ومصر يتصرّف فيها الخديو ، وحجاز يتقلّب فيها سعود ، وأردن يأخذ بزمامها عبدالله الحسين ، ودمشق ولبنان ، ودروز ، وجبال العلويين ، واسكندرونة ، وفلسطين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أُخرى تشتيت شمل المسلمين الأبعدين الذين يشملهم الهند والصين وغيرهما ممّن كانوا يدينون بالخلافة العثمانية على بعد بينهم ، وأصبح تركيا بعد أن سادت البلاد ، لا تزيد عنها عدداً أو عدّة ، أو سلاحاً أو نفوذاً .

ثمّ تدخّلوا في ايران باسم انحصار التنباك تدخّلاً ينمّ عن مقاصدهم ، ولم يُفِد تحريم الإمام الشيرازي[1] في قصّته التاريخية إلّا بعض الشيء فقد كان الملك مع الغرب ويتبعه رجال الدولة طبعاً .

وبانهيار هاتين الدعامتين الخلافة الإسلامية الفسيحة ، والملوكية الشرعية الايرانية ، انهار الإسلام بقواعده ، وارتفعت النعرات الطائفية ، وجالت الهمسات القومية ، وانقلب المسلمون رأساً على عقب ، وأخذت قوانين الشريعة تتقلّص على نفسها ، وتنكمش حول ذاتها ، تارةً باسم الرجعية ، وأُخرى بسمة الخرافة ، وثالثة بطابعة مناقضتها لقواعد الغرب

(١) المرجع الديني الأعلى الإمام السيّد محمّد حسن الشيرازي ، المعروف بالمجدّد الشيرازي ، صاحب قصّة التنباك الشهيرة (المتوفى سنة ١٣١٢هـ) .

التي كانت أصلح ـ على زعمهم ـ لموكب الزمن السائر ، ورابعة بقول إنّها تنافي العلم الحديث : الكهرباء والماء والراديو والتلفزيون والسائرة والطائرة والباخرة وما إليها ، وهذه لابدّ منها في الحياة ، وهكذا خامسة والسادسة وما بعدها ... كلّ ذلك ولا حقّ لأحد أن يسأل عن هذه المزاعم ، إذ القوّة قد مال ميزانها إلى جانب الغرب ، فأصبح المسلم وهو أخ المسلم يحارب أخيه ، بينما يوادّ من حارب الله ورسوله ويقول إن أردت إلّا الحسنىٰ .

وبهذا خرجت خيوط المُلْك والدين عن أصابع المسلمين ، فأصبحوا يبكون على دينهم ودنياهم في وقت واحد ، ولم يبق لديهم التقدّم المزعوم مع ركب الزمن ، ثمّ لم يلبث المسلمون زمناً حتى أسفر الصبح لذي عينين، ورأوا الخداع في هذا أيضاً ، فلم يسمح لهم الغرب تقدّماً عمرانياً ، ولا صناعياً ، ولا غيرهما ، فبينما كانت أرض العراق تسمّى السواد في أوائل الإسلام ، لكثرة عشبها وخضرتها ، أصبحت أرض البياض ، تكسوها الشمس كلّ يوم ، وتظلّلها الكواكب الزاهرة كلّ ليلة ، وبينهما الرافدان كانا يصبّان الذهب الأحمر في أرض العراق ، أصبحا ينصبّان في البحر ، ليزيدا ماءً على مائه ، وأسماكاً على أسماكه ، وهكذا لم يسمح لهم استيراد معمل ، أو اختراع مخترع ، أو صناعة مصنوع ، بل عكسوا الأمر فجعلوا العقوبات والغرامات على ذلك ، ولم يزل المسلمون بأحكامهم الإسلامية في انحطاط وانهيار إلى يومنا هذا ، ولا يعلم مصيرنا بعد اليوم[١].

---

(١) عرض دقيق لمأساة التخلّف وجذور الهزيمة في الأُمّة ، والآن تأمّل كيف يستعرض

والعلاج الوحيد الذي يمرّ في المخيّلة : هو رجوع المسلمين على ما كانوا من الوحدة والائتلاف ، وإن تفرّقت مذاهبهم ، وتباعدت بلادهم واختلفت ألسنتهم ، وهذه هي الأساس الذي بنى نبي الإسلام ﷺ عليه كيان المسلمين حتّى تحلّقوا في سماء المجد ونشروا أجنحتهم بين الغرب والشرق ، وكبر هذا الوليد الجديد في مهد الهجير حتّى صار يبادر قرنيه (فُرس وروم) العتيدين ، في ربع قرن ، وبقي زهاء ثلاثة عشر قرناً وحدة متماسكة ، كلّما أراد أعداؤه الإيغال في بلاده رفضهم لفظ الفم النواة ، والمنجنيق الحجر .

لو كان اختلاف الآراء ، وتباين الشكل بالأبيضية والأحمرية والأسمرية والأسودية ، وتباعد البلاد بالصينية والحجازية والمصرية والعراقية والجزائرية والتونسية ، وعدم وحدة الألسن بالعربية والايرانية والهندية والتركية ، توجب التضارب والتجانب ، لكان اختلاف البلاد في القطر الواحد ، وتباين المحلّات في البلدة الواحدة ، ومغايرة الدور في المحلّة الواحدة ، وتعدّد الأفراد في الدار الواحدة ، توجب التضارب والتباعد ، حتّى يصبح كلّ فرد من أفراد المسلمين ـ والعياذ بالله ـ كنبت الصحراء لا يربطه بغيره رابط ، ولا يجمع بين هذا وذاك جامع ، وهو رجوع إلى عصر لا يذكره التاريخ ، ويجلّ الوحش أن يُشبّه به .

أنا لا أنكر انشعاب المسلمين إلى آراء ، ولا أنكر اختلاف بلدانهم وألوانهم وألسنتهم ، وإنّما أنكر كلّ الإنكار تشتّتهم بهذا الشكل

الإمام الشيرازي أُطروحته في الحلّ والعلاج ، ويحاول وضع نقاط على حروف وذلك قبل ثلاثة عقود تقريباً ولا زالت أطروحته تنبض بالحياة والسبق في الحكمة.

الفظيع الذي يسبّ بعضهم بعضاً ، ويلعن أحدهم الآخر ، ويرفع الحواجز الكمركية والحدود الخريطية أحدهم في وجه الآخر .

المسلمون وإن اختلفوا في أشياء كثيرة ، إلّا أنّهم متّفقون في الأكثر : فإلههم : واحد ، عالم ، قادر ، حي ، مريد ، مدرك ، قديم ، أزلي ، متكلّم ، صادق ، رؤوف ، رحيم ، حكيم ، سميع ، بصير ، يحبّ الخير وأهله ، ويبغض الشرّ وأهله ... ونبيّهم واحد ، جاء **﴿مُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**[1]، **﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ﴾**[2]... .

وقرآنهم واحد ، فيه **﴿شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾**[3]، **﴿هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾**[4]، **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[5]... وعترة نبيّهم صادقون مصدّقون ، تركهم الرسول فيهم[6]، كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلّف عنها هوى[7]... .

وأحكامهم : الصلاة والصوم ، والخمس والزكاة ، والحجّ والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتولّي لأولياء الله ورسوله والتبرّي

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٥ـ٤٦ .

(٢) سورة المائدة : ٤٨ .

(٣) سورة يونس : ٥٧ .

(٤) سورة الأعراف : ١٥٤ .

(٥) سورة فصّلت : ٤٢ .

(٦) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله : « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي ، ألا وهما الخليفتان من بعدي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » أمالي الشيخ الصدوق : ص٤١٥ .

(٧) الصراط المستقيم : ج٢ ص٨١.

من أعدائهم ، وكعبتهم واحدة ، وكلّهم يعتقدون بعدل الله سبحانه ، وكلّهم يعتقدون بالقبر والحساب والمعاد والجنّة والنار ، وكلّهم يرون حرمة الخمر والميسر والأنصاب والأزلام والزنا واللواط والسحق ، والكذب والخيانة والغدر وبخس المكيال والميزان ، والربا وشهادة الزور والتبرّج والبدعة ، والعقوق والكبر والإهانة ، وما إليها من عشرات أُلوف الأحكام أو مئاتها أو أُلوفها ، وكلّهم يعتقدون بالمعاد .

نحن المسلمون إذا بقينا أشلاء متبعثرة ، بين مليون ، وثلاثة ملايين وخمسة ، وثمانية عشر ، وعشرين ، وثلاثين ، وما أشبه لا نتمكّن من حفظ كياننا ، ولا المقاومة لمن عدى علينا من الأُمم ، ولذا نرى أنّ كثيراً من دول الإسلام يحتمي في حمى دولة غير مسلمة شرقية أو غربية ، جنوبية أو شمالية ، ومع ذلك تسومها تلك الدولة الخسف ، ولذا أصبح المسلمون ، لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ، أليس المسلم أرأف بالمسلم ، من غير المسلم ؟ أليس هذا الخسف مبرّراً للاتّحاد ؟ ولست أقصد الآن من الاتّحاد أن يترك الايراني لسانه للهندي أو العربي مثلاً ، ولا أن يترك العربي بلاده للتركي ، ولا أن يترك الهندي طريقته للتونسي أو ما شابه ، فإنّ هذا ممّا لا يكون ـ بل كلّ المقصد أن يرفضوا أحكام غير القرآن والسنّة فلا يشرع لهم الدستور ، ولا البرلمان ، ولا مجلس الأُمّة ، فلا قانون إلّا قانون الإسلام ، ولا محكمة إلّا المحكمة الشرعية ، ولا خمور ولا فجور ولا ربا ولا زنا .

أليس الولايات المتحدة تختلف عناصرها ديناً ، ومذهباً ، وطريقة ، ولوناً ، ولساناً ، ثمّ يجمعهم دستور واحد ؟ وبذلك حازوا ما حازوا ، وتقدّموا في ميادين العلم والحضارة ما تقدّموا ، ومنعوا جانبهم عن الضيم والذلّ ؟

أليس الاتّحاد السوفيتي كذلك ، مركّب من جمهوريات ثمّ يجمعهم جامع الاتّحاد والاتّفاق ؟

ألسنا نحن المسلمين أولى بهذا الاتّحاد والاتّفاق ، من كلّ أُمّة ؟

ألسنا يقول الله عنّا : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]؟

أما رأينا ذلّ التفرّق والانقسام ؟ ألم يكفينا هذا النصف القرن للتجربة ؟

فريق يدعون إلى القومية ، وآخرون يدعون إلى الماركسية ، وجمعية إلى الديمقراطية ، هب إنّا قبلنا القومية ، أهل يتمكّن العربي أن يكون قوماً يكافح عن نفسه عادية الدولة القوية ؟ وهل يتمكّن الايراني ، أو التركي ، أو الهندي ذلك ؟

ولو أجبنا نداء الماركسية ، فهل إنّا مستقلّون أم تابعون ؟ مسلمون أم كافرون ؟ ثمّ يحكمنا بعد ذلك عَلَمٌ آخر غير علم القومية والوطن والدين ، ولو تمسّكنا بالوطنية ، فهل أوطاننا تكفي شرّ المعتدين ؟ إنّا لو جمعنا أنفسنا بعضاً إلى بعض ، وأدخلنا في جامعتنا كلّ مسلم ، وإن اختلف لونه ومذهبه ولسانه وبلده ، كنّا على الأكثر ستمائة مليون[2]، وحينئذ يكون النجاح خمسين في المائة .

وبعد ذلك نحتاج إلى الابتداء بكلّ شيء من صناعة وتجارة ومواصلات ، حتّى الدين الذي ابتعدنا عنه زهاء نصف قرن ، وبعد هذا وذاك نصبح دولة قوية ، يخاف جانبها ، ولا تكون لقمة سائغة لكلّ مستعمر ومستثمر ، ويكون حالنا حال سائر الدول ، لنا ما لهم ، وعلينا ما

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣.

(٢) سبق أنّ عدد المسلمين بلغ المليارين عام ٢٠٠٠.

عليهم لا يخاف ويخاف منه ، ويأخذ ويعطي ، ويستنشق الحياة[1].

من المؤسف أن يدرك (نابليون) هذا المعنى وهو شاب لم يبلغ الثلاثين ثمّ يأخذ في توسيع رقعة ملكة فرنسا ، وإن لم يجمع أطراف دولة جامع ، ويدرك (موسوليني) هذا فيوسّع ايطاليا ، ويدرك (هتلر) هذا فيأخذ في توسيع المانيا ، ويدرك (لينين) ذلك ، فيأخذ في توسيع البلشفيك ، وكذلك تجمع انكلترا وامريكا أنفسهما ، ثمّ لا يدرك المسلمون أو يدركون ولا يرجون التوفيق مع أنّ ما بأيديهم من سند قرآني ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾[2] ما لم يكن بأيدي أُولئك .

قصّة (حزمة الحطب) والملك ، وأولاده مشهورة ! لا يتمتّع أي أحد بقوّة إلّا إذا انضمّ إلى آخرين ، ولا يمنع أحد جانبه إلّا بالوحدة والائتلاف، ولا تنهار جامعة إلّا بالتفرّق .

فياأيّها المسلمون اتّحدوا ، وتمسّكوا ﴿بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[3]، وطبّقوا قول الله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]، وكونوا وحدة جامعة يجمعكم القرآن والسنّة ، ويرفرف على رؤوسكم عَلَم الأُخوّة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5] الخفّاق ، ثمّ بعد ذلك كلّ وحريّته في مذهبه ، وكما

---

(١) كم هذا الرجل كان عظيماً ، والعظماء يُهضَمون دائماً ، واصل أخي القارئ وتأمّل في السطور التالية .

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله : ٧ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) سورة الحجرات : ١٣ .

(٥) سورة الحجرات : ١٠ .

يقال أنّ معنى الحرّية ، هي حرّية الفرد في إطار حرّية المجتمع ، كذلك حرّية المذهب في إطار الدين ، كلّ يقطع يد السارق ـ بشروطه[1]ـ وإن قطعها هذا من الأشاجع ، وذاك من الزند ، كلّ يعطي الزكاة ، وإن أعطاها هذا من مال التجارة مستحبّاً ، وذاك واجباً ، كلّ يصلّي الصلوات إلى الكعبة ، وإن صلّاها هذا مسبلاً والآخر مكتّفاً ، كلّ لا يشرب الخمر وإن امتنع من النبيذ هذا ، ولم يمتنع ذاك ، كلّ يعطي الخمس ، وإن أعطاه هذا من الأرباح أيضاً ، ولم يعطه ذاك .. وهكذا .. .

وبعد هذا الاتّحاد الذي هو منبثق القوّة ، ومنبع العزّة ، وجماع المنعة يتمكّن المسلمون من تبليغ دينهم السماوي إلى كلّ من في غرب الأرض وشرقها ، برّها وبحرها ، متمدّنها ومتوحشّها ، حتّى ينخرطوا في هذا السلك النيّر ، ويعتصموا بحبل الله المتين ، ويسلكوا في صراطه المستقيم ، فإنّ حقائق الإسلام ، ونواميس الشريعة المحمّدية ﷺ من أحسن المبادئ التي عرفها البشر إلى هذا اليوم ، خصوصاً والناس متنوّرون ، والتعصّب في غالب الأماكن قد انهزم وولّى الدبر ، وبهذا يزداد المسلمون يوماً فيوماً كما ازدادوا حين علموا حقائق القرآن في الأزمنة السابقة .

وأخيراً أقول : ـ عوداً على بدء ـ إنّ المبدأ الإسلامي ما لم يدعمه القوّة لا يقوم على ساق ، فليكثر المسلمون من القوّة حتّى يرجع إليهم عزّهم ودينهم ودنياهم وأُخراهم ، كما قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

---

(١) ذكر الإمام الشيرازي رحمه الله أكثر من أربعين شرطاً في قطع يد السارق ، راجع موسوعة الفقه ، كتاب الحدود والتعزيرات ، وكتاب (ممارسة التغيير لانقاذ المسلمين) .

قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[1].

ولسنا نريد بالقوّة القوّة الحربية ، بل القوّة العلمية والصناعية والدفاعية.. وغيرها .. .[2]

(١) سورة الأنفال : ٦٠.

(٢) ان هؤلاء الرجال العظماء والمفكّرين الاستراتيجيين في الأمة لن يسمح لهم الاستعمار أن يأخذوا طريقهم بين الناس، كيلا تزول مصالحه. فهل عرفت ايها القاري الذكيّ إحدى أهم أسباب تسقيط الإمام الشيرازي و الحرب النفسية والشاملة عليه وعلى مقلّديه ومؤيّديه؟! وهنيئاً للذين خدموا الإستعمار سواءً شعروا بخدمتهم أم لم يشعروا...!!!

القسم الثاني: النظام المرجعي الرسالي

تلخيص كتاب (المرجعية الاسلامية رؤىً في الأساليب والأهداف)

وفيه مقدمة وستّة فصول

يقول سماحة المرجع الشيرازي (قدّس الله نفسه الزكية) في مقدّمة هذا الكتاب:

يمكن القول: أنّ المرجعية الدينية المتمثّلة بالعلماء المنصوبين لنيابة الإمام الغائب المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه) تمرّ في هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي بفترة من أصعب الفترات في تاريخها المديد، ولربما كانت الحقبة التاريخية الراهنة هي من أدقّ ما تمرّ بها الأُمّة الإسلامية في تاريخها المعاصر حيث الكفر العالمي قد جمع قواه وشمّر عن ساعده بغية القضاء على معنويات الأُمّة. فأينما ألقيت بناظرك أبصرت منظراً مؤلماً ورهيباً .. فالقتل المنتظم الذي ينتظره المسلمون في أرجاء العالم الإسلامي. ففي كلّ لحظة هناك كوكبة من المسلمين يُذبَحون في هذه البلاد كما تُذبَح النعاج، وإلى جانب القتل بُنيت السجون وأُقيمت المعتقلات لزجّ الخيّرين من أبناء الإسلام فيها.

ولم يكتف أعداء الإسلام بهذا القدر من إرهاب المسلمين بل عمدوا إلى نشر الفساد والإباحية في أكثر من بلد إسلامي. فبعض القنوات التلفزيونية في بعض البلاد الإسلامية لا تستطيع أن تميّزها عن قنوات

البلاد الغربية ، حيث إشاعة الفساد والإفساد ، وبعض العواصم الإسلامية تبيح تجارة البغاء كما تبيح بيع المواد الغذائية .

أمّا الخمور فقد أصبحت سلعة رائجة تروّج لها الحكومات وتفسح المجال للدعاية لها في شاشات التلفزيون وعلى قارعة الطرقات .

وفي بعض البلاد الإسلامية يُسمَح للفتيات بممارسة السباحة أمام مرأى من الرجال الأجانب ، وفي بعضها الآخر هناك مسابح مختلطة يجد فيها الجنسان الذكر والأُنثى المتعة المحرّمة .

وفي الأُفق الاجتماعي انهارت القيم الإنسانية التي كانت تشدّ المسلم بالمسلم والتي تجعل منهما جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى .

وبعد أن كان المؤمن للمؤمن كأسنان المشط يشدّ بعضه بعضاً ، أصبح اليوم الأخ ينكّل بأخيه ولا يرعى له ذمّة ، فانهارت قيم التعاون والأُخوّة والمساواة واستُبدلتْ بالقيم الجاهلية الرعناء التي أخذت تغزو المجتمعات الإسلامية واحد بعد أُخرى .

وفي أُفق الأُسرة انهار البناء المقدّس الذي شاده الإسلام بين الزوج والزوجة وبين الأب والابن وبين الأُمّ والبنت . فقد خرجت المرأة من عشّ الزوجية فشعرت بالاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة إلى الزوج .

وهكذا نسفت المعادلة الزوجية التي تعطي للرجل حقّ القيمومة على البيت وحلّت محلّها حالة الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار ، وأخذ الابن طريقه خارج البيت مستهيناً بحرمات الأُسرة رافضاً التقيّد بإرشادات الأب وتوجيهات الأُمّ ، وماتت القيم في نفوس الأبناء جرّاء التنازع الدائم داخل الأُسرة .

لقد أصبحت الأُمّة الإسلامية هدفاً لأطماع الدول المستعمرة التي وجدت في البلاد الإسلامية مرتعاً خصباً لأهوائها . فالأرض الإسلامية تشتمل على خيرات كثيرة بدونها تتوقّف عجلة الحضارة الغربية .

فمن ناحية مصادر الطاقة متوفّرة وبمخزون كبير في الأراضي الإسلامية ، ومن جانب آخر تجد المصانع الغربية في العالم الإسلامي كلّ ما تحتاجه من المواد الأوّلية من الحديد والألمنيوم والقصدير وما شابه ذلك من المعادن التي تدخل في الصناعات المتطوّرة من أمثال صناعة الطائرات والسيارات والقطارات .

وإضافة إلى المواد الأوّلية يحظى العالم الإسلامي بكميّات هائلة من المحاصيل الزراعية (الاستراتيجية) كالقطن والحنطة والشعير والذرة والبُن والتي تدرّ أرباحاً كبيرة على الغرب بعد إدخالها في المعامل الانتاجية .

وتمكّن الغرب وبواسطة ما حصل عليه من المواد الأوّلية سواء المعدنية أو الزراعية أن يكون على درجة عالية من التقدّم الصناعي في مختلف مناحي الحياة العسكرية والمواصلات والكهربائية وازدادت مصانع انتاج الأسلحة والتي كانت تذهب بالدرجة الأُولى إلى العالم الإسلامي لتستخدم في قتل المسلمين سواء في معارك الدول الإسلامية بعضها مع البعض الآخر أو في معارك الحكومات الظالمة مع شعوبها . وهكذا خسر المسلمون مرتين ، مرّة عندما استولت الدول الاستعمارية على مواردهم الزراعية والمعدنية ومرّة أُخرى عندما دفعوا أموالهم لشراء نتاج مصانع الغرب وهي بالطبع آخر مبتكرات الأسلحة الفتّاكة .

وماذا أعدّ المسلمون في مقابل هذه السياسة المدمّرة التي تنتهجها الدول الاستعمارية ضدّ المسلمين ؟ وهل يمكن بدون التوسّل بالأسباب

أن نقف قبال هذا التدمير المتواصل ؟

فالأنبياء الذين انتصروا على أعدائهم وجدوا السبل في الأعوان وما شابه ، أمّا الذين لم يجدوا هذه السبل فكان مصيرهم الشهادة . بالرغم من أنّ الشهادة نفسها هي انتصار .

إذن لابدّ من العمل الجادّ ، والأخذ بأسباب القوّة فهي وحدها القادرة على مواجهة الأعداء .

يقال : إنّ الدولة الصفوية قد تعرّضت إلى عملية غزو أجنبية وكان ملكها يومذاك هو السلطان حسين ، فعندما سئل السلطان حسين عمّا أعدّه من الجيوش والتجهيزات والمعدّات العسكرية لمنازلة الجيش المعتدي .

قال السلطان : طلبت من الجماعة أن يقرؤوا آية : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ﴾[1] عشر مرّات بعد الصلاة ؟ وماذا كانت الحصيلة ياترى ؟

لقد انهزم السلطان حسين لأنّه لم يعدّ العدّة الكافية للحرب .

نحن لا ننكر أثر الدعاء وقراءة القرآن في صنع الانتصار ، وهذا أثر مقرّر في القرآن الكريم حيث ورد : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[2].

وقال أيضاً : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

لكن هل أمرنا الله سبحانه وتعالى بالدعاء وحسب ؟

---

(١) سورة النمل : الآية ٦٢.

(٢) سورة الفرقان : الآية ٧٧.

(٣) سورة غافر : الآية ٦٠.

أما يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1].

وقال أيضاً : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[2].

وقال أيضاً : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[3].

وقال أيضاً : ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾[4].

وقال أيضاً : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5].

وقال أيضاً : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[6].

وقال أيضاً : ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[7].

وقال أيضاً : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[8].

وقال أيضاً : ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[9].

وقال أيضاً : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[10].

ولا غرو في ذلك ، فأوّل كلمة نزلت من السماء إلى قلب نبيّنا

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠.

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٦.

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٥.

(٤) سورة الكهف : الآية ٨٩و٩٢.

(٥) سورة الطور : الآية ٢١.

(٦) سورة الملك : الآية ١٥.

(٧) سورة التوبة : الآية ٤١.

(٨) سورة النجم : الآيات ٣٩ـ ٤٠.

(٩) سورة التوبة : الآية ١٠٥.

(١٠) سورة العنكبوت : الآية ٦٩.

محمّد ﷺ هي كلمة ﴿اقْرَأْ﴾[1] وهي أمر بإنجاز العمل .

وأمام هذا الكمّ الهائل من الآيات القرآنية ، وأمام السيرة العطرة للرسول الأكرم محمّد ﷺ وأهل بيته البررة لا يسعنا إلّا وأن نشمّر سواعد العمل ، ونحمل أدوات البناء لنقف بصلابة المؤمنين أمام الزحف الكافر .

وسبيلنا في ذلك هو القوّة المتمثّلة بالمرجعية الدينية . لا نقول أنّ الطريق طويل ، وأنّ الأعداء كثيرون ، وأنّ المرجعية صغيرة في حجمها في قبال جبهة وسيعة من الكافرين .

لا نقل هذا الكلام لأنّ النار كلّ النار من مستصغر الشرر ، فالبحار الواسعة تكوّنت من قطرات صغيرة .. تجمّعت وتجمّعت فصنعت هذه البحار .

والصحاري الشاسعة تكوّنت من ذرّات الرمال الصغيرة التي بتجمّعها كوّنت هذه الصحاري .

ونحن بتجمّعنا نصبح قوّة هائلة ، قوّة لا يستطيع أحد الوقوف قبالها بإذن الله سبحانه وتعالى . وقد وعد الله المؤمنين أن يجعلهم خلفاء في الأرض ويرثهم كلّ ما عليها ويجعل ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[2]، وما ذلك على الله بعزيز . و ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة العلق : الآية ١.

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٠.

(٣) سورة يوسف : الآية ٨٧.

وليس ما نقوله مجرّد كلمات بل هناك شاهد جلي على ما نقوله وتجربة رائدة على مواجهة قوى الكفر تمثّلت بالمرجعية الدينية .

وكنت قريباً من الذين ساهموا في بناء المرجعية منذ عهد المجدّد الحاج السيّد محمّد حسن الشيرازي « قدّس الله سرّه » .

وكان لي شرف المساهمة والعمل في ظلّ المرجعية الدينية التي ابتدأت بوفاة العلمين الكبيرين السيّد أبو الحسن الأصفهاني ﵀ والحاج السيّد حسين القمّي ﵀ ، واستمرّت هذه المساهمة حتّى كتابة هذه السطور .

وقد خاضت المرجعية الدينية خلال عمرها الطويل غمار الصراع العنيف ضدّ أعداء الإسلام وتصدّت لمختلف قضايا الأُمّة الإسلامية ، وحملت المسؤولية الدينية والسياسية والاجتماعية وحتّى الاقتصادية في بعض الأحيان ، وكان لها دور رئيسي في قضايا إسلامية عديدة وقعت حوادثها في ايران والهند وفلسطين والباكستان والعراق .

وقد كان لبيت الوالد « رضوان الله عليه » دور مهمّ في صنع القرارات واتّخاذ المواقف منذ ثورة التنباك وحتّى القضايا الأخيرة ومروراً بثورة العشرين في العراق .

وكم كنت أتمنّى معاصرة تلك الحقبة المهمّة من التاريخ الإسلامي التي شهدت بزوغ النهضة الإسلامية ضدّ الكفر العالمي بقيادة المرجعية الدينية .

وإذا لم يحالفني الحظّ ولم أكن يومذاك ، فقد حالفني الحظّ في مرافقة عدد لا بأس به من المراجع ممّن كان لهم دور مهم في هذه القضايا ، واستفدت الكثير من تجاربهم وأخذت الكثير من خبراتهم .

وقد أوجدت لدي هذه المعاشرة الدؤوبة لأرباب الحلّ والعقد مخزوناً من التجارب والخبرات في مضمار المرجعية كنت أُفكّر دائماً بتدوينها

على الورق حفظاً عليها من الضياع بسبب النسيان هـذا أوّلاً . ولتـقديم بعض الفائدة لمن يخوض غمار هذا العمل المقدّس ثانياً . ولتعميم هـذه المعلومات على من يريد الإطّلاع باعتبارها أصبحت جزءاً من التـاريخ ثالثاً .

لهذه الأسباب ولأسباب أُخرى خرج هذا الكتاب ليصبح بين يد القرّاء الكرام .

أملي في ذلك هو كسب رضى الله تبارك وتعالى بتقديم بعض الأفكار في مجال هذه المؤسّسة الهامّة التي تتحمّل اليوم مسؤولية الدفاع وإدارة شؤون الأُمّة الإسلامية .

أرجو من الله سبحانه وتـعالى أن يـجعله نـبراساً فـي طـريق الحـقّ والحقيقة إنّه نعم المولى ونعم النصير .

ثمّ يبدأ الفصل الأوّل من الكتاب تحت عنوان

(المرجع وبناء الذات)

يكتب ﷺ في العناوين التالية :

(١) الخشية من الله سبحانه

على المرجع الديني باعتباره وكيلاً عن الإمام المعصوم في إسعاد الناس في الحياة الدنيا والآخرة ، عليه أن يتحلّى بالخشوع والخشية من الله تعالى ، وبغير الخوف من الله سبحانه وتعالى لا يمكنه أن يكون سبباً لإسعاد الناس .

لأنّ إسعاد الناس بحاجة إلى الإخلاص ، وتغليب المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة ، وهذه غير قابلة للتحقّق بدون الخشية والخوف من الله تبارك وتعالى .

كما وأنّ سَوْق الناس إلى الله تعالى سَوْقاً صحيحاً ، لا يتمّ إلّا مع المعرفة الكاملة بالله سبحانه وتعالى ، والمعرفة الكاملة تلازم الخوف ، فهما صنوان لا يفترقان .

والعدالة هي شرط من شروط الفقيه ، وبها يصبح جامعاً لشرائط التقليد[١]. والعدالة[٢] تحمل في طيّاتها مضمون الخوف والخشية

---

(١) وقد ذكر السيّد اليزدي في كتابه العروة الوثقى المجلد الأوّل : ص١١ ـ ١٢ في مسألة ٢٢ ما يلي : يشترط في المجتهد أُمور : البلوغ العقل والإيمان والعدالة والرجولية والحرّية على قول وكونه مجتهداً مطلقاً والحياة ... الخ .

من الله تعالى. والخشية على درجات ، درجة منها بأن يرى الإنسان ربّه في قلبه ، حاضراً أمامه في كلّ حركة وسكنة ، وأن يعلم أنّه مجزي بعمله من الصغائر من الأُمور ، وأنّه محاسب بكلّ لحظة عين ، وحركة شفة ، ونبضات قلب ، قال تعالى :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[1]. لأنّ المؤمن يحيى بالخوف والرجاء ، وهما ركنا الإيمان الصادق الذي يبعث على التوكّل والعمل الصالح .

وأفضل وسيلة للتدريب على الخشية هو التفكير المستمر بالموت ، والقبر ، وتذكّر الآخرة وما سيؤول إليه مصيره في ذلك العالم .

ليتذكّر الإنسان مصيره في قبره وهو وحيد فريد ، لا يملك من مال الدنيا سوى قطعة الكفن .

وليتذكّر الإنسان أنّه رهين عمله ، وأنّ أعماله ستُعرض في الآخرة أمام الملأ ، فما يخبّئه الإنسان سيظهر إن آجلاً أو عاجلاً .

وكان والدي ﷺ يقول لي دائماً : « كُن بحيث إذا نُشِر عملك أمام الناس، لا يكون فيه ما يخجلك » [2].

ومن أساليب تقوية الخشية المواظبة على العبادة والطاعة ، وأداء

---

(٢) وقد عرّف صاحب العروة الوثقى العدالة في المجلّد الأوّل : ص١٢ في مسألة ٢٣ « العدالة عبارة عن ملكة إتيان الواجبات وترك المحرّمات وتعرف بحسن الظاهر الكاشف عنها علماً أو ظنّاً ، وتثبت بشهادة العدلين وباتّباع المفيد للعلم » .

(١) سورة الأنفال : الآية ٢ .

(٢) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

الصلوات المندوبة وخصوصاً صلاة الليل ، وقراءة القرآن ، وزيارة المقابر، بشرط أن يتحقّق الإخلاص في هذه العبادات ، فالإخلاص يجعل قلب المؤمن في حالة حضور دائم ، يعي ما يفعل ، ويفهم ما يقول أثناء العبادة .

ومن وسائل تعميق الخشية هو البكاء وإسالة الدموع ، وهناك ساعات يستعدّ فيها الإنسان للبكاء ، وهي ساعات انتصاف الليل ، حيث تحيا في أعماق الإنسان المشاعر الخيّرة ويستيقظ فيه الضمير والوجدان .

كذلك لابدّ من اختيار المكان المناسب لإسالة الدمعة ، وهو أعماق الصحاري المقفرة ، حيث لا يجد الإنسان إلّا نفسه وعمله ، فيبكي إن كان سيّئاً ، لأنّه سيلاقي ربّاً سيحاسبه على كلّ صغيرة وكبيرة .

كما وأنّ للموعظة أثرها الكبير في زرع الخشية ، وأفضل موعظة هي ملاحظة أحوال الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، والتدبّر في مواعظهم التي ذُكرت في كتب كثيرة منها : الكافي للكليني رحمه الله والمحاسن للبرقي رحمه الله وبحار الأنوار للمجلسي رحمه الله وجامع السعادات للنراقي رحمه الله ، وكذلك نهج البلاغة حيث ضمّ عدداً كبيراً من المواعظ والحكم المؤثّرة .

(٢) التربية الروحية

المرجع باعتباره الرجل الرائد في المجتمع ، وعلى الناس الاقتداء به ، فلابدّ له من اهتمامه بنفسه ، والعناية بالجانب الروحي ، فعليه الإكثار من قراءة القرآن الكريم ومن الأدعية ، كذلك التوسّل بالأئمّة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين» ، خصوصاً ولي الأمر « عجّل الله فرجه » ، فإنّ المرجع وكيل ونائب عن الإمام المهدي عليه السلام والإمام « صلوات الله عليه وسلّم » يعلم ويرى وهو حي حاضر ، فكيف لا يستمدّ المرجع منه

وهو وكيله عليه السلام فهو الوسيلة إلى الله سبحانه ، وبه تُقضى الحوائج ، وتُرفَع النوائب .

وعلى هذا ينبغي أن يكتب المرجع إليه عليه السلام العرائض[1] في المهمّات الصعبة ليستمطر شآبيب لطفه في المعضلات ، فإنّه لا يخيّب سائله .

(٣) الزهد

من اللازم للمرجع أن يكون زاهداً في الحياة راغباً في الآخرة ، ويكون القبر والموت نصب عينيه ، فإنّ الزهد من أكبر العوامل التربوية الدافعة إلى العمل الصالح ، والتي تجعل الإنسان في دروب الحقّ وعاملاً في سبيل الله سبحانه وتعالى .

والزهد المطلوب ليس هو الزهد الظاهري فقط ، أي التقليل من الأكل والشرب والملبس ، بل الزهد الذي ينبع من القلب .

والزهد ليس عدم التنعّم بالحياة ، فقد قال سبحانه وتعالى : **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾**[2] بل الزهد هو عدم التعلّق بالحياة الدنيا ، وعدم انغماس النفس في الشهوات البهيمية ، والاحتياط في ارتكاب المشتبهات[3] .

وبالإضافة إلى فائدة الزهد في صقل النفس وتقوية الوجدان ، فإنّه سيقنع الكثير من الناس بالالتفاف حول الدين لأنّهم سيرون ممثّله إنساناً

---

(١) للتفصيل راجع كتاب الدعاء والزيارة قسم رقاع الحاجة : ص١٠٥٦ للمؤلّف .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٢.

(٣) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

صادقاً في دعواه وإنّه يتساوى في حياته مع الفقراء ، بل يعيش عيشة أقلّ من الفقير مع أنّه يمتلك الأموال الكثيرة .

(٤) الإيجابية

يعيش المرجع في مجتمع مملوء بالسلبية ، فكان عليه تطبيق الآية : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] أي انتهاج طريق الإيجابية ومنع تسرّب السلبية إلى هذا المجتمع . فينبغي على المرجع أن يعتاد كلمة « نعم » ، قال الفرزدق في وصف الإمام زين العابدين عليه السلام :

ما قال لا قطّ إلّا في تشهّده لولا التشهّد كانت لاؤه نعم

وإيجابية المرجع تحتّم عليه أن لا يردّ بكلمة « لا » على صاحب الحاجة بل أن يكون ميّالاً لحلّ مشكلات الناس والتخفيف من معاناتهم ، فكلمة « لا » من قبل المرجع تعني سدّ الأبواب بوجه صاحب الحاجة[2].

(٥) إنشراح النفس

من المهمّ جدّاً للمرجع أن يكون دائم التبسّم ، لأنّ البسمة تعكس الحيوية ، وهي مرآة صادقة تدلّ على قوّة شخصية المرجع وأنّه لا يتأثّر بالظروف الصعبة .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٩٦ ، سورة فصّلت : الآية ٣٤.

(٢) مثلاً إذا جاء محتاج يطلب عشرة دنانير والمرجع لا يستطيع إعطاء ذلك المقدار ، فإذا أعطاه الميسور يكون بمنزلة « نعم » وهكذا إذا جاء شخص وطلب التوسّط في حلّ قضية معيّنة ، فإذا قال المرجع سأبذل جهدي لإيجاد حلّ لذلك ، بمنزلة « نعم » وهكذا .

بالإضافة إلى أنّ الابتسامة تخفّف من الضغوط الصحّية التي يعاني منها المرجع بسبب كثرة الأعمال وصعوبتها ، فإذا لم يتعوّد المرجع على الحيوية الدائمة والتبسّم وتذليل الصعوبات تنهار قواه ، ويكون دائم التجهّم والاكفهرار ممّا يتسبّب في ضعف انتاجه ، وأحياناً يوجب ذلك الركود والجمود والاضمحلال .

فمن المهمّ أن يحافظ على انبساط النفس وانشراح الوجه وابتسام الثغر، وأن يتذكّر نعم الله تعالى عليه ، وقصص العاملين الذين كانوا أكثر منه عملاً وأقلّ تجهّماً ، وليقتدي بالرسول الأعظم ﷺ الذي كان على خُلق عظيم حتّى يتمكّن من أداء مهمّته بكلّ قوّة ونشاط .

ومن أهمّ أسباب انشراح النفس التوكّل على الله سبحانه ، ومداراة الناس ، والعفو عن المسيء ، وقضاء حوائج المحتاجين ، والاستعداد للعمل الدائب ، وتذكّر ثواب الله تعالى ، والالتفات إلى امتداح الناس ، وعلى عكسه قدحهم ، وتكون النتيجة وجهاً متقطّباً متجهّماً منغلقاً .

(٦) المرجع المفكّر

يقوم العالَم المتحضّر اليوم على الفكر ، والفكر هو سلاح ماضي بأيدي الأُمم لتحقيق التقدّم في الحياة .

ومن مسؤولية المرجع باعتباره المتصدّي لأُمور الأُمّة أن يكون على أعلى مستويات التفكير ، والقدرة على إنضاج الأفكار والرؤى في مختلف الشؤون الفقهية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وما إلى ذلك .

إنّ قيادة الأُمّة بلا تفكير تعني الفشل الذريع . ومن يعطّل جهاز تفكيره تستولي عليه الحاشية ، فتسيّره بدلاً من أن يسيّرها ، وهذا هو من أخطر

ما يبلغه الإنسان ، حيث يتحوّل إلى واجهة يستفيد منها الآخرون .

وكما نحتاج إلى التفكير الدائب في مجال المرجعية ، كذلك نحن بحاجة إليها في المجالات الأُخرى .

فلا تقوم لأُمّة من قائمة إلّا بالتفكير ، ولا تقوم المؤسّسات ولا الدول إلّا عبر التفكير ، وعلى أيدي المفكّرين .

(٧) الاقتداء بسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

لمّا كان المرجع ممثّلاً عن الإمام « عليه الصلاة والسلام » وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فينبغي له أن يترجم سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في حياته العملية بالمقدار الممكن ، فإنّ تلك السيرة النيّرة من أهمّ أسباب التفاف الناس حول الإسلام ، ومن أهمّ مقوّمات التقدّم ، فإنّ الناس إنّما التفّوا حول الرسول صلى الله عليه وآله لأنّه كان حافلاً بمختلف أنحاء النشاط الإنساني الرفيع والمثل العليا والأخلاق الجميلة : في العبادة والطاعة لله تعالى ، في المعاشرة الحسنة مع الناس ، في الأخلاق الطيّبة مع عائلته ، في الكرم والعطاء ، في الشجاعة والإقدام ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في الدعوة إلى الخير والإرشاد إلى الحقّ ، في المحاربة للباطل بيده ولسانه ، في اتّصافه بالصفات الفاضلة في بناء الحياة في جميع جوانبها ، إلى غير ذلك .

(٨) سوء الظنّ بالنفس

جاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المعروف بدعاء مكارم الأخلاق : « **اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وحلني بحلية الصالحين ـ**

إلى أن يقول ـ : واستقلال الخير وإن كَثُرَ من قولي وفعلي »[1].

فعلى المرجع أن يرى نفسه دائماً مقصّراً وأنّ ما يقوم به من عمل هو قليل جدّاً في قبال المطلوب منه . وهذا هو السبيل القويم إلى التقدّم .

فعلى المرجع أن يقيس عمله بهذا الهدف الكبير والواسع ، وإلّا فإنّه سيحصر نفسه في نطاق ضيّق .

فعلى المرجع أن يكون دائم الازدراء بنفسه ، دائم التفكير في التقدّم ، دائم العمل لأجل رفع راية الإسلام وكلمة لا إله إلّا الله .

(٩) المواظبة على القلم واللسان

المرجع بعد أن يصبح مرجعاً يكون لكلّ حرف ينطق به أو يسطّره قيمة معنوية ، فكان عليه أن يزن كلماته وعباراته .

وكم من إنسان ندم على كلمة قالها ؟ لأنّها هدمت بيتاً ، وكم من إنسان ندم على كلمة لم يقلها ؟ فلو كان قد قالها لأحيا بها أُمّة .

فكثيراً ما يطلق الإنسان كلمته ، ثمّ يرى أنّها فعلت فعل الصاعقة في الهدم ، وربما يبخل بكلمة ثمّ يجد أنّه لو قالها لكان لها أكثر الأثر في الخدمة ، ولذا يجب على المرجع أن يواظب على قوله وفعله [2].

(١٠) نشر روح العزّة

العزّة شيء والاستعلاء شيء آخر . العزّة هو شعور داخلي. والاستعلاء هو سلوك خارجي .

---

(١) الصحيفة السجّادية : ص١٠٤ ، كتاب الدعاء والزيارة : ص٢١٤ للمؤلّف .

(٢) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

فبقدر ما يكون الاستعلاء المقارن للتكبّر مذموماً ، فإنّ العزّة تكون محمودة . وقد نوّه القرآن الكريم إلى هذه الخصلة الحميدة قائلاً : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالعزّة هو شعور بالترفّع ينمو في داخل الإنسان ، ويجعله غالي النفس لا يسقط في مهابط الرذيلة ، ولا يحني ظهره للباطل ، كما وأنّه يكون متواضعاً مع الناس على عكس الإنسان المستعلي الذي يصبح متكبّراً مترفّعاً فوق الناس ، يشعر بأنّه مميّز عن الآخرين .

فعلى المرجع الديني نشر هذه الفضيلة بين الناس بالأخصّ بين العاملين معه والناشطين في أجهزته المتحرّكة .

(١١) قوّة التأثير

يجب أن يكون للمرجع قوّة تأثير في الوسط الذي يعيش فيه ، وإلّا فإنّه سيكون ضعيفاً ، ولا مكان للمرجع الضعيف في مجتمعاتنا المعاصرة .

وقوّة التأثير إنّما تحصل بقوّة النفس وعلو الهمّة والإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى ، بحيث ينطبق عليه كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « عَظُم الخالق في أنفسهم فصغُر ما دونه في أعينهم »[2].

فعلى المرجع أن يسعى إلى امتلاك قوّة النفس ، وذلك بالمزيد من التفرّغ للعبادة ، والتفكير في عظمة الله سبحانه ، وأخذ العبر من حياة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، ليكون إيمانه بالله خير دعامة له في حياته ، وما لم

---

(١) سورة المنافقون : الآية ٨.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣.

يمتلك قوّة التأثير لا تكون له كلمة مسموعة في المـجتمع ، ولا يكـون مطاعاً من أحد .

ويجب أن تكون قوّة تأثيره في الحكومة والمـجتمع . فـالكلمة عـند الحكومة تنفع من جهات ، والكلمة عند الشعب تنفع من جهات أُخرى ، ولكن حذار أن تكون كلمته عند الشعب مستقاة من سلطة الحكومة التي لا تطبّق أحكام الله سبحانه ، لأنّه حينئذ سيخسر الشعب والقاعدة المؤمنة، ويصبح أمره كموظّف بسيط في هذه الدولة .

(١٢) ضريبة التصدّي

المجتمع ليس على حدّ سواء ، فحتّى في أرقى المجتمعات نحن نجد عناصر سيّئة تعيش بين العناصر الخيّرة ، كالحشائش الضارّة التي تعيش بين الزهور والورود .

فقد عادى رسول الله ﷺ الكثير من العرب ، وحاربوه ، وحتّى بعد أن دخلوا في الإسلام كانوا يحسدونه ويتحيّنون الفرص للإيقاع به .

والمرجع باعتباره شخصية بارزة في المجتمع ، فإنّ هناك الكثير ممّن يحاول الإيقاع به بسبب الحسـد والحـقد ، فـيشهرون بـوجهه ألسـنتهم وأقلامهم ، ويتّهمونه بشتّى التّهم لإبعاد الأُمّة عنه ، فكان عليه أن يتحلّى بالصبر والهدوء وعدم الإنفعال واتّخاذ ردود الفعل السريعة التي لا تـغيّر شيئاً من طبيعة الحسّاد سوى إعـطائهم المـبرّر الكـافي لشـنّ هـجومهم والاستمرار في تعنّتهم[1].

---

(١) كما أنّ ذلك يسبّب الاضطراب للمرجع .

ثمّ على المتصدّين لأُمور المرجعية أن يـرتفعوا فـوق السـلبيات وأن يكونوا بمنتهى الإيجابية ، فقد قال تعالى : **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**[1].

وقال أمير المؤمنين عليه‌السلام : « عاتب أخاك بالإحسان إليـه »[2]، وفـي دعاء الإمام السجّاد عليه‌السلام المسـمّى بـمكارم الأخـلاق : « وسـدّدني لأن أُعارض من غشّني بالنصح »[3].

ويجب أن يجعل المرجع حياة الأنبياء والأوصياء عليهم‌السلام أُسوة حسـنة لحياته ، ولتعامله مع المعتدين والحاسدين . فقد كان الأنبياء عليهم‌السلام عـلى أفضل صور التعامل مع أعدائهم [4].

---

(١) سورة فصّلت : الآية ٣٤.

(٢) قصار الحكم : الحكمة ١٥٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٣٧٨ ب ١٦٠ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص٤٢٧ ب٩٣ ح٧٦.

(٣) الصحيفة السجّادية دعاء مكارم الأخـلاق : ص١٠٣ ، كـتاب الدعـاء والزيـارة : ص٢١٣ للمؤلّف.

(٤) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط.

وفي الفصل الثاني تحت عنوان

(الجهاز المرجعي بين المسؤولية والتنفيذ)

يكتب ﷺ في العناوين التالية :

(١) جهاز المرجعية

لابدّ للمرجع أن يتّخذ لنفسه جهازاً من شخصيات معروفة بالنزاهة والعلم والشجاعة والقدرة على العمل ، ويمنحهم الثقة للقيام بالأعمال المختلفة .

فهذا الجهاز يقوم بالأدوار التالية :

أوّلاً : يعتبر الرابط بين المرجع والناس الموجودين في أماكن متباعدة .

ثانياً : يشير على المرجع بما يهمّ المسلمين من القضايا المختلفة .

ثالثاً : يُسدي العون والمساعدة للمرجع للقيام بأعماله ، والتي بدونه من الصعب القيام بها .

وإذا كان المرجع يريد أن يظلّ أفراد الجهاز المرتبط به متوافقين معه ، فعليه أن يقوم بهذه الأُمور :

١ ـ رعايتهم ليس في الجانب المادّي فقط ، بل من الناحية النفسية والروحية أيضاً .

٢ ـ محاسبتهم إذا ظهر منهم الخطأ أو ارتكب أحدهم عملاً مشيناً .

٣ ـ إقناعهم بالقرارات التي يتّخذها ، حتّى يكونوا على أهبّة الاستعداد النفسي والعقلي لتطبيقها .

(٢) مراقبة تصرّفات الحاشية

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **« من فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء فإنّه لو غصّ بغيره لأساغ الماء غصّته »**[١]. ففساد البطانة سيتسبّب في فساد كلّ شيء ، ويموت الأمل حينئذ في الإصلاح .

والبعض يُبتلى بحاشية ليست بالمستوى اللائق ، فتسبّب الأذى للناس، وبالتالي تسبّب النفور لديها .

فلابدّ للمرجع من أن يراقب من حوله ، ويعمل على إصلاح ما يظهر من مفاسد الحاشية ، كما نجد ذلك في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث كان مضطراً إلى تحمّل بعض المسلمين ، فإن ظهر منهم الفساد أخذ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بإصلاح ما أفسدوه ، كما يجد الإنسان مثالاً لذلك في قوله تعالى : **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾**[٢]. أو **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾**[٣] حيث وردت في رجل من بني أُميّة عندما تجهّم وجهه من رؤية الأعمى[٤].

ولمّا لم يكن بمقدور المرجع أن يدير الأُمور بلا حاشية ، كما وإنّه لا يستطيع أن يطلق لها العنان لتفعل ما تريد ، فعليه إذن واجب إصلاح هذه الحاشية بالشكل الذي يقلّل من ضررها ، والتوسّط في الأمر ، ومراعاة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢٠ ص٣٠٨ ب٥٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ٩٤.

(٣) سورة عبس : الآية ١ .

(٤) في حضور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

الجانبين بكلّ دقّة واتقان [1].

(٣) المشورة في الأُمور المصيرية

صنّفنا الأُمور التي تعترض المرجع إلى نمطين ، الأوّل : أُمور ذات جانب فردي ، فيستطيع المرجع أن يتفرّد في اتّخاذ القرار بشأنها ، ومن ثمّ يقوم بتنفيذها .

أمّا الأُمور العامّة التي لها جانب جماهيري كالسلم والحرب وما أشبه ، فلابدّ من استشارة أهل الحلّ والعقد والخبراء فيها ، استناداً للآية الكريمة : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [2].

فالمشورة ضرورية ، لأنّها عملية لتجميع آراء العقلاء ، وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « ما ضلّ من استشار » [3].

وقال عليه السلام أيضاً : « من استبدّ برأيه هلك » [4].

فالهلاك يأتي من ناحية أنّ أي عمل يكون عرضة للفشل إذا كان ناتجاً عن رأي واحد ـ في كثير من الأحيان ـ بخلاف العمل النابع عن آراء عدّة عقلاء ، فهو عرضة للنجاح أكثر .

ويجب أن يمتلك المرجع مقياساً يستطيع من خلاله أن يفرز الأُمور

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٤٤٢ ، وفي حديث آخر « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار » وسائل الشيعة : ج٨ ص٧٨ ب٥ ح١٠١٢٥ .

(٤) قصار الحكم : الحكمة ١٦١ ، غرر الحكم ودرر الكلم : ص٤٤٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٣٨٢ ب١٦٣ .

التي هي بحاجة إلى المشورة عن تلك الأُمور التي لا تحتاج إلى ذلك .

ثمّ على المرجع أن يستشير أصحاب الخبرة ويزن آراءهم ويأخذ بالرأي الأصوب [1].

(٤) النقد البنّاء

ليس هناك من لا يخطأ إلّا المعصوم عليه السلام ، فالبشر موصوف بالخطأ ، وحتّى لو تسامىٰ الإنسان في الملكات الرفيعة وفي الأخلاق السامية ، فإنّه عرضة للخطأ .

فكان لابدّ للمرجع أن يصغي بنفسه إلى جميع ما يوجّه إليه من النقد ، سواء كان هذا النقد يستهدفه أو يستهدف جهازه من الوكلاء والخطباء والمؤلّفين ومن أشبه ممّن يدور في فلكه ، فالإصغاء المستمرّ إلى النقد ، ومحاولة تفادي بعض الأخطاء التي يمكن تفاديها ، يوجب إصلاح المرجع وإصلاح جهازه . بينما عدم التفات المرجع إلى صوت الناقدين المخلصين سيوجب تراكم الأخطاء ، وأحياناً يتسبّب ذلك في انحراف الجهاز ، الأمر الذي سيؤدّي إلى انحراف الناس . وهذا لا يعني أنّ كلّ ما يوجّه إلى المرجع أو حاشيته من نقد هو حقّ يجب الإصغاء إليه والاعتناء به ، فبعض هذه الانتقادات لا أساس لها ، وإنّما هي أوهام ، لكنّ هناك نقداً ينطلق من قلب إنسان صادق ، وهذا هو النقد البنّاء الذي يجب الاستماع والإصغاء إليه ، لأنّه سيكون طريقاً إلى تقدّم المرجعية ، وبالتالي وسيلة إلى تقدّم الإسلام والمسلمين .

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أُخرى ، المرجع الذي يستمع إلى النقد سيرتفع عن صفة الاستبداد بالرأي وعدم الاعتناء بآراء الآخرين . وسيتّصف بصفة أخلاقية هي من صميم الإسلام ، وهي احترام آراء الآخرين والاعتناء بما يقولون عندما يكون ذلك بنّاءً .

(٥) مراقبة أحوال الوكلاء

يعمل المرجع عبر شبكة وسيعة من الوكلاء المنتشرين في مختلف مناطق العالم ، وهم يعتبرون سفراء المرجعية الدينية والممثّلين عن علماء الدين ، فكان رصد تحرّكهم وأعمالهم غاية في الأهمية ، فكان من مسؤولية المرجع مراقبتهم مراقبة شديدة ، ماذا يعملون ؟

وكيف ومتى ؟ وماذا يحتاجون ؟

وما هو رأي الناس فيهم ؟

وكيف يديرون الأُمور ؟

إذ أنّ مراقبة المرجعية لوكلائها وتأمين احتياجاتهم وإلفاتهم إلى نقاط ضعفهم هو من أهمّ عوامل التقدّم في المجتمع .

وتتوقّف المعالجة على حكمة المرجع ، وكيف يتمكّن من إصلاح الموقف بطريقة ذكية ؟ بحيث لا تفسد المعالجة الوضع وتزيد في الطين بلّة [١].

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

(٦) أخطار التزوير

لأنّ المرجع في الصفّ الأوّل من الأُمّة ، ولأنّ منزلته كبيرة عند الناس ، فإنّه عرضة للتزوير على أيدي المصلحيّين والنفعيين .

فهناك جملة أُمور هي عرضة للتزوير ، منها : الإمضاء ، الختم ، الخطّ ، الرسائل ، الفتاوى ، حديثه المسجّل ، صوره بطريقة المونتاج .

فلابدّ للمرجع أن يكون يقظاً لأنّ الحذر المستمر يفوّت الفرصة على الأشرار الذين يريدون أن يتّخذوا من المرجع كواجهة وكسبيل لتحقيق أغراضهم السياسية والمالية ، وما شابه ذلك .

أمّا موقف المرجع من التزوير ، فهنالك نوعان من التزوير :

أوّلاً : التزوير الضئيل الذي ليس وراءه ذيول ولا يترك آثاراً على المجتمع . كالذي يزوّر رسالة من المرجع لحاجة مالية محدودة ، مثلاً عشرة دنانير ، أو الحصول على وظيفة ، أو قطعة أرض ، فإذا اطمأنّ المرجع إلى أنّ هذا الشخص لن يعود مرّة أُخرى إلى تكرار هذا العمل ، وأنّه ارتكب هذا العمل نتيجة الحاجة ، فإنّ الأفضل له أن لا يشهّر به .

ثانياً : التزوير الكبير ، عندما يكون وراء هذا التزوير غاية سياسية أو اجتماعية معيّنة ، كأن يستفاد من ختم المرجع في الطعن بشخص مصلح يخدم المجتمع أو التعريض بجهة دينية بقصد إسقاطها ، فإنّ هذا العمل من الكبائر ، فيجب الوقوف قبالها والإشهار بها ، وتنبيه الناس حتّى يعرفوا الحقيقة[١] .

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

(٧) العلماء السابقون

مسؤولية تكريم العلماء الأقدمين هي في عهدة المرجع ، فكان لابدّ من تنفيذ برنامج متكامل بخصوص هؤلاء العلماء يتضمّن ما يلي :

١ ـ تعمير أضرحتهم ، ولو أمكن جعلها مدارس ذات مكتبات كان أفضل .

٢ ـ تبنّي تأليف الكتب المستقلّة حولهم وحول مواقفهم وتضحياتهم لأجل الدين وخدماتهم للناس ، ولتكن الكتب نابضة بالحياة والحيوية .

٣ ـ حثّ الناس لزيارة مراقدهم ، والاستفادة من سيرتهم .

٤ ـ وحثّ الناس على إحياء تآليفهم المخطوطة ، بعد جمعها من هنا وهناك .

٥ ـ النشر عنهم في وسائل الإعلام ، كالصحف والإذاعات وما أشبه .

٦ ـ احترام أولادهم وذرّيتهم إذا كان لهم أولاد وذرّية ، وهداية من شذّ منهم إلى جادّة الصواب .

٧ ـ تحويل الدور التي كانوا يسكنون فيها إلى مدارس أو مكتبات أو مساجد .

٨ ـ تسمية الشوارع والمحلات وغيرها بأسمائهم .

٩ ـ إقامة الاحتفالات بمناسبة ذكراهم .

١٠ ـ التوسّط عند السلطات لإخراج طوابع بريدية تحمل صوراً تذكارية لهؤلاء العلماء إن لم يكن في ذلك محذور .

وهذه الأُمور وغيرها فيها خدمة للعلم والدين وحثّ للتخلّق بأخلاق العلماء وانتهاج سبيلهم .

(٨) جبهة الدفاع

لابدّ للمرجع من جبهة دفاع قويّة ، إذ أنّ أعداء الإسلام ، نظّموا أنفسهم في جبهة واسعة ، وأصبحوا يهاجمون الإسلام بصورة منظّمة ومركّزة ، وإذا لم يشكّل المرجع جبهة في المقابل ، فإنّ عمله سينهار في أوّل مواجهة بينه وبين جبهة الكفر .

والتهجّم على المرجع هو أحد أساليب المواجهة التي يمارسها الأعداء، وهو أمر مهمّ ، لأنّ التهجّم على المرجع من قبل الفئات الضالّة يعني النيل من الإسلام والمسلمين ، وقد ورد في الحديث : « والرادّ عليهم كالرادّ على الله »[1] والردّ عليهم بهذا المعنى أي رفضهم والنيل منهم، لأنّ النزاعات الشخصية لا قيمة لها في المعايير الإسلامية .

ويجب على المرجع أن يقوّي جبهته الدفاعية بحيث تصبح بالمستوى اللائق من الناحية الكمّية والنوعية ، مثلاً : إذا كان الهجوم ذا جبهات يجب أن يكون الدفاع كذلك ، وإذا قاد الهجوم طلّاب وعمّال وموظفون يجب أن يشكّل المرجع جبهة من الطلّاب والعمّال والموظفين ليردّ الاعتداء ، وهكذا .

(٩) أجوبة المسائل الشرعية

تَرِد المرجع مسائل كثيرة ومن مختلف أنحاء العالم ، وهي مسائل

---

(١) عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : « أرأيت الراد على هذا الأمر كالراد عليكم : فقال ياأبا محمّد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله وعلى الله عزّوجلّ » وسائل الشيعة : ج١ ص٣٨ ح٥٩ ب٢ ، وقريب من هذه الألفاظ في بحار الأنوار : ج٢٧ ص٢٣٨.

يُبتلى بها ، فكان من الضروري الإجابة عليها ، وإيصال هذه الأجوبة إلى السائلين وغيرهم .

ويمكن إصدار نشرة شهرية تتضمّن هذه المسائل وأجوبتها أوّلاً بأوّل[1].

ومن المحبّذ أن تجمع المعلومات المختلفة في كتاب يضمّ بين دفّتيه الرسائل التي تصل المرجع، والمتضمّنة للقضايا المهمّة التي تعيشها الأُمّة الإسلامية .

ومثل هذا الكتاب سينير الطريق للآخرين ، وسيفتح الأذهان والعقول على ما يحيط بالعالم الإسلامي من قضايا ، وهي خدمة كبرى يسديها المرجع لأبناء الأُمّة الإسلامية .

(١٠) هل هناك تناقض في حياة المرجع ؟

كثيراً ما يظنّ بالمرجع أنّه يتناقض في حياته ، وذلك لأنّه يفعل أحد المتشابهين ، ويترك الشبيه الآخر ، أو يقول في مكان شيئاً ، ويقول في مكان آخر خلافه ، ولو تمعّنا في عمق القضية لما وجدنا هناك أدنى تناقض .

ورؤية الناس للتناقض في أعمال المرجع وأقواله من أكبر أسباب النقد والاتّهام ، فعلى المرجع أن يلاحظ هذا الجانب بدقّة واهتمام بالغين ، حتّى لا يرى الناس ذلك ، إمّا ببيان الأسباب والدواعي التي أوجبت الاختلاف ،

---

(١) ويمكن أيضاً الإجابة عليها عبر الأجهزة الحديثة كالانترنيت حيث يمكن استحداث برنامج يتضمّن أجوبة المسائل الفقهية ، وحتّى غير الفقهية ، لأنّ في نشرها فائدة جمّة .

وإمّا بالتقيّد بأن يبيّن طرفي المسألة ـ مثلاً ـ لكلّ من الشخصين ، وكذلك يترك أحد العملين الموجب لرؤية المناقضة في أعماله أو ما أشبه ذلك .

(١١) الأهمّ ثمّ المهمّ

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « من انشغل بالمهمّ ضيّع الأهم »[١] والإمام بهذه العبارة القصيرة يضع أمام العاملين والمدراء والزعماء والقادة وعلى رأسهم المرجع قاعدة هامّة جدّاً ، لو طبّقها العاملون لنـجحوا فـي أعمالهم ، وهذه القاعدة هي الاهتمام بالأهمّ وعدم الانشغال بالمهمّ إذا كان هناك أمر أهم .

فعلى المرجع أن يضع قائمة أعماله على أساس الأهم ثمّ المهم ، وعلى أساس هذا الترتيب يقوم المرجع بالتصدّي للأعمال الأهمّ ويترك الأعمال الأُخرى التي تقلّ أهميّتها إلى أعوانه .

(١٢) تنظيم المالية المرجعية

المرجع هو المسارع إلى تنظيم شؤونه لأنّه الأولى باتّباع وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **ونظم أمركم** »[٢].

فعليه أن يضع حساباً لكلّ شيء :

١ ـ كم من الطلّاب يحتاجهم في مجال الدراسة والعمل ؟

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٤٧٧ وفيه (من اشتغل بغير المهمّ ضيّع الأهم) .

(٢) من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبنائه بعد أن ضربه الخارجي عبدالرحمن بن ملجم ، انظر نهج البلاغة : الكتاب ٤٧ .

٢ ـ كم من المال يكفي لتغطية نفقات هذا العدد من طلاب العلوم الدينية ؟

٣ ـ كم من الأموال تدخل إليه بمختلف العناوين كالخمس والزكاة والنذور وما أشبه ؟

وبعد أن يحسب هذا الحساب ، سيعرف ما إذا كان هناك نقص ما ، أو أنّ هناك فائضاً من الأموال .

(١٣) التقسيم العادل للمال

تتجمّع الأموال عند المرجع سواء من مصدر الحقوق الشرعية أو من التبرّعات أو غيرهما ، فمن اللازم حساب مقدار الأموال المجتمعة ومن ثمّ يتمّ توزيعها على مختلف المشاريع الإسلامية بشكل عادل .

وفي الفصل الثالث تحت عنوان

(المرجع وإدارة الأمور)

يكتب ﵀ في العناوين التالية:

(١) التركيز في العمل

من الأُمور التي ينبغي للمرجع التوجّه إليها هو بناء قوّة في المركز وتركيز العمل فيها لئلّا تقع في إطار الشكلية ، فالتركيز مهمّة صعبة إلّا أنّها تأتي بنتائج إيجابية .

وبالتركيز يتحوّل المركز إلى أداة قويّة للتغيير الثقافي والاجتماعي ، والتركيز يجب أن يكون في الكمّ والكيف معاً .

فعدد المدارس وعدد المساجد وعدد المنشآت والمؤسّسات الخيرية المتعلّقة بالمركز يمثّل جانباً من جوانب القوّة ، لأنّها تشكّل كمّاً ملفتاً للأنظار .

لكن يجب أن لا يقتصر التركيز على الكمّ وحسب ، بل يجب التخطيط لتطوير المركز في الجانب الكيفي أيضاً ، وذلك بالاهتمام بالتربية والبناء ، تربية الطلّاب وبناء الخطباء والمؤلّفين والعلماء والمبلّغين .

فإذا كان المركز قويّاً كان الانطلاق سهلاً والتبليغ ممكناً ، وإلّا فالمركز يبقى ضعيفاً لا يستطيع أن يحمي نفسه ، فكيف يتمكّن من حماية الآخرين .

ويجب أيضاً تطهير المركز من السلبيات ، وتصفية عوامل الفرقة والتشتّت ، وأسباب الانحرافات والمنكرات .

(٢) السماحة شرط أساسي

يتّصف الإسلام بالسماحة ، فقد أنزل الله سبحانه شريعته سمحاء حنيفية، وهناك قاعدة يأخذ بها الفقهاء وهي قاعدة « اليسر »[١].

واستناداً لهذه القاعدة ، فإنّ الناس يتوقّعون من المرجع أن يكون سهلاً وسمحاً ولا يكون صلباً في بعض المواطن .

(٣) المرجعية القائمة على المؤسّسات

ينبغي تنظيم شؤون المرجعية تنظيماً يضمن لها الاستمرار والبقاء لمدّة طويلة من بعده .

فإذا أتى المرجع الثاني من بعده استطاع بسهولة تامّة إدارة أُمور المرجعية لأنّه سيجد وضعاً منظّماً لا يكلّفه سوى مواصلة الطريق الذي بدأه المرجع الذي سبقه .

وهكذا تسير المرجعية إلى الأمام دون تعثّر ، لأنّ كلّ مرجع يأتي ليرى كل شيء قد رتّب ترتيباً جيّداً بحيث لا عليه سوى إضافة ما يمكن إضافته إلى المؤسّسة المرجعية .

(٤) استثمار الطاقات المعطّلة

يواجه عالم الدين مجتمعاً فيه طاقات هائلة ، ولأسباب مختلفة ، بعض هذه الطاقات تهدر في اللّا شيء أو أنّها تجمّد دون أن تستثمر الاستثمار المناسب ، فكان على العالم مسؤولية كبيرة في استثمار هذه الطاقات

---

(١) للمزيد يراجع كتاب القواعد الفقهية للمرجع الشيرازي ﷺ.

والاستفادة منها لتكون في خدمة المجتمع .

فكم من مؤلّف ضاع في وسط الزحام لسبب أو لآخر ؟

وكم من خطيب ناجح انعزل في هذا المجتمع لسبب وآخر ؟

وكم من مدرّس مبدع ترك مجال التدريس وأُخلد إلى السبات في بيته لسبب أو لآخر ؟

وكم من عامل في الحقل الإسلامي ترك العمل لسبب أو آخر ؟

فكان على العالم باعتباره المسؤول عن المجتمع انتشال كلّ هذه الطاقات المهدورة ، ووضعها في مكانها اللائق .

وعليه أن يأخذ بيد المؤلّف ويفسح المجال أمامه لكي يمارس عمله الثقافي .

وعليه أن يأخذ بيد الخطيب ويضعه في مكانه المناسب ، ويدفع المجتمع إلى الاستفادة منه .

وعليه إخراج المدرّس من بيته ووضعه في قاعة الدرس ليمارس دوره في الحياة .

كما وأنّ عليه إعادة العامل في الحقل الإسلامي إلى عمله .

ولا يتحقّق للعالم هذا الأمر إلّا بتشكيل عدّة لجان تقوم بأداء الخدمات الضرورية .

(٥) قبول الناس

هناك درس كبير نستخلصه من السيرة النبوية ، وهو أنّ رسول الله ﷺ كان يقبل إيمان الناس ولا يحاسبهم على ماضيهم ، فالذي كان يشهد الشهادتين ويعلن إسلامه كان يقبل منه ذلك ، وكان شعار المسلمين الآية

الكريمة : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[1].

وكان رسول الله ﷺ يكرّر : « الإسلام يجبّ ما قبله »[2]، وقبول الناس وعدم رفضهم هو الطريق الأرحب لإدخالهم في الفضيلة والتقوى والإيمان والهداية ، أمّا الانسياق وراء الشبهات ، وملاحظة سوابق الناس ، والتشكّك في إخلاص المقبلين ، والاستماع إلى أقوال من تلبّس بلباس النصح ـ وإن كان مخلصاً في نصحه ـ لطرد الناس ، وسوء الظنّ بمن أقبل، وما أشبه ذلك ، فلا تكون نتيجتها سوى التأخّر والتقهقر .

وعلى فرض أنّ فلاناً كان ذا ماضٍ أسود ثمّ ماذا ؟

فهل سنعمل على إبقائه على ما كان عليه من السوء ، أو ننتشله من مواطن السقوط ؟

ولنحتمل أنّ فلاناً نشكّ في إخلاصه حين أقبل .. ثمّ ماذا ؟ فهل من الأفضل أن نبقيه في الجبهة المقابلة ، أو أنّ الأفضل أن نتقبّله على ظاهره ، وليكن باطنه ما كان ؟

والبعض يتساءل عن علّة قبول رسول الله ﷺ لأبي سفيان ومروان بن الحكم ؟ في الجواب نقول :

أوّلاً : إذا كان رسول الله ﷺ يريد أن يرفض أبا سفيان ومروان استناداً لعلمه ببواطن الأُمور ، فإنّ عليه أن يرفض الكثير ممّن دخل الإسلام وكان يعلم بما في نفوسهم ، عند ذلك من سيبقى في دائرة الإسلام إذا كان الكثيرون معرضين للرفض .

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٤.

(٢) غوالي اللئالي : ج٢ ص٥٤ ح١٤٥.

ثانياً : دخول هذه العناصر التي كانت سيّئة في ماضيها إلى الإسلام ، سيمنح الكثير منها فرصة للتغيير ، كما أنّ الكثير من المسلمين الذي كانوا سيّئين في الجاهلية تربّوا في أحضان الإسلام ، وأصبحوا مجاهدين بعد أن كانوا أشراراً وأفّاكين . فوجود العناصر المنحرفة في الوسط الصالح سيغيّر الكثير منهم إلى الصلاح .

ثالثاً : إنّ طرد أمثال أبي سفيان سيجلب الضرر أكثر من النفع ، لأنّ وجودهم في صفّ المسلمين سيجعل ضررهم بدرجة أقلّ ممّا لو كانوا في صفّ الأعداء ، فهل من العقل أن نترك الأقل ضرراً ونأخذ بالأكثر ضرراً ؟

(٦) تكوين الجمعيات

من الأعمال الضرورية التي يجب أن يقوم بها المرجع الديني ، إنشاء الجمعيات في مختلف الشؤون والأبعاد ، منها :

١ ـ جمعية لنشر القرآن وحفظه في البلاد .

٢ ـ جمعية لتعليم الناس الأحكام الشرعية .

٣ ـ جمعية ثقافية تقوم بالأعمال التثقيفية .

٤ ـ جميعة لعمران البلاد .

٥ ـ جمعية لأعمال التنظيف وتخليص البلاد من الأوساخ .

٦ ـ جمعية لتزويج العزّاب .

٧ ـ جمعية لبناء المؤسّسات الصحية .

٨ ـ جمعية لإنشاء دور العجزة والأيتام وذوي العاهات .

٩ ـ جمعية لتشغيل العاطلين عن العمل .

١٠ ـ جمعية لرعاية شؤون الأُسرة تقوم بحلّ المشكلات العائلية .

١١ ـ جمعية للرعاية الاجتماعية وذلك لحلّ مشكلات الناس .
١٢ ـ جمعية لحفظ الشباب من الانحراف .
١٣ ـ جمعية للتوسّع في إنشاء المدارس والمكتبات والقيام بطبع الكتب الإسلامية .
١٤ ـ جمعية لرعاية حقوق الحيوانات .
١٥ ـ جمعية لإنعاش الريف ورفع مستواه ليكون في مصاف المدن .
١٦ ـ جمعية للحثّ على طلب العلم ، والانخراط في الحوزات العلمية، إلى غير ذلك من الجمعيات(١).

(٧) صدى الأعمال

على المرجع أن يعرف صدى أعماله ، وانعكاس فتاواه وأقواله وكتبه في المجتمع ، فلا يعمل عملاً ، ولا يتكلّم بكلام ، ولا يفتي بفتيا إلّا بعد أن ينظر لجميع الجوانب ، وإلّا فربما كان ضرره أكبر من نفعه .

(٨) اللجان المساعدة للمرجع

لم تعد الحياة كما كانت في السابق حيث البساطة وسهولة العمل ، فقد تعقّدت الحياة حتّى أصبح من المستحيل أن يتمكّن إنسان مهما كان ذكيّاً وفطناً من استيعاب الحياة بكاملها بمثل ما كان من اليسر في السابق .

ولمّا كان المرجع هو المسؤول عن أُمور الناس وحيث أنّه يرتبط

---

(١) هذه المهام تناط بها الدولة الصالحة ، ولمّا لم تكن هذه الدولة في العراق ـ أيّام المرجع الشيرازي والى اليوم ـ فقد بيّنها المرحوم بهذه الصورة تحت رعاية المرجع الديني .

بمختلف الناس ويؤدّي مختلف الأعمال ، فإنّ من الضروري إنشاء لجان لمساعدته ، وتقوم كلّ لجنة بإنجاز عمل ما في حقل خاصّ ، وترفع النتائج إلى المرجع .

(٩) موقفه ممّا يدور

عالمنا اليوم متلاطم بالأحداث والقضايا ، متخم بالتطورات العلمية والسياسية والثقافية ، مثل : برنامج إرسال السفن الفضائية ، وحرب فيتنام[١]، والحدّ من الأسلحة الاستراتيجية ، وما أشبه ذلك .

فمن الضروري أن يكون للمرجع الديني إطّلاع كاف حول هذه الأُمور، والتطوّرات التي تجري من حوله ، حتّى لو لم تصطبغ بالصبغة الإسلامية .

ومن ثمّ يكون للمرجع موقف محدّد من هذه التطورات إمّا سلباً أو إيجاباً ، بالتأييد أو الشجب أو ما أشبه ذلك ممّا يناسب المقام[٢]، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ لأنّ التدخّل في هذه القضايا هو جزء من مقام الفقيه الذي يتصدّى لأعمال النيابة العامّة ، والإمام كما نعلم هو ذلك الإنسان المرتبط بأُمور الدين والدنيا .

٢ ـ لأنّ الناس يرتبطون بالمرجع الذي يلمّ بما حوله والذي يمتلك موقفاً محدّداً من الأحداث والتطورات ، ومن خلال ذلك يرتبطون بالدين.

---

(١) وكانت هذه الحرب قائمة عندما كتب الإمام المؤلّف ﷺ هذا الكتاب ، وذلك سنة ١٣١٩هـ.

(٢) خاصّة وإنّ بعض هذه الأُمور يترتّب عليها مسائل شرعية كالصلاة في القمر أو ما شابه

وإذا افتقر المرجع للرؤية المعاصرة للأحداث ، فإنّ طبقة من الناس وهم المثقّفون سيتركون المرجع ويتّبعون من له موقف ورؤية في هذه الأُمور .

وقد يعترض البعض ويقول ، ليس من المناسب للمرجع أن يتدخّل في أُمور لا تهمّه ولا هي من اختصاصه .

وفي الجواب نقول : إنّ مصدر هذه الشبهة هو انصراف بعض الماضين إلى الأُمور الفقهية وترك هذه الناحية ، فإذا عادوا واهتمّوا بهذه التطورات ، فإنّه سيتحوّل إلى عادة ، ويتقبّلها الناس شيئاً فشيئاً .

(١٠) القواعد العريضة للحياة

هناك قواعد ضرورية للحياة لابدّ للمرجع من الالتزام بها ، وهي قواعد تساعده في اتّخاذ القرارات في اللحظات الحرجة ، وعندما ينتابه الشكّ في فعل شيء أو تركه ، ولا تصل الشواهد والمؤيّدات في أحد الجانبين إلى اطمئنانه وسكون نفسه ، فاللازم أن يضع مسبقاً خطوطاً عريضة ومناهج عامّة وقواعد كلّية لحياته ، فمثلاً :

● يكون الأصل عنده الشجاعة ، فكلّما شكّ في الإقدام والإحجام رجع إلى أصل الإقدام .

● الأصل عنده الناس وليس الحكومة أو الحاشية .

● الأصل عنده العطاء ، وكلّما شكّ في العطاء أو المنع ، رجع إلى أصل العطاء .

● الأصل هو حسن الظنّ فكلّما شكّ في إنسان أجرى أصالة كونه إنساناً حسناً ، وهكذا دواليك .

فاتّباع هذه القواعد يساعد كثيراً على اتّخاذ القرارات الحازمة ، وينقذ الإنسان من حالة التردّد ، لأنّ تردّده في الأُمور يوجب انحطاطه وإضعاف شخصيته ، ومن ثمّ سيعود عليه بالضرر ، وعلى الإسلام والمسلمين بالكوارث .

(١١) الرجال المصلحون

بشكل طبيعي تتعدّد المرجعيات في عالمنا الشيعي ، ولمّا كان لكلّ مرجع وجهة نظر خاصّة في نشر الإسلام والحفاظ على كيان المسلمين ، فقد تتصادم وجهات النظر هذه ـ وقد تختلف الآراء عن حسن نيّة ـ وكثيراً ما يستغلّ بعض الجهلاء أو المغرضين هذا التصادم ويثيرون البلبلة بين المراجع ممّا سيترك آثاراً وخيمة على المرجعية الدينية وعلى أبناء الأُمّة .

لذا كان من الضروري أن يقوم المراجع بتعيين رجال للتقريب فيما بينهم كواسطة للتفاهم وتوحيد وجهة النظر للحدّ من التصادم الذي قد يندلع بفعل العوامل الخارجية .

وكلّما كان رجال التقريب والإصلاح ما بين العلماء واعين لمسؤولياتهم غير منحازين لطرف على حساب طرف آخر كانوا أقدر على حلّ العقد التي قد تنشأ على الساحة الإسلامية . وبالتالي ستكون المرجعية سدّاً منيعاً ضدّ مخطّطات القوى الأجنبية والمحلّية ، والعناصر الفوضوية ، التي همّها إثارة الفتن وخلق الاختلافات

الوهـمية بين المـراجـع[1].

(١٢) العمل في كلّ الأحوال

إنّ مسؤولية المرجع باعتباره نائباً عن الإمام المعصوم عليه السلام مسـؤولية كبيرة ، وإنّ هذه المسؤولية تحتّم عليه العمل بلا انقطاع ، ومواصلة الجهود بلا كلل ، في فترات الشدّة والرخاء والكبت والإرهاب .

فإذا لم يستطع العمل داخل البلاد بسبب الأوضاع السياسية ، عليه أن يستعين بالكتمان كطريق مأمـون للـعمل دون إلحـاق الضـرر بـنفسه أو بمؤسّساته . وقد قال سبحانه : ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[2]. وفي الحـديث الوارد : «التقيّة ديني ودين آبائي »[3].

(١٣) التوسّع في الأجهزة

من الضروري جدّاً أن لا يكـتفي المـرجـع بـالموجود مـن الأعـمال والأنشطة ، فعليه أن يفكّر بتوسيع العمل أُفقياً وعمودياً .

(١٤) الاحتياط اللازم

العمل الاجتماعي يفرض على القائمين به اتّخاذ الاحتياطات اللازمة ،

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

(٢) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٣) الصراط المستقيم : ج٣ ص٧١ ، مشكاة الأنوار : ص٤٠ ، جامع الأخبار : ص٩٥ ، دعـائم الإسلام : ج١ ص١١٠ وص١٦٠ ، المحاسن : ص١٥٥ ، غوالي اللئالي : ج٢ ص١٠٤ .

فهناك أحداث قد تحدث في المستقبل القريب ، فكـان لابـدّ مـن أخـذ الحيطة لذلك .

والمرجع باعتباره على رأس هرم الإصلاح الاجتماعي وهو المسؤول عن الحفاظ على القيم الإسـلامية ، فكـان عـليه أن يأخـذ الاجـراءات الاحتياطية .

(١٥) نبذ الجمود والتقليد

كما أنّ المطلوب التغيير الواقعي ولكن في ضمن الأُطر الشرعية ، كذلك من المطلوب إحداث التغيير الشكلي أيضاً ، فعلى المرجع أن ينبذ التقليد ويحارب الجمود ، ويسلك طريق الإبداع في اختيار الأسماء والمسمّيات والألقاب ، وما أشبه ذلك .

فليس من الضروري اعتماد الشكل القديم في ترتيب الرسائل العملية وفي الكتب الفقهية ، فمع تطور فنّ الطباعة لابدّ من إضافة الجوانب الفنية إلى الرسائل العملية ، حتّى تصبح أكثر جذباً للناس .

كما أنّ من الضروري تـغيير طـريقة التـدريس والاسـتعانة بـالتطوّر التكنولوجي في تدريس مادّة الفقه والأُصول ، فيصبح ذلك أوفق وأقدر على إيصال المعلومات[1].

---

(١) كما إنّه يلزم تحويل الرسائل العملية إلى أقراص كمبيوترية وبـعثها إلى الدول الغـربية وغيرها ، وفي مجال مناسك الحجّ لا بأس بالاستعانة بالأفلام أو تمثيل الخطوات العملية في مناسك الحجّ .

(١٦) انتهاز الفرص

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « إضاعة الفرصة غصّة »[١] أي عندما تمرّ دون الاستثمار ستتحوّل إلى غصّة في حياة الإنسان ، يبقى يلوم نفسه طيلة عمره .

وجاء في الحديث : « الفرصة تمرّ مرّ السحاب ، فانتهزوا فرص الخير »[٢].

والفرص كثيرة في الحياة ، فهي علامات شاخصة في حياة الأفراد وفي حياة المجتمعات .

فكما على الفرد مسؤولية الاستفادة من الفرص التي تتهيّأ له في الحياة، كذلك على المجتمع أن يستثمر الفرص التي تمرّ في حياته ، والمناسبات هي في الواقع فرص ذهبية يجب المبادرة إلى استثمارها قبل ذهابها .

فكان على المرجع الديني مراقبة المجتمع والتدخّل عندما تحين الفرصة سواء كانت فرصة حزن أو فرصة فرح . ففي الفرص المثيرة للحزن كالزلازل والكوارث الطبيعية يجب أن يبادر المرجع لدعوة الناس إلى التضامن والأُخوّة ، وإلى مدّ يد المساعدة للآخرين ، وإلى التذكير بقدرة الله وعظمته ، والتذكير بالموت والحساب والعقاب والآخرة ، وما شابه .

(١) قصار الحكم : الحكمة ١١٨ ، غرر الحكم ودرر الكلم : ص٤٧٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٢٨٣ ب١١٤ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص٢١٧ ، وسائل الشيعة : ج١٦ ص٨٤.

(٢) قصار الحكم : الحكمة ٢١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٢٨٣ ب٢١ ، بحار الأنوار : ج٣١ ص٣٣٧ ، وسائل الشيعة : ج١٦ ص٨٤.

وفي مناسبات الفرح كالأعياد يجب أن يذكّر المرجع بالمعاني السامية التي تتضمّنها هذه الأعياد كعيد الأضحى وعيد الغدير ، وبذلك يكون للمرجعية دور مؤثّر في كلّ حدث وحضور دائم في المجتمع في مختلف المناسبات وفي مختلف الفرص .

(١٧) استثمار المناسبات

تعدّ المناسبات من الفرص المهمّة لتعبئة المجتمع نحو أعمال الخير ، ومن الأفضل أن تمتدّ هذه المناسبات لأكثر من يوم على الأقل ، بأن يكون هناك اسبوع يتفرّغ فيها لهذه المناسبة .

فعلى المرجع تقع مسؤولية خاصّة في الإعداد لهذه الأسابيع ، لتعبئة الأُمّة إلى التعلّق بالإسلام .

(١٨) تحكيم الأحكام الخمسة

المرجع حيث إنّه القائم على الأحكام الشرعية ، فاللازم عليه ملاحظة الأهمّ والمهمّ من الأحكام ، فإذا رأى منكراً غيّره ، وإذا رأى معروفاً متروكاً أثبته ، وإذا رأى سنّة مهجورة بمعنى الشعائر التي هي شعائر المسلمين وبها قوامهم أقامها ، وبعد ذلك يأتي دور سائر الأحكام الخمسة.

(١٩) كلّ شيء من أجل الهدف

هدف الإنسان هو أسمى من كلّ شيء ، وهو يضحّي بكلّ شيء من أجل هدفه .

فالجندي في الجبهة يضحّي براحته ونومه من أجل هدفه ، بخلاف

الجندي الذي يعيش في المدينة ، حيث هو بعيد عن الحرب ، فلا داعي للتضحية براحته .

كذلك يلزم على المرجع أن يزاحم بهدفه كلّ العادات والاستراحات ، ولمّا كان الهدف هو خدمة الإسلام ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، وتقديم المسلمين إلى الأمام ، فإذا توقّف ذلك على السهر أو التعب أو الجوع ، أو ما أشبه ذلك ، فاللازم أن يقدّم الهدف ويترك الراحة ، وإلّا لم يكن ناجحاً . ثمّ إنّ اللازم في الهادف أن يقدّر تقديراً دقيقاً الفاصل بينه وبين الهدف كما يقدرّ السائق المسافة بينه وبين مقصده ، ويتزوّد بالوقود بمقدار إيصاله إلى هدفه ، ويرى ما هي المقدّمات للوصول إلى الهدف ؟ ثمّ يستعدّ في تهيئة تلك المقدّمات ، وإلّا فقوله : إنّ تطبيق الإسلام هو هدفي من دون ملاحظة تلك الأُمور كلام غير منتج ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[1].

(٢٠) الإعلام عن المرجعية

بعض المراجع يظنّون أنّ الإعلام هو نوع من الدعاية دافعها حبّ الشهرة والظهور ، وهي صفة مذمومة لا تليق بالمرجع الذي ينبغي له أن يكون زاهداً عازفاً عن الدنيا وزخارفها وزبرجها .

وهذا خطأ كبير ، ومنشأ هذا الخطأ هو الخلط بين ـ حبّ الشهرة ـ وبين الإعلام لأجل إقامة الحقّ ـ .

ونحن نجد في التاريخ أنّ الأنبياء كانوا يشيدون بأنفسهم ويعلنون عن

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٦ .

أسمائهم على منابر إعلامية تنفيذاً لأوامر الله سبحانه وتعالى . فهذا جبرائيل يأتي من الله سبحانه بصورة الأذان ، وفيها أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، ويأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يعلن عن ذلك في أوقات الصلاة .

وهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته الشقشقية :

« أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وأنّه ليعلم أنّ محلّي منها محل القطب من الرحى ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير »[١].

ويصف الإمام نفسه قائلاً :

« وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[٢] ومن طعمه[٣] بقرصيه»[٤].

إنّ دافع الإمام ليس هو حبّ الشهرة ، وإنّما إظهار الحقّ ، لدفع الناس إلى التمييز بينه وبين الباطل ، ولأجل اقتداء الناس بهم عندما يعرفون شخصيتهم ، والأخذ بأقوالهم ، فكيف يمكن الاقتداء بشخص لا يعرفه الإنسان ولا يعلم مزاياه .

إنّ الإعلام لأجل إشاعة الحقّ ونشر الإسلام وبثّ الفضيلة من أفضل القربات ، وبذلك يكون الإنسان أقدر على الهداية وأكثر أشياعاً وأنصاراً إلى الله سبحانه ، حتّى يكون أقدر على العمل[٥].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١ ص١٥١ ب٣.

(٢) الطمر ـ بالكسر ـ الثوب الخلق البالي .

(٣) طعمه ـ بضمّ الطاء ـ ما يطعمه ويفطر عليه .

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٤٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٦ ص٢٠٥ ب٤٥ .

(٥) ـ واذا كان الشخص (نبياً أو إماماً أو مرجعاً أو عالماً) تُمارسَ ضدّه الدعاية المغرضة لتسقيطه من أعين الناس، فهنا يجب عليه وعلىٰ محبّيه أن يعملوا الدعاية المضادة لينقذوا بها

(٢١) التقرير العام

من الضروري أن يعدّ المرجع تقريراً سنوياً عن أنشطته والأعمال التي قام بها . فمثل هذا العمل سيحفّزه للمزيد من الأعمال هذا أوّلاً ، ويكبّر الدين في أعين الناس ثانياً ، ويجد مساعدين لمهمّاته التي ينوي إنجازها ثالثاً ، بالإضافة إلى أنّ ذلك ممّا يدفع الاتّهام بالكسل والخمول أو بالإفراط والتفريط عن علماء الدين ، ثمّ يجمع التقارير مزوّدة بالوثائق والصور والأرقام كلّ خمسة أعوام مثلاً ثمّ ينشرها في كتاب ليصبح سجلاً للأعمال ونقطة اقتداء يقتدي به الآخرون .

(٢٢) سنّة الصراع

الحياة كلّها صراع : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ﴾[١].

والحياة ساحة ابتلاء لمعرفة مدى طاعة الإنسان وإيمانه ، وعلى هذا الأساس ، فإنّ المرجع الديني باعتباره نائباً عن الإمام المعصوم عليه السلام ، فهو

سمعة الشخص النزيه المستهدف، وينقذوا الناس البسطاء من التأثير بخطط الأعداء. ومن هذا الباب ما كتبه الإمام الشيرازي (رحمه الله) ومحبوه عن قضايا من سيرتهم صوّرها مناوئوهم أنها مدحاً للذات . ولقد قلت لبعض التسقيطيين لا تكذّبوا على الناس حتّى لا نضطرّ أن ندافع . أليس الحديث يقول « رحم الله مَن جَبَّ الغيبة عن نفسه » هذا وإنّ المطلوب أحياناً الدعاية والإعلام في مواجهة الأعداء الحقيقيين ، فليس بالضرورة يكون القصد منها ما يفسّره التسقيطيون الذين يخافون ذهاب الناس عنهم إذا عرفوا الطرف الآخر فتأمّل . (المهتدي)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥١.

يتعرّض إلى حملات عدائية من مختلف القوى ، فكان عليه أن يصمد في هذا الصراع ويواجه أعداءه بقوّة الإيمان والعزيمة .

وعلى المرجع أن لا يعتقد بأنّ دخول الصراع ليس من شأنه ، وأنّ في الصراع ضعف الإسلام ، بل بالعكس أنّ الدخول في الصراع مع القوى التي تحارب الإسلام هو قوّة للإسلام وتقوية للمؤمنين ، لكن يجب أن يكون المرجع حذراً وأن لا يؤخذ على حين غرّة ، وأن يكون عارفاً بأساليب الأعداء وطرقهم الخبيثة في الحرب النفسية .

نعم ، يجب أن يكون المرجع الطرف المدافع ابتداءً ، فعليه أن لا يبتدئ بالهجوم ، لأنّه ليس من صفات المؤمنين العدوان . فإذا هوجم ، فعليه أن يقف موقف الباسلين للدفاع عن حياض الإسلام . وإذا غلب على عدوّه فعليه بالعفو ، لأنّ العفو عند المقدرة فضيلة .

والإحسان هو سبيل آخر لفضّ النزاع مع الفرقاء الذين يختلفون في أُمور ثمّ يجتمعون في أُمور أُخرى . وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **عاتب أخاك بالإحسان إليه** »[1].

وعلى هذا ، فاللازم أن يكون المرجع شديد التحسّس وأن يكون عارفاً بأعدائه ، فإن كانوا يشكّلون جبهة عريضة ، فعليه أن يقابل الفعل بالمثل . وأمّا إذا كان عدوّه شخصاً واحداً ينازعه لطمع في المال أو طمع في الجاه ، فالأولى له العفو . لأنّ العفو هو نوع من الإحسان الذي يترك أثره حتّى على أعدائه .

---

(١) قصار الحكم : الحكمة ١٥٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٣٧٨ ب١٦٠ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص٤٢٧ .

ومن أجل الاقتدار على خوض غمار الصراع ، على المرجع أن يكون ملمّاً بأساليب الصراع : من غسل الدماغ والحروب الباردة المنظّمة المبنية على الأُسس الحديثة .

وعليه كذلك : أن يكون محتاطاً أشدّ الاحتياط في إعلان الصراع ، وفي كلّ كلمة يقولها .

إنّ الهدف الذي يسعى المرجع من أجله هو هدف مقدّس ، فهو يحارب من أجل تقوية الإسلام والمسلمين ، بل وسحب القوى المعادية إلى حظيرة الدين ، فاللازم أن تكون حربه حرباً نظيفة إلى أبعد الحدود ، وتكون بقدر الاضطرار كالاضطرار إلى أكل لحم الميتة .

وعلى أي حال : ليست معركته مع أعدائه بقصد الانتقام ، وليست نابعة عن حقد وعداوة شخصية[1].

(٢٣) تفاوت الأفراد

المرجع بين مشكلتين : مشكلة تفاوت الأفراد في الخدمة والدراسة وما أشبه ، ومشكلة توقّع المتأخّرين الاحترام بقدر المتفوّقين ، فإذا قسّم المال بقدر مراتبهم ، غضب ذوو المستويات الهابطة ، وإذا ساوى بينهم ظلم المتفوّقين ، وهكذا في إيكال الأُمور والاستخدام والتقريب والاحترام.

فاللازم أن يكون المرجع لبقاً في الخروج من هذا المأزق بسلام ، بأن يعطي حقّ المتفوّق ولا يثير غضب وحقد ذوي المستويات المنخفضة ،

---

(١) وياليت الذين عادوك ياسيّدي عاملوك بهذه الروح التي أنت عليها. ولكن شتّان بينكما.

وأحياناً يحتاج الأمر إلى شيء من الكتمان ، أو إلى إيصال الحقّ ـ أي حق كان ـ إلى المستحقّ بواسطة ، وبدون أن يعرف الناس أنّ الإيصال كان من المرجع .

(٢٤) المرجع والأُمّة

بناءً على المرويّات وما أخذ به شيوخنا حتّى الآن تعتبر المرجعية قيادة دينية لدفع الناس إلى أعمال الخير والسعادة .

وفي مقابل ذلك هناك العديد من الأشخاص في المجتمع من المسلمين الذين لم يفهموا الإسلام ، أو غلبت عليهم الأهواء ، أو غير المسلمين ممّن تتضارب مصالحهم والإسلام ، ممّن يعمل على سلب هذه القيادة وحصرها بنفسه إمّا لدعوة الناس إلى فكرة معيّنة أو رغبة منه في السيطرة والتحكّم والاستعلاء ، ويتّخذ هؤلاء دائماً من التهريج والكذب والتّهم والهمز واللمز وسيلة لتثبيت مركزهم ، وأحياناً تصل الوسيلة إلى المال والقوّة . وفي بعض الأحيان يلتفّ حول هؤلاء أُناس طيّبون انخدعوا بالشعارات المضلّلة التي يطلقها هؤلاء .

فعلى المرجع أن يعي أساليب هؤلاء وأن لا تنطلي عليه ألاعيبهم [١].

---

(١) ـ هذه من النقاط المهمة في علاج التسقيط .

وفي الفصل الرابع تحت عنوان

(المرجع وتطوير الحوزات العلمية)

يكتب ﷺ في العناوين التالية:

(١) رفع مستوى الطلّاب

طلبة العلوم الدينية هم القاعدة التي تقوم عليها المرجعية الدينية ، فمن هؤلاء الطلبة سيتخرّج وكلاء المرجع ، ومنهم سينتشر العلم والفضيلة بين أبناء المجتمع ، ومن وسطهم سيبرز الخطباء والكتّاب والعلماء ، لذا لابدّ من الاهتمام بهم ، لأنّ الاهتمام بهم سيؤدّي إلى ظهور مرجعية قويّة مؤثّرة في المجتمع الإسلامي .

ورفع مستوى طلبة العلوم الدينية هي من المسؤوليات الأُولى للمرجع. وليس رفع المستوى حصراً على الجانب العلمي بل يشمل الجوانب الأُخرى كالثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصحّية حتّى يكون الطلبة ذوي مستوى ثقافي عال ويصبحوا في أُفق لا بأس به من العلوم الدينية والسلوك الديني .

ولابدّ من رعايتهم رعاية تامّة في الجانب المعيشي ، وفي الجانب الصحّي ، حتّى يصبحوا أغنياء النفس ، أقوياء الروح ، أصحّاء البدن ، وحتّى يتبوّأوا مكانة مرموقة في المجتمع يُنظر إليهم بالتقدير والإكرام .

(٢) رعاية شؤون أهل العلم

يصرف طالب العلم الكثير من جهوده وإمكاناته في تهيأة البيت

والاستيجار ودفع فواتير الماء والكهرباء وأُجور النقل .

لذا كان من الضروري أن يعمل المرجع على توفير هـذه الحـاجيات حتّى يستطيع طالب العلم من التفرّغ إلى طلب العلم .

(٣) إيجاد أماكن للراحة

طالب العلم هو إنسان لا يختلف عن الآخرين في كونه إنساناً ، فـهو يتعرّض إلى مشاكل نفسية ويصاب بالتعب والإرهاق ، فكان لابدّ له من ساعات ترفيهية يقضّيها طالب العلم هو وعائلته في جو إسلامي لإزالة ما علق في نفسه من تعب وإرهاق .

فكان على المرجع الديني أن يفكّر في إنشاء أماكن استراحة سـليمة يستطيع أن يتمتّع بها طالب العلم هو وعائلته ، لأنّ الكثير مـن أمـاكـن الترفيه لا يستطيع طالب العلم ارتيادها لأسباب أخلاقية .

(٤) تجديد مناهج الحوزة

يعتمد منهج الحوزة العلمية على كتب دراسية يعود أعمارها إلى حوالي سبعمائة سنة ـ كشرح التجريد للعلّامة الحلّي ﷺ ـ كحدّ أقصى ، وحوالي سبعين عاماً كحدّ أدنى مثل كتاب الكفاية للآخوند الخراساني ﷺ .

ولا شكّ أنّ هذه الكتب تمتاز عن بقيّة الكتب بأنّها على مستوى عال من الدقّة والإتقان ، وأسمى مرامي الهـدف والمـقصد ، وأقـوى مـدارج الكمال والاستدلال ، لكنّها كتبت بأُسلوب قديم وباتت طريقة التدريس قديمة غير ملائمة للعصر الحاضر ، لذا كان من مسؤولية المرجع العـمل على تغيير أساليب التدريس وإخراج هذه الكتب بثوب جديد ، وهو عمل

شاقّ يتطلّب وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً . لكنّ همّة المرجع ومعاونيه هي التي تقصر المسافة وتقلّل من الزمن إلى بضع سنين .

أضف إلى ذلك ، فإنّ هناك علوماً معاصرة من الضروري إدخالها في الحوزات العلمية والقيام بتدريسها ، كالسياسة والاقتصاد ، فلابدّ من إدراج هذه العلوم في مناهج الحوزة حتّى لا يتأخّر طالب العلم عن ركب الحضارة المعاصرة .

فالإبقاء على القديم وعدم تطوير المناهج ، سيتسبّب في انغلاق طلبة العلوم الدينية ، وانكفائهم على أنفسهم ، وعدم قدرتهم على التجاوب مع الأحداث المعاصرة ، الأمر الذي يجعلهم في عزلة عن الناس فلا يستطيعون حلّ مشكلاتهم من الوجهة الدينية[١].

(٥) العناية بالقرآن الكريم

القرآن هو الكتاب الأوّل للمسلمين ، وهو الجسر إلى سعادتهم في الدارين في الدنيا والآخرة .

وما نراه اليوم من بؤس وشقاء وظلم وما شابه ، فهو بسبب ابتعاد المسلمين بصورة خاصّة والبشرية بصورة عامّة عن القرآن الكريم .

لذا يجب على المسلمين بصفة عامّة والمرجع باعتباره متصدّياً لأُمور

---

(١) قيل أنّ من أسباب الحرب التسقيطية ضدّ السيّد الشيرازي من قبل شيبة الخطّ التقليدي هو دعوته إلى تغيير الكتب القديمة في الحوزة، فإنّهم وجدوا فيها كساد حلقات تدريسهم فيما لو طُبّقت هذه التطويرات في المناهج الدراسية للحوزة ، كونهم لم يتقنوها ! تماماً مثل كساد البقّاله عندما تُفْتَتَح (السوبرماركت)!!

الأُمّة بصفة خاصّة أن يهتمّ بالقرآن الكريم في مختلف الأبعاد ، من طبعه ، ونشره ، وتفسيره ، وترجمته إلى اللغات الحيّة التي لم يترجم إليها .

ثمّ تدريس مادّة علوم القرآن في الحوزات ، وجعل تفسير القرآن مادّة أساسية في برامج التدريس كالفقه والأُصول ، فيجب علينا أن نعطي لهذا الكتاب العظيم الرعاية الكافية ، وإلّا سنظلّ نجرّ أذيال التخلّف .

(٦) تطوير الفقه

من واجبات المرجع الديني العمل على تطوير الفقه بما يلائم العصر الراهن مع الحفاظ على جوهره .

وتتوقّف عملية التطوير هذه على الخطوات التالية :

١ ـ المعرفة الكاملة بالفقه على سعته في أبوابه المختلفة .

٢ ـ المعرفة الشاملة بالظروف الراهنة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ونحوها .

٣ ـ القدرة على أداء الأُسلوب الملائم الجامع بين الأمرين .

وتتوقّف هذه الخطوة على ما يلي :

أ ـ معرفة كتب القانون .

ب ـ الإطّلاع على الأساليب الكتابية الحديثة .

إذن : تطوير الفقه يشتمل على المضمون والأُسلوب معاً ، فالمضمون يأخذ بالتقدّم العلمي والتطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الاعتبار مع الحفاظ على الأُطر الشرعية الثابتة . والأُسلوب يعمل على تدوين المسائل الفقهية كما تدوّن القوانين .

(٧) تعلّم اللغات الأجنبية

الإسلام هو دين عالمي ، والمجتمع الإسلامي هو مجتمع واسع يضمّ مختلف الأمم ، ويتكلّم المسلمون بشتّى اللغات . لذا كان من الضروري تعلّم اللغات المختلفة إلى جانب اللغة الأصلية .

(٨) مصادر الفقه القديمة

وهي كثيرة لا غنى عنها ، وبعضها غير متداول اليوم بسبب حالتها الطباعية حيث يصعب الاستفادة منها .

فكان لابدّ من تطوير هذه الكتب فنياً ، حتّى يمكن تداولها بصورة واسعة ، وتطوير هذه المصادر هو جزء من عملية التطوير الشاملة للعلوم الفقهية .

ونقترح في مجال التطوير الفنّي للمصادر الفقهية :

١ ـ الاعتناء بالطباعة .

٢ ـ إضافة الشروح والهوامش حتّى يمكن ملاحقة تطوّر المسائل الفقهية .

٣ ـ وضع الموجزات والتمارين في نهاية كلّ فصل .

٤ ـ وضع فهارس آيات وأحاديث وأعلام وقبائل ومدن وأشعار ، والأهمّ من كلّ ذلك وضع فهارس بالمسائل الفقهية .

٥ ـ الاهتمام بالتطوّر الطارئ على الفقه ، مثلاً : توضع قوائم خاصّة في أوّل الكتاب وآخره لمختلف العناوين المتداولة الآن ، ويذكر تحت كلّ عنوان المواضيع الفقهية المرتبطة بذلك العنوان .

مثلاً : يعنون بعض أبواب الفقه بعنوان « السياسة » ويشير إلى تحت

هذا العنوان « كتاب الجهاد » و « كتاب القضاء » .. ويعنون بعض أبواب الفقه بـ « الاقتصاد » ويلمّح تحته « كتاب التجارة » و « كتاب إحياء الموات » ، وهكذا بالنسبة إلى عناوين « الثقافة » و « الاجتماع » و«التربية » وغيرها[1].

(٩) الاهتمام بالمخطوطات

من الضروري الاهتمام بتراث العلماء الماضين « رضوان الله عليهم » وأعتقد أنّ ما هو موجود في المخطوطات المبعثرة هنا وهناك ، ليس بأقلّ من مليون كتاب .

فكان من مسؤولية المرجع الديني باعتباره حافظاً لعلوم أهل البيت عليهم السلام أن يبادر لجمع هذه المخطوطات من الأماكن المختلفة ، ويتمّ ذلك من خلال لجنة قوامها مائة باحث ومتخصّص في أُمور المخطوطات، وتقوم هذه اللجنة بالتنقّل في البلدان التي تحتوي على المخطوطات الإسلامية للحصول على هذه المخطوطات أو الحصول على « ميكرو فيلم » أو الصور الاستنساخية ، ومن ثمّ اجراء العمليات التحقيقية على هذه المخطوطات ثمّ تهيأتها للطباعة .

وإنّي لأظنّ أنّ المرجع لو تبنّى هذا الأمر ، فإنّه سيتمكّن من طبع عشرات الأُلوف من الكتب المخطوطة في مدّة مرجعيته المتوسّطة بصورة

---

(١) وقد مارس الإمام المؤلّف هذا البند في موسوعة الفقه ، وكتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والطب والإعلام وعلم النفس والقانون والمرور والإدارة والبيئة والحقوق والتاريخ والعولمة .

مباشرة أو غير مباشرة عبر التشجيع ، وذلك بأن يلفت نظر دور النشر وأصحاب الثروة إلى القيام بجوانب من هذه المهمّة .

(١٠) رعاية الخطباء

لعلّ من أكثر عوامل التأثير في المجتمع الخطباء ، فهم الذين ينشرون الثقافة الدينية في الأُمّة ، فإذا كانت هذه الثقافة متخلّفة فهي تعود ـ بدرجة كبيرة ـ إلى الخطباء ، فالخطيب المتخلّف ينتج ثقافة متخلّفة ، بينما الخطيب الجيّد يولّد ثقافة جيّدة في المجتمع .

من هنا جاءت أهميّة رعاية الخطباء ، وللمرجع دور كبير في دعم هذه الطبقة المهمّة من المجتمع الإسلامي .

وتتمّ الرعاية بالنقاط التالية :

١ ـ تشجيع العناصر الكفؤة في الحوزة العلمية للانخراط في سلك الخطابة .

٢ ـ إدخال الخطباء إلى دورات تقوية ثقافية وسياسية وإعلامية .

٣ ـ تعليم الخطباء اللغات الأجنبية .

٤ ـ إنشاء جمعية الخطباء لرعاية شؤونهم الحياتية .

(١١) تطوير الأجهزة الدينية

يتحتّم على المرجع وضع خطّة لتطوير الأجهزة الدينية إلى ما يصلح ويناسب العصر الحاضر مع الحفاظ على الأُطر الشرعية . فإنّ الإسلام إذا أمكن عرضه في لباس العصر تهافت الناس عليه لما فيه من القوّة والأصالة والمواكبة للإنسانية والفطرة .

وإذا كان هناك نفور من البعض عن الإسلام ـ في العصر الحاضر ـ فهو بسبب جهلهم به ، فالجاهل كالأعمى الذي لا يحسّ بجمال الزهرة ، فهو لا يأبه بها بالطبع لأنّه لا يراها ، أمّا إذا فتحت عينه ورأى جمالها أقبل عليها[1].

(١٢) الدين والعلم

من أساليب الغرب للسيطرة على العالم الإسلامي هو دعوته لفصل الدين عن العلم . وسبب هذه الدعوة يعود تأريخياً إلى صراع الكنيسة المسيحية مع علماء الفلك والفيزياء وغيرهم القائلين بكروية الأرض ، وأنّها تدور حول الشمس وغير ذلك ، ففي تعاليم الكنيسة أنّ الأرض مسطّحة وأنّها مركز الكون وأنّ الشمس تدور حول الأرض و ...

وقد حاول الغرب نقل هذا الصراع إلى العالم الإسلامي فلم يفلح في ذلك ، لأنّ الإسلام غير المسيحية .

فالإسلام يؤمن بالعلم ، بل يجعل العلم مقياساً من مقاييس التفاضل ، فيقول سبحانه : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وإذا أردنا الحديث حول هذا الموضوع لاحتجنا إلى كتب عديدة ، لكن نكتفي بهذا القدر ، لنقول أنّ على المرجع مسؤولية الجمع بين العلم والدين، وذلك بالقيام بأمرين اثنين :

---

(١) ولو كان يحدث التطوير في زمان السيّد ﷺ لم نصل إلى ما وصلنا إليه اليوم في النجف الأشرف وكربلاء وغيرها من تأخُّرٍ وتضحيات بلا ثمر!

(٢) سورة الزمر : الآية ٩.

الأمر الأوّل : بعث علماء الدين وطلبة العلوم الدينية إلى الجامعات لدراسة العلوم الحديثة الضرورية والمرتبطة بالواقع الاجتماعي ، وعدم الاقتصار على العلوم الدينية كالفقه والأُصول .

الأمر الثاني : تدريس الدين في المعاهد العلمية والجامعات واتّخاذ القرآن ونهج البلاغة والأحاديث النبوية وأحاديث الأئمّة الأطهار عليهم السلام كمنهاج للتدريس والبحث .

وإذا نجحت الخطّة ، فسيمتزج العلم بالدين ، فيأخذ العلم من الدين الفضيلة والسمو ، ويستفيد المتديّنون من التقدّم العلمي . ويصبح العلماء على نسق هذه الآية الكريمة : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

(١٣) الرسالة العملية

والرسالة العملية ، هي الأُخرى من المستلزمات التي يجب أن تتطوّر وفق تطوّر الحياة ، لتنسجم مع حاجات الإنسان وتحوّلات الزمن ، في إطار الشرع المقدّس ـ كما هو واضح ـ .

ويجب أن لا تقتصر الرسالة العملية على الأحكام الشرعية وحسب ، بل يجب أيضاً أن تتضمّن أبواب أُخرى من المعارف الإسلامية ..

فيجب أن تشتمل الرسالة العملية على الموضوعات التالية :

١ ـ أُصول الدين .

٢ ـ الأخلاق والآداب .

---

(١) سورة المجادلة : الآية ١١.

٣ ـ الواجبات والمحرّمات .

٤ ـ المواعظ القصيرة .

٥ ـ تعيين مسؤولية المكلّف ازاء نشر الإسلام ونشر الأحكام ومواجهة عوامل الكفر والضلال .

٦ ـ الاستعانة ببعض الآيات والأحاديث للتشويق والترغيب .

وممّا لا شكّ فيه ، إنّ رسالة بهذه الكيفية كفيلة لأن تقود الناس إلى نهج الإسلام السوي ، وإلى أن تعيد الوعي الديني إلى الناس ، وتركّز مفهوم «العودة إلى الكتاب والعترة » في كلّ صغيرة وكبيرة[1].

(١٤) المسائل المستحدثة

يجب أن تتضمّن الرسالة العملية على المسائل المستحدثة التي يبتلى بها الناس في مختلف الأبواب كالعبادات والمعاملات وغيرها ، لأنّها محلّ ابتلاء المسلمين أوّلاً ، ولأنّها معرض السؤال الدائم ثانياً ، ولأنّها محلّ للنقاش المستمرّ في الأندية والمؤتمرات وغيرها ، فيجب تبيان موقف الإسلام منها ، لأنّ ذلك يوجب تعرّف المكلّفين والمقلّدين على المزيد من المسائل الحياتية ، كما وأنّ ذلك سيوجب إسكات الذين يريدون نعت الإسلام بأنّه دين رجعي لا يساير التطوّر الحديث .

---

(١) هذه الفكرة لمّا نفّذها السيّد الشيرازي في ذلك الزمان وكتب رسالته العملية باسم (تسهيل الأحكام) انهالوا عليه بسهام التسقيط ، ولكنهم في زماننا بدؤا ينفّذونها وأصبح أمراً عادياً ومرغوباً !

وفي الفصل الخامس تحت عنوان

(المرجع وعلاقته بالمجتمع)

يكتب ﷺ في العناوين التالية :

(١) قضاء حاجات الناس

للناس حاجات وهم يلوذون بعلمائهم ومراجعهم في تلبية الحاجات لأنّهم يلتجئون إلى من يحبّونهم ومن يستطيعون أن يتحدّثوا معهم بحرّية .

وقد أكّدت الشريعة الإسلامية أشدّ التأكيد على تلبية حاجات الناس ، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله : « **طبيب دوار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه**[١] **يضع ذلك حيث الحاجة إليه**»[٢]. والمرجع بما أنّه مرتبط بدين الناس ودنياهم ترد عليه مختلف الحوائج والمشاكل والقضايا ، فاللازم أن يهيّئ نفسه لقضاء الحوائج الصغيرة منها والكبيرة .

ومن الجدير أن يعيّن المرجع أشخاصاً متفرّغين لهذه الغاية وعلى شكل لجان ، ويجعل لكلّ قسم من القضايا لجنة خاصّة ، ويجب أن يقع الاختيار على الأشخاص الذي يحبّون الخدمة ويهتمّون بأُمور المسلمين ،

---

(١) مواسمه : جمع ميسم وهو المكواة ، يجمع على مواسم ومياسم .

(٢) نهج البلاغة : خطبة ١٠٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٧ ص١٨٣ ، غرر الحكم ودرر الكلم : ص١٠٩ .

(٢) العامل والفلّاح

تحاول الأفكار الهدّامة[١] أن تستغل هاتين الطبقتين عبر الدعوة إلى نصرتهما ، وليس ذلك إلّا في مجال إطلاق الشعارات الرنّانة ، بينما للإسلام موقف أكثر إيجابية من جميع المبادئ والأيديولوجيات نحو العامل والفلّاح .

فقد اعتنى الإسلام بهما أكبر عناية ، ويكفي للدلالة على مدى اهتمام الإسلام ، هذا الحديث : « **الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله** »[٢].

فقد جعل الإسلام العامل والفلّاح في مصاف المجاهدين الذين يبذلون أرواحهم ودماءهم في سبيل الله .

وجاء أيضاً في الحديث : « **الفلّاحون كنوز الله في الأرض** »[٣] فهم يمثّلون أكبر ثروة اقتصادية لا تعادلها أيّة ثروة أُخرى ، وفي الحقيقة لو طبّق القانون الإسلامي بشأن العامل والفلّاح لنمى اقتصاد بلادنا نمواً سريعاً ولما احتجنا بعد ذلك إلى أنّ نمدّ أيدينا للشرق والغرب .

---

(١) ـ يقصد سماحته الفئات الشيوعية التي ظهرت في العراق فترة الخمسينات والستينات .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج٣ ص١٦٨ ، الكافي (فروع) : ج٥ ص٨٨ ح١ ، وسائل الشيعة : ج١٧ ص٦٧ ، فقه الرضا : ص٢٠٨ .

(٣) فقد ورد في تهذيب الأحكام : ج٦ ص٣٨٤ ب٢٢ ح٢٥٩ ، ووسائل الشيعة : ج١٧ ص٤٢ الحديث التالي : سئل الإمام الصادق عليه‌السلام عن الفلّاحين ، فقال عليه‌السلام : هم الزارعون كنوز الله في أرضه ، وما في الإعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة ، وما بعث الله نبياً إلّا زارعاً إلّا إدريس عليه‌السلام فإنّه كان خياطاً .

(٣) الالتفات إلى الرأي العام

لابدّ للمرجع أن يلاحظ ثلاثة أُمور ، هي :

١ ـ رضى الله سبحانه في كلّ أمر يقوم به أو يتركه ، فهو فوق كلّ شيء.

٢ ـ الدوافع الشخصية وراء كلّ فعل أو ترك .

٣ ـ الرأي العام ، وهو تركيب من العرف الاجتماعي والثقافة العامّة للمجتمع والعادات والتقاليد التي لابدّ من الانتباه إليها وملاحظتها عند التحرّك .

ولمّا كان المرجع يريد قيادة الناس ، فإنّ عليه ملاحظة الرأي العام لأنّه نبض الجماهير ، ما لم يخالف الشرع .

فيجب على المرجع ملاحظة هذا الأمر في تخفيف عداوة العدو بالأخلاق الحسنة أو بقضاء حاجته إن كانت مالية .

كما على المرجع أن يلاحظ علاقته بالمجتمع ، وأن لا يتحرّك فردياً في مواجهة العدو ، بل عليه أن يراعي جميع الجوانب ، والمتتبّع لتاريخ الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمّة عليهم‌السلام يرى أنّهم كانوا يراعون الناس إلّا فيما خالف الدين ، وفي الحديث « وعليك بمداراة الناس »[1].

(٤) أرباب الحاجات

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام في رسالته إلى مالك الأشتر : « ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين

---

(١) فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى‌الله‌عليه‌وآله : « أمرني ربّي بمداراة الناس » ، متشابه القرآن : ج١ ص٢١٩ ، وسائل الشيعة : ج٢ ص٢٠٠ .

وأهل البؤسى[1] والزمنى[2]، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً[3] ومعتراً[4]»[5].

ويقول له أيضاً : « **واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك** »[6].

وأرباب الحاجة كثيرون ، وتختلف حاجاتهم فقد تكون الحاجة إلى المال ، وقد تكون الحاجة إلى الزواج ، وقد تكون الحاجة إلى الوساطة ، وهكذا .

فينبغي للمرجع أن يستعدّ لرعاية هؤلاء جميعاً ، خصوصاً الطبقة التي يسمّيها أمير المؤمنين عليه السلام بـ « **الطبقة السفلىٰ** » كالفقراء والمرضى وأصحاب العاهات والأرامل والأيتام ، فهم بحاجة إلى عناية ورعاية ، ولهم قلوب منكسرة ودعوة مستجابة .

والأفضل للمرجع أن ينشئ لهؤلاء مؤسّسات لإيوائهم كدار العجزة ومدرسة للمكفوفين وبيوت للفقراء وما إلى ذلك .

(٥) الشباب طاقة يجب أن تستثمر

كلمتان حول الشباب :

---

(١) البؤسى : شدّة الفقر .

(٢) جمع زمين وهو المصاب بالزمانة أي العاهة ، وهم أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

(٣) قانعاً : سائلاً .

(٤) معتراً : المتعرّض للعطاء بلا سؤال .

(٥) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٧ ص٨٥ ب٥٣ .

(٦) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٧ ص٨٧ ب٥٣ .

الكلمة الأُولى : الشباب قوّة وثّابة ، وقوية على البناء وشديدة على الهدم .

فمثلما تصلح هذه القوّة للبناء تصلح للهدم أيضاً ، أي إنّها سلاح ذو حدّين ، فكان لابدّ من الاهتمام بها .

ويتركّز اهتمام المرجع بقوّة الشباب في المجالات التالية :

١ ـ تزويجهم : لأنّ كثيراً من الانحرافات تبدأ من العزوبة .

٢ ـ تثقيفهم : لأنّ الجهل يدفع بهم لأن يتحوّلوا إلى عناصر ضارّة في المجتمع .

٣ ـ تزكيتهم من الرذائل : لأنّ أكثر الجرائم بداياتها انحرافات خلقية بسيطة .

٤ ـ تشغيلهم : لأنّ الفراغ في حياة الشاب من أكبر عوامل المفسدة .

فعلى المرجع أن يكون واعياً لهذه الظاهرة ، وأن يحاول أن يستفيد من رأي الشيوخ ومن جَلَد الشباب ، إذ الرأي بدون القوّة والنشاط لا ينفع ، والانطلاق والنشاط بدون توجيه الرأي لا ينفع شيئاً[1].

(٦) رضى الناس

قديماً قالوا : « رضى الناس غاية لا تُدرَك » و « أفئدة الشعب لا تُملَك » .

(١) وجدته ﷺ حتّى آخر عمره ورغم كبره (٧٣ سنة) شاباً في روحيته ، شاباً في كلامه وأُسلوبه ، شاباً في ترحيبه بالشباب والتحدّث معهم عن همومهم وإعطائهم حلولاً شبابية عملية.

ولمّا كانت الحياة مجموعة احتكاكات بين أبناء البشر ، ولمّا كان المجتمع يضمّ مختلف صنوف الناس ، فقد تظهر عوارض الصراع في هذا المجتمع ، وقد يواجه المرجع بسخط بعض أفراد المجتمع ، أو سخط جمهور غفير ، ولمّا كانت مهمّة المرجع هي هداية الناس وإيصالهم إلى شاطئ السلامة والسعادة ، وحيث أنّ القيادة لا تتمّ إلّا عند رضى الناس ، فيفترض على المرجع أن يعمل على ترضية الناس حتّى صغارهم ، وعلى إرضاء من سخط منهم بكلّ الوسائل الممكنة ، لكن كلّ شيء بحدود ، فهناك حدود لرضى الناس ، فيجب على المرجع أن يوازن بين رضى الله ورضى الناس ، وأن لا يكون رضى الناس على حساب الدين والأحكام .

وفي الجانب الآخر على المرجع الديني أن لا يفعل ما يثير سخط الناس عليه . مثلاً ، في ظروفنا الحاضرة ، ينظر الناس إلى أصحاب القصور والسيارات الفارهة وما أشبه ذلك بنظر الاستنكار والكراهية ، فكان على المرجع أن يلاحظ هذه المسألة ، فيعيش هو ومعاونوه وأعضاء المؤسّسة التي تحيط به حياة الزاهدين ، ولا يفعلوا ما يثير سخط الناس وكلامهم .

ومن المعلوم أنّ ما ذكرناه إنّما هو بالنسبة إلى البلاد المتأخّرة الفقيرة ، أمّا في البلاد الغنية ، فإنّ الوضع قد يختلف ، كما قد يختلف الوضع أيضاً عندما يتحوّل المجتمع من الفقر إلى الغنى .

(٧) رقابة المجتمع

تطوّرت المجتمعات ومعها تطوّرت أساليب الانحراف في المجتمع ، فبعد أن كان الانحراف عملاً فردياً في السابق يقوم به أشخاص معقّدون

أو مرضى ، أصبحنا اليوم نواجه الانحراف المنظّم والفساد المخطّط ، الذي يرصد له أموال جمّة ، والذي يدار عبر منظّمات دولية بيدها كلّ أساليب التأثير بالإضافة إلى ما تمتلكه من الإمكانات الهائلة[1].

ومن الواضح أنّ الفرد أو الجمع المبعثر لا يستطيع أن يقوم في قبال العمل المنظّم ، إلّا بعمل منظّم ، فلكلّ فعل ردّ فعل مساوٍ له في القوّة ، لكنّه معاكس له في الاتّجاه .

وبعد المراقبة الدقيقة للمجتمع سيتبيّن للمرجع أنّ الانحرافات التي تطرأ في المجتمع يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام :

أوّلاً : انحرافات في العقيدة .

ثانياً : انحرافات المنهج ـ العمل ـ .

ثالثاً : انحرافات خُلُقية .

فالإلحاد ـ مثلاً ـ انحراف في العقيدة .

وسنّ قوانين مخالفة للإسلام ـ مثلاً ـ انحراف في المنهج .

كما أنّ انخراط الشباب في الأفعال المشينة كالإدمان وما شابه هو انحراف في الأخلاق .

فاللازم على المرجع أن ينشئ منظّمات خاصّة لمكافحة هذه الظواهر ،

---

(١) هذا ما كان يعرفه الإمام الشيرازي في ذلك الزمان ، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً لا زال بعض العلماء لم يعرف هذه الحقيقة ولكنّك إن سألته عن الشيرازي فتح لك ملفّ التسقيط!

سألت أحد (العلماء) يا أخي تتكلم ضد السيد الشيرازي، قُل لي أي كتاب من كتبه قرأته؟

قال: ليس مهماً أصرف وقتي لقراءة كتبه. أنا أعرفه!

قلت: وهل جلست معه؟

قال: لا حاجة لي أن أجلس معه. أنا أعرف كل شيء!

فلكلّ انحراف يوجد في قباله منظّمة أو لجـنة ، ويـجب أن تـمتدّ هـذه المنظّمة لكلّ مكان يظهر فيه الانحراف .

(٨) التصدّي للانحرافات

يجب على المرجع أن يكون شديداً في مواجهة الانحرافـات ، سـواء كانت من قبيل الانحرافات العقيدية التي يثيرها الملحدون ، أو الانحرافات الخلقية التي ينشرها المستهترون ، أو الانحرافات الناشئة عن عدم الالتزام بالشريعة الإسلامية سواء على صعيد الدولة أو المجتمع .

فلابدّ للمرجع أوّلاً أن يكون عالماً بهذه الانحرافات ، فالعلم بالمشكلة هو بداية الحلّ ، لأنّ وجود معلومات تـفصيلية عـن الانـحراف سـتدفع بالمرجع إلى التفكير بالعلاج والإصلاح والإرشاد ، بـخلاف ذلك عـندما يجعل العالِم نفسه منعزلاً عن العالَم ، لا يعلم ما يجول فيه ومـا يـدور ، وعندما يصله العلم في ذلك يكون الفساد قد استشرى وخرج الزمام من اليد .

(٩) المواجهة المتواصلة

طالما لم يطبّق الإسلام بكلّ حذافيره ، فإنّ المواجهة قائمة بين جبهة الخير ممثّلة بالمرجع وجبهة الشرّ ممثّلة بالقوى الشرّيرة المعادية للإسلام.

فطالما الخمور والمقامر والمباغي والملاهي والربا والاحتكار والفـقر والكبت والجريمة والقوانين المخالفة للإسلام مـوجودة ، فـإنّ المـعركة قائمة أيضاً ، فكان لابدّ من إعداد العدّة والتـهيّؤ لمـعركة طـويلة الأمـد يستخدم فيها القلم ، والكتاب ، والمبلّغ ، وغير ذلك .

ولا شكّ أنّ مواجهة هذه الانحرافات هي مسؤولية كلّ مسلم ، لكن المرجع الديني باعتباره النائب العام للإمام المعصوم عليه السلام فهو يتحمّل القسم الأكبر من هذه المواجهة ، فعليه أن يتهيّأ لها ويصرف جلّ وقته من أجل منع المفاسد من الانتشار في البلاد الإسلامية[١].

(١٠) نشر الرسائل المفيدة

ترد المرجع رسائل كثيرة في مختلف الشؤون ، وبعض هذه الرسائل فيها متعة وجمال في الأُسلوب ، كما وفي بعضها وصف لأوضاع المسلمين في مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية ، وفي بعضها استفتاءات تخدم المجتمع . فينبغي للمرجع جمع مثل هذه الرسائل وطبعها ونشرها ، فهي :

أوّلاً : تكشف عن علاقة الناس بالمرجع وأنّه الموطن الذي يلتجئ إليه الناس .

ثانياً : تسجّل هذه الرسائل وقائع هامّة يمكن أن تتحوّل إلى وثائق تاريخية .

ثالثاً : تسطّر هذه الرسائل معلومات هامّة عن أوضاع المسلمين

---

(١) قال لي أحد العلماء (التسقيطيين) ذات مرّة : ما قيمة هذا الحجم الكبير من الكتب والمجلّات والإعلاميات التي يؤلّفها السيّد الشيرازي وينشرها بين الناس ؟!

تقول لي كتب ألف كتاب ، أقول كتاب علمي واحد في الحوزة أغلى من مؤلفاته كلّها!

هذه عقلية العباقرة التي ابتليت بها الأُمّة الإسلامية ثمّ وقع أكثر الشباب بسببها في أسر الثقافة الغربية الفاسدة .

في مختلف المناطق .

رابعاً : في قراءة الرسائل متعة لا يمكن أن تمنحها الكتب المختلفة[1].

فكان على المرجع أن ينتخب بعض هذه الرسائل المفيدة وينشرها حتّى تؤدّي تلك الغاية المطلوبة .

(١١) رجال العلم والمجتمع

خطّطت الدوائر المعادية للإسلام لفصل المجتمع عن العلماء وأهل العلم ، وذلك بخلق حواجز وهمية لا حقيقة لها .

فمن جانب أوجدت في المجتمع عوامل النفور من عالم الدين باتّهامه بالرجعية والجهل والاستجداء والتملّق لأصحاب الأموال ، وفي الوقت نفسه خلقت عند بعض علماء الدين وطلبة العلوم الدينية نظرة العزف عن المجتمع والتقوقع .

وكانت حصيلة ذلك الانفصال النكد بين طبقة العلماء وطلّاب العلوم الدينية وأبناء المجتمع حتّى أصبحت طرق الاتّصال بينهما تكاد تكون مستحيلة ، حتّى لم تعد هناك لغة مشتركة بينهما . ويسعى الاستعمار إلى التشديد في الفروقات بين الجانبين حتّى يأخذ الصراع شكلاً طفيفاً في البداية ثمّ يشتدّ مع مرور الزمن ، ويتصاعد الصراع كلّما اشتدّت مؤامرات المستعمرين في رسم صورة مشوّهة عن الإسلام والمسلمين ، وعند طعن الإسلام بأنّه دين رجعي ضدّ التقدّم .

---

(١) لكن من اللازم انتقاء الرسائل وعدم درج ما يسبّب فضح إنسان أو ما شابه ، ولو أراد المرجع نشر مثل هذه الرسائل لفائدتها ، فاللازم إسقاط إمضائها ليكون جمعاً بين الفائدتين .

من هنا ، كان من واجبات المرجع الديني هو العمل على إزالة هذه الفروقات وإذابة هذه الحواجز ، بدعوة المجتمع إلى تغيير نظرته عن الإسلام باستخدام أساليب إعلامية مؤثّرة .

وعلى كلّ حال : يجب على المرجع أن يدحض مزاعم المستعمرين بأنّ الإسلام دين رجعي وأنّ علماء الدين أُناس أمّيون ، وتفهيم المجتمع بأهميّة رجل الدين وضرورة التفافهم حوله .

(١٢) تشجيع اللغة العربية

اللغة العربية ، هي لغة القرآن الكريم ، وهي (لغة أهل الجنّة) كما ورد في الحديث ، وهي إحدى وسائل توحيد الأُمّة الإسلامية ، وهذا لا يعني أن يترك غير العرب لغتهم ويتحدّثوا بالعربية ، كلّا بل يتعلّموا العربية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية .

فاللغة الأصلية هي لغة التفاهم في إطار الدولة أو القبيلة ، أمّا اللغة العربية فهي لغة التفاهم في إطار الأُمّة الإسلامية ، لذا كان من الضروري أن يهتمّ المرجع الديني بهذه اللغة ، بتشجيع أبناء الأُمّة الإسلامية على تعلّمها ، وفتح المدارس العديدة لتعلّمها ، ووضع مناهج مبسّطة لتعلّمها لغير الناطقين بها . والهدف طبعاً هو إيجاد جسر التفاهم بين أبناء الأُمّة .

(١٣) كتابة المذكّرات

في حياة المتصدّين والذين يتعاملون مع المجتمعات من موقع المسؤولية ، في حياتهم الكثير من العبر والدروس ، بالإضافة إلى أنّ هذه العبر تكون عبراً ودروساً للمتصدّي نفسه لأنّ من طبيعة الإنسان :

النسيان، فكان لابدّ من تدوين الأحداث أوّلاً بأوّل في سجل يومي لتكون الأحداث في الذاكرة .

فإنّ المذكّرات مشعل ينير درب السالكين ويلقي الضوء على الجوانب المظلمة من مسيرة المرجعية .

فاللازم أن لا يتواضع المرجع في ذكر النقاط المهمّة ، فإنّ التواضع في مثل هذه الأُمور ضياع لنفسه وضياع لمن يريد سلوك هذا الدرب .

وكما أنّ المذكّرات تتضمّن هذه الأُمور تتضمّن أيضاً قضايا اجتماعية ، وقد قال رسول الله ﷺ : « مَن أرَّخ مؤمناً فقد أحياه »[1].

---

(١) حكى لي صاحب دار نشر في قم المقدّسة أنّ للإمام الشيرازي (مذكّرات) مصفوفة في أكثر من خمسة آلاف صفحة ، ولا أدري أين حلّ بها المصير ولماذا لم يُنشَر ؟!

وفي الفصل السادس تحت عنوان

(المرجع في طريق التقدّم)

يكتب ﷺ في العناوين التالية:

(١) التواصل مع العالم

يعيش العالم في تقدّم علمي، وهذا التقدّم يعطي بيد المسلمين أفضل الفرص لنشر الإسلام، لذا على المرجع أن يهتمّ لتعريف الإسلام وإيصال حقيقته إلى أبنائه وإلى الغرباء عنه، وهذا ممكن بأقلّ قدر من الجهد وشيء يسير من المال، وأحسن الطرق هو تشكيل لجنة أو جمعية أو منظّمة تقوم بعمليات الاتّصال بمختلف أنحاء العالم بالشخصيات والجامعات والكتّاب والمفكّرين والزعماء والأثرياء والساسة ورجال القانون وأرباب الصحف والإذاعات والتلفاز ووضع الثقافة الإسلامية بين أيديهم بواسطة الرسائل أو إرسال الكتب إليهم[1].

(٢) النظرة الإسلامية

يجب أن يتحلّى المرجع بالنظرة الإسلامية أي أن يشعر نفسه بأنّه

---

(١) أمّا في الوقت الحاضر فقد أصبح العالَم قرية واحدة عبر شبكات الاتّصال ومنها الانترنيت، فبمقدور الإنسان أن يبعث برسالة واحدة إلى أكثر من مائة مليون إنسان في لحظة واحدة عبر الانترنيت. فعلى المهتمّين بتعريف الإسلام استخدام أقراص الكمبيوتر التي تزوّد بما يحتاجه الإنسان الغربي من معلومات حول الإسلام والتي تجيبه على تساؤلاته المختلفة.

يعيش في محيط أوسع من محيط بلده وهو العالم الإسلامي ، كما عليه أن يشعر بأنّ الدائرة التي حوله لا تتلخّص في المقلّدين والمـؤيّدين له بـل الأُمّة الإسلامية كلّها تعيش في هذه الدائرة .

فإذا اتّصف المرجع بهذه النظرة فإنّ قراراته ستكون مـتضمّنة مـصالح الأُمّة والعالم الإسلامي وليس فـقط مـصلحة جـماعة مـحدودة أو بـلد محدود. وهذا هو أحد سبل النجاح في العمل .

(٣) التطورات العالمية

يـتعرّض العـالم الإسـلامي إلى ضـغوط عـالمية لنسـف مـرتكزاتـه الإسلامية. فهناك أكثر من مؤسّسة وجهاز ودولة تعمل على تـغيير بـنية المجتمع الإسلامي وجعله مجتمعاً غربياً .

فقد ظهر التبرّج في ايران قبل عدّة عقود ، في زمـن « رضـا خـان » نتيجة عمل مكثّف قامت به سفارات بعض الدول الأجنبية فـي طـهران ، فقد كانت تشجّع رعاياها من النساء إلى أن يتجوّلن في شـوارع طـهران وهنّ سافرات ، الأمر الذي شجّع بنات ونساء بعض الايرانيين المتأثّرين بالحضارة الغربية إلى سلوك المنهج نفسه .

وإذا ما تمعّنا في أُمور أُخرى ، في العالم الإسلامي لوجدنا أنّها غـير منفصلة عن التأثيرات الغربية ، بل هي وليدة أحـداث أو قـرارات سـبق واتّخذتها الدول الغربية خارج العالم الإسلامي . لذا كان لابدّ لمن يـريد إصلاح الأوضاع في العالم الإسلامي أن يراقب هذه الأحداث في مناطق نشوُها أي في البلدان غير الإسلامية ، لأنّ معرفة الداء سيسهّل أمر العلاج

بل يعطي إمكانية الوقاية التامّة من الأمراض المستوردة[1].

(٤) الخطة المستقبلية

من الضروري أيضاً للمرجع أن يعدّ خطّة مستقبلية لبرامجه ، مثلاً يضع خطّة لخمس سنوات ماذا يفعل فيها ؟

كم مدرسة علمية يجب عليه انشاؤها خلال هذه المدّة ؟

وكم طالب علم يجب أن يضافوا إلى الحوزة العلمية ؟

وكم من المبلّغين يجب عليه تخريجهم خلال هذه الفترة ؟

وكم كتاب يمكنه طبعه خلال هذه السنوات ؟

وبعد أن ينجز مهمّة التخطيط ، عليه أن يكوّن لجاناً لتنفيذ هذه الخطّة ، كلاً حسب تخصّصه .

وعليه أيضاً : أن يعدّ المال اللازم لهذه الخطّة .

(٥) التأثير في مراكز القوّة

تقوم أنظمة الحكم في البلاد الأجنبية على توازن مراكز القوّة ، واستناداً لنظرية الاستقطاب ، يمكن التأثير في هذه المراكز وبالأخصّ الموجودة في المانيا وفرنسا وامريكا وغيرها من البلاد الغربية .

---

(١) نحن الآن في العام (٢٠٠٤) من القرن الواحد والعشرين ، وهناك لا زال في زماننا (علماء مُعَتَّقون !) لا يعلمون ماذا يدور في (محلّتهم) فضلاً عن مدينتهم أو بلادهم فكيف بالعالَم ! بل دعني أقول أنّ هناك (علماء !) لا يعلمون ماذا يعمل ابنه أو ابنته في بيته ، وفجأة يلطم على رأسه لمّا يظهر أولاده على غير مرامه ، شيوعيين مثلاً أو ما أشبه!

والتأثير بالطبع يحصل من خلال عمل فكري وعلاقاتي في داخل تلك الدول .

ويستطيع المرجع الديني أن يقدّم الكثير في هذا المضمار ، وذلك من خلال عملين اثنين :

الأوّل : تشجيع الكفاءات الإسلامية من كتّاب وخطباء وأساتذة جامعيين على الهجرة إلى تلك البلدان .

الثاني : العمل على جمع شتات المسلمين المبعثر في تلك البلدان وتوجيههم للانطلاق والعمل[1].

(٦) الفاعلية المستمرّة

عندما ترمي بحجارة إلى الهواء بشكل عمودي ، تنطلق الحجارة بقوّة كبيرة ثمّ تضعف حركتها ثمّ بعد ذلك تتلاشى هذه الحركة ثمّ تعود الحجارة إلى مكانها لتستقرّ في خمود إلى ما نهاية له .

وهكذا الدول والحضارات التي تنطلق بقوّة كبيرة ثمّ تضعف حركتها لتعود إلى مكانها في سكون نهائي .

---

(١) أفكار استراتيجية على مستوى العالَم كان يطرحها سماحته في زمن لم يكن أكثر العلماء يفكّرون إلّا في حدود مساجد مناطقهم والتي لم تخلُ من الصراعات على إمامتها! وهؤلاء أكثرهم كانوا ولا يزال بعضهم يتكلّمون ضد هذا السيد العظيم! ذكر لي صاحب دار نشر اشترك في معرض الكتاب الدولي في البحرين هذه السنة (١٤٢٥) أن شيخاً (بحرانيّاً) وقف أمام غرفته و أخذ من غير مناسبة يتكلّم ضد السيّد الشيرازي! وتفاجأ منّي لمّا نهرتُه بشدّة واشمئزاز قائلاً له: اذا كنتم أنتم (العلماء) هكذا تغتابون مرجعاً رجع الى ربّه الكريم فماذا تكون حالة الناس عندكم في البحرين؟! فمشىٰ ولم ينظر الى ورائه.

وهكذا المجتمعات والأفراد فهي تشرع حركتها بقوّة هائلة ثمّ تضعف هذه القوّة لتنتهي في النهاية إلى الاستقرار في مكانها .

والمرجع باعتباره فرداً تجري عليه هذه السنّة ، فعندما ينطلق في ميدان المرجعية ينطلق بقوّة ثمّ تضعف قوّته حتّى تصل إلى أدنى درجات القوّة . لذا كان لابدّ من المراقبة المستمرّة ، ومقايسة خطّ النشاط في حياته ليكون تصاعدياً دائماً ، وأفضل مقياس لمعرفة خطّ النشاط في حياته ليكون تصاعدياً دائماً ، هو الاحتكام إلى القاعدة الراسخة « مَن تساوىٰ يوماهُ فهو مَغبون »[1].

فإذا حاول المرجع أن يضيف شيئاً إلى رصيده بالأمس فإنّ ذلك هو ضمانة التقدّم والفاعلية المستمرّة .

(٧) الفئات غير المسلمة في البلاد الإسلامية

في هذه الفقرة نتحدّث عن الفئات غير المسلمة في البلاد الإسلامية، وهم جمع كبير من غيرالمسلمين الذين يعيشون بيننا، فلابدّ من الاهتمام بهم . فمثلاً في العراق ولبنان وسورية : هناك فئات مسيحية ويهودية تعيش بين المسلمين ، وبعض هؤلاء يشاركون المسلمين في مناسباتهم ، فالمسيحيون في لبنان يشاركون الشيعة في مناسبة عاشوراء ، وبعضهم ينظر إلى الإمام الحسين عليه‌السلام كما ينظر إلى النبي عيسى بن مريم عليه‌السلام في القدسية .

---

(١) معاني الأخبار : ص٣٤٢ ، وسائل الشيعة : ج١٦ ص٩٤ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص١٧٣ وج٧٨ ص٣٢٧ .

ويعزى هذا التأثير إلى وجود التداخل بين المسلمين وغيرهم ، وكما أنّ المسيحي يتأثّر بالمسلم القوي ، فأيضاً المسلم الضعيف يتأثّر بالمسيحي القوي .

فكان على المرجع الديني أن يهتمّ اهتماماً كبيراً بهذه الفئات حتّى يدخلهم في حضيرة الإسلام .

ومن وسائل الاهتمام هذه إعداد فريق من المبلّغين ونشرهم في أماكن تواجد هذه الفئات لدعوتهم إلى الإسلام . كما يجب الاهتمام بالمسلمين المتأثّرين بالفكر الغربي .

(٨) إعداد خارطة للنشاط الإسلامي في العالم

من الضروري إعداد خارطة تتضمّن القارات الخمس وتبيّن مواقع المسلمين عليها ، ثمّ تتضمّن بالإضافة إلى المواقع الجغرافية للمراكز الإسلامية أنواع النشاطات الدينية وعدد المساجد والمؤسّسات ، ونسبة العلماء وأئمّة المساجد فيها ، بالإضافة إلى جميع المعلومات المطلوبة الأُخرى .

كذلك من الضروري أن تبيّن الخارطة مواقع النشاط المعادي للمسلمين والمناهض للتشيّع .

وأهميّة هذه الخارطة تكمن في الإحاطة واستيعاب المرجع لجميع المناطق التي يمكن العمل فيها ، وملء الفراغات التي قد تحدث في بعض المناطق ، ونشر الوعي والجهد بصورة متكافئة في مختلف المناطق .

ومن الضروري تقسيم مناطق الخارطة إلى قسمين :

القسم الأوّل : المناطق الإسلامية .

ويتمّ فيها إحصاء المراكز الإسلامية وعدد المسلمين وعدد المساجد فيها . وإذا لم يكن فيها وكيل ، فإنّه سيبعث بوكيل إليها ، وإذا لم يكن فيها مكتبة ، أو مركز ثقافي ، فإنّه سيبادر إلى تأسيس هذه المراكز .

القسم الثاني : المناطق غير الإسلامية .

وفيها لابدّ للمرجع أن يتعرّف على طبيعة المجتمعات ومستوى الثقافة فيها ، وكيفية مخاطبة المسلمين في هذه المناطق فضلاً عن غير المسلمين.

ويلزم على المرجع أن يرسل أفراداً إلى هذه المناطق لدراستها ولتحديد احتياجاتها ، ومعرفة المراكز المعادية للإسلام فيها ، ولتحديد سبل تقوية المسلمين فيها باعتبار أنّ أعدادهم محدودة .

ويتمّ ترتيب هذه النشاطات ضمن لجان متعاونة . لجنة تقوم بأعمال التخطيط ، وأُخرى تقوم بالنشاطات الأُخرى من ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية . إنّ العمل وفق هذه الفكرة ، سيحقّق القدر الأكبر من النشاط الإسلامي المطلوب في المناطق الأُخرى من تواجد المسلمين[١].

(٩) الغير أوّلاً

« الجار ثمّ الدار »[٢] حديث مروي عن رسول الله ﷺ وقد روته

---

(١) هذه العقلية ما كان يتحمّلها الاستعمار وأذنابه وما كان يستوعبها الحسّاد ، فاجتمعت الكلمة على الإطاحة بها وبمهندسها وربّانها الإمام الشيرازي، ولكنه استقام وانتصر. وهذا رمز قوّته وبقائه.

(٢) وسائل الشيعة : ج٧ ص١١٣ ، علل الشرائع : ص١٨١ ، كشف الغمّة : ج١ ص٤٦٨ ، روضة

فاطمة الزهراء عليها السلام . والحديث المتقدّم يطرح أمام الإنسان المؤمن مبدأ هامّاً هو أنّ الأفضل تقديم الغير في مختلف الفوائد والنعم . وهذا المبدأ فيه خير الدنيا والآخرة لمن يعمل به وبالأخصّ المرجع الذي يعتبر سيّد القوم وهو بالطبع خادمهم.

فالذي يستفيد منه المرجع في الدنيا أنّه سيزداد التفاف الناس حول الدين ، أمّا فوائده في الآخرة فكثيرة من أهمّها الأجر العظيم والثواب الكبير حسب الآية الكريمة : **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**[1]، فثواب الإيثار هو الأجر والثواب في الآخرة[2].

الواعظين : ص٣٢٩ ، دلائل الإمامة : ص٥٦ ، بحار الأنوار : ج٤٣ ص٨١ . ونصّ الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام : قال رأيت أُمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : ياأُمّاه لِمَ لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك ، فقالت : يابني الجار ثمّ الدار .

(١) سورة الحشر: الآية ٩ .

(٢) يتساءل الناس لماذا أصبح أولاد بعض المراجع والعلماء أثرياء جبّارين ؟! فلو كان المرجع والعالم يطبّق مبدأ (الجار ثمّ الدار) هل كان تقوم امبراطورية (الخمس) في شريحة من (العلماء) تقطع طريق الخير على الجميع وتؤسّس للطبقية في مؤسّسة يأمل منها الضعفاء معالجة أوضاعهم.

هذا ولقد رأيت بعض المراجع الذين انتقلوا من الدنيا زاهدين ولم يكنزوا الذهب والفضّة لأولادهم ثلاثة، هم السيد الخميني والسيد السبزواري والسيّد محمّد الشيرازي وأمّا الأخير فقد عاش بيتاً مستأجراً ولا زال أهل الخير يتفاوضون مع أولاده حول تسديد ديونه التي كان يأخذها لتنفيذ مشاريعه الكبيرة . ويُذكر أنّ السيّد الشيرازي كانت مصاريفه الإسلامية أوسع من الأموال الواردة عليه ، فما كان مالٌ من الوجوهات الشرعية يُجبىٰ اليه حتّى كان صرفه في

(١٠) اضطراب التقدّم

كما أنّ الحجر عندما يرتطم بالماء يحدث اضطراباً ، كذلك الإنسان عندما ينزل إلى الساحة سيحدث اضطراباً في الوسط .

فقد رافقت التقدّم حالة من الاضطراب لابدّ منها وإلّا فالجمود لا يأتي إلّا بالجمود .

وإذا ما تمعّنا في نفوس المبدعين والمكتشفين لوجدنا أنّهم يعيشون حالة من القلق والاضطراب سببها التفكير المستمر بالعمل والخشية من عدم إنجاز الأمر .

وهناك اضطراب محمود ، واضطراب مذموم . فالاضطراب المذموم ، هو الذي لا ينتهي إلى شيء ، وهو الاضطراب الذي لا يعني شيئاً . أمّا الاضطراب المحمود ، فهو الذي ينتهي إلى التقدّم .

وعليه : إذا لم يجد المرجع في نفسه القلق وفي عمله الاضطراب ، كان ذلك علامة الجمود وآية الوقوف ، فعليه أن يوجد ذلك بالحركة والإقدام والعمل .

ومن المؤكّد أن يثير ذلك همزاً من بعض من لا خبرة له ، لكن هذه هي ضريبة التقدّم ، فكان لابدّ من تحمّلها .

المشاريع أو يسدّد به الديون .

في مشهد الرضا ٧ عام ١٩٩٤ دخلت على بقّالٍ ذكر السيّد الشيرازي بخير وأثنى عليه كثيراً. فتعجّبت أنّه (لم يكن تسقيطياً !) سألته من أين تعرف السيّد؟ فقال أعرفه منذ كان والدي يقلّد والده، وأنا أُقلّده لأنّي على يقين بأنّي لا أدفع إليه (خمس أموالي) صباحاً إلّا صرفه للإسلام فلم يبق شيء منه بيده إلى العصر. فهو لا يكدّسه في البنوك ليرثه أولاده أو تستثمره الشركات الأجنبية في لندن وغيرها.

ويكفي أن نلاحظ جميع الحركات الإنسانية ومنها حركة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، فحيث أنّها كانت تدعو إلى التقدّم ، كانت الحصيلة هي سفك دمائهم ، والصراع الذي شنّه الشرّيرون عليهم .

(١١) إرسال المبلّغين إلى البلاد غير الإسلامية

من الضروري أن يهتمّ المرجع بإرسال مبلّغين إلى مختلف بلاد العالم ، لنشر الإسلام وهداية الناس إليه .

والمقصود بالتبليغ هو بعث مبلّغين إلى البلدان التي لا تدين بالإسلام. فالإسلام أصبح محصوراً في نطاق محدود داخل جدران البلاد الإسلامية بالرغم من أنّه دين عالمي يحمل رسالة عالمية جاءت لإنارة العالم كلّه وليس لمنطقة خاصّة ، وشعب محدود[1].

---

(١) في عام (١٩٨٣) التقيت في مدينة (مومباسا) بـ(كينيا) ـ جنوب شرق القارة الإفريقية برئيس جمعية بلال المسلم ، فعرّفني على تأريخ تأسيس الجمعية والدروس فيها قائلاً: أسّسنا هذه الجمعية قبل ثلاثين سنة بتشجيع السيّد محمّد الشيرازي لمّا تعرّفنا عليه في زيارتنا لحرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء . وأعطانا كتابه (العقائد الإسلامية) وهو ما ندرّسه جيلاً بعد جيل إلى هذا اليوم . ثمّ أخرج لي نسخة منه مع الترجمة المطبوعة باللغة السـاحلية والانجليزية وأخذ يتكلّم في مدح السيّد ولا يدري علاقتي بسماحته . ومثل هذه القضايا لو كتبتها وكتبها أصدقاء السيّد لفاقت المجلّدات ، ثمّ تجد تسقيط هذا السيّد الجليل في بلداننا يبلغ إلى درجة يهينه حتّى (أولاد الشوارع) وليس ذلك إلا من عطاء بعض المعمّمين (الفطاحل)!

(١٢) استثمار السلطات السياسية

السلطة وما تمتلكه من أجهزة وإمكانات وسيلة جيّدة لخدمة الإسلام إذا ما استطاع المرجع الديني استثمارها بالشكل الجيّد . وقد نهج الكثير من علماء الدين هذا المنهج فاستعانوا بالسلطات الحاكمة في الترويج للدين ، منهم : العلّامة المجلسي والعلّامة الكركي والشيخ حسين عبدالصمد والد الشيخ البهائي والشيخ البهائي نفسه .

وتنقسم السلطات من حيث موقفها ووضعها إلى قسمين :

الأوّل : السلطات التي تتّصف بالانحراف ويُخشى الاقتراب منها .

الثاني : السلطات العادلة بصفة نسبية .

فأمّا النوع الأوّل فيتمكّن المرجع تسبيب الأسباب لسحب هذه السلطات إلى خدمة الإسلام بدون أن يقترب هو من السلطة فيكون قد جمع المرجع بين فائدة خدمة السلطة للإسلام ، وتوقّى في الوقت نفسه أضرار الاقتراب منها .

أمّا القسم الثاني فيفترض بالمرجع أن يدعوها إلى التعاون ويعمل على استثمارها لخدمة الإسلام . وفي الكلام تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا الأُخرى[١].

---

(١) هذه قضية هامّة في أسباب التسقيطات الداخلية عندنا ، وتعود جذوره إلى النظرية الإسلامية في مذهب أهل البيت عليهم السلام في الموقف من السلطات المغتصبة لحقّ الحكومة من قادتها الحقيقيين . ولكن حيث مصالح الأُمّة وشؤون الناس الدنيوية والمعيشية تتطلّب الاتّصال بالسلطات فقد فتح أئمّتنا الأطهار عليهم السلام ومن باب (التعايش) نافذة على التعامل مع هذه السلطات بمقدار الضرورة التي تحقّق ذلك الهدف . بناءً على قاعدة أصل البراءة وقاعدة (الضرورات تبيح المحذورات) . هذا ما لم يختلف عليه جمهور علماء الشيعة وخاصّة بعد أن

(١٣) النشر باللغات المختلفة

بات المسلمون وهم ينتشرون في مختلف أنحاء العالم ويتكلّمون بمختلف اللغات العالمية ، فكان لابدّ من التفكير في إعداد ترجمات مختلفة « للرسالة العملية » التي تتضمّن فتاوى المرجع . وهذا العمل لا يكلّف سوى إشارة من المرجع ، فهناك الكثير من الأفراد في المجتمع ممّن هم على استعداد دائم للقيام بهذا الأمر إذا ما تمّ حثّهم من قبل المرجع بذلك .

(١٤) الهدف في نصب العين

الهدف الأكبر الذي يسعى من أجله المرجع هو تطبيق حكم الله في الأرض ، في مختلف مجالات الحياة ، وكلّ هدف دون ذلك فهو قصور أو تقصير عن هذا الواجب .

لا عذر لأحد في عدم تطبيق الإسلام بحذافيره لأنّه دين الفطرة الإنسانية ، لأنّه منشأ السعادة الدنيوية والأُخروية . وإنّما تقف بعض الحواجز لتمنع عن تطبيق الإسلام .

ومن هذه الحواجز : الحكومات التي لا تريد للإسلام حياة على سطح

ثبت بأنّ الأئمّة عليهم السلام التقوا بعض الأحيان مع الحكام الغاصبين وزرعوا أتباعهم في مفاصل تلك السلطات أحياناً أكثر لقضاء حوائج الناس ـ كما قلنا ـ إلّا أنّ التسقيطيين في زماننا يحاولوا دائماً خلط الأوراق على الناس ، فإذا دخلوا مع السلاطين برّروا موقفهم بالمبدأ الثاني (قاعدة الضرورات تبيح المحذورات) . وإذا دخل معهم مَن ليس من حزبهم رشقوه بالمبدأ الأوّل (أصل البراءة من الظالمين) هكذا يلعب التسقيطيون بالدين لأجل شخوصهم وشخصياتهم.

الكرة الأرضية . فعلى المرجع إقناع هذه الحكومات ـ إن أمكن ـ بأنّ من مصلحتها تطبيق الإسلام ، لأنّ الإسلام سيأتي بالأمن والرفاه سيستأصل جذور الجريمة من على سطح الكرة الأرضية .

ومن الحواجز التي تعيق تطبيق الشريعة ، ضعف وعي المسلمين وفهمهم الناقص للإسلام ، فقد عرّف البعض الإسلام أنّه صلاة وصوم فقط، ولا يعلم أنّ أبواب المعاملات في الفقه الإسلامي أوسع من أبواب العبادات ، فعلى المرجع أن يقوم بتوفير الأرضية اللازمة لانتشار الوعي السليم بين الناس .

ومن الحواجز التي تحول دون تطبيق الإسلام ، الدعايات المغرضة التي يبثّها أعداء الإسلام بوصف الشريعة الإسلامية بأنّها شريعة قديمة .

فكان لابدّ للمرجع أن يتصدّى لهذه الاتّهامات ويكشف زيفها ويظهر محاسن الإسلام ، ويبيّن أنّ الإسلام هو دين التقدّم والرحمة ؟

(١٥) استثمار الوسائل العصرية

تتيح الوسائل العصرية للمرجع فرص كبيرة لنشر الإسلام ونشر رسالته في الحياة .

فاستخدام الإذاعة وسيلة لنشر الحلال والحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وستصبح بالتالي وسيلة لنشر الإسلام .

وكذلك الصحف والتلفاز وما شابه[١].

---

(١) واليوم بدخول « الانترنيت » ـ ومعناه الشبكة الداخلية ـ كأُسلوب جديد في إيصال المعلومات ونشر الثقافة ، فلابدّ من الاستفادة من هذه الوسيلة الجديدة لنشر الإسلام عالمياً .

أليس من الأفضل استثمار هذه الوسائل قبل أن يبادر أعداء الإسلام إلى استثمارها وتوجيهها لأهدافهم الهدّامة .

(١٦) السلام

السلام : شعار وممارسة ، فتحيّة المسلم هو السلام ، ونهاية كلّ صلاة يتلو المسلم هذا الشعار ، لكن هل نكتفي بهذا القدر أم يجب أن نحوّل السلام إلى ممارسة يومية كما جاء في الآية الكريمة : ﴿**ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[(١)].

والسلام يضمّ مساحة واسعة من الممارسات العملية ، فهو يبتدئ بالامتناع عن النميمة والغيبة واللمز والهمز ، وينتهي إلى المطالبة الجادّة للكفّ عن استخدام الأسلحة الفتّاكة ، ومناشدة الحكومات المتحاربة إلى التوقّف عن الصراعات .

وهذا لا يعني أنّ الإسلام لا يلجأ إلى الحرب إذا ما اضطرّ إليه اضطراراً، إلّا أنّ عالمنا اليوم امتلأ بفكرة الحرب والانقلابات كما امتلأ بمختلف الأسلحة الفتّاكة حتّى ذكر أنّ ما بحوزة الدول من الأسلحة يكفي لتدمير الكرة الأرضية أربع مرّات[(٢)].

إذ بمقدور المرجع الإجابة على أسئلة المقلّدين له في لحظات عبر هذه الشبكة الواسعة التي توصل الشرق بالغرب في لحظات . ولقد حقّقت مؤسّسة الإمام الشيرازي العالمية نجاحاً كبيراً بفتحها لقناة فضائية باسم (الأنوار) التي بدأت بثّها من أول شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٥هـ».

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨.

(٢) هذا في ذلك الزمان ، أمّا في الوقت الحاضر ، فإنّ الأسلحة الموجودة في العالم تكفي

ولمّا كان المرجع مسؤولاً عن حياة الملايين من البشر الذين تفتك بهم الحروب ـ باعتباره نائباً عن الإمام المعصوم عليه السلام ـ فإنّ عليه أن يرفع شعار السلام ويدعو العالم إلى سلام عادل يضع حدّاً للخلافات والحروب.

(١٧) مكافحة الانحرافات الكبرى

يعدّ الانحراف في العقيدة وفي الأخلاق وفي النظام من الانحرافات الكبرى التي يجب أن يقف المرجع بوجهها الموقف الصارم .

وهذه الانحرافات في تزايد وتصاعد مستمرّين ، فكان لابدّ من خطّة تدريجية لمكافحة هذه الانحرافات .

وتقوم هذه الخطّة على الخطوات التالية :

١ ـ المرحلة الأُولى : تقوية الأجهزة المرتبطة بالمرجع بحيث يصعب اختراقها أخلاقياً .

٢ ـ المرحلة الثانية : العمل على تجميد الأجهزة المولّدة للانحرافات حتّى تقف على الحياد .

٣ ـ المرحلة الثالثة : صنع خلخلة في أجهزة الانحراف .

٤ ـ المرحلة الرابعة : الهجوم على هذه الأجهزة وتصفيتها ثقافياً وسياسياً واجتماعياً[1].

لإبادة البشرية عشرات المرّات .

(١) أين هذه العقلية (المبرمجة) عن عقلية الذين اشتغلوا منذ تلك السنوات ليثبتوا أنّ هذا الرجل (غير مجتهد)! وشغلوا الناس بهذا الجدل ليفرغ المفسدون لتفسيد الشباب. يالمهزلة تضحك الثكلى!

(١٨) الشرك والإلحاد

في عالمنا اليوم مئات الملايين من الملحدين ومئات الملايين من المشركين ، وكلّهم مزوّدون بأحدث الوسائل الإعلامية ، وأكبر قدر من المال والقوّة ، ويحتمون بحضارة عريضة وطويلة .

فعلى المرجع أن ينظّم حملة دائمة وعميقة ضدّ هاتين الجبهتين ، وإلّا لتقدّمتا على حساب جبهة التوحيد ، وهذا من أكبر الخسائر ، وحيث أنّ المرجع هو المسؤول الأوّل عن الإيمان ، فالواجب عليه حماية الإيمان بكلّ ما أُوتي من حول وطول ، وحيث أنّ المرجع بشر لا يقدر على القيام بكلّ المسؤوليات ، فاللازم عليه تشكيل جبهتين للكفاح في هذا السبيل .

وأخيراً

فإنّ ما ورد في هذا الكتاب من أفكار وآراء هي خلاصة ما جال في الفكر ، وخلاصة تجارب عدد كبير من المراجع ممّن عاصرتُهم أو قرأتُ عنهم « رضوان الله عليهم » .

كذلك هي حصيلة التجربة الذاتية التي خضتها ، بالإضافة إلى ما استفدت من آراء ومشاورات الاخوان والأصدقاء « حفظهم الله تعالى » .

وفي النهاية أُحبّ أن أُنبّه بأنّ القصد من لفظ « ينبغي ، يجب ، يلزم » هو المعاني اللغوية ، وليس المقصود منه الوجوب الشرعي أو الاستحباب الشرعي . وتعيين أنّ أيّاً منها واجب وأيّاً منها مستحبّ منوط بنفس المرجع .

والله المسؤول أن يوفّق المسلمين وإيّانا لما فيه خير الدنيا والآخرة ، وهو المستعان .

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين .

كربلاء المقدّسة ١ / ٣ / ١٣٩١هـ محمّد الشيرازي[1]

المرجع الممتاز

وإذ أُحاول المضي هنا في الكشف عن الحقائق التي تحيط شخصية الإمام الشيرازي أُذكّر القارئ العزيز أنّ القصد ليس إهانة أحد إلا الذين أهانوا أنفسهم بإهانة هذا المظلوم الذي لا زالت الأذهان التي شُوّهت ضدّه تعمل على نقل الصورة المشوّهة إلى نسل جديد لتستمرّ سنّة التسقيط له ولأمثاله في مجتمعاتنا المريضة التي تستجيب بسرعة لكلّ (ميكروب) من الشائعة و الأكاذيب. ولذا ومن منطلق الآية الشريفة **﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾**[2] أقول:

تصوّر ـ أيها المنصف ـ عالماً قد شكّك الذين حوله ضد الامام الشيرازي لمدة تتجاوز (٢٥ سنة) وصنع ممن تأثروا به أبواقاً ضد هذا السيد المظلوم وضدّي خلال هذه المدّة (حتى سمعت بأذُنيَّ من أحد أقربائه يلعن السيّد) ولما انفرجت الأوضاع السياسية في البحرين وأردنا الرجوع الى الوطن في سنة (٢٠٠١م) ولكيلا نعود بعقول أهل النزاع فيتأذى الناس أرسلت اليه وسيطاً للمصالحة. فطلب أن أبدأ بزيارته! وحيث القضيّة ليست شخصيّة ذهبتُ اليه.. وردّ على زيارتي بعد شهر،

---

(١) ونحن اليوم في ١ / ٤ / ١٤٢٥هـ يعني تاريخ تأليف الكتاب يعود إلى ما قبل (٣٤) عاماً .

(٢) سورة النساء : ١٤٨.

فقلت له ان الأوضاع تحتّم علينا نسيان الماضي وفتح صفحة جديدة بالتعاون البنّاء. فقال: كلام جميل ولكن بشرط واحد!! قلت: ما هو الشرط؟ قال: أن تعلن براءتك من الشيرازي والشيرازيين!! فقلت: هل بنيتَ موقفك ضد السيد الشيرازي على أساس علمي؟

قال: انه ليس بمجتهد عندي!

واللطيف أن الأخ يدّعي نفسه مجتهداً، لذا قلت له إن المجتهد لكي يستنبط حكم فرع فقهي يستفرغ قواه في قراءة الأدلّة الشرعية ومقارنة الأقوال، ولعله أياماً يبحث في بطون الكتب القديمة والجديدة حتى يستقر رأيه على قول لا يخرج عن واحد من أقوال الفقهاء الآخرين، فليس فيه جديدٌ مبتكر ولا يترتب عليه في المجتمع من كبير أثر. ولكنك عندما بنيتَ رأيك التسقيطي في السيد الشيرازي، هل قرأت كتبه؟ هل جلست معه وحاورته؟ لقد عشتَ في حوزة قم اكثر من عشرين سنة، ماذا كان يضرّك أن تلتقي بالسيد بعض الساعات من هذه السنوات ولتطمئن في موقفك الضدّ، فهذا أمر تترتب عليه أشياء كثيرة في المجتمع، فهو أهم من تلك المسألة الفقهية الفرعية المحدودة الأثر. ولكن دعني أصارحك أني كما كنت سابقاً شيرازي حتى النخاع، وبعد رحيله سوف نعلن بدل مرجع واحد مرجعين من مدرسة الامام الشيرازي.. أخاه الفقيه الورع آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي وابن شقيقته آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (حفظهما الله). وأضفت لزائري (المسكين) أني أرجوا أن تعرفوا شروط التعاون معرفةً إسلامية فنحن في زمانٍ متغيّر.

ويعود إصرارنا علىٰ المرجع المجدّد السيّد محمّد بن مهدي الحسيني الشيرازي (طاب ثراه) الىٰ تميّزه بصفات ومؤهّلات لم تجتمع في الآخرين

كما اجتمعت فيه ، وتلك هي :

١ ـ اجتهاده المبكّر وفقاهته الواعية .

٢ ـ عدالته ونزاهته وزهده العجيب .

٣ ـ أُسرته العلمية العريقة في الجهاد والورع وحبّ آل محمّد ﷺ .

٤ ـ نبوغه منذ نعومة أظفاره ، حيث كان حافظاً للقرآن الكريم وهو ابن السابع من عمره .

٥ ـ سعة معلوماته وإطّلاعه على الثقافات العامّة والتاريخ وأخبار الناس والدول والإحصائيات .

٦ ـ طموحه التجديدي النهضوي المستمر .

٧ ـ تنوّع اهتماماته وشموليته في التصدّي .

٨ ـ عقليته البرمجية والتنظيمية والمؤسّسية للأعمال .

٩ ـ اللّاعنف المطلق وأخلاقه السلمية في العمل السياسي .

١٠ ـ سعة صدره والانفتاح على مخالفيه وعدم التحامل عليهم .

١١ ـ التزامه الشديد والواعي بالأصالة المتمحورة على القرآن الكريم والسنّة الطاهرة ، فما كان يميل إلى الاستنباط الاستذواقي أو يجمّد النصوص الشرعية ليأخذ بالإستحسان العقلي . لذلك لا تغيب هذه النصوص عن كتاباته وخطاباته، حتى راح يبتكر من خطبة الزهراء عليها السلام استنباط أحكام فقهية وقواعد لها، وهذه لأوّل مرّة في تاريخ الإجتهاد والفقاهة.

١٢ ـ عالميته الفكرية وشجاعته في طرح أفكاره وحلوله الحضارية ومواقفه الجريئة .

١٣ ـ صبره وحلمه وثقته العالية بالله تعالى .

١٤ ـ تواضعه وحبّه للناس والضعفاء منهم خاصّة .

١٥ ـ تأسيسه وتشجيعه لمئات المشاريع والمؤسّسات والمراكز الدراساتية العلمية والاجتماعية والدينية والخيرية والسياسية في أنحاء العالم من غير أن يسمّي واحدة منها باسمه . بل كان يحثّ على تسميتها باسم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأو أحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

١٦ ـ عدم توقّفه عن العمل والعطاء منذ انطلاقته الشبابية في الأربعينيات حتّى وفاته في مطلع عام (١٤٢٣هـ) ، (٢٠٠٢م) رغم تبدّل الأجواء السياسية والاجتماعية والجغرافية التي عاشها خلال مسيرته الصامدة والطويلة . فكان يتدفّق غيرةً على الدين والناس ويرفد الحياة من فكره ونصائحه دون يأس وملل وتراجع، سواءً لمّا كان مقيماً في العراق أو الكويت أو ايران .

١٧ ـ كان سهل التعامل وفي غايةٍ من بساطة العيش ، وكان في أُموره كلّها يرفض التكلّف والتعقيد ، وظهرت هذه الخصلة الجميلة على كتاباته وخطاباته ومراسم تزويج أولاده واستقباله للناس والضيوف والتحدّث معهم حسب مستوياتهم ، فلم يستعرض عضلاته العلمية ويفوّت عليهم فرصة وعي الإسلام وما ينفعهم في تقدّم حياتهم.

١٨ ـ كان يعيش هموم الناس ويحمل آلام الأُمّة ويتألّم لمشاكلها ويركّز على انتشالها من حضيض التخلّف الذي جرّها إليه الاستعمار والحكّام المرتبطون به . ولذلك بدأ نضاله السياسي منذ (١٩٥٨) مع سقوط الحكم الملكي في العراق وهو في الثلاثين من عمره وجاهد الشيوعيين والقوميين والبعثيين . وكان في طليعة المتضامنين مع الإمام الخميني قدس سره في حركته الإسلامية منذ (١٩٦٣) وتعاون معه حتّى

انتصارها في عام (١٩٧٩) . ولم تكن قضية ترشيد هذه التجربة الفتية في ايران وقضية افغانستان والقضية الفلسطينية والعراقية والخليجية وغـيرها غائبة عن ذاكرة الإمام الشيرازي في مواجهة أعداء الأُمّة، فهو حينما ينتقد إنّما من موقع الأب الحنون المؤسس للصحوة الاسلامية.

١٩ ـ كان ممتلئاً بالأمل ولا يعرف العجز ولا يعترف بمنطق التراجـع والتلوّن، لذلك لم تكن في قاموسه ألفاظ مثل (لا يمكن) و (ما أستطيع) و(ما يصير) و (مشكل) و (صعب).

٢٠ ـ نهوضه في عصر اليأس وتحرّكه في زمنٍ فَقَدَ الكثيرون الأمـل بأيّ نجاح للفكر الإسلامي (الشيعي) أمام الهجمة الغربية والشرقية عـلى بلاد المسلمين ، وكانت الحوزات العلمية والمرجعية الدينية آنذاك مفصولة عن زمانها وتاركة للشأن السياسي بيد الأحزاب الفاسدة والتيارات الوافدة والثقافات الأجنبية والمخطّطات الصهيونية وأما النـاس فـتلفحهم ريـاح الجهل والتخلّف والضياع في دهاليز المشاكل.

٢١ ـ كان المرجع الوحيد الذي عملت كلّ الجهات لتسقيطه فلم يسقط، بل استطاع بخصاله الممتازة أن ينتزع منهم الاعتراف به أو التخفيف من حدّيتهم عليه ولو بعد موته .

٢٢ ـ مات زاهداً ولم يملك لنفسه داراً واحدة . ولم يورّث لأحد ديناراً ولا درهماً ، بل صار أولاده يسعون لإقناع دائنيه بـالمصالحة الشـرعية واحتساب الديون التي أخذها السيّد الفقيد للمشاريع الإسلامية ، حقوقاً شرعية.

٢٣ ـ تَرَكَ من ورائه ملايين المقلّدين والمحبّين في أنحاء العالم.

٢٤ ـ خلّف إثنين من أبرز تلامذته كمراجع يمثّلون مدرسته الرسالية

وامتداده الفكري في الأمة، هما سماحة المرجع السيد صادق الشيرازي، وسماحة المرجع السيد محمد تقي المدرسي. ما عدا أنجاله الأجلاء المرشحين لامتداد المرجعية الرسالية.

فما هو السرّ في تسقيط الإمام الشيرازي ؟

لتلك النظريات الحضارية المتقدّمة على مخالفيه كانوا يسقّطونه، ولكن خلال (٣٥) عاماً من تنامي الصحوة بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران والتي كان الإمام الشيرازي وتلامذته يدعمونها منذ عام (١٩٦٢م).. أصبحت الحالة الإسلامية والحوزات وأكثر المراجع والعلماء يتعاطون هذه النظريات وكحدٍّ أدنىٰ لم ينتقدوها.

والسؤال الذي يفرض نفسه: إذا كانت نظريات الإمام الشيرازي السياسية ودعواته الإصلاحية في الحوزة والمجتمع صحيحة فلماذا أسقطوه وهزؤا بنظرياته ودعواته وقالوا للناس البسطاء لا يجوز تقليده ولا تقرؤا كتبه، وإذا قلّدوه أو قرأوا له قاطعوهم. وإذا كانت غير صحيحة فلماذا اليوم يتباهون بها عندما ينسبونها إلى أنفسهم؟

إنّ هذا التناقض يكشف عن عمق التخلّف في مجتمعاتنا وبعض حوزاتنا وعلمائنا أيضاً ممّا يحتّم علينا مراجعة كلّ شأن من شؤوننا وفي طليعتها الأخلاق !!

والغريب المحزن أنّ النظريات التي نادى بها الإمام الشيرازي نجحت وأغلبها منسوبة إلى مناوئيه ولكن لا يزال التهميش والإقصاء مستمرّاً ضدّ الشيرازي المظلوم !!

والأغرب المبكي أنّ المآخذات التي اعتمدوها لتسقيط المرحوم

(أعلى الله مقامه) والتشكيك في اجتهاده ومرجعيته قد تغاضوا عنها في إدّعاء الاجتهاد والمرجعية لأنفسهم أو من يحبّونهم !!

إلى الله المشتكى من الجهل والحسد والحقد والتلاعب في الدين والضحك على عقول الناس.[١] ونأتي للاجابة على السؤال المُعَنْوَن : ما هو السرّ في تسقيط الإمام الشيرازي ؟

---

(١) تأمّل في هذه القصّة.. بعد ما انتصرت الثورة في ايران، وفرضت الحرب الصدّامية عليها في عام (١٩٨٠) صعّدت من اهتمامي في الدفاع عن الجمهورية الاسلامية بالمحاضرات وكتابة ونشر الإعلاميات والحثّ والتشجيع على المسيرات الجماهيرية في البحرين تنديداً بصدّام وهدايةً لمن تأثر بالأكاذيب ضد الإمام الخميني والجمهورية الاسلامية. كنت في ذلك الوقت في العشرين من شبابي وحديث العهد بالخطوبة والزواج، ما كانت زوجتي تحظى برؤيتي كثيراً مثل الشباب الآخرين في مثل هذه المرحلة لشدّة فعّالياتي على ذلك المسار.. وكانت في تلك الفترة تشنّ السلطات حملات الإعتقال والمداهمات على من يؤيد الامام الخميني ويعارض صدّام. وكان كثير من أقطاب الفكر التسقيطي (بعضهم من الرموز الحاليين أصحاب الشعارات الرنّانة) متفرّجين أو مهتمّين بالعافية ومتعة النساء أو البحوث التافهة، تصوّر مثلاً في تلك الأوضاع الصعبة كنتُ مدعواً على الغداء في منطقة نائية عن المحرق، فقلت أصلي الجمعة وآتيكم متأخراً، إبدؤا حتى أصل. فلما وصلت قدّموا لي الغداء وكان النقاش بين (التسقيطيين) حامياً حول حكم أكل لحم الحمير والجمال! فبين قائم منهم وقاعد يأتي بالكتب، وبين رافع صوته وهازل برأي الآخر. فلم أتمالك نفسي حتى هتفت في وجوههم: أما تخجلون؟! تبحثون عن أحكام هذه القضايا ولم تبحثوا عن حكم لحوم المسلمين تتقطّع في جبهات الحرب العراقيّة الايرانية، ولحوم أخرى تُؤكل بالغيبة؟!

آه.. ياناس.. مضت السنوات وإذا بهؤلاء القوم ركبوا موجة التأييد للجمهورية والتنديد بالمهتدي والشيرازيين.. وجيل بريء يمشي خلف هؤلاء! فلا تستغرب إذن أيّها المنصف كيف جلس الامام علي عليه السلام في داره خمساً وعشرين عاماً؟!

هذا السؤال طرحته عليه ذات مرّة وفكري حائر وقلبي متألّم وعيناي مغرورقتان بالدموع وأنا أنظر إلى وجهه النوراني المتوهّج البريء ، فقال لي : إنّ وراء هذه الفتنة البريطانيون الذين أوجعتْهم صفعتان من أجدادنا المجاهدين ، إحداها في ثورة التبغ التي كانت بقيادة المجدّد الشيرازي الكبير ضدّ الاستعمار البريطاني في ايران قبل قرنين من الزمان . والأُخرى ثورة العشرين في العراق بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي في مطلع القرن العشرين ضدّ الوجود البريطاني أيضاً . فمنذ إنطلقنا في كربلاء قبل خمسين عاماً شعر المستعمرون بالخطر فحرّكوا خيوطهم وخطوطهم عبر الوسائط السرّية ضدّنا لإبعاد الناس عنّا أو تحريضهم علينا كي يدرؤوا الصفعة الثالثة عن خططهم الاستعمارية الخفيّة ووجودهم في البلاد الإسلامية وعن عملائهم المزروعين فيها .

فقلتُ له: سيّدنا هل من مزيد تقولونه في الكشف عن الحقائق ؟

فنظر في وجهي وبعد لحظات قال: قبل خمسة وأربعين عاماً جاءني الىٰ كربلاء ثلّةٌ من الأفندية (الاسلاميين) من بغداد فقالوا إنّهم شكّلوا حزباً إسلامياً يريدون لواجهته علماء دين لأنّ الناس بلا علماء لا ينضمّون إلينا. فسماحتكم من أبرز العلماء العصريين.

قلتُ لهم : تكلّموا لي عن مبادئكم وأدبياتكم وأهدافكم .

فتكلّموا «والمرء مخبوءٌ تحت لسانه» فعرفتُ أنّ في إعتقاداتهم وخاصة في الولاء لأهل البيت عليهم السلام وفهمهم للشعائر الحسينية إشكالاتٌ كثيرة. فلكي أُصلح لهم هذه الاشكالات قلتُ لهم: أقبلُ الإنضمام اليكم بشرط الطاعة للمرجعية الدينية التي أمثّلها .

فقالوا : كلاّ. نحنُ نريد عالماً يؤيدنا في خطواتنا !

فقلت : إبحثوا عن غيري.

وبعد أيّام سمعتُ أنّهم تركوا... (أجلّكُم الله) في شوارع كربلاء علّقوا عليه (صورتي)!!!!

من هنا بدؤا الفتنة (التسقيطية) ثمّ ذهبوا الىٰ النجف الأشرف وقادوا منها الفتنة العمياء ضدنا باستغلال بعض العلماء من هناك . (انتهىٰ كلام السيد الشيرازي ﷺ)[1].

تؤكّد لي صحّة هذا التحليل مواكبتي لهذه الفتنة منذ (٢٨) عاماً بالاتّصال مع الأطراف المعنيّة فيها . فكانت النتيجة أنّ مساحة الاختلاف بين المراجع أنفسهم ضيّقة جدّاً وخاصة في الأهداف والتطلّعات ، وإنّما بتأثير الأصابع الاستعمارية الخفيّة ومَرْكَبة الجَهَلَة في أوساطنا أُصطُنعتْ

---

(١) ومن ضربة الله لهذا الحزب أنّه انشطر قبل ٢٠ سنة الىٰ أربعة أقسام متناحرة، كل قسم يسقّط غيره. ولكن المؤسف أنّه ترك أثره السيء ضد الامام الشيرازي في أوساط الذين لم يعرفوا هذه الحقائق التاريخية. ومن الواضح أن الجيل الجديد يردّد ما يتناقله الجيل السابق كالببغاء. وهذه مصيبتنا اليوم ولا أدري مصائب الذين يأتون من بعدنا كيف تكون. وكفىٰ لك أيها القاريء أن تتأمل قضية نُقلتْ لي بعد سقوط نظام صدّام، ففي أول حصّة لحجّاج بيت الله الحرام من العراقيين، وزّع واحد من أقطاب هذا الحزب وهو مسؤول رفيع المستوى في الحكومة العراقية المؤقتة، جوازات سفر الى مكّة المكرمة استثنى من كل الجماعات وبيوت المراجع والعلماء جماعة الامام الشيرازي في كربلاء!

إقرؤا المأساة.. إقرؤا البلاء.. واقبل منّي إذا قلتُ لك: إنّ ما عاشته الجمهورية الاسلامية من خلافات في داخلها او مع رجالٍ أمثال الامام الشيرازي وما عاشته وتعيشه الساحة الشيعية في منطقة الخليج وغيرها إفراز من توجيهات هذا الحزب العراقي النافذ تنظيمياً وتيّارياً في الحوزات والمراكز الاسلامية، فرغم كل الانتكاسات في العراق وغيره لازالت العقليّة نفسها.

(سلطة الأجواء) فبُنيتْ بينهم سدودٌ من الأوهام حتّى خرّبوا على أنفسهم والناس وهذا المرجع المظلوم الطموح جسوراً للتعاون وفوّتوا فرصاً للتقدّم. وتجد ـ أيّها القارئ اللبيب ـ في دمار العراق قبل وبعد صدام والانقسامات العنيفة بين العراقيين اليوم خير دليل وشاهد على ذلك .

ولابدّ في معرفة الأسباب الحقيقية للتسقيط عموماً وتسقيط السيّد المرجع الامام الشيرازي خصوصاً أن نقرأ سيكولوجية الإنسان الشرقي ، فهي نتيجة الهزيمة المتكرّسة في الأجيال، وتتلخّص هذه السيكولوجية في النقاط الثلاث التالية:

١ ـ حبّ الاستفراد بالشيء والاستقلالية المفرطة والاستغناء عن الغير.

٢ ـ حبّ الظهور والتعالي.

٣ ـ حب الانتقام والتشفّي.

وتتجسّد هذه النقاط في سلوكية الحاكم السياسي بشكل، وفي العالم الديني بشكل آخر، وتتجسّد في المثقّف الجامعي بشكل ثالث، كما في الأفراد بالنسبة لأقرانهم، وفي السوق والمراكز والوظائف والعائلة بأشكال وأشكال .

وأمّا الصالحون من الناس (علماء أو غير علماء) فإذا كانوا أحياناً يمارسون التسقيط ضدّ غيرهم ، فالأمر إن لم تكن خلفيته النقاط المذكورة فإنّ هناك أسباباً من النوع التالي :

١ ـ إرهاق نفسي بحيث لا يتحمّل نقاشاً فتنفجر الأعصاب لتصل إلى حدّ القطيعة والزعل والكراهية والتسقيط .

٢ ـ سوء فهم الموضوع وعدم استيعاب المقصود من الرأي والرأي الآخر .

٣ ـ تردّي الوضع الصحّي لدى الفرد وخاصّة المراجع المتقدّمين في العمر، فلا تسمح له قواه البدنية وأمزجته العصبيّة من التعاطي الإيجابي مع الغير.

٤ ـ اليأس من التغيير والإصلاح وبالتالي الاستسلام للواقع، والاسترسال معه حتّى ظهور الإمام المهدي عليه السلام أو الاحتساب في الآخرة.

٥ ـ الطبيعة اللاشعورية في الانسان المضطهد المعارض، فالشيعي حيث يعيش حالة المعارضة في تراثه وتاريخه وواقعه وحاضره قد اعتاد أن يعارض حتى في حالات السلم او فرص الاستثمار لحالة المعارضة السابقة، فهو قد يفتح العنان احياناً لمعارضة صديقه وزميله وإبن دينه او مذهبه. وهذه حالة سلبية تعالجها القيادة الشورائية.

وفي قراءتي التحليلية لقضية الإمام الشيرازي وجدت تلك النقاط وهذه الأسباب قد لعبت دوراً أساسياً في الداخل الحوزوي والوسط الشيعي، واستغلّه العدو الخارجي شرّ استغلال لضرب الجميع بالجميع وللتصيّد في الماء العكر ـ كما يقول المثل ـ. وما تشاهده الشيعة في العراق وغيره اليوم إفراز لتلك الخطط التي بيّتوها لنا في الدوائر الاستعمارية (الأمريكية والبريطانية واللوبي الصهيوني) منذ أكثر من أربعين عاماً .

ومن هنا جاء تأكيد الإمام الشيرازي لطلبة العلوم الدينية خاصّة أن يقرؤوا دائماً مذكّرات جواسيس الدول الأجنبية المتسلّلين الى أوساطنا بزيّ العلماء، أمثال الجاسوس الروسي (كينياز دالگوركي) الذي رقىٰ أمره في الحوزة حتّى ظهر بمظهر أحد كبار العلماء وتسمّى باسم (الشيخ عيسىٰ

اللنكراني) تارةً وبأسماء أُخرى ، وتزوّج إبنة أحد كبار علماء طهران وجنّدها لمهامه الجاسوسية في بيوت العلماء وعلّمها علىٰ شرب الخمر في المنزل ، وكان هذا الجاسوس (المعمّم) وراء نشر الخلافات السياسية والنميمة بين العلماء وبثّ التشكيك في العقائد الشيعية حتّى صنع الفرقة (البهائية) في الشيعة واختفى هارباً إلى موسكو[١].

وكذلك أمثال الجاسوس البريطاني (مستر همفر) والجاسوسة البريطانية (المسس بيل) اللذينْ عملا في الجزيرة العربية وكان من نتاج مستر همفر كما يذكره في مذكّراته صنع الفرقة (الوهّابية) في السنّة.

وكذلك الجاسوس الهولندي (سنوك هرجرونيه) الذي وُلِد سنة (١٨٥٧م) لأب قسيس وتظاهر كذباً بالاسلام وسافر الىٰ مكة ودرس هناك وتزوج ابنة أحد كبار علماء الحجاز ولعب دوراً خبيثاً في الحروب ضد مسلمي اندنوسيا وغيرها[٢] والكتب الجديدة ومذكّرات الجواسيس الأمريكان في هذا الحقل كثيرة، تجدر مطالعتها لفهم الخيوط العنكبوتية حولنا.

ولا شكّ أنّه بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في ايران وخطورتها على مصالح الدول الاستعمارية ، قد عمدت هذه الدول إلى إرسال وزرع المزيد من المرتزقة والجواسيس في الأوساط الدينية لتحقيق ما يصبون

---

(١) طبعت هذه المذكرات في مجلة (الشرق) سنة (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) بعد سقوط الامبراطورية الروسية وقيام الدولة الشيوعية ونوصي بأهمية قراءة هذه المذكرات كاملة . كما كان يؤكّد على قراءتها الإمام الشيرازي رحمه الله .

(٢) ـ راجع كتاب الاستشراق / ص ٥٩ .

إليه ، وأهمّه تمزيق الصف المرجعي والعلمائي وتضخيم السلبيات ونشر الأكاذيب والأفكار الضالّة، ومنع كل محاولة إصلاحية وتقريبية بين المراجع والعلماء والناشطين الاسلاميين، وزرع اليأس في نفوس الجماهير، وإلهاء العلماء بالمعارك الكلامية والصراع على أموال الخمس، وترك الشباب والشابات لقمةً سائغة للفضائيات والمخدّرات والمفاسد الجنسية والاهتزاز العقائدي .

وما عدا الجواسيس فقد دخل في الحوزات العلمية فترة الحرب العراقية المفروضة على الجمهورية الإسلامية العديد من المهاجرين المتورّطين في الحياة ، ومن المعقّدين نفسياً والمتأزّمين مالياً والمشوّهين جسمياً ، فتعمّموا لاستعطاف الناس والزوّار القادمين إلى العتبات المقدّسة، فاستغلّهم الجواسيس المخترقون لخلق المزيد من المشاكل في الحوزة وإثارة التصدّعات والنمائم بين العلماء الحقيقيين وبيوت المراجع الكرام.

وممّا يؤكّد لي ذلك في خصوص المرجع الورع الزاهد الواعي السيّد محمّد الشيرازي هو أنّني لا أذكر حتّى الآن رغم علاقاتي المتعدّدة مع الجميع أن التقيت بأحد قد بنىٰ ضدّيته للإمام الشيرازي على قواعد علمية أو دليل يرقىٰ إلى حدّ الاعتماد العقلائي. فكل ما يعتمدونه منقول عن (وكالة أنباء سمعتُ يقولون !!!)[1].

وأمّا اختلافات بعض العلماء الأفاضل معه (قدّس الله نفسه) في الذوق والأساليب والآراء الاجتهادية فهي قليلة وموجودة بين الجميع ولا تختصّ بالإمام الشيرازي ، وهذا النوع من الاختلاف طبيعي جدّاً وإنّما

---

(١) راجع كتابنا (سمعتُ يقولون) في معالجة هذا المرض الاجتماعي المتفشّي.

ضخّمته تلك الدوائر الجاسوسيّة المتخفّية كما ذكرنا وقد صوّره الجهلاء وكأنّه خاصّ بالإمام الشيرازي . ويعلم الفقهاء المتّقون أنّ الاجتهاد من حقّ الجميع، فكيف بمن له خبرة طويلة في هندسة الصحوة الاسلامية فترة الخمسين سنة المنصرمة.

إنما المشكلة حينما تعمّم حاشية المراجع بعض الخلافات البسيطة على أتباعهم ولا يدري المراجع الغائب عن تفاصيل ما يجري حوله وفي صفوف أتباعه، ولعلّه يتصوّر أنّ الأُمور الخلافية بسيطة وعادية وليست مدعاة للقلق والتدخّل المباشر، وهذا ما لمسته في مجالستي مع أكثر المراجع (حفظهم الله ورحم الماضين منهم).

وخلاصة الكلام أنّ حجم الخلافات عند المراجع أنفسهم لا يتجاوز الاجتهاد في الرأي والذوق وطبيعة المزاج وفي مسائل محدودة، ولكنّه عند الحاشية والأتباع يتبدّل هذا الحجم إلى عداوات وبغضاء وممارسة التسقيط المتبادل في مساحات كبيرة من المجتمع، وهذا نتيجة عدم تلاقي المراجع أنفسهم وتأثّر بعضهم بالتقارير والأخبار، ونتيجة أسباب أُخرى كالجهات السياسية والأجنبية المنتفعة من تلك الخلافات كما قلنا.

فمن هنا وجب البحث عن الحلّ في لقاء القمّة المرجعية ليقطع المراجع بأنفسهم الطريق على كلّ الاحتمالات المضادّة بما فيها احتمال تلاعب الحاشية، وهذا ما أراده الإمام الشيرازي معالجته من دعوته إلى (شورى المراجع).

ولِمَ لا يتحقّق هذا اللقاء بين مراجع الدين والدين الإسلامي يحثّهم عليه ، والحديث النبوي الشريف يقول : « **خير الولاة مَن جَمَعَ المختلَف وشرّ الولاة مَن فَرَّقَ المؤتلف** ». ويقول أيضاً : « **خير المؤمن من كان**

مألفه للمؤمنين ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[1].

ولِمَ لا يتمّ ذلك والمراجع بأنفسهم يدعون الأتباع إلى الاتّحاد والتجمّع ويقرؤون لهم الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام الذي قال لأحد أصحابه : «يافضيل .. تجلسون وتتحدّثون ؟ .. قال نعم جُعِلتُ فداك ، قال : إنّ تلك المجالس أُحبّها فأحيوا أمرنا يافضيل ، فرحم الله من أحيا أمرنا »[2].

ويقرؤون للناس ما يقول الامام الصادق عليه السلام أيضاً: « أصلحوا ذات بينكم ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، تزاوروا وتحابّوا وليحسن بعضكم إلى بعض وتلاقوا وتحدّثوا ولا يبطن بعضكم عن بعض .. وإيّاكم والتصارم وإيّاكم والهجران »[3].

وما جاء عن الإمام الكاظم عليه السلام : « لا يفترق رجلان على الهجران إلّا استوجب أحدهما البراءة واللعنة ، وربما استحقّ ذلك كلاهما ، فقال له معتب : جعلني الله فداك ، هذا الظالم فما بال المظلوم ؟ .. قال : لأنّه لا يدعوا أخاه إلى صلته ولا يتغامس له عن كلامه سمعت أبي يقول : إذا تنازع اثنان فعازَّ أحدهما الآخر. فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتّى يقول له : أي أخي أنا الظالم ، حتّى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فإنّ الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم »[4].

فلماذا تغيب هذه القيم عن الناس ولا سيّما عن العلماء وعن النجوم

---

(١) بحار الأنوار / ج٦٤ ص٢٩٨.

(٢) بحار الأنوار / ج٧٧ ص٣٥١.

(٣) بحار الأنوار / ج٧٥ ص٣٨٢.

(٤) بحار الأنوار / ج٧٢ ص١٨٤.

المرجعية ؟! إنّ في هذه الرؤى والتعاليم يتجلّىٰ خلاصنا من شرنقة المستعمرين المتكالبين على خيراتنا وأُمّتنا وديننا الإسلامي الحنيف . فهل نسمو جميعاً إلى هذه الحلول الإسلامية ؟ ويتوب الىٰ الله التسقيطيون مما بنوه طوال العقود الأربعة الأخيرة ضد المرحوم الشيرازي ومدرسته الرسالية المعطاءة؟

نعم .. ذلك يتحقّق بعون الله إذا تجاوزنا رواسب الماضي وترفّعنا عن سفاسف الحياة ولَمسنا عمق مأساة الحاضر ونظرنا إلى احتياجات المستقبل ولاسيما على مستوى الآخرة[1] .

---

(١) حكىٰ لي أحد الأخيار من دولة خليجية، كان يدرس كتاب جامع السعادات في الأخلاق مع نفر من أصدقائه عند واحد من العلماء. ففي ذات مرّة اغتاب العالم المدرّس عالماً من العلماء بشدّة فلم أتحمّله فقلت له: هذه غيبة يا مولانا! فبرّر موقفه الحرام أن الناس يجب أن يعرفوا حقيقة هذا العالم كيلا تبطل عباداتهم وصلاتهم خلفه؟!

فخرجت من المجلس دون رجوع اليه. وبعده بعدّة أيام كنت مدعوّاً عند أحد اولئك الأصدقاء وهو صاحب مأتم ومعروف بخدماته في الموسم الحسيني حتى كان بنفسه يعمل الطبخ في يوم عاشوراء. وكانت الدعوة على العشاء في ليلة الجمعة، فأخذ هذا الصديق يكرّر كلام ذلك العالم في الاغتياب، فنهيته ولكنه تمادىٰ في الغيبة. فخرجت متألماً من عنده وسافرت في غداة اليوم الى العمرة لترميم حالتي المعنوية، وفي يوم الثلاثاء وأنا ﭬي مكة تلقيت نبأ وفاة هذا الحاج، فصليت له صلاة الوحشة، ورجعت الى بلدي للمشاركة في الفاتحة، فدنىٰ منّي إبنه الكبير وكان يعلم صداقتي القوية مع والده، قال: لقد رأيت البارحة في الرؤيا والدي، فسئلته عن حاله في عالم البرزخ؟ فقال: جيّد حالي، ولكني ياليتني لم أتعشّ بلحم العالم (الفلاني) في ليلة الجمعة الماضية!!

أجل.. فالرجل من الوجهاء وهو صاحب مأتم، وخادم في الموسم الحسيني، وله خيرات، ويحضر درس الأخلاق، هكذا تورّط في آخرته، وانما ورّطه عالم (مدرّس للأخلاق) وذلك قبل

فيا مراجعنا الأجلّاء ويافقهاء الأُمّة ويا علماء الدين الأفاضل والخطباء المحترمين .. أمَا تستحقّ الأُمّة ـ والشيعة خاصة ـ التي بذلت الغالي والرخيص وهي لا زالت مكبّلة بدسائس الاستكبار العالمي أن تبذلوا وقتاً لإيقاف مسيرة التسقيط بدعوة الناس إلىٰ التعافي والتصافي والتصالح والتعاون من ناحية ولقائكم من ناحية أُخرى؟

أمَا آن الأوان لِنُحاكِم الفكر التسقيطي في حوزاتنا وننقذها من مآسي الفرقة والشقاق بزرع بذور الفكر القرآني ودروس الأخلاق؟ والحدّ من الاهتمام المفرط بالعلوم التي تربّي الطالب على الجدل وعرض الأنا والتباهي بالعلمية والعملية والتنافس الحاسد؟!

أليس الوقت ـ بعد المعاناة الطويلة ـ قد حان لنقول لشعوب العالم أنّ مخزوننا العقائدي والأخلاقي الهائل وقيمنا المعنوية قادرة على انتشالنا من الواقع المتخلّف الذي فرضه علينا المستعمرون وأذيالهم وساعدهم على ذلك جهلنا أيضاً.

وكم يحزنني أن أنقل هنا ما قاله لي أحد الأساتذة الغربيين ـ في جامعة كوبنهايجن الدنماركية ـ بأنّ العقبة أمام انتشار الإسلام في بلداننا هي المسلمون أنفسهم، وإذا تقدّم الإسلام وفتح قلوب أُناس في العالم إنّما كان لذات الإسلام الجذّابة وليس بسبب المسلمين ، لأنّ شعوبنا لو نظرت في سلوك المسلمين لفرّت من الإسلام قبل أن تتعرّف عليه !

موته بأربعة أيام، والذي لم يكن يعلم موعده مع الموت حين غيبته وأكله من لحم أخيه!!

هذه صورة واحدة من ملايين الصور المنتشرة في حياتنا اليوم، مَن المسؤول عن هذه الحالة؟! المسؤول هو الذي سنّ للتسقيط سنته السيئة وفتح الطريق الأول لهذه الحرب القذرة.



وفيه تمهيدٌ وخمس قراءات أخرىٰ

في محاكمة الفكر التسقيطي
وأسبابه ومعالجته
والورع في الإفتاء
ومشروعية التنافس
وحرمة التفرقة

تمهـيد:

أجدني لا زلت مشدوداً إلى ألمي وحسـرتي ، فـقد أنـهيت الكـتاب بفصوله السبعة وأنا أُحدّث نفسي أمن الصحيح نشره ، وأستشير بين محذّر ومبشّر ، وأخيراً حينما فاتحت أمري مع هذا الكتاب واحداً من المراجع الأتقياء الذي يطمئن إليه قلبي وينشرح به صـدري ، وأعـتقده وليّاً مـن أولياء الله في زمن يوشكون على الإنـقراض لولا الأمـل بـقرب ظـهور المولى بقيّة الله الأعظم عليه السلام فنصحني أن أُضيف إلى الكتاب فصلاً ثامناً، وعلّله بأنّ أبواب الجنّة ثمان . ثمّ دعا الله تعالى أن أكون من أهل الجنّة. فوعدته على هذه الإضافة فضلاً عـن طـباعة الكـتاب ونشـره، قـاطعاً لتردّدي ، حاسماً أن لا أخشى فيه لومة لائم. أليس الله حسيباً بمن كفاه؟!

ولكن حال دون كتابة الفصل الثامن ضيق الوقت لقرب موعد رجوعي إلى البحرين في صيف (عام ١٤٢٥) فرجعت إليها على أمل صيف قادم، وشاء الله أن أرجع قبل الصيف إلى مُعتكَفي (في قـم المـقدّسة) لأُكـمل الكتاب حتى يأخذ طريقه إلى الانتشار ، سيّما مـع إصـرار النـاشر (فـي بيروت) وأنا لا أعلم متى تباغتني يد الأقدار لتريحني مـن هـذه الدنـيا السيئة. ودفعني الى هـذا الإسـراع أيـضاً عـدم أفـول التـربية الطـالبانية والمرض الإقصائي والمؤامرات التسـقيطية (سـيّما فـي بـلادنا) والعـراق وغيره. فآخرها ما حصل في مأتم... في منطقة... لخادم أهل البيت عليهم السلام صديقنا العزيز الرادود الحسيني الحاج ملّا باسم الكربلائي، حيث دعـاه جمع من الشباب المحبّين للشعائر الحسينية لزيارتهم ، وسمع جمع آخر

فوفدوا إليه في المأتم ولمّا اتّسع الحضور طلبوا منه أن يقرأ قصيدة بمناسبة إستشهاد الإمام علي عليه السلام وما أن بدأ الملّا باسم حتّى عَلِم أحد أعضاء الإدارة فجاء إلى المأتم معربداً فسحب السمّاعة من يد الأخ دون ذرّة أخلاق ، فأهان هذا الضيف الكريم أمام الحاضرين بقوله : أما تعلم أنّك غير مرغوب في منطقتنا أيّها الشيرازي!

فغضب عليه الشباب فردّ عليهم بصوت طالبانيٍّ: سأُحرق المأتم على رؤوسكم!

انظروا أيّها المؤمنون إلى هذا المنطق الطالباني كيف غزا عقول أدعياء التشيّع لأهل بيت كانوا رحماء مع أعدائهم النواصب!

إنّ هذا الانحراف الخطير عن منهج أئمّتنا عليهم السلام وباسمهم وفي إدارة مآتم قد شيّدت لإحياء معالم مدرستهم الإنسانية ، يجب الوقوف بوجهه حتّى عزل هؤلاء المنحرفين أو توبتهم وإصلاحهم ، فلا زالت إذن دوافع تأليف هذا الكتاب وبهذه الدرجة من الصراحة والمكاشفة تحثّني على المضيّ في المراجعة النقدية لمنهج خاطئ أُسّس للأخطاء الكبيرة وكان من مؤسّسيه رجال حوزويّون مع الأسف ولا يزالون.

ففي هذا الفصل السابع ماقبل الأخير .. نلتقي أخي القاريء مع ثلاث قراءات في محاكمة الفكر التسقيطي وأسبابه ومشروعية التنافس الشريف بأقلام دعاة الوحدة والأخوة: (١) مقال المهندس نبيل الإبراهيم (٢) قبس من كتاب قيّم لسماحة الشيخ محمّد سعيد المخزومي (٣) كلمات المرجعية الرسالية في الامتداد والوفاء. (٤) كلمات حول مساوىء الفرقة لسماحة المرجع الراحل الامام الشيرازي رحمه الله.

القراءة الأولى: الأمل والفتوى

مع المهندس نبيل الإبراهيم / المنطقة الشرقية في السعودية.

«ما زلت أتذكّر تلك الأيّام الجميلة قبل قرابة الثلاثين عاماً ، حين تذوّقت حلاوة الإلتزام الديني لأوّل مرّة ، كنت عندها في منتصف العقد الثاني من العمر ، كنت قبلها مثلي مثل واحد من جيل السبعينات ، هذا الجيل الذي لم يحض بعد وقت ذاك بحراك ثقافي أو سياسي كسابقه من أجيال الخمسينات والستينات ، بل إنّ ما سبقه من نكسات على المستويات السياسية والفكرية والاجتماعية أدّى به إلى حياة من التسيّب واللّامبالاة والانغماس في أجواء الحياة الهامشية من لهو ولعب ، والبعد عن القيم الإسلامي وروح الإلتزام الديني الذي حضى به بعد ذلك جيل الثمانينات والتسعينات وإن وجدت بعض الملاحظات على بعض التفاصيل لا حاجة لذكرها خوفاً من التطويل .

ولم يكن في وسع المشايخ من علماء الدين في بلادنا رغم تفوّقهم النسبي في العلوم الحوزوية من نحو وصرف وبلاغة وفقه وأُصول ، عمل أي شيء حيال معالجة هذه الأوضاع المتردّية التي كان يعيشها الشباب آنذاك ، بل زاد الأمر على ذلك إذ وصل الداء إلى عقر دارهم ولم يتمكّنوا من دفعه لا وقاية ولا علاجاً ، إلّا ابداء مشاعر التبرّم والأسف وتصفيق الكفّ على الكفّ وذرف الدموع .

ويكفي أن نعلم أنّ معظم المبشّرين للتيارات اليسارية من شيوعية أو

بعثية كانوا من أبناء الأُسر العلمية التي توارثت المشيخات والعلم جيلاً بعد جيل .

هذه صورة من صور العجز الفكري التي تعكس واقع مشايخنا (رحم الله الماضين وحفظ الباقين) في مواجهة التحدّيات الفكرية التي كانت تفد على منطقتنا من كلّ حدب وصوب ، ناهيك عن التداعيات الفكرية والسياسية التي كانت تغلي بها المنطقة وقتذاك .

كان هناك حاجز نفسي كبير يمنع التواصل بين جيل الشباب وعالم المشايخ فلا العالم راغب في النزول إلى هؤلاء الشباب ولا الشباب يستطيعون الارتقاء إلى ذلك العالم حيث اللغة المشتركة مفقودة والمفاهيم مختلفة والأهداف متباينة ، والنتيجة كانت سلبية على الجميع ، إلى أن حدثت المفاجأة الكبرى حين أرادت المشيئة الإلهية أن ينزل بين ظهرانينا عالم فذّ من نوع آخر لم نكن نألفه ، عالم يتكلّم بلغة معاصرة يفهمها الجميع ، ويناقش قضايا حيّة نعيشها جميعاً ، يؤمن بمبدأ الحوار ويعمل به ويسمح بهامش كبير من الحرّية في إبداء الرأي والرأي الآخر جاعلاً نصب عينه الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى على أُسس من الإيمان ومكارم الأخلاق تطبيقاً لمبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالوسائل الممكنة والمتاحة ، الجديد منها والقديم ، على اعتبار أنّه أحد واجبات الإسلام العشرة بل أهمّها إذ بدونه لا تستقيم الواجبات الأُخرى من صلاة وحجّ وصيام الخ .

من دولة الكويت العزيزة إنطلق السيّد محمّد الحسيني الشيرازي بمشروعه الإصلاحي ، وانصبّ اهتمامه على هذه البقعة المنسية المهمولة من قبل الحواضر العلمية رغم قدمها في الولاء وتضحياتها الجسيمة في ذلك ، بدأ يوفد البعثات إلى مختلف الأمصار بدأً بالكويت وانتهاءً بعمان

مروراً بالبحرين والقطيف والاحساء وقطر ، أخذ يستقطب بأُسلوبه الفذّ المميّز عدداً من أبناء هذه الأمصار للإنخراط في الدراسة الحوزوية في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ التي أنشأها في دولة الكويت . وصل العدد إلى أكثر من ست مائة طالب في فترة وجيزة ، بهؤلاء الطلبة بدأ السيّد محمّد الشيرازي مشروعه الكبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدأً من التنمية الثقافية الإسلامية الرسالية لتبرز معالم الحملة الإيمانية بين أبناء المجتمعات الخليجية وخصوصاً في صفوف الشباب ، وأخذت الوفود تزور الكويت زرافات ووحداناً لتتزوّد من فيض هذا العملاق فكراً وعلماً وأدباً بل وحتّى سلوكاً فلقد كنّا نرى فيه والله أخلاق الأنبياء والأئمّة متجسّدة في أفعاله وأقواله بل حتّى في سكناته . لقد كان رجلاً استثنائياً بما تحمله هذه الكلمة من معنى .

كنّا واللائذين في كنف هذا السيّد وفي تلك السنة المبكّرة نعيش حالة من حالات التطهّر والنقاء والصفاء المشبّعة بالروح الإيمانية المتوهّجة في نفوس الجميع مع توجّه دائم للعلم والعمل بكلّ إنطلاق وإنشراح متطلّعين إلى مستقبل مشرق تحدو به الآمال العريضة ، والأحلام الوردية الندي لبعث عالم من الإيمان والإلتزام والعفاف سيعيشه مجتمعنا بفضل بركة هذا السيّد في المستقبل القريب .

إلّا أنّ هذا الأمل سرعان ما أن تلاشى والحلم ذهب مع أدراج الرياح حين حدثت الصدمة الكبرى ، والتي ما زالت مرارتها تجول في حلقي إلى يومي هذا رغم مرور ربع قرن من الزمان إذا ما خلّفته من آثار وخيمة أودت بمشروع إيماني متكامل لأُمّة كانت وما زالت في هامش النسيان عدا وقت الحلب وموسم الحصاد .

لم نكن نألف هذا النوع من الصدمات ولم نكن نعهد تلك الأجواء

الموبوءة التي يحبّ أن يعيشها بعض الناس المغرضين على عالم العلماء ولم نكن نعرف أنّ حرباً قذرة قد بدأ في شنّها هؤلاء على هذا السيّد لوأد مشروعه بوضع العصي في الدواليب الذي حرّكها لإحداث تغيير في المياه الراكدة الأسنة .

لم نكن بعد أن وصلتنا هذه الكلمة البشعة « التسقيط » ولم نكن نستطيع أن نصدّق أنّ هذه الوسيلة الرخيصة بدأ يستمرأها فئة من الناس يفترض أن يكونوا من الورع والإيمان والعلم أبعد ما يكونوا عن هذه الأساليب ولكن ماذا نستطيع أن نقول بعد أن تجرّدوا من أعزّ لباس ألبسهم إيّاه ربّ العزّة والجلال عندما قال : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ .

فكانوا مثالاً للآية الكريمة : ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ .

كانت الفتاوى تنزل علينا كقطع الليل المظلم ، ترك الجميع جلسات الدرس والتدبّر في كتاب الله ليدخل في صراعات عقيمة لا طائل منها سوى التحزّب والتفرّق إلى جماعات تضرب بعضها بعضاً . تشكّلت ظاهرة المذهبية داخل المذهب الواحد ، والأقليّات في إطار الأقلّية الواحدة . ظهرت مصطلحات جديدة وبرزت تصنيفات عديدة ، أخذ العوام والمبتدأون يناقشون قضايا هي في غاية الأهمّية والتعقيد لا يفترض أن يناولها إلّا المؤهّلون من أهل الاختصاص ، كالاجتهاد والأعلمية ، وضعت كرامات العلماء على قارعة الطريق لتصبح مداساً لكلّ رائح وغاد ، تحوّلت صلاة الجماعة من عامل تآلف وتجمّع إلى عامل تفرّق وتشرذم وأصبح المسجد أشبه ما يكون بمقرّ حزبي لهذا أو ذاك ، بل

زاد الأمر على ذلك فتفرّقت زيجات وتخاصم أُخوان وتفرّقت أُسر وعوائل من جرّاء التحريض اليومي المستمرّ والتراشق المتبادل بين مختلف الجبهات .

حينها لم أستطع أن أبقى متفرّجاً ، وأنا أرى المجتمع يلتهم بعضه البعض كلّ يحمل معوله لهدم بناء الآخر .

في بادئ ذي بدأ استنكرت أن يكون للمرجعية العليا المتمثّلة في السيّد الخوئي (قدّس سرّه الشريف) دوراً في بروز هذه الظاهرة وأن يتحوّل دورها الأُبوي الراعي لكلّ الأطياف والتوجّهات إلى دور المفرّق المجزئ بدل أن يكون عامل رئيس للوحدة والتكامل .. هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى ، تعوّدنا دائماً أن يكون العلم بمعناه المطلق دائماً محترماً وأنّ العلماء مهما اختلفت آراؤهم ومشاربهم ومقاصدهم فهم يبجّلون بعضهم بعضاً احتراماً للقيمة المطلقة للعلم هذا في العلوم الدنيوية ولقد لمسنا ذلك بأنفسنا أثناء دراستنا الجامعية فكيف بعلماء الدين الواحد والمذهب الواحد بل المدرسة الواحدة ، كيف يقبلون بمبدأ الاهانة لبعضهم البعض أن يسود بينهم وهم يعلّمون تلامذتهم الأخلاق والخصال النبيلة .. كيف يصدر ذلك وهم يعيشون اللحظة كلّهم مع النصّ الإلهي والكلمات الصادرة من أهل العصمة وكلّها تنادي بمكارم الأخلاق .. كلّا إنّ ذلك لا يصدق ، وأنّ هذا الفعل الطارئ صادر من قوم اصطادوا في المياه العكرة .. إنّهم قوم مسقّطون ، لذا بادرت بمكاتبة المرجعية العليا قاصداً آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي وسألته عن موضوع الفتوى الصادرة من قبله في حقّ السيّد الشيرازي مباشرة فكان جوابه من الوضوح بمكان لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل ونجعل الحكم فيه لعقل القارئ الكريم .

نصّ استفتائنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (حفظه الله وأطال عمره الشريف)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نرفع لسماحتكم الأسئلة التالية التي نأمل بعد اطّلاعكم عليها الإجابة الوافية حيث أنّنا نرجع لسماحتكم في التقليد.

السؤال الأوّل: لقد سبق أن أصدرتم فتوى بعدم اجتهاد السيّد محمّد بن السيّد مهدي الحسيني الشيرازي، تلك الفتوى التي أثارت جدلاً كان وما يزال سبباً لكثير من المشاكل التي ما فتئت تعصف بالبنية الاجتماعية والثقافية على مستوى الطائفة، حتّى فرّقت بين المرء وزوجته وبين الأخ وأخيه والأب وبنيه، قسّمت المجتمع إلى كتل متفتّتة تضرب بعضها بعضاً، فهل ما يزال رأي سماحتكم على ما كان عليه سابقاً؟ وما هو المدرك الذي على أساسه أفتيتم كذلك؟ علماً ياصاحب السماحة أنّ هناك عدداً لا بأس به من مراجع الأُمّة الإسلامية ومجتهديها من يرى مرجعية السيّد محمّد الحسيني الشيرازي فضلاً عن اجتهاده، أمثال آية الله العظمى السيّد مهدي الحسيني الشيرازي وشيخ المجتهدين آغا بزرك الطهراني وآية الله العظمى محمّد كاظم شريعة مداري (قدّس الله أسرارهم) وكذلك آيات الله العظام كلّ من السيّد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي والسيّد محمّد رضا الكلبايكاني والسيّد محمّد صادق الروحاني والسيّد إبراهيم الموسوي الزنجاني (أدام الله بقاءهم وإيّاكم أجمعين) كما كان موضع ثقة آيات الله العظام أمثال السيّد محسن الطباطبائي الحكيم والسيّد عبدالهادي

الحسيني الشيرازي (قدّس الله سرّهما) في إدارة الحوزة العلمية في كربلاء وتصريف أُمورها . بيّنوا لنا الصواب أدام الله عزّكم؟

وجاء نصّ جوابه (رحمه الله): بسمه تعالى، ما ذُكِرَ في صدر السؤال من قول (سبق أن أصدرتم فتوى بعدم اجتهاد الخ) .. غير صحيح بل خطأ إنْ نُسِبَ إلينا عن جُلّهُ أو فرية وبهتان إنْ كان عن عِلْم وعمد ، فإنّا رغم تكرار السؤال منّا عنه لم نجب عليه إلّا بعدم إطّلاعنا من ذلك عنه حيث لم نعهد حضوره في مجتمع بحوزتنا العلمية التي كنّا نلقيها ولم يعاهدنا في مناسبات كهذه حتّى يتبيّن عنه ذلك فغاية ما كنّا نجيب السائلين فيه عدم الشهادة منّا له بشيء ، لا الشهادة بالعدم ، فما نُسِب إلينا كذب وزور[1].

القراءة الثانية : قبس من كتاب قيّم

مع سماحة الشيخ محمّد سعيد المخزومي

إبتدأ الباحث الجليل في الباب الثالث عشر من المجلّد الثاني من كتابه القيّم (المجدّد الشيرازي الثاني) حول أسباب تسقيط المرجع الشيرازي الراحل ، بالمقدّمة التالية :

«مَن يطّلع على تاريخ الإسلام الشيعي المعاصر ، وحركة الغزو الاستعماري الجديد لبلاد المسلمين ، والثورات الشيعية التي أوقعت خسائر تاريخية في صفوف قوّات الغزو البريطاني في العراق وإيران،

---

(١) هذا وأنا سألت المرجع الورع الراحل أُستاذنا المعظّم السيّد عبدالأعلى السبزواري﵀ في سنة ١٩٧٦ عن اجتهاد السيّد محمّد الشيرازي والزوبعة حوله فقال: إنّه مجتهد، وما أُثير عليه فتنة لا تتأثّروا بها . إنّ السيّد ورع مخلص ذو خدمات كبيرة للإسلام والتشيّع.

والمقاومة التي واجهها الفرنسيون في لبنان وغيرها، وإلى الثورات الأُخرى التي حصلت في البلاد الإسلامية التي تفاعلت وتناغمت مع الثورات الشيعية ضدّ الغزو البريطاني والفرنسي لبلاد الإسلام ، بالشكل الذي أدّى إلى إحداث أصداء للثورة في العالم الإسلامي السنّي ضدّ الاستعمار الإيطالي لليبيا والفرنسي للجزائر والبريطاني لمصر وفلسطين وغيرها ، يجدها وقد كانت كلّها من نتائج تموّجات الثورات الشيعية التي قادها تلامذة المجدّد الشيرازي الكبير ومدرسته في العراق وإيران ونواحي الشام.

ولأنّ تلك المدرسة قد جدّدت أُسلوب العمل المرجعي في الحياة، فأصّلت للفقيه المرجع والعالم القائد واجبات جديدة متميّزة عن تلك التي كانت من قبل. فمن تلك هي مسؤولية الجمع بين العلم والجهاد. وبذلك فقد تميّزت هذه المدرسة بهذا النَفَس الجديد من العمل المرجعي والأُسلوب في القيادة والإدارة. الأمر الذي جعل هذه المدرسة موضع اهتمام الانجليز الغزاة ، ولأنّنا نروم في بحثنا هذا الوصول إلى الأسباب الأساسية للهجوم الشرس الذي تعرّض له الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) ، فلابدّ من أن نضع النقاط على الحروف كي تفهم الأجيال المعاصرة والمقبلة هذا أوّلاً ، ولنسقط التكليف الشرعي في توعية الأُمّة وتنبيهها إلى ما قد ألمّ بها من كوارث ومؤامرات أدّت لأن تدفع الشعوب ثمنها باهضاً وهذا ثانياً ، وثالثاً كي لا تقع الأُمّة ضحية تلك المؤامرات واللعب الدولية والاقليمية تارةً أُخرى .

فنقول أنّ عوامل الهجوم القاسي ضدّ الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) ومدرسته الرسالية كانت كالآتي:

العامل الأوّل : تخطيط الاستعمار لهذه الحرب .

العامل الثاني: تخطيط الحكومات المحلّية لهذه الحرب.

العامل الثالث: الحسد الذي تعرّض له الإمام الشيرازي من الكثير من العلماء.

العامل الرابع: جهل الأُمّة.

العامل الأوّل

يكتب فيه المؤلّف المخزومي ما خلاصته:

«يتساءل الكثير من الناس ممّن اطّلع على فكر الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) وعرف صدقه وإخلاصه في العمل ومثابرته ونشاطه عن قرب، ومشاريعه التجديدية في الفقه والفكر والسياسة ومناحي الحياة الأُخرى. يتساءلون عن سرّ الهجوم الشرس الذي تعرّض له السيّد (أعلى الله مقامه) شخصياً وفكرياً ومدرسياً.

لذلك رأيت أن أُميط اللثام عن تلكم الأسباب العظام، الكامنة وراء الكوارث الجسام، التي ضيّعت على الأُمّة فرصاً تاريخية لن تَعُدْ أبداً، حيث تركت المسلم الشيعي يدور حول نفسه ومجتمعه، يدور حول بعضه البعض الآخر، كما يدور الناعور حول نفسه طوال حياته، فوقعت الكارثة التي أوقعت الشيعة والتشيّع وجميع الموالين لأهل البيت عليهم السلام وجعلت منهم لقمة سائغة لأعداء الإسلام والمسلمين. فكانت من تلك الأسباب:

١ ـ انتماء الإمام الشيرازي لمدرسة العلم والجهاد.

٢ ـ تصدّي الإمام الشيرازي للمرجعية على منهج أساتذته.

٣ ـ ظهور فكر الإمام الشيرازي ومشاريعه للأعداء»

وعن السبب الأوّل يقول المؤلّف ما خلاصته:

«وببساطة العقل، وسذاجة الأُمّي الذي لا يقرأ ولا يكتب، نتساءل: هل ستترك بريطانيا المستعمرة، الشيرازي الذي أهان كبريائها، وكسر هيبتها لأن يفعل ما يشاء؟ أم هل ستترك من يتتلمّذ على يديه ويسير على نهجه؟ أم هل ستترك من يحمل اسمه ومنهجه بل كلّ من ينتسب إليه أن يمارس نشاطه الديني ويؤدّي مسؤولياته الرسالية؟ وهل ستتركه يقود الأُمّة ويأخذ موقعه القيادي المرموق فيها؟

كلّا وألف كلّا.

لابدّ أن يقفوا أمامه، ويضعوا الأعواد في طريقه، ولابدّ أن يحاربوه أشدّ محاربة، وأقسى مواجهة، يستخدمون فيها عوامل الإسقاط المتنوّعة، وسبل الإهانات المختلفة، والتّهم المشينة التي لو قُذِفَ بها جبلاً أشمّاً لتهاوى في مكان سحيق.

لذلك يلخّص السيّد المجدّد (أعلى الله مقامه) تلك المعاناة من سيل التّهم، وخشونة الهجوم، وحجم التجاهل والتسقيط من أعين الناس، والإسقاط في الوسط الاجتماعي، وإبعاد الأُمّة عنه (رضوان الله تعالى عليه) والحيلولة دون إتمامه مشاريعه، أو الوقوف دون تنفيذها وإخراجها إلى حيّز التطبيق، وتوجيه التّهم بأنواعها، من الفتاوى الدينية، إلى الدعايات السياسية، وإلى الموجات الاجتماعية، واضعين وراء ظهورهم قول الله تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾**(١).

فلخّص السيّد الشيرازي (قدّس الله سرّه الشريف) تلك المعاناة في كتابه المسمّى (قرن ونصف من المطاردة) قائلاً:

---

(١) الزلزلة / ٧ـ٨.

« لقد دفعت عائلتنا ومنذ قرن من الزمن ضريبة انتسابها للمجدّد الشيرازي الكبير جدّ أبي ، وانتسابها للميرزا الشيرازي الثاني قائد ثورة العشرين خال أبي ، وضريبة ما ننشره من الكتب التوعوية والمؤسّسات الخدماتية»[١].

ونقل الأُستاذ أزهر الخفاجي[٢] في خطاب له بمناسبة رحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) حواراً دار بينه وبين الإمام الراحل أثناء زيارته له قبل أربع سنوات .

فقال :

(قلت لسماحة الإمام : سيّدي عندما كنّا فتية ونزورك في منزلك في كربلاء ، كنّا نسمع التّهم والافتراءات عليك ... واليوم ونحن صرنا كهولاً والشيب غزانا ، فما زلنا نسمع ضدّك الاتّهامات الباطلة .. ووصلت حتّى القطب الشمالي في الدول الاسكندنافية وغيرها .. !!! أفما آن الأوان أن تنتهي هذه الاتّهامات الباطلة الموجّهة ضدّكم .. ؟؟!!

فردّ سماحة الإمام الراحل على سؤال الأُستاذ الخفاجي قائلاً :

« يا .. ابني ، إنّ من عائلة الشيرازي ظهر عالم ، أنهى الوجود البريطاني في ايران ، وهو المجدّد الشيرازي ، وظهر من عائلة الشيرازي ، عالم آخر أنهى وجود الاستعمار البريطاني في العراق ، وهو الشيخ محمّد تقي الشيرازي ، الذي قاد ثورة العشرين ووضع بداية النهاية للاستعمار البريطاني في العراق » .

---

(١) قرن ونصف من المطاردة / ص٢٦.

(٢) ناشط إسلامي كان مقيماً في النرويج ، وانتقل إلى الكويت ليدير فضائية الأنوار من قبل مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية. وإذاعة الراديو في العراق (لنفس المؤسسة).

وأنهى سماحته القول : « البريطانيون لن يسمحوا ، لآخر ثالث بقيادة الأُمّة ، فإنّهم وغيرهم يعملون المستحيل من أجل هذا الغرض »[1].

وعلى هذا فإنّ أعداء الأُمّة من مستعمرين غازين ، وحكّام طاغين ، وشرطة متسلّطين قد اطّلعوا على فكر الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) وفهموا مناهجه التغييرية ومشاريعه الإصلاحية والتجديدية ، ووضعوه موضع الفكر الصادّ لمآربهم والعدو اللدود لهم . وهذا ممّا جعل السيّد (قدّس الله سرّه الشريف) مستهدفاً بشكل شديد من قبل أعداء الأُمّة.

وكشاهد على ذلك ، لنرى قول الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) عن أهدافه التي ملأت أسماع العالم شرقاً وغرباً ، ما يلي :

« أمّا نحن فنريد توحيد البلاد الإسلامية تحت ظلّ القوانين الإلهية حتّى تكون بلداً واحداً ، فيسير المسلم من طنجة إلى جاكرتا ومن دكّا إلى طرابلس وهكذا ، ويشعر بأنّه في بلده . ولا ترفع أمامه في كلّ بلد حدود استعمارية وقوانين جاهلية وضعية »[2].

فإذا كان الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) يريد أن يوحّد الأُمّة الإسلامية ، تحت راية الإسلام فماذا يبقى للاستعمار ؟ وماذا يبقى للعملاء.

إنّ هذا لَفكرٌ قرأه الاستعمار من الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) مباشرة في خطابه وكتابه ومنشوره ومواقفه ومشاريعه .

أفهل يبقى الاستعمار والدول المحلّية العميلة مكتوفة الأيدي أمام

---

(١) موقع Alshirazi. Com .

(٢) السبيل إلى إنهاض المسلمين / ص٧.

الإمام المصلح (رضوان الله تعالى عليه) ليفعل ما يريد ، ثمّ يطرد الاستعمار كما طردهم آباؤه من قبل ؟؟؟ كلّا وألف كلّا .

ويوسّع الشيخ المخزومي بحثه قائلاً : ولمعرفة هويّة المتصدّين الأوائل لمحاربة الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) وكلّ المبادرين من الخارج لمواجهته وتوجيه الضربات إليه بالخفاء أو العلن ، بالمباشرة أو الواسطة ، لابدّ من معرفة المسطرة التي عادة ما يعمل عليها الاستعمار في محاربته لكلّ من يضعه موضع العدو .

ولنعرف تلك المسطرة نضرب لذلك مثالاً ، السيّد أبو القاسم الكاشاني ومحاربة الأعداء له والهجوم الذي كان قد تعرّض إليه ، والدعايات التي كانت تُروّج ضدّه بأياد مسلمة محلّية ، نيابة عن الاستعمار الذي كان يخطّط له ، والمسلمون ينفّذون ، والحسّاد ينجرّون ، من حيث يعلمون أو لا يعلمون .

ولقد فتحتُ ذات مرّة كتاباً من سلسلة معروفة في ايران بكتاب : (وثائق وكر التجسّس الأمريكي في ايران)[١].

وكنت قد فتحت صفحة منه من غير تعيين مسبق ، فقرأت تقريراً ما مضمون ترجمته كالآتي :

« من السفارة الأمريكية في طهران إلى الخارجية الأمريكية :

الموضوع / السيّد أبو القاسم الكاشاني .

إنّ السيّد أبو القاسم الكاشاني من العلماء المحبوبين عند الشعب الايراني ، وأخلاقه جيّدة والناس ملتفّون حوله بشكل كبير .

وإنّ السيّد الكاشاني معروف بشدّة بأسه وقوّة إرادته ، وشدّة بغضه لنا «

---

(١) والكتاب يسمّى بالفارسية (أسناد لانه جاسوسي) .

معاشر الغربيين » ، وإنّه عنيف بقوّة وشدّة ضدّنا والناس له سامعون مطيعون . وكلّما حاولنا بشتّى الوسائل إبعاد الناس وتفريقهم عنه ما استطعنا لذلك سبيلاً ، فرأينا أنّ أفضل السبل لتفريق الناس عنه هو إلصاق التّهم ضدّه وإشاعة الشائعات عليه شخصياً » .

ومن هنا نفهم أنّ الهجوم الذي قد تعرّض له السيّد أبو القاسم الكاشاني والتّهم التي أُشيعت حوله إنّما كانت بصنع من مخابرات الاستعمار ، وتوجيه من سفاراته ، بينما ترى أدواتها الفاعلة في التنفيذ هي ذات الشعب الايراني الذي كان يروّج ما كانت تشيعه المخابرات الأجنبية وتخطّط له .

ثمّ يواصل المؤلّف قائلاً : (من كلّ ما تقدّم نريد بيان الأمر التالي :

إنّ السيّد أبو القاسم الكاشاني كان عالماً واعياً لمخطّطات الأجنبي وقائداً من قادة الثورة الإسلامية ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق وممّن كان بيته مركزاً لاجتماع القادة الشعبيين للثورة ، ومن الممتثلين لأوامر القائد الأعلى للثورة (الشيخ محمّد تقي الشيرازي) ثمّ كان عضواً فاعلاً في مجلس قيادة الثورة هذه ، كما كان والده من قادة الجهاد الإسلامي لدحر قوّات الغزو البريطاني للعراق ومن المحرّضين على تثوير العشائر العربية في ايران ضدّ الغزاة البريطانيين .

ومن كان هذا تاريخه وفهمه ، وانتماءه ، وسلالته ، ومدرسته التي تخرّج منها هو وأبوه ، لا يمكن أن يسالم ، أو يساوم مع الاستعمار على حساب الحقّ والإسلام والشريعة المقدّسة ، وعلى حساب المستضعفين .

ومن كان كذلك ، فلن يغفل الاستعمار وعلى رأسه بريطانيا عنه وعن محاربته وملاحقته أينما حلّ أو ارتحل ، كما لن تتوان في إشاعة التّهم

عليه ، وتوظيف الناس ضدّه بتوجيه إشاعة تنطلي على عقول الكـثيرين من المغفّلين من هذه الأُمّة .

فإذا كان الثائر أو القائد للثورة على البريطانيين والمحرّض للأُمّة على القيام بطرد الاستعمار من البلاد ، يتعرّض لهذه التّهم التي أعـلنها تـقرير السفارة ، وعثر عليه الطّلاب الإيرانـيون ضـمن الوثـائق المـمزّقة عـند اقتحامهم للسفارة الأمريكية في طهران عام ١٩٨٠ . فـلا نسـتغرب مـن الهجوم الشرس ضدّ المقدّس آية الله العظمى السيّد محمّد الشيرازي (أعلى الله مقامه) كما يتّضح لنا جيّداً شخصية القائمين عندئذ وهويّة المخطّطين لذلك الهجوم العنيف الذي اتّبعت به أبشع السبل وأخبث الوسائل .

وكما كان أبـناء الأُمّـة الجـهلاء يـروّجون لتـلك الإشـاعات القـذرة والأكاذيب الخبيثة على شخص السيّد أبي القاسم الكاشاني ، كذلك فإنّ تلك الشريحة الغافلة والمغفّلة من الأُمّة قـد تـحوّلت إلى أدات رخـيصة تعمل بالمجّان لصالح الكافر الأجنبي الطامع في هذه الأُمّة وثرواتها ، فهو يـــخطّط والجـهلاء يـنفّذون . يـنفّذون مـخطّطات ، ويـطبّقون مـنويات الاستعمار الكافر التي حدّد سلفاً أنّ : دين الإسلام ، ومـذهب التشـيّع ، ومدرسة المجدّد الشيرازي ، هي التي تقف عقبة كأداء أمـام اسـتعمارهم لبلاد الإسلام ، وسرقتهم ثرواتها ، وتعبيد أبنائها وتغييرهم ثقافتها . وتلك هي مسطرة مخطّطات الأجهزة الدولية الطامعة في هذه البلاد الإسلامية ، التي تمرّ على كلّ مصلح مجدّد ، وثائر مغيّر ، ورافض للجاهلية المعاصرة، المقنّعة باسم التقدّم والديمقراطية وأشباهها .

العامل الثاني

يقسّم المؤلّف الشيخ المخزومي بحثه هنا إلى مبحثين :

الأوّل : أسباب حرب الحكومات المحلّية للإمام الشيرازي .
الثاني : نموذج لبعض وسائل الحرب التي واجهها الإمام الشيرازي .
يذكر في المبحث الأوّل سببين :
١ / همّة الإمام الشيرازي في تطبيق مشروعه المتكامل للأُمّة .
٢ / كون الإمام الشيرازي بالمرصاد لعبث الحكومات العميلة .

ثمّ يستدلّ على ذلك بحقائق على الساحة العراقية وغيرها ، وينقل المؤلّف عن كتاب (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل) نموذجاً من محاربة الحكومات للإمام الشيرازي قائلاً :

«فقد واجه الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) ومشاريعه معه ، المزيد من المصاعب والتحدّيات الصعبة ، ما لو قد وقعت على أحد غيره لانهزم أمامها وانهار ، ولو استعرضنا تلك المضايقات والملاحقات التي تعرّض لها الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) لاحتاجت إلى كتاب مستقل . لكنّنا نوجز ذلك بما هو متيسّر ، وبما تتحمّله عقول الناس ونفوسها ، بما يلي :

١ / تلفيق مختلف الاتّهامات على شخص السيّد المجاهد (رضوان الله تعالى عليه) وكتبه ومشاريعه وأفكاره وزملاءه .

٢ / محاولة اغتياله عدّة مرّات ، ومنها أنّهم اقتحموا داره في وضح النهار محاولين اغتياله إلّا أنّه لم يكن تلك الساعة في البيت فعادوا خائبين.

٣ / وضع الجواسيس على بيته لمراقبة تحرّكاته ومعرفة الشخصيات التي تفد إليه . وكان قسم من هؤلاء الجواسيس يختلطون بالناس ويدخلون إلى الدار لمعرفة ما يدور فيها .

٤ / إصدار قرار بمنع بعض كتبه أحياناً وجميع كتبه أحياناً أُخرى من الطبع لما في هذه الكتب من التوعية والترشيد الفكري ولاحتوائها على

فضح الاستعمار وعملاءه .

وكان من جملة ما منع سلسلة (التعريف بالشيعة) التي كانت تطبع وترسل مع الحجيج في موسم الحجّ إلى الديار المقدّسة ، من أجل التقريب بين المسلمين وتعريف بعضهم ببعض وإزالة الاتّهامات التي اختلقها المستعمرون وأذنابهم ضدّ الشيعة .

٥ / منع طباعة الرسالة العملية ومناسك الحجّ والدورة الفقهية .

٦ / إحراق بعض كتبه بعد مصادرتها من المطابع ، كما كانت تحرق الكتب في القرون الوسطى ، وكما صنع الاستعمار الفرنسي بكتب آية الله السيّد عبدالحسين شرف الدين .

٧ / منع الناس من اقتناء كتبه ، وإنزال عقوبات صارمة بمن يعثر على هذه الكتب عنده ، وبالآونة الأخيرة اشتدّت الملاحقة ووصلت إلى حكم الإعدام على بعضهم (في العراق مثلاً) .

ولذا فقد اضطرّ الناس إلى دفن الكتب في بيوتهم بعيداً عن أعين الرقباء (زوّار الليل) حتّى ما يرتبط منها بالمسائل الشرعية أو ما يتعلّق منها بالدعاء .

٨ / ملاحقة المطابع التي كانت تطبع كتبه وتهديد بعضها بالإغلاق ، وسجن بعض أصحابها ، ممّا جعل بعض المطابع تعتذر من طبع كتب الإمام (رضوان الله تعالى عليه) .

٩ / التضييق على المكتبات التي كانت تتولّى بيع كتبه (أعلى الله مقامه) .

١٠ / مصادرة مجموعة من كتبه المخطوطة التي لم تطبع لحدّ الآن ، وتربوا هذه الكتب على الثلاثين كتاباً . ولا زالت لحدّ الآن مجهولة المصير بينما كان على الرقابة أن تعيد الكتب لأصحابها حتّى ولو حظرت طبعها ،

حسب الأعراف الدولية في العالم .

١١ / مصادرة الرسائل التي كانت تصل إليه من داخل العراق وخارجه ومصادرة ما كان سماحته يكتبها إلى الناس .

١٢ / التجسّس على مكالماته الهاتفية .

١٣ / منع أصدقائه من السفر إلى الحجّ وسائر السفرات إلى الخارج .

١٤ / التشديد والتصعيب في المعاملات الإدارية على أصدقاء الإمام الراحل (قدّس الله سرّه) وتعقيدها ، وقد تكرّر قول المسؤولين لأصدقاء السيّد : إنّ وجودكم بقرب السيّد (قدّس الله سرّه الشريف) يثير علامات استفهام ضدّكم في كلّ الوزارات ، ويعرقل سير أُموركم في الدوائر الرسمية .

١٥ / إلقاء القبض على زملاءه وزجّهم في السجون ، مثل آية الله الشهيد السيّد حسن الشيرازي ، وفضيلة الخطيب المجاهد الشيخ عبدالزهراء الكعبي (قدّس الله أسرارهم) ، وآخرين ومعظمهم من الأحياء المعروفين للجميع .

تعذيب المسجونين بأشدّ أنواع التعذيب في داخل السجن ، وقد ذكر قسم منها في كتاب (آية الله الشهيد السيّد حسن الشيرازي) ، وكتاب (الصياغة الجديدة) وغيرها .

١٦ / منع طلّاب العلوم الدينية من الحضور في درسه ، وكذلك الناس من الحضور في صلاة الجماعة التي كان يقيمها صبحاً وظهراً ومساءً .

١٧ / عدم السماح له ببناء المدارس .

١٨ / منع أصدقاءه من ارتقاء المنبر وعدم منحهم إجازة عمل .

١٩ / إغلاق مستوصف القرآن الحكيم ، ومصادرة كلّ ما فيه وبيعها بالمزاد العلني .

٢٠ / إغلاق الصندوق الخيري الذي أُسّس لإقراض الناس ومساعدة الفقراء ونحو ذلك .

٢١ / نصب العيون على كلّ المؤسّسات .

٢٢ / إخراج كتب السيّد (رضوان الله تعالى عليه) من مكتبات المطالعة العامّة .

٢٣ / حظر تجديد عمارة بعض مؤسّساته .

٢٤ / منع تأسيس (دار الولادة) .

٢٥ / محاولة التسلّل إلى بعض المؤسّسات وتكثيف الضغط عليها لكي تصبح تبعاً للدولة .

٢٦ / حظر دخول كتبه للدخول في (المعرض الدولي للكتب) الذي عقد في بغداد مثلاً .

٢٧ / مطاردة الهيئات التي كانت تشكّل في المساجد .

٢٨ / المنع من إصدار المجلّات والنشرات المرتبطة به (أعلى الله مقامه) .

٢٩ / سجن وتعذيب وتسفير ومصادرة أموال جمع من القائمين بشؤون هذه المجلّات .

٣٠ / بعث رسائل الشتم والسبّ والتهديد لشخص الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) وبمختلف التواقيع المصطنعة .

٣١ / منع إرسال كتبه إلى الخارج بمصادرة الكثير منها .

٣٢ / مصادرة البضائع والمؤن التي كانت ترسل إليه لأجل توزيعها على الفقراء .

٣٣ / مصادرة منشوراً كتبه السيّد (أعلى الله مقامه) ضدّ اليهود وسجنوا الموزّعين له .

٣٤ / الحيلولة دون انعقاد جلسات (دروس الأخلاق) التي كان يلقيها على الناس في ليالي الخميس وليالي الجمعة .

٣٥ / توجيه ضغوط مختلفة عليه حتّى اضطرّ إلى تغيير مكان صلاته ظهراً من الحسينية إلى مدرسة (ابن فهد الحلّي) في كربلاء .

٣٦ / عدم إعفاء طلّابه من الخدمة العسكرية رغم استحقاقهم قانونياً لذلك .

٣٧ / عدم الاعتراف بمشروعية عقود الزواج التي كان يعقدها السيّد بنفسه ، ممّا كان يضطرّ أصحابها إلى إيقاع العقد من جديد عند غيره .

٣٨ / مطاردة أصدقاءه في الخارج ، وتعقيد شؤونهم بواسطة سفرائهم في تلك البلاد ، عند الدوائر الرسمية وغير الرسمية هناك .

٣٩ / محاولة تشويه سمعته وسمعة أصدقاءه في مجلّاتهم وجرائدهم .

٤٠ / عدم منح الإقامة لأصدقائه وطلبته من غير العراقيين .

٤١ / تحريك حكومة الشاه (ملك ايران) لإهانته وسجن جمع من أصدقاءه الذين سافروا إلى ايران .

٤٢ / إهانة واستجواب أصدقاءه الذين كانوا يفدون من الخارج وسجن بعضهم .

٤٣ / التعاون مع حكومة الشاه للضغط عليه وتشويه سمعته .

٤٤ / إرسال الجواسيس مع أجهزة للتسجيل ، إلى أصدقاء الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) ومحاولة جرّهم إلى حديث يعطي للدولة مبرّراً لاعتقالهم وتسفيرهم .

٤٥ / الحيلولة دون اتّصاله تلفونياً بالخارج ومنع الخارج من الاتّصال به .

٤٦ / تهديد المواكب الحسينية لكي لا يأتون إلى بيته رغم اعتيادهم على ذلك سابقاً .

٤٧ / تهديد الهيئات الخيرية كي لا يستمدّوا العون الاقتصادي منه .

٤٨ / حرمان الهيئات الحسينية المرتبطة به من المواد الأوّلية ، في حين كانت تعطى للهيئات الأُخرى ، حيث كانت الأُمور الاقتصادية في العراق بيد الدولة وهي التي تمنع وهي التي تعطي .

٤٩ / حرمان مؤسّساته التي كانت تحتاج إلى التعمير والترميم كالاسمنت والحديد وغيرها .

٥٠ / احتلال الموقع الذي كان يصلّي فيه (صلاة العيد) وتسليمه إلى بعض (وعّاظ السلاطين) .

٥١ / إعدام مجموعة من أصدقاء الإمام الراحل (قدّس الله سرّه) .

٥٢ / إصدار أحكام الإعدام على مجموعات من أصدقاءه حتّى اضطرّوا إلى الاختفاء أو النزوح إلى الخارج .

٥٣ / إرسال مجموعة من عملائهم للتعاون مع السفارة العراقية في الكويت ، للتضييق على سماحته وعلى مقلّديه ومؤسّساته في الكويت .

٥٤ / بثّ الإشاعات الكاذبة ضدّ مؤسّساته في لبنان .

٥٥ / مطاردة أخيه آية الله الشهيد السيّد حسن الشيرازي في لبنان عبر عملائهم حتّى تمّ اغتياله في بيروت عام ١٩٨٠م .

العامل الثالث

يقسّم الباحث سماحة الشيخ المخزومي وبعد تطرّقه الى موضوعه هنا إلى مبحثين وتفريعات:

يبيّن في المبحث الأوّل مفهوم الحسد في الحياة. وبعد تطرّقه الى

مسائل مثل أنّ الحسد مرض نفسي وأخلاقي، وأنّ كلّ ذي نعمة محسود، وأنّ الحاسد لا يرضى إلّا بزوال النعمة. يقول تحت عنوان (لا ينجو من الحسد إلّا ذو حظّ عظيم من العلماء): (وهذا ممّا أُريد بيانه ، من أنّ الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) لم يسلم من ملاحقة العلماء الحاسدين له ، وفي هذا المجال لابدّ من بيان الحقائق التالية :

□ **الحقيقة الأُولى : العلماء بشر**

لا يتوهّم أحد فيقول : أنّك في هذا تطعن بالعلماء ؟!!

فأقول :

أوّلاً : كلّا .

وثانياً : القاعدة المنطقية التي يفهمها كلّ الناس ، الدارس منهم وغير الدارس ، هي أنّ العلماء بشر ، والبشر يتعرّضون لمرض الحسد ، فالعلماء يتعرّضون لمرض الحسد فيحسدون المتفوّق من بينهم ، إلّا من عافاه الله وسدّده من الحسد .

وتاريخ العلم والعلماء يشهد على العلماء الذين كانوا يكتمون ما أنزل الله ، حسداً من عند أنفسهم ، كما قال الله تعالى : **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**(١).

فالفريق الذي يكتم الحقّ من أهل الكتاب إنّما كانوا من أهل العلم ، فأخفوا تلك الحقائق حسداً من عند أنفسهم .

---

(١) البقرة / ١٤٦.

□ **الحقيقة الثانية: لا يُلَقّاها إلّا ذو حظّ عظيم**

العالم إنسان، فهو يمرض بمرض الحسد، إلّا من هذّب نفسه، وهؤلاء في البشر قليل، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**(١).

وقال الإمام علي عليه السلام: «الناس ثلاثة فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع ..»(٢).

فليس العالم الربّاني لا يحسد غيره من الذين أنعم الله عليه فحسب، وإنّما هو ممّن يجري الله على يديه الخير، وممّن يقول للشيء كن فيكون، وهؤلاء هم الصدّيقون، والشهداء والصالحون الذين خرجوا من ذواتهم إلى رحاب ملكوت الله تعالى، وخلعوا جلابيب الدنيا من كاهل أرواحهم فكانوا أحراراً، فكانوا من الذين قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: «فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون»(٣).

وهؤلاء من ذوي الحظّ العظيم، فالعالم يحسد كأي من البشر إلّا من أنعم الله عليه وكان ذو حظّ عظيم.

□ **الحقيقة الثالثة: العالم مصداق عالٍ للمؤمن**

العالم الربّاني هو المصداق الرفيع للمؤمن الحقيقي، فإنّ حبّ الدنيا لا يخرج بالكامل من قلبه إذا ما تعلّق بالأُبهة والشهرة والزعامة.

---

(١) فصّلت / ٣٥.

(٢) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد تحت رقم ١٤٧.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٩٣ في صفة المتّقين.

ثمّ الحسد من نتائج حبّ الدنيا ومعطيات التعلّق بها والغفلة عن الآخرة.

وحينما قال قابيل لهابيل : ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ بقوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

فـ : ﴿قَالَ﴾ ، المحسود وهو هابيل : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

فأراد الحاسد حرمان محسوده من الحياة ، وليس زوال النعمة منه فحسب ، وذلك يوم أحسّ تفوّق أخيه عليه إذ يتقبّل الله منه وأيّده ، ولم يوفّق هو لذلك ، فأجابه هابيل قائلاً :

﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

فلم تنفعه موعظة أخيه حيث قال : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

وكان حقّاً من الخاسرين ، وهو شأن الحاسد سواء كان من عامّة الناس أم من أبناء النبيين ، إلّا من عصمه الله ووفّقه ، ومن اعتصم بحبل الله ، وزهد في الدنيا ، ورغب في الآخرة .. .

إذن فالحسد حقيقة واقعة ، ومرض يصيب البشر ، والعلماء من البشر ، وقد حذّر الله المؤمنين من الوقوع فيه ، وضرب لهم مثلاً أُولئك العلماء الذين كانوا يكتمون الحقّ حسداً من عند أنفسهم .

وبالتالي لا يتنزّه عنه إلّا من كان ذي حظّ عظيم . ولا يكون كذلك إلّا

---

(١) المائدة / ٢٧.

(٢) المائدة / ٢٨.

(٣) المائدة / ٢٩ ـ ٣٠.

من هذّب نفسه على الزهد في الرئاسة والزعامة والمال وغيرها من مظاهر الدنيا .

ثمّ يذكر المؤلّف نماذج من العلماء الذين تعرّضوا إلى الحسد[1] حتى ينتهي المؤلف الى القول في أسباب الحسد ضد الامام الشيرازي قائلاً: قد بلغ الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) درجة من الاجتهاد رفيعة وهو على أعتاب الثلاثين من العمر ، ثمّ رجع إليه الناس في أحكام دينهم وهو في أعتاب الأربعينات من عمره الشريف ، بينما كان غيره في سُلَّم المرجعية من المنتظرين .

فيكون الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) قد سبقهم إلى مقام المرجعية ، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار : غيظ حواشيهم التي كانت تنتظر صعودهم ، فغضبت بصعود الإمام الشيرازي قبل صاحبهم إليها ، لكونهم أكبر من الإمام الراحل سنّاً ، وأنّه قد سبق الآخرين لزعامة الحوزة الدينية ، إلّا لأنّه الأنبغ علماً ، والأكبر همّة في التغيير والإصلاح ، والأشدّ على جهاد العدو، ونضال الظالم .

ولهذا وغيره فقد حسدوه ، وليس بخاف على أهل العلم والفضل ، وعلى كلّ من جاس أروقة المجاميع العلمية ، وسبر أغوارها ، وخبر حالها، وعجم رجالها ، ووزن ما فيها بما فيها ، أنّ الإمام المقدّس الراحل كيف تظافرت عليه جهود الحاسدين ، مع تدبير الحكّام الحاقدين ، وتخطيط الغزاة من الجاحدين . فكانت النتيجة التاريخية ذلك الهجوم المشين ، المحفوظ عند الذي قال في كتابه الكريم :

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ

---

(١) ذكرناهم في صفحة (٧١) من هذا الكتاب.

ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1].

وبالنتيجة فإنّ الإمام الشيرازي (قدّس الله سـرّه) قـد تـعرّض لحسـد شديد، وهناك من خبره المزيد ، ما نعرض عنه الكثير الشديد ، ونوكله إلى الحميد المجيد ، والفعّال لما يريد .

غير أنّ الذي يؤلم هي تلك الخسارة الكبرى ، حيث لم يعط جميعهم الفرصة للإمام المجدّد (رفع الله درجاته) لِيَرْقَ بالأُمّة إلى مـصاف الأُمـم الراقية التي يحسب لها ألف حساب ، ويجعل لهم دولة فـي عـداد الدول التي تُهاب ، وتحترم جانبها الأُمم ، وتحذرها حكومات الذئاب .

فنسكت ونقول: حسبنا الله ، حيث أنّ الأمر أوّلاً وآخراً لله ، وكلّ مـا جرى ويجري بعينه التي لا تنام ، وبمرأى ومسمع خليفته في الأنام ، إمام العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء .

العامل الرابع

وحول هذا العامل الأخير من عوامل الحرب التسـقيطية القـذرة ضـدّ الإمام الشيرازي كتب الباحث المخزومي تحت عنوان (الجـهل المـهيمن على الأُمّة الإسلامية) ما يلي :

□ المبحث الأوّل : حينما تجهل الأُمّة عظماءها

■ الأمر الأوّل : أثر الجهل في الحرب على الإمام الشيرازي

لقد كان السبب الآخر من أسباب تفاقم الهجوم على الإمام الشيرازي

---

(١) يونس / ٦١.

(رضوان الله تعالى عليه) هو جهل الأُمّة التي كانت تروّج ما كان يشيع أعداءه من حكومات ظالمة ، ودول طامعة في بلاد الإسلام والمسلمين ، وهنا يأتي دور الوعي والجهل في الأمر .

فإذا وعت الأُمّة دينها وثقافتها ، وأدركت أصالتها ، صنعت من أبناءها أبطالاً ، واتّبعت أئـمّتها الهـداة إلى الحـقّ ، وقـادتها إلى النـصر والتـقدّم والاستقلال .

أمّا إذا جهلت الأُمّة مسؤولياتها ، ومالت إلى شهواتها وانـجرفت وراء الأنــانيات الشــخصية والأحـقاد الحـزبية ، وآثـرت النـعرات القـومية والحساسيات الإقليمية ، على حساب الدين والأصالة والحياة التي أمر الله بها ، فقد حاربت علماءها ، وقتلت عظماءها ، ونبذت الأبطال ، وأمّرت عليها أشباه الرجال ، واختلّت عندها الموازين الثقال .

فصار العدو عندها صديقاً حميماً ، والصديق عدواً ذمـيماً ، فـجهلت التمييز بين الصديق الودود والعدو اللدود ، وتلك هي من مآسي الجـهل والتخلّف والانحطاط .

فجهلت الأُمّة في أواخر القـرن الأخـير دور المـؤسّسة الشـيعية فـي التحرير الثقافي والمنهجي والعلمي ، وخصوصاً ذلك الذي اضـطلعت بـه مدرسة المجدّد الشيرازي الكبير ، فأنكرت ذلك ثمّ تنكّرت وتجهّمت في وجهه ، والسبب هو الجهل.

■ **الأمر الثاني : حقيقة ثقيلة في الميزان خفيفة على اللسان**

فليس غريباً على من أُوتي من الحكمة نصيباً ، أن يدرك هذه المعادلة الصغيرة على اللسان ، والثقيلة في الميزان ، لكونها من الحقّ الثقيل الذي

لم يكن الله ليخفّفه إلّا على من شاء من العباد[1]، وهي :

قيادة أعاظم علماء التشيّع من أساطين المدرسة الشيرازية للأُمّة الإسلامية في حروب حاسمة طردت عساكر الغزاة الانكليز من العراق، وجيوش الروس والانكليز معاً من ايران، وأدّبتهم في أفغانستان، وحرمتهم من التواجد العسكري في بلاد الخليج، وغيرها.

وهذا ما لم ولن يُرض الانكليز بأقلّ من إخراج علماء المدرسة التجديدية (رجال العلم والجهاد) من ميدان قيادة الأُمّة، ليدخل الاستعمار من جديد بعساكره، وليستقبله أهل تلك البلاد بترحاب الجاهلين، المصفّقين لكلّ جزّار بطّاش يشحذ ضبّة سيفه عليهم ليل نهار. فلابدّ للاستعمار من أن يشنّ حملته على تلامذة هذه المدرسة، فمنهم من قُتِلَ ومنهم من أُعدم، ومنهم من طورد أيما مطاردة، وبكلّ الوسائل[2].

كلّ ذلك بسبب اضمحلال وعي الأُمّة التي سرعان ما تصدّق به دعايات الاستعمار وتخطيطه وتدبير الحكومات المحلّية، وتنفيذ الأُمّة الجاهلة لتلك المخطّطات والتطبيل لتلك الدعايات.

□ المبحث الثاني: ميزان معارف الرجال

من الأُمور المهمّة في حياة البشر هي معرفة الرجال. وإنّما يؤدّي

---

(١) وفي حديث الإمام علي عليه السلام : (الحقّ ثقيل إلّا من خفّفه الله تعالى عليه وكذلك ثقل في الميزان) راجع: دعائم الإسلام ج١ ص٣٦٧.

(٢) بثّ الاستعمار من الدعايات الحادّة ضدّ الإمام الشيرازي، وضدّ مؤسّساته وتلامذته ومقلّديه وذلك لكونه قد أفلت المرجع الشيرازي في العراق من التصفية الجسدية فكان لابدّ من تصفيته منهجياً وشخصياً، وحتّى لا تتبع الأُمّة منهجه الخلّص، وهذا هو الذي حصل فعلاً في الأُمّة.

انعدام الوعي وتفاقم الجهل إلى اختلال الميزان في معرفة الرجـال ، وأنّ من يجهل الميزان في تقييم الرجال ، يضع العدو مكان الصديق ، كما يعدّ الصديق عدواً ، وتلك هي الكارثة الكبرى .

وللهجوم الذي تعرّض له الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) مدخلية في مشكلة عدم تمييز الأُمّة لرجالها ، وفقدانها الميزان الذي يجب أن تعرف به من يعمل لها أو ضدّها ، وما إذا كان كلامه صحيحاً أم لا ، وما إذا كـان كلامه دعاية مغرضٍ ، أو يردّد ما يقوله الآخرون أو أنّه من صنع من وقع تحت ضغوط حكومية أو حزبية . وهنا لابدّ من بحث مـوازيـن مـعرفة الرجال كي تكون الأُمّة على بيّنة من أمرها ويكون البحث عـلى تـمامه بحول الله تعالى وقوّته .

■ **الأمر الأوّل : محبّة الرجال حدّ الدين**

اعتاد الناس التمسّك بالدين عبر التـمسّك بـالرجـال ، والتـوجّه إليـه بالتوجّه إليهم ، حتّى صار قول الرجال ونظرهم عندهم حـجّة ، وأنّ مـا يرونه من تفسير للدين حجّة.

فتمسّكوا بالرجال إلى حدّ العبودية ، حتّى إذا ما حرّم عليهم الرجـال حلالاً بيّناً أو حرّموا لهم حلالاً بيّناً ، اعتبروه من الدين القويم فتمسّكوا به. كلّ ذلك لأنّهم أحبّوا الرجال حدّ الدين وقد يصل الىٰ حدّ العبودية.

صحيح : إنّ الرجال يتعلّمون الدين ويبلّغونه الناس ، أمّا إنّهم يصبحون مصدر التشريع ، ويشرّعون لهم مقابل الله ورسوله وحججه (صلوات الله عليهم) ، فإنّ ذلك عين الشرك.

ذلك لأنّ موقع الرجال على جلالة قدرهم، وعلو كعبهم، فإنّ معارفهم لن ترقّ إلى معارف الحجج المعصومين.

فبالمعصومين اهتدوا من الضلالة إلى الهدى فكيف يتبوءوا مكان المعصوم في التشريع؟

وكيف يسوغ لهم تحليل حرام الله وتحريم حلاله؟

فلا يكون لهم ذلك إلّا أن يدّعوا ما ليس لهم، ويزيحوا أئمّتهم عن مواقعهم، ليكونوا هم الأئمّة بدل الأئمّة المعصومين المبلّغين عن الله تعالى.

لذلك ضلّت الأُمم عن الصراط المستقيم، باتّباعهم الرجال وتقليدهم إيّاهم على الحقّ والباطل على حدّ سواء، وهذا ما نهى عنه الإسلام، بل حذّر من مغبّة التمسّك بأذيال الرجال حدّ العبودية، والتقديس لهم حدّ التأليه، والارتفاع بهم حدّ العصمة.

وقد وردت الروايات المؤكّدة على هذا النهي والتشديد على خطورة الموقف، كما ورد على لسان الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن أُدخل فيه بالكتاب والسنّة، زالت الجبال قبل أن يزول»(1).

■ الأمر الثاني: ما هو الواجب من المعرفة؟

من هذا يثبت وجوب معرفة الرجال بالدين وليس الدين بالرجال، ذلك لأنّ الدين هو الحقّ الثابت الذي يُعرف به الرجال. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الحقّ لا يعرف بالرجال، إعرف الحقّ تعرف أهله»(2).

---

(1) بحار الأنوار ج٢ ص١٠٥ ح٦٧ ب١٤.

(2) روضة الواعظين ص٣٢، وإرشاد القلوب ص٢٩٦.

فبعد معرفة القانون القائل : (إنّ الدين يعرف بـالدين وبـحملته الذيـن كانت ولايتهم من الديـن وهـم الأئـمّة والمرسلين صـلوات الله عـليهم أجمعين) وجب التمسّك بالدين لا بالرجال من دون الأئمّة والمـرسلين ، بل حَرُمَ التمسّك بالرجال على حدّ الدين (أي على اعتبارهم ديناً أو أصلاً للدين ومعارفه) .

أمّا إذا كان الرجـال مـمّن يـتعلّمون الديـن مـن الرسـول ﷺ ومـن أوصـياءه عليهم السلام ، ويسـتسقونه مـن مـعادنه الأسـاسية ، ويـنقلون للـناس فتواهم عليهم السلام ، فذلك ممّا لا ضير فيه ما لم يصل حدّ التأليـه والتـقديس ، والغلو فيهم حدّ العصمة ، والتشبّث بأذيالهم لحدّ وضعهم مصاف المعصوم أو مكانه ، فإنّ ذلك في حدّ الشرك بالله والرسول وأوصياءه عليهم السلام .

لذلك فقد وجب وضع الرجال في المـيزان كـي نـعرف مـا إذا كـانوا مؤهّلين لنقل الفتوى عن أئمّتنا عليهم السلام أم لا ؟

وما إذا كانوا عارفين وأُمناء في النقل أم لا ؟

عندئذ يجب معرفة عمّن نأخذ الرواية والحكم وممّن نستسقي الفتوى والفكر (الذي هو الدين) ، كما يجب عندئذ معرفة عمّن نأخذ مناهج الدين ومعارفه .

من هنا وجب وضع الرجال جميعاً موضع التـمحيص والاخـتبار ، لا بحسب الموازين النفسية والمعايير الكيفية ، بل بالموازين الإلهية العـادلة التي تزن كلّ شيء موزنه ، وتضع كلّ شخص موضعه ، وتنزل كلّ فـرد منزله ، تلك المنازل والمراتب التي لا تُعرف إلّا بمقدار التمسّك بالرسول وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام ، التأكيد على كون منازل الناس عند الله بمقدار منازلهم عند أهل البيت ، الذين هم خلفاء الله في خلقه ، وأُمناؤه

على بريته ، وإنّ منازلهم عند أهل البيت هي بمقدار أخذهم الدين منهم عليهم السلام.

فوردنا أنّ الإمام الصادق عليه السلام ، قد ذكر البشر وأصنافهم ، فكانوا على ثلاثة أصناف نسبة إلى أخذهم الدين والرواية عنهم صلوات الله عليهم أجمعين.

أوّلاً: فقد ذكر مرّة (الناس) ، وهم عامّة المسلمين من المؤمنين وغيرهم، فقال عليه السلام: «اعرفوا منازل الناس منّا على قدر روايتهم عنّا»[1].

ثانياً: ثمّ ذكر تخصيصاً أكثر من هذا العموم الشامل لكلّ الناس ، فتعرّض لذكر (الرجال) الذين يعتبرون أنفسهم حملة للدين والمطّلعين على معارفه ، أو يعتبرهم الناس أو مريدوهم كذلك فقال عليه السلام : «اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر روايتهم عنّا»[2].

ثالثاً: ثمّ ذهب الإمام عليه السلام إلى التخصيص للبلوغ إلى الأخصّ ، وإلى لُباب الناس ورؤوس القوم ، وتاج الرجال ، وهم أقرب الناس إلى نور الله في الأرض ، ومصدر التشريع والفرض ، وحججه في الخلق عليهم الصلاة والسلام وهم (الشيعة) ، فقال :

(اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا فإنّا لا نَعُدّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون محدّثاً . فقيل له أو يكون المؤمن محدّثاً ؟ فقال يكون مفهّماً والمفهّم محدّث)[3].

من هنا نفهم أنّ على كلّ فرد ، أن يضع نفسه في الميزان الذي وضعه

---

(١) رجال الكشي ص٣.

(٢) رجال الكشي ص٣.

(٣) رجال الكشي ص٣.

الشارع المقدّس كي يحملها على الصراط الأكمل والسبيل الأفضل ، ويقوّمها عن السبل المعوجة ، والانتقال من النقص إلى الكمال ، ومن الكمال إلى الأكمل .

كما عليهم أن يضعوا رجالهم في الميزان كي يتسنّ معرفة ما إذا كان في الإمكان أخذ الدين عنهم أم لا ؟ فيكون عندئذ لزاماً علينا بيان الميزان واتّباع الخطوات اللازمة في تقييم الرجال ، وتقويم النفوس ، وتصحيح الذوات ، وصياغة النفس والشخصية على أساس الموازين الإلهية العدل.

■ **الأمر الثالث : خطوات تقييم الرجال**

ولكي يمكننا معرفة الرجال وتقييمهم ، ومن ثمّ تحديد أقدارهم وتشخيص منازلهم التي أنزلوا أنفسهم بها ، يلزمنا اتّباع الخطوات التالية:

● **الخطوة الأُولى : الوضع في الميزان**

ونعني بذلك وضع الرجال في الميزان الربّاني ، وتقييمهم على أساس تقييم الله تعالى لهم ، وليس على أساس موازين يبتدعها الناس أنفسهم، أو معايير يضعها البشر بما توافق أهواءهم وتطلّعاتهم.

إنّ أوّل ما يجب عمله هو تحديد الميزان الإلهي الذي يقدر لكلّ أحد قدره ويحدّد لكلّ منزلته ويضع كلّ رجل مقامه ، ذلك الميزان الذي يحدّده الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) لتصنيف البشر ، إذ ينزلهم منازل ثلاث:

الأوّل: العالم الربّاني.

الثاني: المتعلّم على سبيل النجاة.

الثالث: الهمج الرعاع.

كما قال الإمام علي عليه السلام موصياً أوحديّاً من أبرز تلامذته وشيعته وهو كميل بن زياد فقال له:

«ياكميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، احفظ عنّي ما أقول لك : الناس ثلاث ، إمّا عالم ربّاني ، أو متعلّم على سبيل نجاة ، أو همج رعاع ، ينعقون مع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ..»[1].

فإذا أردنا تشخيص الناس ، ومعرفة الأشخاص ، ووزن الرجال ، علينا أن نضعهم في هذا الميزان الربّاني ، وتلك هي الخطوة الأُولى على طريق التقييم.

● **الخطوة الثانية : التشخيص**

وفي هذه الخطوة يتمّ تشخيص طبيعة الناس ، ليتبيّن ما إذا كانوا من أهل الصنف الأوّل أو الثاني أو الثالث .

وكما يقال إنّ فهم السؤال نصف الجواب ، كذلك فإنّ تشخيص المرض، نصف الطريق إلى العلاج ، وبالتالي فإنّ تشخيص الرجال يمثّل نصف الطريق المؤدّي لتأمين سلامة الحياة من الانحراف ، والعقائد من الفساد والأفكار من الضلال ، وبالتالي فإنّ تشخيص الرجال خطوة كبيرة ومتقدّمة على سبيل الحفاظ على سلامة المجتمع من الانهيار ، والأُمّة من الاندثار ، والحضارة من الانهيار.

● **الخطوة الثالثة : ترتيب الأثر**

أمّا الخطوة الثالثة فهي ترتيب الأثر على ذلك التشخيص ثمّ التأسيس

---

(١) إكمال الدين ص ٢٩١ .

على تلك المعرفة ، علماً أنّ ترتيب الأثر عمل عقلائي ثابت ، وعدمه من شيم الجهلاء.

فلو ذهب أحد إلى الطبيب ، وشخّص الثاني العلّة ، واصفاً له العلاج اللازم ، ثمّ أمره بأُمور ونهاه عن أُخرى ، فإن التزم بما يقول فهو من العقلاء القادرين على تقدير أمر صحّته وعافيته ، وإلّا فلا .

لذلك صار العمل على أساس المعرفة وترتيب الأثر على النتائج المعرفية ، من الأُمور العقلائية التي لابدّ منها لتأسيس الحياة عندها على أساس الخير والسلامة والنجاح والسداد .

وهنا ينقسم ترتيب الأثر عادةً إلى نوعين أساسيين نسبة إلى القائم بعملية التقويم والتقييم ، ومنها أن يضع الإنسان نفسه أوّلاً وأن يضع الإنسان الرجال في الميزان ثانياً .

فالنوع الأوّل : أن يضع الإنسان نفسه في الميزان ليعرفها ويعرف قدرها وحقيقتها ، وهذا ما أكّد عليه الإسلام فقال الرسول صلى الله عليه وآله :

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتجهّزوا للعرض الأكبر»(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«العالم من عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، وإنّ أبغض الرجال إلى الله العبد وكله الله إلى نفسه جائراً ، عن قصد السبيل سائراً ، إن دُعي إلى حرث الدنيا عمل ، وإن دعي إلى الآخرة كسل»(٢).

فالعالم العاقل من وزن نفسه ، وعرف قدرها ، ووضعها موضعها .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٠ ص٧٣ .

(٢) بحار الأنوار ج٢ ص٥٢ .

النوع الثاني : أن تضع الأُمّة رجالها وزعماءها وقادتها ، وأهل الفكر والثقافة وأمثالهم ، في الميزان الإلهي للتشخيص والتقييم ، لِتَعرف مَن هم؟ وممّن تأخذ علومها ومعارفها الدينية ؟

وإلى هذا الميزان قد أشار الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إلَى طَعَامِهِ﴾[1]، وذلك حينما سأله زيد الشحّام قائلاً : (قلت وما طعامه قال عليه السلام : علمه الذي يأخذه ممّن يأخذه)[2].

ثمّ يؤكّد الرسول صلى الله عليه وآله بوجوب الاهتمام في معرفة الأئمّة عليهم السلام الذين يغتذي الإنسان منهم معارفه وعلومه ، فقال :

«في كلّ خَلَف من أُمّتي عدل ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجهّال ، وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم»[3].

أمّا إذا وضع الرجل نفسه في الميزان ، ولم يجد من نفسه عالماً ربّانياً، ولا متعلّماً على سبيل النجاة ولا جاهداً نفسه ليلحقها في ركب المتعلّمين على هذا السبيل ، فليعلم أنّه على خطر وهاوية.

لكونه من أهل الصنف الثالث ، والهمج الرعاع الناعقين مع كلّ ناعق، والمائلين مع كلّ ريح ، لا وزن لهم ولا فضل ، وإن عدّوا أنفسهم من أهله، فإنّ الله تعالى قد صنّف أهل الصنف الثالث من العلماء والمتعلّمين الذين لا رصيد لهم من توفيقات أهل الصنفين الأوّلين فقال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ

---

(١) عبس / ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ج٢ ص٩٦.

(٣) بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٠ ح٤٦ ب١.

﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

فشبّه الله تعالى أهل الصنف الثالث ، وهم الهمج الرعاع ، بالذي يحمل أوقار العلوم على ظهره ولا يفقه منها شيئاً .

ولكي ينجي المرء نفسه من الالتحاق بأهل الصنف الثالث :

عليه مصاحبة العلماء الربّانيين ليكون متعلّماً منهم على سبيل النجاة .

ومن ثمّ مرافقة أقرانه المتعلّمين على ذاك السبيل ليصبح منهم .

وأن يذلّ نفسه للعلماء الربّانيين ، ويزاحمهم بركبتيه ، ويقتفي آثارهم ، كما يتواضع للمتعلّمين على سبيل النجاة لما لهم من الشأن والقرب عند الله تبارك وتعالى .

■ **الأمر الرابع : مشاكل في طرق المعرفة**

وبعد التعرّف على هذا الميزان لتأمين سبل الحياة السليمة من الانحراف، يلزمنا التعرّف على مشاكل رئيسية ثلاث تعاني منها أُمّتنا بمجتمعاتها المتنوّعة وهي :

● **المشكلة الأولى : مشكلة فقدان الميزان**

وهي مشكلة عادة ما تتورّط فيها الأُمّة عموماً ، فيعتمد الناس في تقييمهم الرجال ، ومعرفتهم الأحداث ، وفهمهم الحكّام ، وتشخيصهم الظواهر وغيرها على موازين شخصية يحدّدها كلّ فرد لنفسه حسب مزاجه ، ونوازعه الشخصية ، ودوافعه القومية ، وفهمه الخاصّ به في التعامل بالحياة .

---

(١) الجمعة / ٥.

أو قد يحدّدها له رجال يرتضيهم هو لنفسه ، أو تجمّعات يتبعها ، أو أحزاب وتنظيمات ومؤسّسات وغيرها ، بغضّ النظر عن كون هذه أو تلك على حقّ أو باطل ، فالظاهرة هي أن يضع الناس لهم من عند أنفسهم موازين أو قد تُوضع لهم على غير الحقّ ، فتكون النتيجة ابتداع موازين وضعية غير ربّانية ، ومختلفة باختلاف الأهواء ، ومتنوّعة بتنوّع البشر ودوافعهم .

بينما الموازين السليمة هي الموازين الربّانية التي تستند إلى القرآن وتعاليم الرسول وأهل بيته عليهم السلام ، فتكون موازين ربّانية أسّسها خالقها ووضعها مشرّعها .

والدليل الواضح على ضياع الموازين الربّانية في الحياة ، هو اعتماد الناس على آراءهم الخاصّة وقناعاتهم الشخصية في تقييم الحياة .

فترى إطلاق الأحكام الكيفية والموازين الشخصية هي التي عادة ما يتمنطق بها الناس في حياتهم اليومية .

بينما الصحيح في إطلاق الأحكام بالتقييم ، هو كونها مستندة إلى كلام الله والمعصوم عليه السلام .

● **المشكلة الثانية : مشكلة إنعدام التشخيص**

وهي مشكلة عادةً ما تنتج من عدم توفّر أدوات التقييم وفقدان الموازين الإلهية الحقّ ، ومن لا موازين إلهية لديه ، لا يمكن أن يحرز التشخيص الصحيح .

فقد ترى الكثير ممّن يقول الحقّ ، لكنّه عند المحكّ تجده غير متزحزح عن الباطل الذي نهى عنه كما كشف النقاب عنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال : (فالحقّ أوسع الأشياء بالتواصف وأضيقها في

التناصف)[1]. يعني أنّ من أسهل الأشياء على الإنسان وصف الحقّ ، وحين المحكّ يهرب من إخضاع تقييماته لميزان الحقّ ، لكونها من أصعب الأشياء في التطبيق ، أو لعسرها على النفس . أو تكلّفه ثمن العلاقة الاجتماعية أو المصلحة أو غيرها .

وهنا يتّضح لنا كيف أنّ الغالب الأعظم من الناس المتعلّمة والدارسة لا يستطيعون التشخيص ، وإن كانوا من أهل العلم والإطّلاع على الموازين الحقّ ، لعدم انتصارهم على أنفسهم .

- **المشكلة الثالثة : فقدان ترتيب الأثر**

إنّ من أكبر مشاكلنا ، هي إنعدام ترتيب الأثر المطلوب ، وفق القواعد الإلهية والضوابط الشرعية . الأمر الذي يشكّل انفصالاً عملياً بين الإنسان وأصالته العقائدية ، وجذوره المبدئية ، وإن كان في الظاهر حاملاً لها معتقداً بها ، من دون أن يكون لتلك الثقافة أو الإيمان أثراً على النفس وفي التربية.

□ **المبحث الثالث : علامات الجاهل في هذه الحياة**

يمكن أن نرجع العلامات الكثيرة الواردة في النصوص الإسلامية التالية إلى البحث في حقلين رئيسيين :

■ **الحقل الأوّل : المصادرة الثقافية للجاهل**

أوّلاً : ثقافة الجاهل سماعية

إنّ الغالب على ثقافة الجاهل كونها سماعية تعتمد السماع من الأفواه

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص٢٥١ .

دون التحقيق والإطّلاع ، ودون البحث في الوصول إلى الحقائق ، حيث يصل إليها بالظنّ عبر سماعه من بني جنسه .

فيكون كما قال الإمام علي عليه السلام : «**العاقل يعمل بالدرايات والجاهل يعمل بالروايات**»[1]. وفي حديث له عليه السلام : «**همّة العاقل الدراية وهمّة الجاهل الرواية**»[2].

فيعتمد الجاهل على المسموع من الأفواه . فالدعايات والمفاهيم وتقييم الرجال والأفكار وغيرها كلّها ممّا يعتمد بها على مبدأ السماع من غيره .

ولو سألته عن الأساس الذي يقيّم على أساسه ، لقال : سمعت فلاناً يقول ذلك ، فيكون هذا الأمر عنده من المسلّمات الصحيحة عنده ، لأنّ همّته الأولىٰ والأخيرة الترويج لما يسمع ، على خلاف اهتمام العاقل في التحقيق والدراية ، وهنا يكون الفرق بين العاقل والجاهل كالفرق بين الدراية والرواية.

ثانياً : ينبهر بالأسماء الكبيرة

فيأخذ علمه وتقييمه ومسألته عن الأُمور التي يسمعها من الكبار في الاسم والرسم ، دون الالتفات إلى حجم العقول وسمو النفوس ، وقوّة الدين.

ذلك لأنّ قيمة العلم بالتقوى ، فلا ينفع علم لا خشية معه ، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «كفى بخشية الله علماً وبالاغترار بالله

---

(١) أعلام الدين ص٨٧.

(٢) أعلام الدين ص٨٧.

جهلاً»[1].

وإنّ الكبير كبير العلم والتقوى ، وكبير المعرفة والإيمان ، كما روي عن الإمام علي عليه السلام قوله : **«الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كـبير وإن كان حدثاً»**[2].

ثالثاً : يثق الجاهل من دون تمحيص

ولأنّ ثقافته سماعية ، ولا يعتمد على التحقيق والعلم واليقين ، فهو يثق بكلّ مَن ينقل له رأياً أو دعاية أو حكماً أو أمراً ما . وبالتالي فهو كما قال عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **«ستّ خصال تعرف في الجاهل : الغضب من غير شرّ ، والعطيّة في غير موضعها ، وإفشاء السرّ ، والثقة بكلّ أحد ، لا يعرف صديقه من عدوّه»**[3].

رابعاً : يرى الجاهل علمه هو العلم

ولأنّه يعتمد السماع ، ويثق بمن يخبره بما يوافق هواه أو ميله أو يوافق كثرة الشياع في شريحة من الناس عنده ، فتراه يثق بما عَلِمَ ، فـيفهم أنّ معارفه هي المعارف وعلومه هي العلوم ومعلوماته هي الصحيحة وغيرها لا ، وتلك هي الطامّة الكبرى التي لا يريد عندها الجاهل إصلاح جـهله وتغيير فهمه .

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١٨ ص٤١.

(٢) أعلام الدين ص٨٤.

(٣) معدن الجواهر ص٥٣.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**الجاهل يرى أنّ علمه فوق علم غيره**»[1].

وقال في حديث آخر: «**وإنّ الجاهل مَن عدّ نفسه بما جهل مِن معرفة العلم عالماً وبرأيه مكتفياً**»[2].

خامساً: الجاهل يدّعي العلم بالأمور

ومن الدواهي العظمى أن تتجمّع القناعات الفردية والحزبية للرجل، والملتقطة من جملة الأُمور السماعية والقراءات السطحية، لتتحوّل عنده إلى ثقافة أساسية وعلم جمّ يبني عليه الحياة.

وقد كان إمامنا الصادق عليه السلام يوصف الجاهل وأحواله، فيقول:

«**وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده العلم**»[3].

■ **الحقل الثاني: المعالم الرئيسية لسلوك الجاهل**

أوّلاً: الجاهل متطرّف في كلّ شيء

فسلوك الجاهل في تطرّف دائم، إذا أحبّ تطرّف، وإذا أبغض تطرّف، وإذا نقل أمراً يحبّه كبّره أو رجلاً يميل إليه عظّمه. وإذا نقل أو نُقِلَ أمامه أمر يبغضه صغّره، أو ذُكر رجل عنده لا يتحزّب له أسقطه من أعين الناس وأهانه.

وهذا هو شأن المتطرّفين كما وصفهم إمام المتّقين ويعسوب الدين أمير

---

(١) أعلام الدين ص ٤٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢٠٢.

(٣) بحار الأنوار ص ٩٢ ح ٥ ب ١.

المؤمنين عليه السلام فقال : «لا يُرى الجاهل إلّا مفرطاً أو مفرّطاً»[١].

ثانياً : يتباعد الجاهل من العلماء

كما ورد في مضامين الكثير من الروايات والنصوص أنّ شبيه الشيء منجذب إليه ، وأنّه ينفر من ضدّه .

فالكافر الجاحد يكره المؤمن الخلوق ، والفاسد الشاذّ يكره الطيّب الطاهر ، وكذلك الجاهل الذي يعدّ الجهل علماً ، يكره العالم ، فيفهمه على ضلال ، أو كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين في قوله لولده الإمام الحسن عليهما السلام ، عند عودته من صفّين فقال له واصفاً الجهلاء الذين أحبطوا النصر المؤزّر ، ومع ذلك يرون أنفسهم علماء حلماء ، فقال : «فما يزال من العلماء متباعداً وعليهم زارياً»[٢].

ثالثاً : الجاهل يخطّيء من يخالفه

ولأنّه يرى نفسه الأعلم من غيره ، ويصرّ على أخطاءه زاعماً أنّها صواباً ، ويرى في غيره الخطأ ، فيجرؤ على تخطئة من يخالفه عالماً كان أو متعلّماً ، كما قال الإمام علي عليه السلام : «ولمن خالفه مخطّياً»[٣].

رابعاً : ينكر الجاهل ما لا يعرف

من عادة العاقل أن يتعلّم ما لا يعرفه ، أو إذا سُئِل عن أمرٍ يجهله لا

---

(١) نهج البلاغة ، قصار الحكم ، رقم ٧٠.

(٢) بحار الأنوار ج٧٧ ص٢٠٢.

(٣) المصدر السابق.

يدّعي معرفته ، وإذا عرفه أجاب بتواضع للحقيقة .

أمّا إذا ورد على الجاهل أمر لا يعرفه فسرعان ما ينكره ويـتنكّر له ، ويعيبه ويستصغره، وإذا سُئِل عن رجل لا يحبّه أو لا يتحزّب ضدّه ، فإنّه ينكره ويتنكّر له ويتجاهله وليُجهّل الناس به.

وهذا عين ما كان يلاقيه السائل حينما يسأل الكثير من أهل العلم عن الإمام المجدّد الشيرازي الثاني (رفع الله درجاته وطيّب الله ثراه) فكـانوا ينبرون إلى نكرانه وتجاهله ، وهؤلاء المصداق الأكمل للجاهل الذي قال عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«وإذا ورد عليه من الأمر ما لا يعرفه أنكره وكذب به وقال بجهالته : ما أعرف هذا ، وما أراه كان ، وما أظنّ أن يكون ، وأنّى كان ، ولا أعرف ذلك لثقته برأيه وقلّة معرفته بجهالته»[1].

خامساً : الجاهل ينكر الحقّ دائماً

من عادة الجاهل الميل إلى مثله ، والهرب من العلم والعالم ، فـيكون أبرز مصداق لمنكر الحقّ ، والسبب ، اعتياده النكران ، وثقافته الاستبداد ، وتربيته النفاق ، كما قال عنه الإمام علي عليه السلام أنّه : **«للجهل مستفيداً وللحقّ منكراً وفي اللجاجة متجرّياً وعن طلب العلم مستكبراً»**[2].

سادساً : الجاهل يعيب ما يجهل

يقول العالم لا أعلم في كلّ ما يجهل ، وإذا سئل عمّا لا يعلم وإن قلّ ما

---

(١) بحار الأنوار ج٧٧ ص٢٠٢.

(٢) تحف العقول ص٧٤.

يعلم قال : لا أعلم.

أمّا الجاهل فديدنه العيب في المعرفة والجهل ، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «**من جهل شيئاً عابه**»[1].

وفي حديث آخر : «**من جهل شيئاً عاداه**»[2].

وقال عليه السلام : «**الناس أعداء ما جهلوا**»[3].

سابعاً : الجاهل سريع الحكم بما يجهل

بناءً على الخصال السابقة فإنّك لن تجد الجاهل مسارعاً في الخيرات ، ولا مسامحاً في المعاشرة ، ولا إلى الإجابة عن دراية ، ولا إلى الحكم عن علم ، بل سريع الحكم على الناس ، شديد الهجوم على الأولياء ، حتّى يتمادى به الغي في سبابهم.

وقد وردت هذه الصفات على لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال إنّ: «**من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع ، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم**»[4].

ولأنّ الجاهل مطيّة للفتن وناراً لإيقادها ، وضرعاً تتغذّى عليه ، وظهراً تركبه ، فتنتشر في الآفاق ، ليوصلها في الأرجاء ، فيبعثها للأجيال ، ولولا الجاهل لما انتشرت الفتن واتّسعت ، ولما كبرت واغتذت ، ولما اختلف الناس في المعضلات .

---

(١) كنز الفوائد ج٢ ص١٨٢ .

(٢) كشف الغمّة ج٢ ص٣٤٧ .

(٣) بحار الأنوار ج١ ص٢١٩ ح٤٦ ب٦ .

(٤) بحار الأنوار ج٧٨ ص٢٧٨ ح١١٣ ب٢٣ .

وقد نوّه الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى دور الجاهل في إيقاد الفتنة وتغذيتها، فقال: «**لو سكت الجاهل ما اختلف الناس**»[1].

□ المبحث الرابع: امتحان الإمام الشيرازي بالجهلاء الأُمّيين

من كلّ ما قدّمناه من البحث في صفات الجهلاء، وموازين الحقّ والباطل في معرفة الرجال، أردنا معرفة سبب ابتلاء الإمام الشيرازي بالهمج الرعاع الذين يقولون ما لا يعرفون ويردّدون ما لا يعقلون، فيحتاج الأمر هنا إلى بيان الأُمور التالية:

■ الأمر الأوّل: الامتحان العسير مع الجهلاء

لقد ابتُلي الإمام الشيرازي (رفع الله درجاته) بكلّ الجهلاء الذين ذكرنا بعضاً من صفاتهم وأخلاقهم وسلوكهم وتفكيرهم، فقد ابتلي بأُولئك الذين كانوا يردّدون ما يقوله لهم الناس، وينعقون مع كلّ ناعق يزكم الأرواح بنعيقه ويصمّ القلوب ويعمي البصائر بزعيقه.

فكان بلاؤه حسناً ونجح في الامتحان وفشل غيره ممّن ناصب له وحارب، واجتهد في مواجهته وإثنائه عن أهدافه، الذين جعلوا الأُمّة طُعماً سائغاً جديداً للاستعمار الذي سبق وأن طرده العراقيون الأحرار بقيادة العلماء المجاهدين من مدرسة المجدّد الشيرازي، ليقع الآن بيد الاستعمار الانجلو أمريكي من جديد.

إنّه امتحان للإمام الشيرازي ومن تتلمذ على مدرسة العلم والجهاد ضدّ

---

(١) بحار الأنوار ج٧٨ ص٨١ ح٧٥ ب١.

الاستعمار والتبعية والتخلّف والجهل وتفتيت الأُمّة[1].

■ **الأمر الثاني : وضع الإمام الشيرازي الجهلاء في حسابه**

قد وطّن الإمام الشيرازي نفسه الزكية على الهجوم الشرس منذ أوائل الطريق الذي سلكه ، وبدايات مرجعيته الدينية ، وأدرك أنّ السبب هو تصدّيه لمسؤولياته الشرعية ، وأداءه واجباته الدينية . فيكون قد أدرك ما سيلاقيه من المعارك الضارية التي يكون الهمج الرعاع حطبها المفضّل ، فتكون الجبهات المتظافرة جهودها على الإمام المجدّد (أعلى الله مقامه) كالتالي :

● **الجبهة الأُولى : جيل العلماء الهارب من السياسة**

وحجّتهم تدخّل الإمام الشيرازي بالسياسة ، والسياسة عندهم من الممنوعات ، ممّا جعله عرضة لحرب لا هوادة فيها من قبلهم. وهذا ما قد حصل له فعلاً وتداخل مع حسد الآخرين.

● **الجبهة الثانية : الهمج الرعاع**

وهي جبهة الهمج الرعاع ممّن لا يحقّق فيما يقول أو يسمع.

---

(١) أذكر (معمّماً) كان معنا في النجف الأشرف وليس له من الكفاءة العلمية والعلمائية ما يؤهّله لخدمة الدين، ولكنه من أبٍ عالمٍ جليل الشأن. كنتُ في عام (١٩٩٥م) جالساً عنده في مناسبة ذكرىٰ استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام ولما أتوا بالمائدة ومن دون مناسبة أخذ يأكل في لحم الإمام الشيرازي بالغيبة والبهتان تكراراً لنفس الشريط المعروف. فنهرته بشدّة لم يتوقّعها منّي، لأنّه لم يكن يعلم أنّي علىٰ ودّ مع الإمام الشيرازي.

● **الجبهة الثالثة : الاستعمار العالمي**

استغلّ الاستعمار العالمي هذا الجو المتوتّر فعمل عمله، لأنّه عادةً ما يسعى لفتح جبهات داخلية في الأُمّة ويبذل الأموال الطائلة في سبيلها. فكيف إذا وجد الاستعمار أنّ القوم قد فتحوا جبهات داخلية من عند أنفسهم بالمجّان؟

قطعاً أنّ ذلك ممّا يفرحه ولم يبق لديه إلّا التخطيط الدقيق لدقّ إسفين الفتنة كي تدوم طويلاً ، لتأكل الأخضر واليابس ، وتلهي الأُمّة عن أهدافها، وتشغل المصلحين عن مسؤولياتهم الإصلاحية وتحوّل همم الأُمّة نحو السفاسف والدواني ، ليعبث الاستعمار في البلاد كيف يشاء !!!

● **الجبهة الرابعة : الحكومات المحلّية**

تلك التي ترى أنّ المصلح الشيرازي (نوّر الله ضريحه) واقفاً لها بالمرصاد ، فهو المحاسب العتيد ، والمصلح السديد ، والمحبوب الشديد لدى القريب والبعيد .

وقد عبّر عن هذه الحقيقة محافظ كربلاء آنذاك في حوار مع أحد وجهاء المدينة . قال : أنا هنا مجرّد موقّع معاملات ، أمّا ملك كربلاء المطاع فهو (محمّد الشيرازي)[1].

ولذلك وجدنا الإمام الشيرازي (رفع الله درجاته) قد وضع في حساباته عوامل الحسد والحقد ، وتخطيط الاستعمار وتنفيذ الحكومات المحلّية ، ووقودها الهمج الرعاع وجهلاء الفكر والدين والأُمّيين وإن حملوا الشهادات الجامعية وغيرها .

---

(١) كتاب : في رحاب الإمام الشيرازي ، الفصل الأوّل .

ولذلك نجده (قدّس الله سرّه) يقول في كتاب طُبِعَت طبعته الأُولى عام (١٣٨٠ ـ ١٩٦١م)، أي في السنين الأُولى لتصدّيه للمرجعية، وبعد وفاة والده الذي صادفت في ٢٨ شعبان ١٣٨٠هـ، وهذا يعني أنّه كان منتبهاً للأمر من قبل ذلك التاريخ، فيقول (رضوان الله تعالى عليه):

« والعامّة همج يتبعون كلّ ناعق، سواء أكان صحيح الغرض أم فاسده، فإذا وسم مغرض عالماً بشيء: فهو الوحي المنزل الذي لا يتضعضع ولا يتزلزل ».

ثمّ يظهر الإمام الراحل تألّمه الشديد من الناس الناعقة، فيقول:

« سامح الله الناس وعفى عنهم، لا أدري لِمَ افترقت الدنيا عن الدين، وابتعدت الأُخرى عن الأُولى، ولأي أمر تناكرت الشؤون العامّة وشؤون الصلاة والدرس والمناظرة تناكر الأضداد وتعادي الأنداد؟ وهل أنزل الله من سلطان يدعم رأي هؤلاء الناس؟ أم وصّى بذلك أحد المرسلين؟ أم تأمرهم بذلك أحلامهم؟ أم هم قوم جاهلون؟ »[1].

وهذا يعني أنّ الإمام (قدّس الله سرّه) كان قد وعى أمر الجهلاء، ووضع في حسابه الحسّاد، وأعداء الدين.

■ **الأمر الثالث: ينتظر بأوّل القوم آخرهم**

الأسباب المتعدّدة والدوافع المتنوّعة لكلّ الحروب الضارية التي شنّت ضدّ الإمام الشيرازي (نوّر الله ضريحه) إنّما تعود إلى سبب رئيس هو: الجهل بالدين. ذلك الدين الذي يبيّن للإنسان الخطأ من الصواب في الفكر والقول والعمل والسلوك، ويضع لهم الدنيا وما فيها بميزان الآخرة. لأنّ من

---

(١) كتاب مقالات ص٢٩.

وضع الآخرة نصب عينيه لن يفرّط بها من أجل دنيا فانية ، أو منصب زائل، أو زعامة يتهالك عليها وهو تاركها عمّا قريب.

ومن وضع الدنيا بهذا الموضع لم يتورّط في حرب ضروس ضدّ مصلح يريد للأُمّة خيرها ، وللإسلام تقدّمه ، وللمسلمين سعادتهم وللتشيّع تألّقه، وللشيعة علو شأنهم وأداء دورهم.

لقد نسي القوم أنّ وراءهم يوماً شديداً في أهواله ، وغريباً في أحواله، وإنّ الذاهبين الأوائل إنّما ينتظرون على باب الحساب قبل إعلان يوم الجزاء والثواب ، ليلتحق بهم آخر القوم ، فجميع الوافدين على الله ينتظرون المتأخّرين عنهم ، كيما يلتحق آخر القوم على الأرض ، بأوّل إنسان نزل عليها ، ليعلن يوم الحساب.

فجميع الخلائق وقوف على باب القيامة ، وعيونهم لآخر واحد منهم . ولو حسب أُولئك الذين حاربوا أمير المؤمنين والإمام الحسن وقتلوا الشهيد السبط وقاتلوا الأئمّة واحداً بعد واحد ، وحاربوا المصلحين وحشدوا لحرب المجدّدين ممّن يريدون بالأُمّة كلّ الخير والصلاح ، لما أقدموا على ما فعلوا ، ولتريّثوا ، إلّا أنّ القوم قد حيل بينهم وبين بصائرهم، فصاروا لا يبصرون طريقاً ، ولا يسمعون حديثاً .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام موبّخاً هؤلاء القوم :

«فإنّ الغاية أمامكم ، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم ، تخفّفوا تلحقوا ، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم»[1].

لقد نسي الذين حاربوا الإمام الشيرازي (رفع الله درجاته) أنّ الآخرة باقية والدنيا زائلة ، وأنّ الله مخرج مَن في القبور ، ومظهر ما في الصدور ،

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص١٣٥ ح٣٦ ب٤ .

وكاتب ما كانوا يعملون في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها .

نسوا أنّ العمر قصير والأمل في الدنيا وإن عظُم في أعينهم حقير ، لكن الإنسان في غفلة عن هذا ، وسيعلم حينما يأتيه النذير ، ويلحد في بيته المظلم الصغير ، ثمّ ينشر مع الخلائق على صعيد واحد ، ويقال له : **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**(١).

فماذا عساه يقول ؟؟

وماذا يكون جوابه ؟؟

أيقول : **﴿يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾**(٢).

أم يقول : **﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾**(٣).

أم يقول: **﴿رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾**(٤).

فيقال له: **﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**(٥).

ثمّ يجد الأحزاب والأنساب ، والأموال والرجال ، ممّا لا تغني عنه من الله شيئاً فيقول له المولى تبارك وتعالى: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾**(٦).

وهناك يجد قول الله حقّاً إذ قال له في الدنيا: **﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ**

---

(١) سورة ق / ٢٢.

(٢) الفرقان / ٢٨.

(٣) الفرقان / ٢٩.

(٤) المؤمنون / ٩٩ـ ١٠٠.

(٥) المؤمنون / ١٠٠.

(٦) المؤمنون / ١٠١.

خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[1].

عند ذلك يقولون : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾[2].

فيتمنّون على ربّهم العودة : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[3].

فيأتيهم النداء : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[4].

أم ماذا؟ أيقول : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾[5].

لأنّي جعلت الأُمّة يباباً ، والدين سراباً ، وأهل الحقّ أشتاتاً وأحزاباً ؟

أجل ... .

لقد ذكر أُولئك أمير المؤمنين عليه السلام، يوم تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال : «كأنّ الموت على غيرنا كُتِب، وكأنّ الحقّ على غيرنا وجب، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون، نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم . قد نسينا كلّ واعظ وواعظة ، ورمينا بكلّ جائحة ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت ، ومَن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»[6].

حقّاً إنّ القوم ينتظر بأوّلهم آخرهم ، وهنيئاً لمن اعتبر، ونظر وفكّر، وأعدّ واستعدّ .

ويعقّب سماحة الشيخ المخزومي قائلاً :

الحقيقة ثقيلة ، والتصريح بها أثقل ، والخوف من الله تعالى أجلّ وأكبر ،

---

(١) المؤمنون / ١٠٢ـ١٠٤.

(٢) المؤمنون / ١٠٦.

(٣) المؤمنون / ١٠٧.

(٤) المؤمنون / ١٠٨.

(٥) النبأ / ٤٠.

(٦) بحار الأنوار ج٦ ص١٣٥ ح٣٨ ب٤.

ومن خاف ما دون الله تعالى وأخفى ممّا يجب إظهاره من الحقّ ، إنّما هو من الذين قال تعالى عنهم : ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

لذلك يجب قول الحقّ وإن ثَقُلَ على الناس . فعلماء هذه الأُمّة في رسالتهم كأنبياء بني اسرائيل في رسالتهم ، ومقامهم في هذه الأُمّة كمقام النبيين في تلك الأُمّة ، ومعاناة العلماء في هذه الأُمّة في تعاملها معهم وعدم تقديرها لهم وإهانتها إيّاهم ومحاربتهم العلماء وقتلهم الأولياء ، كمقام بني إسرائيل في تعاملهم مع أُولئك الأنبياء ، وهذا هو عين الذمّ لهذه الأُمّة التي تتعامل مع علمائها كتعامل بني إسرائيل مع أنبيائهم .

ولقد لاقى الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) ما لاقى من الأُمّة ، وعانى ما عانى منها ، فهو يدافع عنها وهي تقذفه بأنواع القذف ، كان يجاهد من أجلها وهي تؤلّب عليه أعداء الإسلام ، كان يجهد نفسه في تقديم الخدمات الدينية والاجتماعية لهم ، وكانت تواجهه مواجهة العدو لعدوّه . كان الإمام المجدّد (أعلى الله مقامه) يجهد نفسه ليقدّم لها الغذاء النقي الطاهر والثقافة السامية ، وكانت تنبذه وراء ظهرها . كان يحاول أن يبعث فيها الحياة لينقلها إلى مصاف الأُمم الحيّة وكانت تريد قتل شخصه الكريم وشخصيته النبيلة ، كان كجدّه أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث قال : (أُريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد)[2].

وعلى هذا فلا يسع المؤمن التقي أن يقول :

ستأتي الأجيال القادمة وتحكم على هذه الأجيال ، وتقول فيها قولاً

---

(١) البقرة / ١٠٥.

(٢) أعلام الورى ص٢٢٦.

مشيناً لن ترضاه ، وهو عين الذي سيحصل ، فتذمّ المعاصرين لعدم استفادتهم من الأيّام المعدودة التي قضاها الإمام المجدّد بينهم ، كما نذمّ نحن اليوم أُولئك الذين ظلموا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . إذ كان يقول (سلوني قبل أن تفقدوني) فينبري له صاحبهم قائلاً كم شعرة في لحيتي ، أو يوم يأمرهم بالقتال ، فيقولوا أمهلنا حتّى ينقضي عنّا الصيف ، وفي الشتاء يستمهلونه حتّى ينقضي عنهم القرّ ، فيتعلّلون بالحرّ والقرّ ، وإنّما هم من السيف أفرّ .

هذا حينما كان أمير المؤمنين أميراً للبلاد ، مطاعاً في العباد ، أمّا حينما كان غيره على سدة الحكم ، كان هو من المسجونين في الدار ، ويعيش الوحدة والغربة من أُمّة ما عرفت قدره ، وما انتفعت من علمه .

أفهل نقف اليوم إجلالاً وإكراماً لتلك الأُمّة التي تعاملت مع عظمائها هذا التعامل ، ووقفت من أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموقف ؟

أنقف الآن إجلالاً وإعظاماً لتلك التي حاربت الإمام الحسين عليه السلام وقاتلته ، في حين كان يقف عليه السلام ، باكياً لأنّهم سيدخلون النار بسببه ؟

أم نحترم الأُمّة التي قتلت الإمام الحسين عليه السلام وفعلت به ما فعلت ؟

كلّا والف كلّا .

كذلك ستأتي الأجيال القادمة وتذمّ هذه الأُمّة التي جهلت المجدّد الشيرازي (قدّس الله سرّه) وحاربته أشنع محاربة ، وتعاملت معه أسوأ معاملة ، وتذمّها كما نذمّ الآن تلك الأُمم التي قاتلت أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام .

وتلك هي سنة الله في الذين خلوا : ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ

لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾[1].

ولذلك تأتي الأجيال المتحرّرة من قيود الأجيال المعاصرة، وتكتشف عظمة الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) وحكمته وحدّة بصيرته، ونظراته التجديدية، وأفكاره العميقة، وإرادته القوية، وفهمه الواسع لمستجدّات الحياة، فتكتشف عظمة الروح التجديدية التي كان ينطوي عليها الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه).

وهنا يختم الباحث الجليل الشيخ المخزومي موضوعه تحت عنوان (الإمام الشيرازي يرثي عمره في ريعان شبابه) قائلاً:

ونتحدّث الآن عن أمرين أحدهما ماذا يمكننا قراءة ما وراء هذا الرثاء ؟ وماذا يعني بالنسبة إليه وبالنسبة إلينا ؟ والأمر الثاني نورد فيه النصّ الكامل للرثاء.

□ الأمر الأوّل: ماذا وراء رثاءه العمر

عادةً ما يرثي الناس أنفسهم وهم في أعمار اليأس من الحياة، أو أيّام المرض والاعتلال، وأيّام الشيب والهرم، وذلك حينما يبلغون من الكبر عتيّاً. إذا كان من أهل الشهوات فقد انتهت الشهوات، وإذا كانت غايته المال فقد استثرى، ولم يترك مجالاً لصرفها، وعجز من كثرة المال. وإذا كان من أهل النساء فقد عمل كلّ ما تشتهيه النفس وتهواه، وإن كان من أهل الرئاسة فقد تمّت له الرئاسة والزعامة، فإن كان فيها عادلاً فقد انتهت بعدلها، وإن كان من أهل الظلم والجور فقد انتهت بالمظالم والمآثم، وإن كان من أهل القوّة فقد جمع الرجال والأموال حوله، وإن ... وإن ... إلى ما

---

(١) فاطر / ٤٣.

شاء الله في هذه الدنيا ، عند ذلك فيوصي من يوصي منهم إذا ما أدرك الوصية ، ويرثي عمره منهم إن عرف أنّ الموت آتيه .

لكنّما الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) فقد رثى عمره الشريف ، ونعى نفسه وهو في عمر الثلاثينات.

وهذا يعني ما يلي:

أوّلاً: أنّه (أعلى الله مقامه) قد رثى عمره وهو في مقبل عمر الشباب ، وأوج الطموح ، وهذا ليس بالأمر الطبيعي في سيرة الشباب ، ولا حياة البشر .

ثانياً: رثى الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) عمره وهو في بدايات العمل المرجعي ، وإقبال الرئاسة الدينية التي طالما انتظرها الآخرون ، وفنوا أعمارهم في ذلك انتظاراً ، فبلغوها في نهايات العمر فرثوه ، أمّا سيّدنا الشيرازي (قدّس الله سرّه) قد وصلت إليه الزعامة وهو في ريعان شبابه ، فنعى نفسه ورأى أنّه على أبواب الموت وأعتاب الرحيل ، وليس بينه وبين الآخرة إلّا سنوات معدودة إن كثرت .

ثالثاً: رثى الإمام الشيرازي عمره الشريف ، إذ أملت عليه تربيته وثقافته أن يزهد في الدنيا ، ولا ينظر إلى دنوّ أجله واقتراب موعده وهو الزاهد وحده ، والمهذّب نفسه .

رابعاً: وضع الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) في قاموسه أنّ معدّل عمر الإنسان إذا أراد الله له البقاء هو الستين منه ، وعند الثلاثينات يبلغ منه الذروة ، فتكون المرحلة ذروة الشباب ، وعنفوانه ، وقمّة الفتوّة ، وبعده يؤول البدن إلى عدّه التنازلي من حيث القوّة والنشاط ، وظهور الإعلال الكامنة ، وبوادر الشيب ، وعلامات الرحيل ، وأمارات الضعف ونسيان الذاكرة.

ولذلك كان الإمام المجدّد (رفع الله درجاته) على العكس من الناس ، سواء من أهل العلم ، أم غيرهم ، إلّا الذين حباهم الله عرفاناً تامّاً ، وبصيرة كاملة ، فرثى عمره في العمر الذي يتكالب فيه الناس على الدنيا ويتهالكون على الرئاسة والأُبّهة .

خامساً : إنّ من يرثي عمره في ريعان شبابه ، لابدّ أن يكون قد أدّب نفسه حقّ التأديب ، فكيف إذا بلغ به الكبر ، فتكبر معه الصفات الطيّبة ومكارم الأخلاق ، ومعالي الهمم ، حتّى تتحوّل إلى ملكات .

وقد رأيناه في كبره كما هو (رضوان الله تعالى عليه) في صغره ، عازفاً عن الدنيا زاهداً بما فيها ، عينه على الآخرة ، سبيله إليها خلقه الرفيع ، وورعه العظيم ، وتقواه الجسيم ، وصفحه عمّن آذاه وإعراضه عمّن ناواه ، وسكوته عمّن حاربه وشنّع عليه ، ومن أفتى ضدّه واتّهمه ، ومن صادر حرّيته وسجنه وو ... .

□ الأمر الثاني : نصّ الرثاء المعبّر

قد نشر الإمام المجدّد الراحل (نوّر الله ضريحه) رثاءه لعمره الشريف في كتاب كتبه منذ القدم وأوائل العمر وقبل المرض والألم ، بكتابه الذي سمّاه (مقالات) ، فضمّنه مجموعة مقالات معبّرة ، لها مغزى وعبر ، وتعبّر عن واقع مرّ يعيشه الإمام الراحل ، ومستقبل مظلم ينظر إليه ، ومصير أسود ستصير إليه ، فيراه من نافذة الصبر العلوي والفداء الحسيني ، والمعاناة الفاطمية ، ليجلّلها بالخلق المحمّدي الرفيع .

كانت الطبعة الأُولى للكتاب في سنة (١٣٨٠ ـ ١٩٦١م) ، ولذا رأيت أن أضع الرثاء في نهاية الكتاب وأترك التعليق والتدبّر إلى القارئ الكريم ، فلنقرأ جميعاً ذلك الرثاء .

يقول الإمام الشيرازي (قدّس الله سرّه) بأدب رفيع البلاغة وعميق المعاني تحت عنوان: (رثاء العمر)

«الآن قد تراءى شبح الموت الجاثم عن كثب، واشتعل مبيض رأسي في مسوده، وذهبت عنّي حمارة قيظ الشباب، وترقرقت في جنباتي صبارة قرّ الشيب، وأخذ العمر يذوب شيئاً فشيئاً في شمس الخريف، حتّى لا يبقى منه شيء حتّى الحفنة الأخيرة، وأنشأت الروح الحارّة تصرد على القوّة تصريداً، وطفقت سماء النشاط تمطر طلاً رذاذاً، لا وابلاً غزيراً، فلا تعشوشب أراضي الفكر التي كانت يخرج نباتها بإذن ربّها إلّا نكداً، لا ينجح مرعاه، ولا يسرّ مرآه، وشرعت أتنهّد تنهّد من فقد أعزّ ما لديه من ماله وولد وعلم وجاه.

الآن وقد وصلت قمّة حياتي. قد بلغت الثلاثين وهو نصف العمر الطبيعي الذي أُقدّره لنفسي، والإرادة بيد الله، ولا أدري كيف أنحدر؟ هل كما صعدت؟ أقوم مرّة وأقعد أُخرى، وأفرح تارةً وأكتئب تارات، يرفعني سعد ويُنزلني نحس، يسوقني أمل ويوقفني يأس، بين غنى وفقر، وصحّة ومرض، وعزّ وذلّ، ورضى وغضب ...

أم يكون انحداري كجلمود صخر حطّه السيل من علّ، فلا أرى غير لين الشيب، وهدوء الضعف، وملائمة بياض الشعر، أم أخفى لي الدهر بين طيّات مستقبله الغائب شروراً وآلاماً، وأمراضاً وأسقاماً، وسبّاً وضرباً، وحبساً وذلاً، وهوناً ومقصلة.

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى

ولا زاجراً الطير ما الله فاعل

الآن، وقد أخذتْ نُذُر الشيب تترىٰ، واحداً تلو الآخر، وثانياً تلو الأوّل، فبينما يقوم أحدها في اللمّة، يقوم الثاني في الصدغ، والثالث في

العثنون ، كأنّها نبال مريّشة من مرامي الموت الكامن وراء أكمّة الشيخوخة ، ترميها كي تضعف هذه المنّة ، فلا تعضل عليه الصراع ، ويكون له الغلب عند اللقاء ، الآن ، وقد قرأت في سجلّ حياتي سطور العمر المنقضي ، وتذكّرت خيره وشرّه ، ونجده ووهده ، وجدّه وهزله ، وعزّه وذلّه ، وحلّه وترحاله ، وضعته وإقامته ، وصدقه وكذبه ، وأحلامه وآماله ، وأمانيه وغروره ، وضعفه وقوّته .

تذكّرتُ حين كنت طفلاً أُغرّد كالشحرور في أغصان الرياض ، لا أحمل همّاً ، ولا يشوب خاطري شائب حزن وألم ، ولا يخالجني مضض وارتماض ، ألعب مع أترابي ، وأمرح مع أصحابي ، لا أنام إلّا فرحاً ، ولا أستيقظ إلّا جذلاناً ، لا أرى وراء يومي يوماً ، ولا بعد فرحي حزناً .

وتذكّرتُ إبّان يفعتي حين كنت أغدو إلى الدرس صباحاً ، وقد خالطني خوف العلم ، وشماتة الرفاق إن لم أكن حفظت درسي ، أو نبا بي ذهني في ما حفظته ، ثمّ أروح إلى الدار مستبشراً فرحاً ، أطير إليها طيران الحمام الزاجل ، ألقي تعب المعلّم والتلاميذ عن الكاهل ، وتذكّرت زمان كنت أُعدّ فتى من الفتيان ، وشابّاً من الشبّان ، يجدّ جدّي في التعليم والتعلّم ، والبحث والنقد ، والحلّ والنقض ، أتعلّم الأُصول تارةً ، وأُعلّم النحو أُخرى ، وأُباحث الحساب حيناً ، والهندسة زماناً ، وأُطالع التاريخ والجغرافيا ، وأُمارس الكلام والفقه.

وها أنا وصلت إلى دوري الرابع ، ولا أدري كيف يمرّ بي؟

أمرور الكوكب الزاهر في السماء ، أم هوي الشهب دفعة في الظلماء؟ لا أدري هذا ولا ذاك ؟ وإنّما أدري خطفة الزمان ، وعجيب تقلّب الأيّام، وانتقال الدهر من حال إلى حال .

فلا أبقى كما أنا ولا يبقى كما هو ، بيني وبين مستقبلي جدار لا يمكن

نقبه ، ولا يعقل تسلّقه ، حتّى أرى ما وراؤه ، وما يخطّ لي من الخطوط ، وما يقسم لي بين الأقسام والأنصبة ، أيزجر الطير بسعدي فأغـتبط ؟ أم بنحسي فأحزن ؟ أو تمدّ أنامل القضاء خطّ عمري في خرائط الأعـمال فأُطيل الأمل وأحكم البناء ؟ أم تقصر فأقصر الأمل وأزيد فـي العـمل ، وأتدارك ما فات ، وأشدّ الحزام لما هو آت .

لا علم لي بأي الأمرين ، ولا أتمكّن من استطلاع ما احتوت ضـلوع الغيب المستور ، كلّ ما أعلم أنّ عمر الدنيا قصير مهما طال ، ومدّته إلى انقضاء وإن امتدّت ، فكأنّي انحدرت من هذه القمّة التي أنا عليها اليـوم، فوصلت السفح ، وهناك دعاني داعي المنون ، وقضى عليّ بقضائه الأخير، وحكم عليّ بترحال لا أرجو معه رجوعاً ، وبظعن لا آمال معه في إقامة، حتّى وأنّه ربما لا يـمهلني لوداع أصـحابي ، واسـترضاء أحـبابي ، ولا يستعتبني ولا يُرضيني)[١].

وأخـيراً.. فسـلام عـلى النـعمة المسـلوبة .. يـوم كـان وسـلبوه مـن المحرومين والمتعطّشين إليه، إنّما سلبوا عظيماً قد كان:

١ / تجسيداً لخُلق المرسلين .

٢ / خزانةَ علمٍ ثرّ .

٣ / مشروعاً للحياة

٤ / المدافع عن الشريعة .

٥ / الجندي المرابط للدين .

٦ / العقلية التجديدية .

---

(١) كتاب مقالات ص١١٦.

٧ / مرصاداً لكلّ حاكم ظالم .

٨ / العقل الواعي لمخاطر الاستعمار ومخطّطاته.

٩ / المدافع الشديد ضدّ الغزاة .

١٠ / العين الساهرة على مصالح الأُمّة .

١١ / حاملاً لواء التثقيف الإسلامي .

١٢ / الداعية للوحدة العملية .

١٣ / الداعية الوحيد لتحرير الحرّيات ورفع القيود عن القيم.

١٤ / المدبّر الوحيد للقيادة الشورائية الجامعة .

١٥ / المفكّر المتميّز لحكم الإسلام .

١٦ / العقل النابغ في التنظيم .

١٧ / العقل الموسوعي في الفقه .

١٨ / المجدّد في الفكر السياسي المعاصر .

١٩ / المجدّد في إصلاح الحياة .

٢٠ / المجدّد في العمل المرجعي .

٢١ / موضع هموم الأُمّة(١).

---

(١) اقتباس من (المجدّد الشيرازي الثاني) ج٢ ص٦٦٨ تأليف الشيخ محمّد سعيد المخزومي .

القراءة الثالثة في الورع والإفتاء

مع كلمة المرجع الديني آية الله العظمى السيّد صادق الشيرازي (دام ظلّه) بعنوان (أهمية أحكام الله) و (العمل الثقافي الأصيل) .

القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿ولَو تَقوَّلَ عَلَينا بعضَ الأقاويلِ * لأخَذْنا مِنْهُ باليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتينَ * فَما مِنْكُم من أحدٍ عنهُ حاجِزِينَ﴾**[1].

لاشك أنّ رسول الله ﷺ هو أفضل الخلق وأعزّهم عند الله تعالى، فهو أشرف المخلوقات، بل إنّ الله تعالى ما خلق الخلق إلّا لأجله ﷺ، وهو الذي قال له يخاطبه ليلة المعراج ـ كما في الحديث القدسي ـ : **«يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك»** [2].

كما لاشك أنّه ﷺ لا ينطق عن الهوى ـ كما عبّر عنه ربه الكريم ـ ولا

---

١ ـ الحاقّة: ٤٤ ـ ٤٧.

٢ـ بحار الأنوار، ١٦/ ٤٠٢، ضمن ح١ باب١٢.

يخون رسالة ربه. ولكن الله تعالى أنزل هذه الآيات ردّاً على جماعة من المشركين كذّبوا النبي وكانوا يقولون: إنّ الله لم يوحِ إليه بشيء وأنه يتقوّل على الله، أي ينسب أقوالاً إلى الله لم يقلها الله سبحانه. فلم يردّ الله تعالى في هذه الآيات على هذه المزاعم فحسب بل نـزّهﷺ أن يأتـي بـما لم يأمره الله تعالى به كما يظهر من حرف الامتناع (لو) وشدّد في التعبير أكثر من ذلك لبيان عدم المحاباة عنده مع من ينسب إليه قولاً كذباً ولو كـان أحبّ الخلق إليه ـ من باب فرض المحال ليس بمحال ـ موضّحاً أنّ خاتم أنبيائه ورسلهﷺ ـ على عظمته وعـلوّ مـقامه ـ لو تـقوّل عـلينا بـعض الأقاويل، وليس القرآن كلّه أو النبوة نفسها، بل لو أخبر عن أمور بسيطة ونسبها إلينا، فإنّنا سنشلّ يمينه وقدرته، ونقطع وتينه، وهو العرق الكبير في الجسم الذي بانقطاعه يموت الإنسان، ثم لا يستطيع أن يحول بيننا وبينه أحد!!

حقاً إنّ هذه الآيات من أعجب آيات القرآن وتستدعي التأمل كثيراً، إذ يتحدّث الله بهذه الشدة عن أحبّ الخلق إليه عندما يتعلّق الأمر بأحكامه تعالى. وهذا يكشف عن أنّ أحكام الله تعالى وحدوده أحبّ وأعظم وأكبر عنده من كلّ شيء، حتى أوليائه المقرّبين ورسله والناس أجمعين.

قد يُتساءل: كيف؟

أقول: لقد أخبر الله تعالى في مواطن عديدة من القرآن الكريم أنّه بعث أنبياءه إلى الأمم لتبليغ أحكامه ورسالاته، ولكن الناس قتلوهم واستهزءوا بهم ونكّلوا بهم. وهذا يعني أنّ الله تعالى كان يقدّم أنبياءه وأولياءه وكذلك الأئمة المعصومينعليهم السلام قرابين على طريق أحكـامه وضـحايا مـن أجـل رسالاته. ولاشكّ أنّ ما يُضحَّى له أغلى مما يُضحَّى بـه. فـلو أنّ أحـداً

مرض فإنه سيبذل ماله من أجل استعادة صحته، مما يعني أنّ الصحة أغلى عنده من المال، وأنّ الأقل قيمة يُضحّىٰ به في سبيل الأعلى قيمة.

لنتأمل جيداً في الآيات، لا يقول الله تعالى إنّ أحكامه أغلى من حبيبه فحسب بل يستعمل شدة في التعبير توحي إلى السامع أنّ رسول الله ﷺ وهو أشرف الأوّلين والآخرين، يبدو لا شيء إلى جنب أحكام الله تعالى، بحيث لو أراد أن يتلاعب بها أدنى تلاعب أو ينسب إلى أحكام الله ما لم يقله، فإنّه سيأخذه بهذه الكيفية!

إذا لم يكن رسول الله ﷺ اليوم فينا ـ وهو حي عند الله ـ فإنّ أحكام الله تعالى موجودة بيننا، فكيف سنحافظ عليها؟

وإذا كان الله تعالى يتحدث عن سيّد رسله مقابل أحكامه بهذه الكيفية، فما بالك بي وبأمثالي من سائر الناس؟

إنّ أحكام الله تعالى تتمثّل في حلاله وحرامه، في آياته وتشريعاته، في القرآن الكريم والروايات المعتبرة، وفي المسائل الشرعية الموجودة في الرسائل العملية التي أتعب العلماء أنفسهم في استخراجها من القرآن الكريم وكلمات المعصومين عليهم السلام.

● تقدير الله للعلم والعلماء

ومن تقدير الله لأحكامه تقديره تعالى للعلماء، فهم حفظة الأحكام؛ والله تعالى يقدّر حفظة أحكامه والعاملين بها؛ قال تعالى في وصف العلماء: **(إنّما يخشَ اللهَ مِن عبادِهِ العُلماءُ)**[1].

---

١ - فاطر، ٢٨.

كما ذكر تعالى العلم في القرآن أكثر من أيّ شيء آخر إلّا اسمه الكريم، ثم يأتي بعده مباشرة كلمة «العلم».

ومما نُقل عن تقدير الله عزّوجلّ للعلماء ما حكي عن بقاء جسد الشيخ الصدوق﴿ طرياً رغم مرور أكثر من ألف عام على موته.

والشيخ الصدوق﴿ هو من علماء الطائفة الحقّة واسمه محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي. وقد مضى على وفاته أكثر من ألف سنة، ومدفنه في إيران عند مزار السيد عبد العظيم الحسني في مدينة ري. ولمّا أُريدَ تعمير مقبرته في العهود الأخيرة حصل ثقب أو حفرة في القبر فظهرت على أثره جنازة الشيخ الصدوق غضّة طرية وكأنه مدفون لتوّه رغم مرور كلّ هذه الأعوام على وفاته!

قد يقول قائل: ماذا يستفيد الشيخ الصدوق من بقاء جسده طرياً وهو غير حالٍّ فيه؟

فنقول في الجواب: إنّ هذا نوع من التقدير له جزاء على ما قدّم من أعمال، كما نقوم مثلاً للمرجع إذا دخل اشعاراً منّا بتقديره واحترامه، مع أنّ قيامنا نفسه غير مؤثر بحالنا ولا حال الشخص الذي نقوم له.

إن للشيخ الصدوق﴿ كتاباً ثميناً جداً يسمى «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» جمع فيه جزاء الأعمال الحسنة كالصلاة والصوم والصدقة والصبر وغيرها تحت عنوان ثواب الأعمال، وجزاء الأعمال السيئة كالغيبة والكذب وغيرهما تحت عنوان عقاب الأعمال.

يروي الشيخ الصدوق في هذا الكتاب أحاديث في ثواب مَن قلّم أظافره في يوم الخميس، ومن قلّمها يوم الجمعة. ثم يقول الشيخ﴿: من الأفضل للإنسان إذا أراد أن يحصل على الثوابين أن يقلّم أظفاره يوم

الخميس إلّا بعضها يتركه ليوم الجمعة.

وعندما رئي جسده بعد أكثر من ألف عام طرياً تحت التراب لوحظ أنّ أصابعه كلّها مقلّمة إلّا إصبعاً واحدة كان قد تـركها ليـوم الجـمعة إلا أن الأجل لم يمهله.

في التراب خاصية بحيث حتى الحديد لو دفن فيه لتآكل ـ كما نعلم ـ فكيف بقي ظفر هذا الرجل العالم مع جسده حياً كلّ هذه السنين بقدرة الله تعالى؟ إلّا تقديراً منه تعالى لحفظة أحكامه! فكم سيكون سخطه علينا لو فرّطنا في أحكامه؟ وكـم سـنكون مـقرّبين مـنه تـعالى لو قـدّرنا تـلك الأحكام؟!

وهناك حادثة أخرى لعالم آخر من علماء الطائفة هو السيد مهدي بحر العلوم‏ الذي توفي قبل أكثر من مئتي سنة ومدفنه في النجف الأشرف ـ قرب مسجد الطوسي‏ ـ في شارع الطوسي المـمتد مـن بـاب صـحن المولى أمير المؤمنين‏ عليه السلام والمسمّى بباب الطوسي متجهاً إلى مقبرة وادي السلام.

نقل الحادثة في وقتها مَن شاهدها عياناً وهـو أحـد طـلبة المـدرسة الهندية ـ سابقاً ـ في كربلاء المقدسة، يقول:

كنت في النجف الأشرف نازلاً في مدرسة قوام ـ وهي مدرسة للعلوم الدينية بالقرب من قبر السيد بحر العلوم ـ وكان العمال مشغولين بالحفر عندما جاءوا إلى أحد أحفاد السيد بحر العلوم وهو السيد محمد تقي بحر العلوم وقالوا له: لقد عثرنا على جنازة جديدة!

يقول راوي الحادثة: فجاء السيد وأنا معه، فنَزلنا إلى القبر فـوجدناها جنازة السيد مهدي وهي تبدو طرية بحيث عندما وضـعتُ يـدي عـلى

الجسد ثم رفعته فوجئت أنّه كان يشبه البدن الحي الذي لو ضغطتَ عليه فترة ثم رفعت يدك فإنّه يبيضّ أولاً ثم يعود للاحمرار بسبب جريان الدم فيه مجدداً.. وكان حال السيد أشبه بشخص نام من ساعتين!

فهذا يعتبر من تقدير الله تعالى للعلماء الحقيقيين من حفظة أحكامه.

- **قيمتنا عند الله يحدّدها دفاعنا عن أحكامه**

إنّ أعظم قيمة لنا عند الله تعالى تتحقق بمقدار ما ندافع عن أحكامه تعالى وبمقدار ما نعمل بها ونطبقها على واقع سلوكنا، وبمقدار ما نحفظ هذه الأحكام لكي نبلّغها إلى الأجيال القادمة.

يقول النبي صلى الله عليه وآله لسبطه الإمام الحسين عليه السلام: «**وإنّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة**»[1].

فماذا فعلتْ شهادة الإمام الحسين عليه السلام سوى أنها حافظتْ على دين الله وأحكامه من الضياع في زمن الطاغية يزيد بن معاوية؟!

وهكذا تعتبر مجالس الإمام الحسين عليه السلام استمراراً لأحكام الله تعالى ودعماً لها وللقرآن والسنّة وأهل البيت عليهم السلام.

ترانا هل نقيم لأحكام الله تعالى وزناً كما يقيم بعضنا للدرهم والدينار؟

إنّ بعض الناس لو سمع بوجود مالٍ وضيعٍ مَرميٍّ في مكانٍ ما، يجدّ في البحث عنه للحصول عليه، ولكن إذا قيل له إنّ الشيء الفلاني حرام استهان بالأمر، فهو لا يقيم وزناً لأحكام الله سبحانه حتى بمقدار عشرة دنانير يركض خلفها ويبحث عنها لمجرد احتمال حصوله عليها.

١- بحار الأنوار، ٥٨/ ١٨٢ ح٤٦، عن مجالس الصدوق: ٢١٧ المجلس الثلاثون.

إنّ مَن لا يُكرِم أحكام الله تعالى فلا كرامة له عند الله. صحيح أنّ كرم الله تعالى عظيم ولطفه عميم بحيث يشمل المؤمن والكافر برزقه وعطفه في حياة الدنيا، لكن هذا لا يعني تكريماً للكافر، بل هو أشبه بالوليمة العامة تقيمها وقد يحضرها مَن لا تحبّه، لكنك لا تمنعه، ولا يُعدّ ذلك تكريماً له؛ لأنّ الدعوة عامة ولم تكن من أجله.

إذن لنقرّر من الآن ـ ونُشهِد الله ـ أن ندافع عن أحكام الله تعالى، فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، في البيت وخارجه، مع الأصدقاء، والجيران والغرباء بالمقدار الذي نتمكن، وليس المطلوب منا أن نجرّد سيوفنا ونحارب، بل ليكن سلاحنا الكلمة الطيبة نقولها، فإن سُمعتْ منّا فبها ونعمّتْ، وإلا نكون قد أدّينا ما علينا وأبرأنا ذمتنا.

كذلك فلنبدأ من الآن فصاعداً بحفظ أحكام الله تعالى وتعلُّم المسائل الشرعية حتى تلك التي لا يجب علينا تعلُّمها، فلنتعلّمها أيضاً. فهبّ أن تعلُّم أحكام الزكاة والتجارة ليست واجبة عليَّ ولكن ليكن تعلُّمي لها من أجل حفظها ونشرها.

ليأخذ أحدنا الرسالة العملية ويقرّر أن يحفظ عدة مسائل منها كلّ يوم، في مختلف الأبواب فيعرف حكم الله تعالى في التجارة والزراعة والصلاة والأراضي ومعاشرة الإخوان والجيران والأرحام والوالدين والأولاد؛ فإنّ أصحاب الائمة عليهم السلام لم يكونوا كلّهم فقهاء متفرغين بل كان فيهم البقّال والكاسب والتاجر والطحّان والقصّاب والتمّار، ومع ذلك حفظوا لنا هذه الروايات وحفظوا لنا الأحكام حتى هذا اليوم؛ فإن استطعت أن تحفظ بعض الأحاديث ثم تقوم بطبعها ونشرها فاعمل، لعلّ الله تعالى يهدي بك بعض الناس ويبقى لك ثوابه.

إذن لنوقّر أحكام الله تعالى أوّلاً، ولنطبقها في حياتنا ثانياً، ونسعى في تقليل تخلّفنا عنها، ولنحاول الرجوع إلى الرسائل العملية ونقوم بتعلّم وحفظ عدة مسائل من مسائل الأحكام في الحلال والحرام كلّ يوم، لأنّنا إذا عملنا ذلك أكرمنا الله عزّ وجلّ لتوقيرنا أحكامه.

- **تفسير مفردات الآية**

قال الله تعالى : **﴿ولَو تَقوَّلَ عَلَينا بعضَ الأقاويلِ * لأخَذْنا مِنْهُ باليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتينَ * فَما مِنْكُم من أحدٍ عنهُ حاجِزِينَ﴾**[1].

في اللغة: « قال عن فلان»، أي نقل عنه قولاً، و «تقوّل عليه» أي نسب إليه قولاً لم يقله.

إذن يكون تفسير قوله تعالى (ولو تقوّل علينا): لو أنّ هذا النبي نسب إلينا قولاً لم نقله، وليس شرطاً أن يكون تقوّله كلّ القرآن، بل لو تقوّل علينا (بعض الأقاويل)، كأن يضيف آية واحدة مثلاً على آيات القرآن التي تعدادها ستة آلاف وستمئة وستة وستون آية.

(لأخذنا منه باليمين): اليمين في اللغة: اليمن والبركة، والقوة والقدرة، واليد اليمنى أيضاً؛ وذلك لأنّ أكثر الناس يعتمدون على هذه اليد، ففيها إذاً اليمن والبركة أي استمرار الحياة، وفي هذه اليد القوّة والنشاط والعمل. والمقصود بالآية اليد اليمنى والقدرة والسيطرة. فيكون المعنى: لو فعل ذلك إذاً لأخذنا منه يمناه وسلبنا عنه قدرته وجرّدناه من قوّته.

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل يقول بعد ذلك:

١ـ الحاقّة: ٤٤ـ٤٧.

(ثم لقطعنا منه الوتين) أي قطعنا شريان حياته. فإنّ الوتين هو حبل الوريد الذي ورد في آية أخرى في قوله تعالى: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)[1].

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ كذلك، بل يتعدّاه تعالى كما في تتمّة قوله: (فما منكم من أحد عنه حاجزين): أي لو أننا أردنا أن نفعل ذلك مع أشرف الأنبياء فإنّ أياً منكم ـ أيها المسلمون، يا أمّة رسول الله ويا مَن تعتزّون به ـ لا يتمكن أن يدافع عنه أو يكون حاجزاً يمنعنا عن إنزال هاتين العقوبتين به. لماذا؟ لأنّ أحكام الله تعالى بهذه المثابة من الأهمية!

● **التلاعب بأحكام الله من أكبر الكبائر**

إذا كان هذا جزاء رسول الله صلى الله عليه وآله فيما لو تقوّل على الله تعالى ترى فما حال غيره من الناس؟!

إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيع أن يتصرف في أحكام الله تعالى، بل يكون مستحقاً لهذه العقوبة الشديدة لو فعل ذلك مع أنّه أشرف المخلوقات، فكيف الحال بغيره؟!

نستنتج من هذا العرض المختصر أنّ أحكام الله هي أهم شيء عند الله تعالى، وأنّ التلاعب بها يعدّ أكبر جريمة عند الله كما عبّر عنها القرآن الكريم وتهون عندها كلّ الجرائم والمعاصي إلّا الشرك بالله تعالى! فَمِن أكبر الكبائر أن يقول شخص: إنّ هذا حلال وهذا حرام كذباً على الله ومن دون علم.

١ـ سورة ق، ١٦.

● **الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد**

إنّ مَن يراجع كتب الفقه يدرك هذه الحقيقة بجلاء، فهناك على سبيل المثال أخذٌ وشدّ طويل وعريض ونقاش حادٌ بين فقهاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وحتى اليوم حيال الإفتاء طبق روايةٍ أحدُ رواتها مجهول الحال. فمثلاً لو وردتْ رواية عن المعصوم عبر عشرة رواة كان تسعة منهم ثقات ولكن يقع في هذه السلسلة شخصٌ واحد مجهول الحال أي لا يُعلَم حاله هل هو ثقة أم لا؛ هنا يتوقف الفقهاء في الإفتاء طبق هذه الرواية، لأنّه لا يجوز القول إنّ حكم الله في مسألةٍ هو كذا أو كذا دون دليل ومستند. فإذا كان الأمر كذلك فهل يحقّ بعد ذلك لمن ليس اختصاصه الفقه أن يعطي رأياً في أحكام الله فيحلّل ما يشاء ويحرّم ما يشاء؟!

لقد سمعتُ شخصياً من المرحوم الوالد رضوان الله عليه أنّه كانت هناك مسألة من مسائل الحج ـ لا يسعنا بيانها ـ وقعت مداراً للبحث بين مجموعة من المجتهدين، منهم مراجع للتقليد، وهم السيد الوالد﵀ نفسه والسيد آقا حسين القمي﵀ والشيخ محمد رضا الإصفهاني﵀ والسيد زين العابدين الكاشاني﵀، واستمر البحث لمدة ثلاثة أسابيع ولم يستطيعوا في نهاية المطاف أن يقطعوا فيها بالحرمة فأفتوا بالاحتياط؛ مع أنّهم جمهرة من المجتهدين قضىٰ كلٌّ منهم عشرات السنين من عمره حتى صار خبيراً في الفقه وصار استنباط الأحكام شغله واختصاصه، لكنهم مع ذلك توقّفوا عندما أعوزهم الدليل ولم يتعجلوا في إصدار الحكم، فإن الجاهل وحده الذي يصدر الأحكام هكذا اعتباطاً، أما المتخصص فهو يدرك أهمية الموضوع ولا يستهين بأحكام الله ويطلقها جزافاً لأنّه يعرف عظمتها وأنه سيكون مسؤولاً أمام الله الذي تحدّث عن نبيّه بتلك الشدة، فقال ﴿**ولَو**

تَقَوَّلَ عَلَيْنا بعضَ الأقاويلِ﴾، فكيف بغيره من الخلق؟!

- **الشيخ المفيد مثالاً للخوف من الفتيا**

لقد كان الشيخ المفيد رضوان الله عليه من كبار علماء الطائفة، عاش قبل أكثر من ألف عام في الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجّل الله فرجه الشريف، وكان يحضر درسه في بغداد العلماء من مختلف الطوائف والملل من السنّة والشيعة والنصارى واليهود والصابئة.

ورد في تاريخه أنه سُئِلَ يوماً في حكم امرأة حامل ماتَتْ والولد ينبض في رحمها، فقال: يُشقّ الجانب الأيمن من البطن ويُخرَج الولد ثم تُدفَن الأم. ثم تبيّن أنّه أخطأ في جوابهم، فكان ينبغي أن يقول بشقّ الجانب الأيسر، فأسف على إفتائه وقرّر أن لا يفتي أحداً بعد ذلك.

فمع أنّه لم يثبت من الناحية الطبيّة وجود فرق في شقّ البطن الحامل الميّتة سواء كان من الجانب الأيمن أم الأيسر، ومع أنّ الشيخ المفيد لم يكن عامداً بل صدرتْ منه الفتوى بخلاف الحكم الشرعي خطأً، وكلّ الناس معرّضون للخطأ إلّا المعصومين، إلّا أنّ الشيخ المفيد تألّم إلى درجة بحيث قرّر ترك الإفتاء خشية الوقوع في الخطأ ثانية والقول بما لم يحكم الله ـ وإن لم يكن عامداً ـ

هذا والشيخ المفيد بلغ درجة من العلم والفضل بحيث كان مرجعاً ليس للشيعة وحدهم بل كان يرجع إليه المسلمون وغيرهم وينهلون من نمير علمه. ولقد نُقل أنّ الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف نعاه بنفسه عندما توفّي وكَتَبَ على قبره:

لا صَـــوَّتَ النـــاعي بـــفقدِك إنّــه

يــومٌ عـــلى آلِ الرسـول عـظيم[1]

عالم بهذه المنزلة يحذر من تكرّر الخطأ منه فيجلس في بيته ويـغلق عليه بابه ويقرّر عدم الإفتاء، دون أن يجدي معه إصرار المراجعين، حتى بعث إليه ـ على ما يُنقل ـ الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، في أحد الأيام شخصاً وقال له: يقول لك الإمام: «**أفِد يا مُفيد، منك الفتيا ومنّا التسديد**»[2].

ثم إعلم أن الإمام بعثني على الجماعة الذين استفتوك وقلتُ لهـم: إنّ الشيخ يقول: "لقد أخطأت"، فشقّوا البطن مـن الجـانب الأيسـر. عـندها أرسل الشيخ خلف الجماعة ليتأكد من الموضوع، فقال لهم: ماذا عملتم بالمرأة الحامل؟ قالوا: شققنا بطنها من الجانب الأيسر كما أخبرنا الشخص الذي أرسلته خلفنا. بعد ذلك عاد الشيخ المفيد للإفتاء[3].

- **العوام والإفتاء في الشعائر الحسينية!!**

إذا عرفنا هذا الاحتياط من العلماء في صدور الأحكام فـلنلق نـظرة على واقعنا، وخاصة عندما يحلّ شهر محرم الحرام وذكرى استشهاد أبي الأحرار الإمام الحسينعليه السلام،ترى العَجَبَ العُـجاب، فـي كـثرة المـتصدّين للإفتاء من عوام الناس!

١- بحار الأنوار، ٥٣/ ٢٥٥، في ذكر من فاز بلقاء الحجةعليه السلام، الحكاية الخامسة والعشرون.

٢- انظر روضات الجنات للخونساري، ٦/ ١٥٣ ـ ١٧٨، رقم ٥٧٦ ترجمة الشيخ المفيد.

٣ـ انظر كتاب قصص العلماء للتنكابني.

فهذا يقول لبس السواد حرام، وذاك يقول بحرمة اللّطم على أبي عبد الله، وآخر يحرّم التطبير، مع أنّ أحداً من المجتهدين لم يقل بحرمة أيٍّ من الشعائر الحسينية؛ لأنّ المجتهد لا يصدر الأحكام جزافاً وبسرعة بل ربما أتعب ثلة من المجتهدين أنفسهم ثلاثة أسابيع ـ كما قلنا ـ دون أن يخرجوا بحكمٍ قاطع في مسألة واكتفوا بالاحتياط، أمّا الجهلة من الناس فتراهم يتسرّعون في إصدار أحكامٍ ليس من شأنهم ولا من اختصاصهم دون أن يبالوا!

فكيف يمكن أن يكون اللطم على الإمام الحسين عليه السلام حراماً وهذا هو الشاعر دعبل الخزاعي ينشد أشعاراً في رثاء الإمام المظلوم بمحضر الإمام الرضا عليه السلام ويقول فيها:

أفاطم لو خِلْتِ الحسين مُجدَّلاً
وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذاً لَلَطَمْتِ الخَدَّ فاطمُ عنده
وأجريتِ دمع العين في الوجنات[1]

والإمام الرضا عليه السلام لا يردّه بل يستزيده. فهل يمكن أن ينسب دعبل الخزاعي عملاً محرّماً إلى فاطمة الزهراء عليها السلام ويسكت الإمام الرضا عليه السلام؟!

ولقد سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن مسائل كهذه، فقال: وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام وعلى مثله

---

١ ـ راجع كشف الغمّة للأربلي: ٣/ ١٠٨ ـ ١١٧ نصّ القصيدة.

تُلطَم الخدود وتُشقّ الجيوب[1]، فهل الفاطميات وزينب الكبرىٰ، لا بل الإمام الصادقعليه السلام لا يعرفون الحرام، ويعرفه زيدٌ من الناس أو عمرو؟

وهكذا الحال مع لبس السواد على سيد الشهداءعليه السلام فلقد فعله المعصومونعليهم السلام.

إقرأ التاريخ ثم تكلّم. راجع كتب الفقهاء والرسائل العملية وبعد ذلك قُلْ ما بدا لك.

فها هو كتاب جواهر الكلام[2] ذو الأربعين مجلداً، هذا الكتاب الضخم الذي لا يَذكر صاحبه ـ وهو بحر من العلم ـ مسألةً إلّا ويذكر دليلها، وأصحاب الاختصاص يعرفون الجواهر وصاحب الجواهر.. هذا الرجل يستدلّ على مسألة واحدة في باب من أبواب الفقه عبر عشر صفحات من كتابه ثم يناقش الاستدلال ويرد ثم يقول أخيراً: لا يمكننا أن نفتي والاحتياط سبيل النجاة!

تأمّل جيّداً: صاحب اختصاص يناقش مسألة في عشر صفحات ولا يقطع أخيراً، ثم يأتي رجل ليس بصاحب اختصاص وليس بمجتهد ويصدر حكماً بسرعة، دون تفكير ودون دليل، ويقول لك إنّ العمل الفلاني حرام!

والعجيب أنّه عندما تأتي مناسبة استشهاد الإمام الحسينعليه السلام وينصب عزاؤه يصبح كلّ شيء حراماً وكلّ الناس فقهاء!! مع أنّ أحداً من

١- تهذيب الأحكام للطوسي: ٨/ ٣٢٥، ح٢٣، باب الكفارات.

٢- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للفقيه العلّامة الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن المولى الشريف الكبير، راجع الذريعة لآغا بزرك الطهراني: ٥/ ٢٧٥ رقم ١٢٩٦.

المجتهدين لم يَفْتِ بحرمة أيّ من شعائر أبي عبد الله عليه السلام.

إن الحكم بغير ما أنزل من أكبر الكبائر، حتى لقد تحدّث الله عن رسوله وأحبّ الخلق إليه بتلك الصفة عندما تعلّق الأمر بهذا الموضوع!

- **الفتاوى التي بها تحبس السماء ماءها**

تنازع رجلان في عهد الإمام الصادق عليه السلام عند أبي حنيفة في كراءٍ حيث اكترى أحدهما فرساً من الثاني للذهاب إلى مكان للقاء صاحبٍ له، ولكنه عندما وصل إلى ذلك المكان لم يلقَ صاحبه، لأنّه كان قد ذهب إلى نقطة أبعد منها، فاستمر في مسيره قاصداً إياه حتى بلغه، وهنا طالب صاحب الفرس أجراً أكثر لقاء المسافة الزائدة، لكنّ المكتري إعترض بأنّ الكراء كان بهدف الوصول إلى الصاحب وإن زادت المسافة وحكم أبو حنيفة لصالحه استناداً إلى قاعدة فقهية أخطأ في فهمها، وهي «الخراج بالضمان». ولم يَرْضَ المكاري وطلب الاحتكام إلى الإمام الصادق عليه السلام، ورغم أنّ الخلاف كان في دراهم معدودة وأنّ أبا حنيفة أخطأ في فهم القاعدة وأنّ الإمام الصادق إمام معصوم وحفيد رسول الله فهو عنده علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أستاذاً لأبي حنيفة، إلّا أنّ الإمام لم يُجِب على المسألة أولاً بل قال قبل أن يجيب: بمثل هذا القضاء تُحبَس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها[1].

أي أنّنا لو قلنا عن أمرٍ إنّه حرام مع أنّ الله لم يحرّمه، أو إنّه حلال وهو عند الله ليس بحلال، وكذا المكروه والمستحب والواجب فإن ذلك القول

١- الكافي: ٥/ ٢٩٠، عنه بحار الأنوار: ٤٧/ ٣٧٥ح٩٨.

بغير ما أنزل الله يمنع الأمطار من النزول ويحبس بركات الأرض.

فلو سألك أحد: هل الشيء الفلاني حلال أم حرام؟ فلا تجبه من تلقاء نفسك بل سل مجتهداً وأعطه الجواب، فإنّ الله تعالى لم يجعل أحكامه بيد أيّ أحد، بل جعلها بيد نبيهﷺ وقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[1].

لقد قُتِل الأنبياء والأولياء في سبيل أحكام الله تعالى، وأخبر الإمام الحسينﷺ أخاه محمد بن الحنفية ـ لمّا أراد ثنيه عن الخروج إلى كربلاء ـ أنه رأى جدّهﷺ في المنام، فقال له:

يا حسين اخرُج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: قد قال لي إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا[2].

لماذا شاء الله ذلك؟ لأنّ أحكام الله فوق الحسين وزينب وأمّ كلثوم.

- **هل أنت أفقه من الإمام صاحب الزمان؟!**

أمّا مَن يقول إنّ إخراج الدم على الإمام الحسينعليه السلام حرام فنقول له: هل أنت أفقه أم صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف؟! وهو الذي يخاطب جده الحسينعليه السلام بقوله في زيارة الناحية المقدسة: «لأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً» .

١- الحشر: ٧.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٢٨ (ط. منشورات الشريف الرضي ـ قم).

فهل الدم الذي يخرج من العين أخطر أم الدم الذي يخرج من الرأس بالتطبير أو من الظهر بالسلاسل أو من الصدر باللطم؟ أم أنّ الإمام الحجة ـ حاشاه ـ لا يعرف أنّ هذا العمل حرام ويعلمه فلان من الناس؟!

لقد نطحت زينب عليها السلام رأسها بمقدم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها. فهل فعلتْ زينب حراماً؟ ولماذا لم تندهش من فعلها؟

- **الناس مسلَّطون على أنفسهم**

هناك حريتان موجودتان في الإسلام؛ حرية الفكر حيث يقول تعالى: ﴿**لا إكْراهَ في الدّين**﴾[1] وحرية العمل؛ للقاعدة المسلّمة لدى الفقهاء «الناس مسلّطون على أنفسهم» ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أجمع المسلمون على نقله وهو: الناس مسلّطون على أموالهم[2] يتصرّفون فيها بما يشاؤون.

أمّا الإضرار بالنفس فليس حراماً في الإسلام إلّا في موضعين واسألوا عن ذلك جميع الفقهاء؛ الموقع الأوّل هو الانتحار فهذا غير جائز في الإسلام، واستدلّ الفقهاء عليه بالآية الكريمة:

﴿**ولا تُلقُوا بأيديكُم إلىٰ التَّهلُكة**﴾[3]، وإن كانت في سياق آيات الجهاد لكن استدلّ الفقهاء بها؛ لاستدلال الأئمة بها في هذا المعنى. وكذلك لقوله

١- البقرة: ٢٥٦.

٢- عوالى اللآلي للأحساوي: ١/ ٢٢٢ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي: ٤٩٤ وغيرها.

٣- البقرة: ١٩٥.

تعالى: ﴿ولا تُلقُوا بأيديكُم﴾[1].

الموقع الثاني المستثنى من جواز الإضرار بالنفس هو أن يتلف الإنسان أحد أعضائه أو إحدى قواه. فلا يجوز للإنسان أن يعمي عينه أو يصمّ أذنه أو يقطع أنملة من أنامله هكذا عبثاً وليس لعملية جراحية في ضرورة من الضرورات.

كما لا يجوز للإنسان أن يشلّ قوة من قواه كالمرأة تقلع رحمها أو تشرب دواء يمنعها عن الإنجاب نهائياً ـ أمّا إذا كان شلّ القوة لفترة معيّنة فقال العلماء بجوازها ـ وكذلك الحال بالنسبة للرجل.

أجل إنّ الإضرار بالغير غير جائز حتى لو كان بمقدار عود ثقاب، ولقد روي عن رسول الله ﷺ قوله:... «ألا وإن الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه بإصبعه»[2]، فلو أن أخاك جلس إلى جانبك ووضعتَ طرف ثوبه بين إصبعين من أصابعك تريد أن تعرف نوع القماش مثلاً وهو لا يعلم، فإنّ ذلك لا يجوز لك إن كنت تعلم أنّه لا يرضى، ولسوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة. بل يقول الفقهاء إنّ الإنسان مسؤول عن مثل هذا التصرّف ـ لو كان غصباً ـ حتى مع زوجته كما لو كانت تستحي من ذلك ولا ترضى مثلاً؛ فإنّ حق الرجل على الزوجة كما لو كانت تستحي من ذلك ولا ترضى مثلاً؛ فإنّ حق الرجل على الزوجة لا يتعدى أمرين هما: الفراش وخروجها من البيت بإذنه، وليس له وراءهما أيّ حق عليها بعد ذلك، ولا يجوز له أن يلحق بها أدنى ضرر.

١ـ النساء: ٢٩.

٢- ثواب الأعمال للصدوق، ٣٤٦ ح١، مقطع من عقوبات الأعمال.

أمّا الإضرار بالنفس فكما قلنا هو جائز إلّا في مورديْن هما قتل النفس أو تلف أحد الأعضاء أو القوى. فهاهم الناس والتجار يسافرون في الحرّ والبرد وهم يتعرّضون للأخطار، وربما قلّلوا من نومهم أو غذائهم، وربما مرضوا وهم في الفُلك، وعلى هذا جرت سنّة الناس ولم يبلغنا أنّ الأئمة منعواا أحداً رغم وجود احتمالٍ للغرق والموت ـ غير الغالب طبعاً ـ

ولم ينهَ الفقهاء عن الضرر البالغ كالتدخين مثلاً، فمع أنّ الأطباء مجمعون على أنّ التدخين مضرّ بصحة الإنسان فهل سمعتم أنّ فقيهاً أفتىٰ بحرمة التدخين؟ كلا بالطبع لأنّه لا دليل لهم على الحرمة بل الأصل «إنّ الناس مسلّطون على أنفسهم».

ومثل التدخين إدخال الطعام على الطعام والنوم بعد الأكل مباشرة وأمور كثيرة أخرى من هذا القبيل، واكتفى الشرع بكراهتها ولم يقل بحرمتها إلّا في الاستثناءيْن المذكوريْن آنفاً، وما ذلك إلا لأنّ الناس مسلّطون على أنفسهم.

ولو كانت أحكام الله تعالى بيد الناس لأفتى كلّ واحد بها حسب أهوائه وتصوراته، ولانمحىٰ الإسلام الذي بين أيدينا اليوم ولأصبح شيئاً ثانياً!

لكنّ جهاد المصطفى صلى الله عليه وآله وإخلاصه في تبليغ ما أمر المولى تعالى به، وكذلك دماء أهل البيت عليهم السلام التي أريقت في سبيل ديمومة أحكام الله تعالى قد أبقتا على الدين حيّاً نابضاً إلى اليوم.

إذن لو سَئَلَ أحد عن مسألة ولم يكن من أهل الاختصاص فعليه أن يحيل سائله إلى المجتهد الجامع للشرائط أو أن يسأله بنفسه وينقل عنه جوابه إليه، ولا يحقّ حتى لوكيل المجتهد أن يجيب من عند نفسه، بل عليه أن ينقل رأي مرجع التقليد فهو الحجة عليها، وقد علمناكم يبذل

المجتهدون من الوقت والجهد للوصول إلى استنباط حكمٍ من أحكام الله تعالى، وربما لا يتوصلون إليه فيعلمون بالاحتياط ولا يفتون.

- **لم يَفْتِ مجتهد بحرمة أي من الشعائر الحسينية**

الأمر الآخر الذي ينبغي أن لا ننساه هو أنّ أياً من الشعائر الحسينية المعهودة لم يفتِ مجتهد بحرمتها، بل الفقهاء قاطبة أفتوا بجوازها بل استحبابها؛ فلا يجوز لغير الفقيه أن يفتي من عند نفسه بحرمة شيء منها، فيقول مثلاً: إنّ اللطم على الحسينعليه السلام أو التطبير أو التشبيه أو ضرب السلاسل حرام لأنّ فيها ممارسة لإيذاء الإنسان نفسه، مع أنّ كلّ هذه الممارسات لا تصل إلى حدّ خروج الدم من عين الإنسان، والإمام الحجة يمارسه، فلست أنا ولا أنت ولا غيرنا أفقه من صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف، وكلام غير المجتهدين ليس بحجة ولا يصحّ الأخذ به ولا يجوز نقله شرعاً.

نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

وصلى الله على رسوله الأمين وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

القسم الثاني

وفي لقاء لآية الله العظمى السيّد صادق الشيرازي مع نخبةٍ من المثقّفين:

ألقى فيهم سماحته كلمة قيّمة، بيّن فيها الخطوط العريضة لأهميّة النشاط الثقافي، داعياً إيّاهم إلى مضاعفة الجهود، كما أكّد أنّ مِن أولىٰ مهامّ العمل الثقافي للإخوة المؤمنين هو تعريف العالم بمبادىء أهل البيت عليهم السلام.

واستهلّ سماحته الكلمة بقول الله تعالى: **﴿قُل هل يستوي الّذينَ يعلمُونَ والَّذينَ لا يَعْلَمُون﴾**[1] مؤكداً أنّ صيغة الآية الاستفهامية تريد الإشارة بوضوح إلى حقيقة الإجابة التي لا يختلف فيها إثنان، باعتبار أنّ العلم والعلماء أرقى منزلة من الجهل والجهّال.

وقال سماحته: إنّ مسألة الثقافة من أهمّ المسائل في كلّ أمّة وحضارة.. وإنّه قد يصحّ ما يقال بأنّ العالم يدور على عجلة الإقتصاد والسياسة، ولكن الأصحّ من ذلك القول بأنّ الثقافة هي التي توجّه الإقتصاد والسياسة، فبقدر ما يحمل الفرد من ثقافة وعلم في كلا المجالين، فإنّه يَخسر ولا يُغلَب.

وبخصوص ما هو منتشر من ثقافة ضحلة في عالم اليوم، فإنّ الثقافة الصائبة وحدها هي القادرة على مواجهتها وتصحيحها، لأنّ القوّة أو المال أو غير ذلك يعجز عن مواجهة الثقافات وتغييرها، إذ لا يقارع الثقافة إلّا الثقافة.. فقد يهزم التاجر زميله، والسياسي نظيره، ولكن الفكر والثقافة لا يهزمان بالمال أو القوّة السياسية أو العسكرية، بل لابدّ لمن أراد خوض

---

١ - الزمر/ ٩.

الميدان الثقافي الهادف إلى التغيير أن يكون متسلّحاً بسلاح الفكر والثقافة..

ومن هنا؛ كان العمل الثقافي من أهمّ الأعمال في المجتمع، فهو يمثّل البناء التحتي لغيره من الأعمال.

وقال السيّد المرجع: إنّ من المغالطات المعروفة، هي الخلط بين وحدة الموقف السياسي ووحدة العقيدة، فتصوّر الكثير من المسلمين بأنّ الوحدة بين الشيعة وغيرهم تعني فرض عقيدة واحدة على الجميع، في حين أنّ هذا الأمر شيءٌ مستحيل وخاطىء، إذ الاختلافات الفكرية من شأنها أن تحلّ بالحوار فقط، وليس من الضرورة أن يتمّ الاتّفاق على كلّ المعتقدات، فإنّ الاختلاف سُنّة الحياة، وقد قال تعالى: **﴿ولا يزالون مختلفين﴾**[1].

وتطرّق فضيلته إلى تفسير جانب من جوانب قوله سبحانه: **﴿لِيهْلَكَ مَن هَلَكَ عَن بيِّنَة ويحيىٰ مَن حيّ عن بَيِّنة﴾**[2] باعتبار أنّ الدليل هو الأمر الوحيد القادر على إحداث التغيير الجذري في قناعة هذا الإنسان أو ذاك، وأنّ الآية الشريفة بما يحويه مضمونها ومفرداتها من إعجاز باهر ـ تريد تأكيد ضرورة أن يعرف من هلك انّه إنّما هلك لاختياره طريق الضلالة، وأن يعرف من يحيى انّه إنّما حيّ لاختياره طريق الهداية، فالمهمّ أن يكون الإنسان عارفاً بما اختار، فلا يهلك وهو جاهل بالأمر، وكذلك لا يكفي للمرء أن يكون على الطريق الصواب، بل يريد الله منه أن يكون عارفاً بانّه

١ـ هود: ١١٨.

٢ـ الأنفال: ٤٢.

على صواب، وأن يكون اختياره له عن دليل وبيّنة.

وأوضح آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه) نّه لا يعني بتغيّر الإنسان بسبب فكرة أو كلمة ضرورة أن يحدث التحوّل المعلن لديه دفعةً واحدة، لأنّ تغيير المواقف والعقائد والإعلان عنه ليس بالأمر الهيّن، فهو يغيّر تاريخه، بل ونوعية وجوده.. ولكن الفكرة النيّرة تهزّ الإنسان ـ المنصف الواعي ـ وتدفعه إلى مزيد من البحث؛ وصولاً للحقيقة الكاملة.. وإذا اتّضحت له البيّنة آمن، إلّا أن يكون معانداً، والمعاندون قليل، أمّا ما نراه في عامّة الناس من عدم الاهتداء إلى نور الحقّ، فهو التعصّب الناشيء من الجهل وعدم انكشاف البيّنة، الأمر الذي يحتاج إلى وسائل وفرص هي كفيلة بذلك.. .

وخلص سماحته في كلمته إلى القول: لمّا كان العمل الثقافي من أهمّ الأعمال، بل أهمّها، فإنّ ذلك يستوجب توفّر ثلاثة شروط، لضمان نجاحه إلى عمل مثمر، وهذه الشروط هي:

١. التأكّد بأنّ فكر أهل البيت عليهم السلام هو النور المشعل الوضّاء والبيّنة، وأنّ هنالك الملايين من البشر محرومون منه، وأنّ مهمّة إيصاله إلى هذا الكمّ الهائل ليس بالمهمّة السهلة.. ممّا يستدعي مضاعفة الجهود لنشر ثقافة النور الأصلية لتحرير الناس ـ بمن فيهم المفكّرون والمثقّفون ـ من ظلمات الجهل.

٢. إذا أردنا لأعمالنا أن تحقّق أهدافها، فلابدّ وأن تكون مطابقة للطريق الذي رسمه الشرع لنا، وإلاّ فسيكون مثَلنا مثل ذلك السائق الذي لا يتقيّد بالعلامات المرورية، ثمّ يتبيّن لنا أنّ المسافة التي قطعناها بعد مدّة طويلة لم تكن هي المطلوبة، وأنّه ينبغي علينا العودة إلى نقطة البداية لتصحيح

المسار.. وبتعبير أدقّ: إنّ على العاملين في السلك الثقافي عموماً أن يعرضوا على الناس عين ما يريده أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، فهم أعلام الهداية وأنوارها.

٣. ضرورة العمل وفق أجمل الأساليب وأنسب الأوعية، تماماً كما هو الحال بالنسبة لأساليب الأدعية الواردة عن أئمّتنا المعصومين(عليهم السلام) حيث روعة البلاغة والفصاحة وجمال التعبير، فضلاً عن سموّ المعنى.

وختم فضيلة السيّد المرجع هذا اللقاء بالدعاء للإخوة العاملين في السلك الثقافي بالموفّقية في نشر فكر أهل البيت(عليهم السلام) وفي بذلهم جهداً ووقتاً أكبر، وأن يتوخّوا الدقّة في مطابقة ما ينشرونه لنهج أهل البيت(عليهم السلام)، وأن يتحرّوا الأساليب الجميلة والمؤثّرة لنشر هذا الفكر الأصيل.

القراءة الرابعة

في حضارية التنافس الشريف

مع كلمة المرجع الديني آية الله العظمى السيّد محمّد تقي المدرّسي (دام ظلّه) بعنوان (أخلاقيات التنافس النزيه)

- **بين الصراع والتنافس**

في الحياة ظاهرتان ؛ ظاهرة الصراع ، وظاهرة التنافس . والصراع يدور بين الحقّ والباطل ، والإسلام والجاهلية . ويحاول الإنسان من خلال الصراع أن يتقدّم على عدوّه بطريقين ؛ طريق بناء الذات ، وطريق تحطيم الطرف الآخر .

ففي الصراع يمسك الإنسان بإحدى يديه المحراث ليحيي الأرض ، أو ليصنع الآلة في المصنع ليعمر الحياة ، وباليد الأُخرى يمسك السلاح ويقذف القنابل ، فاليد الأُولى تبني ، والثانية تهدم .

أمّا في حالة التنافس فإنّ الأمر يختلف ، فنحن عندما نتنافس مع الآخرين ، ونتسابق معهم في الخيرات ، فلابدّ أن تتركّز جهودنا على عمل واحد فقط وهو أن نبني أنفسنا ، ونبعد نقاط الضعف عن كياننا حتّى نصبح أكثر تماسكاً وقوّة ، وبالتالي فإنّ التنافس سيحسم لصالحنا ، وإنّ غريمنا سيقوم في الطرف المقابل بمثل ما نقوم به ، فيتقدّم المجتمع برمّته .

- **الرؤية الشاذّة إلى التنافس**

وقد ابتليت التجمّعات الإسلامية العاملة في الساحة برؤية شاذّة إلى التنافس في بعض المراحل فحوّلته إلى صراع ، وتوهّمت أنّ ما تقوم به

من أعمال وما تبتكره من أساليب في محاربة أعدائها الجاهليين يصلح أن يكون أداة بالنسبة إلى المنافسين لها في الساحة من أصدقائها الذين يتحرّكون في خطّها .

ترى لماذا انتهت بعض التجمّعات الإسلامية إلى هذه الحالة ، ولماذا لم تستطع أن تفرّق بين أصدقائها الذين ينبغي أن تتنافس معهم ، وبين أعدائها الذين يجب أن تتصارع معهم ؟

للإجابة على هذا السؤال لابدّ أن ندرس تأريخ التجمّعات ، ونتعمّق في نفسية الأُمّة الإسلامية وخصوصاً فيما يتعلّق بالحالات المتخلّفة لدى الأُمّة ، وكيف أنّ بعض الأحزاب الإسلامية لم تستطع أن تتخلّص من سلبيات الواقع ، فوقعت في فخّ الدوائر الاستعمارية التي كانت وما تزال تحاول تعميق الصراع والتنافس غير البريء بين التجمّعات الإسلامية .

إنّ هذه الظواهر يجب أن تُدرَس لنعرف لماذا تحوّلت التجمّعات في علاقاتها مع بعضها البعض من حالة التنافس إلى حالة الصراع ، ونحن اليوم نستطيع أن نتحدّث عن العلاج لهذه الحالة لعلمنا بأنّ هذه القضية بقيت لحدّ الآن من ضمن القضايا العالقة التي لم تعالج من قبل الحركات الإسلامية ، في حين أنّنا لو عالجناها بحكمة واتّخذنا إزاءها طريقاً سليماً فإنّنا حينئذ سنستطيع أن نوظّف الكثير من طاقاتنا .

● **البناء أقوى من الهدم**

ترى ما هو علاج هذه الحالة ، وما هو السبيل إلى تحقيقه ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لابدّ أن نبيّن حقيقة ؛ وهي أنّ بناء الكون ، والسنن التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ،

والتقديرات والتدابير التي أُحيطت به ، كلّ ذلك يجعل من البناء عملية أسهل ، وأكثر إنماء من الهدم ، لأنّ الباني الواحد يستطيع أن يواجه ألف هادم ، فالبناء أقوى من الهدم في تركيبة الكون ، وفي فطرة الحياة .

وهناك دليلان على صحّة هذه الظاهرة وهما :

١ ـ إنّ الله تعالى جعل الطبيعة نفسها تشترك في عملية البناء ، فالبناء هو الحقّ الذي ينمو ، فعندما نبني فإنّنا نكون قد تحرّكنا مع مسيرة الحقّ ، لأنّ الكون كلّه يبني معك ، فعندما تزرع فإنّ الأرض تتقبّل البذرة ، والرياح تلقّحها ، والأمطار ترويها ... وكلّ ذلك يشترك في مسيرة البناء ، ولذلك يقول الحديث الشريف : « **ما كان لله ينمو** » .

٢ ـ وإنّ الله عزّوجلّ جعل الطبيعة تتحدّى الموت ، فالذين درسوا علم الأحياء يدركون أنّ الحياة قد قاومت الجراثيم واستمرّت بالرغم من مئات الآلاف من الجراثيم التي اكتشفت لحدّ الآن ، ومع ذلك فقد بقيت الحياة متناسلة متنامية ، والسبب في ذلك أنّ الحياة تتحدّى الموت ، فالإنسان الواحد إذا بقي فإنّه يستطيع أن يخلّف عشرات الأولاد ، فالإنسان عندما يموت فإنّه يموت وحده بينما يبقى نسله .

- **ضرورة توجيه التنافس**

وعندما تأتي بإنسان لينضمّ إلى صفوف تجمعك فإنّه لا يزيد من عدد الأشخاص التابعين لك فحسب ، وإنّما سيضيف وجوده شيئاً آخر إلى كيانك ألا وهو أنّه باستطاعته أن يأتي بآخرين ، وعلى سبيل المثال ؛ إذا كان بيننا وبين شعب آخر صراع لا تنافس ، فما هو الموقف الذي نتّخذه منهم ؟ نستطيع بالطبع أن نقاتلهم ، ولكنّنا نستطيع بطريقة أُخرى أن نتكاثر

ضدّهم ، ومن خلال اختيارنا لهذا الطريق فإنّنا سنغلبهم بالتأكيد ، في حين أنّنا إذا قاتلناهم فمن الممكن أن نغلبهم أو يغلبونا .

إنّنا لو وجّهنا التنافس بين التجمّعات الإسلامية التوجيه الإيجابي الإيماني ، فإنّ كلّ حركة من هذه الحركات سوف تفكّر في أن تقوي ذاتها إيمانياً عند تنافسها مع الحركات الأُخرى ، وتبني نفسها وفق منهج التقوى، وتزيد من المنتمين إليها ليس في العدد فحسب وإنّما في النوع أيضاً ، ثمّ لا نلبث أن نرى أنّ جميع الحركات الإسلامية ستقطع أشواطاً طويلة من التقدّم والقوّة والرصانة وفق معيار ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ، وبالتالي فإنّنا سنرى أنّ الهدف المشترك لكلّ الحركات الإسلامية قد تحقّق عملياً .

أمّا إذا أراد كلّ تجمّع أن يتوسّع على حساب التجمّع الآخر ، فماذا ستكون النتيجة ؟

من الطبيعي في مثل هذا الجوّ أنّ هذه التجمّعات سوف تنشغل بالتنازع، والصراع ، وبذلك يكون مصيرها الانقراض .

● المجالات الصالحة للتنافس

إنّ العالَم الإسلامي هو عالَم واسع ونسبة العاملين فيه الذين يتحمّلون مسؤولية الإصلاح في الأُمّة صغير جدّاً بالنسبة إلى هذا العالَم الواسع ، وهذا يعني أنّ التجمّعات الإسلامية لو توجّهت إلى حالة التنافس الحرّ ، والبنّاء ، فإنّ معنى ذلك أنّ عدداً هائلاً من المسلمين سينتمون إلى هذه التجمّعات ، وهذا بالنسبة إلى التزايد العددي ، وهناك تزايد آخر هو التزايد الكيفي ؛ فمجالات العمل الإسلامي واسعة وكبيرة بإمكان التجمّعات

الإسلامية أن تدخل فيها .

وعلى سبيل المثال ؛ لماذا لا تفكّر التجمّعات الإسلامية في أن تبني كتّاباً ومؤلّفين ؟ ولماذا بقيت حتّى الآن تقتات على نتاجات المؤلّفين والمفكّرين السابقين الذين كتبوا لجيلهم ، في حين أنّ على كلّ جيل أن يتحمّل مسؤوليته ؟

إنّ هناك الآلاف من القضايا المطروحة التي لا تجد من يكتب عنها ، أفليس هذا مجالاً جيّداً للتنافس ، أو ليس من الأفضل أن ندخل هذا المجال ، وتوجّه كلّ حركة جانباً من طاقاتها إلى التنافس البنّاء في هذه المجالات بدلاً من أن تبذّر هذه الطاقات في الصراع ضدّ بعضها البعض .

● الانتصار غير ممكن من دون تحقيق شروطه

إنّ الحياة مبنية على أُسس متينة ، ويجب علينا أن لا نتوهّم أنّنا نستطيع أن نحقّق الانتصار فيها من دون أن نوفّر في أنفسنا عوامل وشروط هذا الانتصار ، ومن هذه العوامل والشروط معرفة الحياة معرفة عميقة وشاملة واتّخاذ القرار المناسب بالنسبة إليها ، ومثل هذا القرار بحاجة إلى دراسات ، فلماذا لا تقوم هذه الحركة أو تلك باختراق هذا المجال ، وعلى سبيل المثال فإنّ هنالك مناطق واسعة في العالم تحتاج إلى موجّهين وكتّاب وخطباء ، فلماذا لا نوجّه طاقاتنا توجيهاً سليماً إلى تلك البلدان ؟

فلنوجّه كلّ القدرات والطاقات من أجل البناء ، ولنتنافس بها ، فالحركة التي تستطيع أن تعطي الفكر الأفضل ، والخطّ الأوضح ، هي التي يجب أن تكون محطّ إعجاب كلّ الحركات لكي يعرف أبناء هذه الحركات أنّ

الصراع ليس بتكثيف التناقضات، وتكرار السلبيات، وإشاعة الفواحش، وإنّما بالعمل الصالح. فإذا جعلنا التنافس مقياس التقدّم فإنّ الجميع سيتّجه نحو العمل الصالح، وبالتالي فإنّ الأُمّة كلّها ستتقدّم، أمّا إذا جعلنا المقياس الإكثار من السلبيات حول الحركات الأُخرى فإنّ هذه الحالة مغلوطة وخطيرة لا تتحرّك وفق المنهاج الذي أراده الله سبحانه وتعالى.

● حرّية العمل سنّة الله في الحياة

إنّ من سنن الله سبحانه وتعالى في الحياة أنّه جعل الإنسان حرّاً في هذه الدنيا، فليس من حقّ الإنسان الآخر أن يوقف مسيرته، ونحن نقرّر هذه الحقيقة على وجه الإطلاق ومن دون استثناء، ونحن عندما نريد أن نحقّق أهدافنا، فليس من حقّ أي من التجمّعات الأُخرى الدخول في صراع باطل.

ولذلك فإنّنا نوصي أخوتنا العاملين في التجمّعات الإسلامية أن لا يخضعوا للتنافس الباطل، ولا يقوموا بعمل قصاصي وانتقامي، ولا يعتدوا إذا ما قامت سائر التجمّعات أو بعض المغرضين بوضع بعض العراقيل أمامهم، فيتحوّل التنافس الإيجابي بذلك إلى صراع باطل.

فلنتابع مسيرتنا في طريق الإيمان بعيداً عن الضغائن، ولنعلم أنّ من المستحيل أن يستطيع أحد إيقاف الإنسان الذي أراد وصمّم على أن يصل إلى الهدف، فديننا مبني على فلسفة الحرّية، والدنيا هي الاختبار والابتلاء، ولا يتحقّق الابتلاء إلّا بالحرّية، وإذا ما أردنا أن نتقدّم أبداً، ونحقّق أهدافنا، ورأينا أنّ الآخرين يضعون العقبات والعراقيل أمامنا فعلينا أن نتعلّم كيف نتجاوز العقبات التي ما هي إلّا ابتلاءات وامتحانات.

● **الرؤية الإسلامية في الصراع**

من الضروري أن يتعرّف الإنسان المسلم على الرؤية الإسلامية الأصيلة تجاه الخلافات البشرية القائمة والتي تنعكس أحياناً على الخلافات الدينية كالخلاف بين الأديان السماوية ، وبين المذاهب التي تتبع ديناً واحداً ، وبين الفقهاء والمراجع الذين يتّبعون هم بدورهم منهجاً واحداً ، وبالتالي الخلاف بين التيارات المختلفة للحركات في الاتّجاه الإسلامي الواحد .

إنّ وجود هذه الرؤية لدى الإنسان المسلم تنفعه لسببين :

١ ـ إنّها لا تدعه ينساق وراء الخلافات إلى الحدّ الذي يفقد فيه دينه وقيمه ، بل تجعله يحدّد الخلاف الذي يتصارع ضمن إطاره وفق قيمه العامّة ، ووفق التزامه بالشريعة والدين ، ولا تدع هذا الخلاف يسيطر عليه، ويجعل سلوكه ردّ فعل للأطراف الأُخرى فيكون كما قال تعالى : **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** .

فالبغض والحقد ، والخلاف القائم في طرف يجب أن لا يترك أثره في الطرف الإسلامي فيخرجه عن إطار قيمه .

٢ ـ إن تمتّعنا بهذه الرؤية يجعلنا لا نفقد الثقة بالدين ، فهناك الكثير ممّن ضعف أثر الدين في نفوسهم عندما رأوا الخلافات المذهبية الطائفية ، أو الخلافات داخل الطائفة الواحدة بين الحركات المختلفة ، فتركوا على أثر ذلك الدين ، وأخذوا يتّجهون يميناً وشمالاً ، ولو كانت لديهم رؤية إسلامية ورسالية متكاملة عن الخلافات وسببها لأصبحوا متسلّحين بهذه الرؤية ، ولما خرجوا من حدودها ، ولما ضعف الإيمان في قلوبهم .

ترى ما هي هذه الرؤية ؟ وما هي تفاصيلها ومفرداتها ؟

القرآن الكريم يحدّد هذه التفاصيل والمفردات في سورة المائدة وهي كالتالي :

أوّلاً : الصراع سنّة طبيعية :

يرى القرآن الكريم أنّ الخلافات الموجودة بين البشر هي خلافات فطرية أرادها الله تعالى ، فهي كلّها ليست ناشئة من إرادة الشيطان ، فالله عزّوجلّ الذي خلق الناس بألسنة مختلفة ، وتطلّعات متباينة ، وفي أراضٍ متعدّدة ، زوّدهم بأغراض وأهداف يختلف بعضها عن البعض الآخر ، فهو تعالى لم يخلق البشر أُمّة واحدة بل خلقهم أُمماً متفرّقة .

وهكذا فقد خلق الله تعالى الإنسان على أساس الاختيار الحرّ ، وأودع فيه تطلّعات متباينة ، وفضّل كلّ إنسان على الآخر بميزة معيّنة لا توجد إلّا في أفراد معدودين ، فهذا مزوّد بميزة الكتابة ، والآخر بالخطابة ، والثالث بالحزم والإرادة ، والرابع بالعلم وهكذا ، لتتكامل الحياة عن طريق هذه الميزات المختلفة .

ولذلك قال تعالى : **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** فهو قادر على أن يجعلنا أُمّة واحدة ولكّنه خلقنا مختلفين ، فعندما نرى الخلافات فيجب علينا أن لا نتعجّب لأنّها سنّة الله تعالى ، والمجتمع الذي تنعدم فيه الاختلافات هو مجتمع ميّت .

وإذا كانت الخلافات فطرية وطبيعية فلماذا جعل الله تعالى بعض الناس يختلفون عن بعض في تطلّعاتهم وميزاتهم الروحية ؟

في هذا المجال يقول القرآن الكريم : **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾** ويبدو لي أنّ (الشرعة) تدلّ على المناهج الماديّة المختلفة في الحياة ؛

مناهج الاقتصاد والسياسة ، والسلوكيات الاجتماعية والشخصية ، فـهذه كلّها شرعة ، أمّا (المناهج) فتدلّ على الثقافات المختلفة عند الأُمم .

ثانياً : الصراع سبب لتفجير طاقات الإنسان :

إنّ الله تعالى لم يخلق أفراد البشرية مختلفين عن بـعضهم البـعض إلّا ليتنافسوا ، ولكي يستخرج كلّ واحد منهم ، وكلّ فئة وفريق كلّ ما يمتلكه في ذاته من طاقات وقدرات ، فالإنسان هو كالأرض التـي تـخزن فـي جوفها المعادن ، فكما أنّ هذه المعادن بحاجة إلى من يستخرجها ، فـإنّ الإنسان بحاجة أيضاً إلى استخراج معادنه وكنوزه التي يـصوّرها الإمـام علي عليه السلام في قوله :

أتـــحسب أنّك جِـــرمٌ صـغير وفيك انطوىٰ العـالَم الأكْـبَرُ ؟

وهكذا فإنّ الأُمم إنّما تستطيع تفجير طاقاتها ، وبناء حضاراتها بالصراع مع الأُمم الأُخرى ، ونحن نعلم أنّ عدداً كبيراً من الاختراعات الحديثة إمّا توصّل الإنسان إليها في أوقات الحرب ، أو فـي أوقـات الإعـداد لهـا ، فالدبابة صنعت قبل السيارة ، والطائرات لم تخترع في البدء لنقل الناس وإنّما لحمل القنابل المدمّرة ، وذلك لأنّ الإنسان يحاول في حالة الحرب أن يكسبها لصالحه بأي طريقة ، فيتحرّك من أجل تفجير طاقاته .

ثالثاً : الصراع يجب أن يوجّه للبناء :

يرى الإسلام أنّ الصراع يجب أن يوجّه نحو البناء لا الهـدم ، وعـلى ضوء ذلك علينا أن لا نفكّر بالهجوم لكي نحطّم مزرعة من نتنافس معه أو مصنعه ، بل علينا أن نفكّر في كيفية بناء مزرعة جديدة ومـصنع جـديد

لكي نمتلك نحن وهم مزرعتين ومصنعين ، وفي هذه الحالة سنكون أقوياء معاً .

إنّ القرآن الكريم يحثّنا على التسابق والتنافس في ميدان الانتاج والإبداع في قوله تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ...﴾ .

فلنستبق في سبيل استخراج ما نملكه في ذواتنا من قدرات وإمكانيات، ولنبدأ في البناء ، فهذا هو الذي يجعلنا نبني مجتمعاتنا ونشيد حضارتنا .

- **التسابق إلى الخيرات**

ونحن عندما نريد أن نبني فإنّ علينا أن نسبق الآخرين بالعمل والجدّ والاجتهاد وقد كان الرساليون في أيّام الأئمّة عليهم السلام معروفين بإيمانهم وصدقهم وتقواهم وزهدهم وبجميع الصفات الخيّرة .

وعلينا بناء مجتمعاتنا على منهج التقوى والإيمان وأن نصنع ونخرج للأُمّة القدوات المؤمنة التي تنتهج منهج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في كلّ أعمالها . إنّنا نمتلك طاقات وقدرات كثيرة وهائلة ، لكي نؤمّن بذلك حاجتنا إلى القادة ، والمفكّرين والمخطّطين ، وهذا ما لا يتحقّق إلّا في المدارس الرسالية ، فكلّ لحظة يضيّعها الطالب دون استغلالها في الدراسة والمطالعة والتحصيل العلمي سوف تشهد عليه يوم القيامة ، فالدراسة يجب أن تكون في كلّ الحقول .

وأن يتمتّع الطالب بسلاح الذهنية السياسية الإيمانية الواعية .

إنّ الاهتمام بتوفير تلك المواصفات ، والتضحية في سبيلها هما سلاحنا للرقي والتقدّم ؛ وعندما نقصر في ذلك ، فإنّنا سنبقى من دون سلاح ، في

حين أنّ الله تعالى أمرنا أن تكون المواجهة بكلّ قوّة مستطاعة : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ، فكلّ شيء تواجه به التحدّيات هو قوّة سواء كان قوّة مادّية أم فكرية أم معنوية .

وهكذا فإنّ علينا أن نوظّف جميع قدراتنا ، وطاقاتنا في عملية الصراع سواء كان صراعاً بيننا متمثّلاً في التنافس البناء ، والاستباق النزيه في مضمار الخيرات ، أو كان صراعاً مع أعداء الأُمّة والدين من خلال استغلال امكانياتنا وطاقاتنا وقوانا .

● لا .. للعداوات بين الأُخوة الرساليين

إنّ الخلافات ، والمشاكل النفسية ، والعداوات التي تشتعل لأسباب تافهة هي سبب الهزيمة والحضيض الذي وصلت إليه بعض المجتمعات المسلمة ، ونحن ينقصنا أُولئك الذين يغيّرون هذه المعادلة ، ويحولون روح العداء والبغضاء والحسد وسوء الظنّ إلى محبّة ، وعطاء ، وإحسان ، وتعاون ، إنّهم الرجال المؤمنون المناقبيون .

إنّ الفئة التي تريد أن تعمل في سبيل الله عزّوجلّ لابدّ أن تضع في حسابها الوضع الاجتماعي الذي تعمل في ظلّه ، إنّه وضع موبوء ، ولا يمكن القضاء على الأمراض المنتشرة فيه من دون تغييره ، وفي هذا المجال يقول النبي الأعظم ﷺ : « **إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق** » ، فهو ﷺ كشخص كان مبعث الإصلاح من حوله ، كان يزيل العداء ، والحقد ، وسوء الظنّ ، وينشر الفضيلة ، والمحبّة ، وروح التعاون والإخاء بين أبناء المجتمع الإسلامي ، إلى درجة أنّهم كانوا يقاسمون ويشاطرون الضيوف والمهاجرين في كلّ شيء ، بل ويؤثرون على أنفسهم .

وإذا ما سادت هذه الروح أوساط أُمّة ما فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى سوف يؤيّدها وينصرها ، أمّا إذا رأينا الحقد ، وسوء الظنّ ، والتنابز بالألقاب وسائر الصفات السلبية هي السائدة فعلينا أن لا نتوقّع أنّ الله تعالى سينصر هذه الأُمّة ، فهو عزّوجلّ لا ينصر إلّا من ينصره ، وينصر دينه ، والأخلاق الحسنة التي أمر بها تعالى .

ونحن لو تأمّلنا تأريخ رسول الله ﷺ والأئمّة عليهم السلام لرأينا أنّ أحد أهدافهم الرئيسية كان متمثّلاً في إصلاح المجتمع خلقياً وعقائدياً من الجذور ، فلم يكن إصلاحاً سطحياً ، فمنذ اليوم الأوّل كان دورهم عليهم السلام متمثّلاً في ضخّ روح الإيمان والتقوى وقيم الخير في جسد هذه الأُمّة ، وقد كانوا عليهم السلام يمثّلون القمّة في الأخلاق الرفيعة السامية ، والعطاء ، والإصلاح ، وبهذه الأخلاق استطاعوا أن يحفظوا هذه الأُمّة .

ونحن أيضاً علينا أن نعود إلى روح الإيمان ، فلا يكفي أن تلهج ألسنتنا بالتعابير والشعارات الإسلامية ، بل يجب أن ترى فينا الشعوب الإسلامية المستضعفة في الأرض تجمّعاً صادقاً ومضحّياً ، ومتفاعلاً مع قضايا الأُمّة، ومتحمّساً لحلّ مشاكلها ، وفي هذه الحالة سوف تلتفّ الجماهير المستضعفة في الأرض حول هذا التجمّع ، أمّا إذا رأوا أنّنا ندعوهم إلى أنفسنا ، ولا ندعوهم إلى الله تعالى ، ونزرع فيما بيننا وبينهم حواجز من الاختلاف والعداوات والنعرات فإنّهم سوف يبتعدون عنّا ويشعرون بالنفور منّا .

إذن .. لنبني معاً مجتمع الإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق .

القراءة الخامسة

في الواقع الراهن وحرمة التفرقة

مع كلمة المرجع الراحل المجدّد آية الله العظمى السيّد محمّد الشيرازي (أعلى الله مقامه) من كتابه (مساوئ الفرقة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين إنّه خير ناصر ومعين

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وآله الطيبين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

- **من أساليب الاستعمار**

قال الله تعالى : **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**(١).

لقد خرج العراق من أيدي المسلمين الذين يشكّل الشيعة (٨٥٪) منهم ووقع ـ بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت في الشرق الأوسط ـ بيد الغربيين وهم الآن يديرونه ويحكمون قبضتهم عليه ، ولكن بواسطة أذنابهم البعثيين المتسلّطين على الحكم . ومن المعلوم أنّ مخطّط الغربيين يبتني دائماً على فرض الحاكم المتجبّر حتّى إذا لم يرضه الشعب المسلم ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٥.

لأنّ المستعمرين يريدون من الحاكم في البلاد الإسلامية أن يكون لهم كالبقرة الحلوب ، لذلك فإنّهم إذا ما شعروا يوماً بأنّ صدّاماً ـ كمثال ـ لم يستطيع تنفيذ ما يخطّطون له فإنّهم إمّا أن يقتلوه ويأتون بغيره ، أو يقومون بواسطة أذنابهم الآخرين بانقلاب عسكري يقتلون من خلاله الحاكم العميل ويأتون بحكومة تغاير حكومته ولو كانت مائلة إلى الاعتدال نسبياً ، كما قاموا بذلك في تركيا[1]

ومشاكل البلاد الإسلامية حالياً ازدادت بدرجة كبيرة ، بحيث أصبحت القوانين والمقرّرات التي تحدّد مسير الدولة داخلياً وخارجياً تأتي من الغرب ، وبعض السبب في ذلك يقع على عاتق المسلمين أنفسهم ، لأنّهم لا يهتّمون بالتوعية والتثقيف وتنظيم أُمورهم لكي يأخذوا بزمام إدارة بلادهم بأيديهم ، ومن الواضح إذا لم يهتمّ الإنسان لحلّ مشاكله ويبدي جانب العجز في إدارة أُموره سيعطي للآخرين الفرصة للتدخّل في شؤونه وأخذ زمام الأمر من يده .

- **السقوط والإنحطاط**

هناك صفتان إذا اتّصف بهما أي مجتمع فإنّه سيؤول إلى السقوط والانحطاط ، وهاتان الصفتان قد اجتمعتا عند بعض المسلمين أخيراً .

(١) ـ هكذا كان الامام الشيرازي بفراسته التي كان ينظر بها من نور الله، يتنبأ للحوادث ويقرأ أعماقها قبل حدوثها.

الأولى : النزاع وبذور التفرقة

لقد استفحلت هذه الظاهرة في بعض المـجتمعات الإسـلامية بشكـل عجيب ، بحيث لا تراهم إلّا في نزاع دائم فيما بينهم ، ممّا أدّى ذلك إلى اتّحاد الشرق والغرب ضدّ المسلمين ، وصاروا يتلاعبون بهم ويحرّكونهم ذات اليمين وذات الشمال كسحاب الربيع الذي تتقاذفه الرياح وتفرّقه هنا وهناك ويعملون في بلادهم ما شاؤوا من دون أي مانع أو رادع .

ذات يوم كنّا بصحبة المرحوم الشيخ عبدالزهراء الكـعبي (رحـمة الله تعالى عليه) ذاهبين لزيارة مرقد الشهيد الحرّ الرياحي (رضوان الله تعالى عليه) مشياً على الأقدام ، وذلك في الفترة التي كان زوّار العتبات المقدّسة يتوافدون بشكل مكثّف من ايران وغيرها إلى العراق للزيارة ، وفي أثناء ذلك مرّت بجوارنا عربة يجرّها إثنان من الخيول تـحمل مـجموعة مـن البدو ، فصاح أطفال تلك المنطقة بـصوت واحـد (حـاج عـرب مـوش مىخورد) ومضمونها (العرب يأكلون الفئران) ثمّ مشينا مقدار من الطريق فمرّت عربة أُخرى فيها مجموعة من الزائرين الايرانيين ، فصاح أطـفال تلك المنطقة وأطلقوا كلاماً أيضاً مخالف وغير صحيح لإهانة الزائرين .

أُنظر .. في هذه المسافة القصيرة كم تتحسّس بذور التفرقة والنزاع بين المسلمين ، إنّها سياسة استعمارية لإثارة النعرات فقد بذرت بهذا الشكل في بلادنا وصار بعض أبناءنا وأطفالنا وسيلة لتنفيذها بسبب عدم الوعي والثقافة .. ومن الواضح أنّ هذا الكلام السيئ وإن كان قد صدر من أطفال إلّا أنّه من شأنه أن يثير حفيظة الآخرين وبسـبب عـدم الوعـي أيـضاً ، وهكذا يبعثهم للمقابلة بالمثل وتستمرّ هذه التصرّفات السيّئة وتنعكس في جوانب أُخرى من الحياة حتّى تتحوّل الأُمّة الواحدة التي رفـع الإسـلام

الحواجز النفسية والأرضية منها إلى أُمم مشتّتة متفرّقة البعض يتهجّم على البعض الآخر ويسخر منه وقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1] ومعلوم أنّ هذا السلوك يؤدّي إلى ضعف الأُمّة وانهيارها ، ويوقعها لقمة سائغة في فم الاستعمار الذي ما فتأ يخطّط لتنفيذ هذه الأساليب والخطط .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[2].

الثانية : العنف والتهوّر

الناس بطبيعتهم لا يميلون إلى الأفراد العنيفين وسيّئ الأخلاق ولا يجلّونهم بملء اختيارهم ، وإذا حدث وإن استطاع بعض أصحاب القدرة والعنف استغفال وخداع مجموعة من الناس لفترة . فإنّ أوراقهم سرعان ما تنكشف وينقلب الأمر عليهم وينفضّ الناس من حولهم إن لم ينقلبوا عليهم .

ونحن نرى الإسلام الذي بقي لحدّ الآن ، وسيبقى إلى أبد الدهر إنّما هو بسبب مجموعة من الخصائص والسمات الفريدة ، منها دعوته السليمة

---

(١) ـ سورة الحجرات : ١١.

(٢) ـ سورة آل عمران : ١٠٣.

حيث استطاع النبي الأكرم ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام أن يدخلوا الإسلام في قلوب الناس عن طريق الكلام الليّن ، ومكارم الأخلاق التي يـدعوا إليها الإسلام حيث يقول تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]. وقد جاء في بعض التفاسير عن لين وحسن خُلُق الرسول الأعظم ﷺ معناه إنّ لينك لهم ممّا يوجب دخولهم في الدين لأنّك تأتيهم مع سجاجة أخلاقك وكرم سجيّتك بالحجج والبراهين ﴿وَلَوْ كُنْتَ﴾ يامحمّد ﴿فَظّاً﴾ أي جافياً سيئ الخُلُق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي قاسي الفؤاد وغير ذي رحمة ولا رأفة ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي لتفرّق أصحابك عنك ونفروا منك ويقول الله تعالى في آية أُخرى : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

فيأمر النبي بأن يلين جانبه ويتواضع لهم ويحسن معاملتهم ، لأنّ تواضع القادة وحسن معاملتهم من شأنها أن تزيد محبّة الناس وتشدّهم إليهم أكثر .

- **واقعنا المعاصر**

في منطق القرآن الكريم جميع المسلمين بلغاتهم وقومياتهم وألوانهم المختلفة أُمّة واحدة حيث يقول تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[3].

---

(١) ـ سورة آل عمران : ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء : ٢١٥.

(٣) سورة الأنبياء : ٩٢.

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[1].

كما أنّ البلاد الإسلامية كلّها بلد واحد ، وقانون واحد ، وحكومة واحدة في نظر الإسلام ، وهذه الوحدة كانت متجسّدة في حياة المسلمين لقرون عديدة ، حتّى إذا دخل الاستعمار بلادنا وأثار النعرات والتفريقات بين المسلمين فسّاقهم إلى التشتّت لكي يعيش عليه .

- **حرمة التفرقة**

إنّ أي تفريق بين المسلمين يعتبر من أشدّ المحرّمات في الإسلام لأنّه معاونة على الإثم والعدوان الذي يهدفه الاستعمار هذا أوّلاً .

وثانياً : أنّه تشتيت للأُمّة الواحدة وتسهيل لسيطرة الكفّار على بلاد الإسلام ، سواءً كان التفريق بالأراضي ووضع الحدود الجغرافية بين بلاد المسلمين أو بالجنسيات المتعدّدة أو ما أشبه ذلك .

إنّنا نجد الآن العراقي خارج حدود العراق في البلاد الإسلامية الأُخرى يعتبر أجنبياً ، ويعامل معاملة الأجانب ، وكذلك المسلمون الآخرون يعتبرون داخل العراق من الأجانب ، وهذا الأمر لا يختصّ بالعراقي بل ينطبق على المصري والايراني ، والأفغاني وسائر المسلمين ، وهذا عمل لا يرتضيه الإسلام ولا ينطبق مع مبادئه الوحدوية .

فهذه الحدود الأرضية بين المسلمين وضعها الاستعمار من أجل تشتيتهم ، والقضاء على رابطة الأُخوّة والأُمّة الواحدة التي تجمعهم ، لتسهل السيطرة عليهم ويكونوا مغنماً لبلد الكفر .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٢.

والأنكى من ذلك أنّ المستعمر الذي وضع هذه الحدود لم يكتف بترسيمها وتفريق جسد الأُمّة الواحدة ، بل عمد إلى ترك مناطق حدودية محايدة ومساحة يكتنفها الغموض بين أغلب البلاد الإسلامية ، حتّى تكون هذه المناطق مادّة للنزاع والخلاف وبؤرة للتوتّر بين البلدان الإسلامية دائماً ليتمكّن ساسة الغرب من إثارتها في أي وقت شاءوا ، بل أحياناً نفس الدول الإسلامية متى ما أحسّت بشيء من القوّة فإنّها سرعان ما تترجم هذه القوّة إلى نزاع حدودي وحرب طاحنة بينها وبين جارتها المسلمة ، وتتوزّع بقيّة الدول الإسلامية بين مناصر لهذا الطرف وذاك ويكون الهمّ الأكبر لحكّام أغلب الدول الإسلامية هو بناء القوّة العسكرية على حساب حتّى رغيف الخبز لا لمواجهة الأعداء الحقيقيين للأُمّة ، وإنّما لانتزاع بعض الأشبار من أرض البلد المسلم الجار ودون أي حساب للخسائر الحقيقية التي يتكبّدها الطرفان ، والآثار القريبة والبعيدة المترتّبة على ذلك من امتصاص كلّ الطاقات المادّية وتحطيم القيم المعنوية للمسلمين ، فضلاً عن إيقاع المزيد من الخلاف والتشتت بينهم .

- **واجب المجتمع**

وبسبب هذه المظاهر نحن مدعوون جميعاً لأن نسعى بكلّ جهودنا وطاقاتنا ، بألسنتنا وأقلامنا للقضاء على كلّ أسباب الخلاف ومظاهر العنف والفحش والتفرقة ، والهمز واللمز في المجتمعات الإسلامية ، وعلينا أن نهتمّ بأنفسنا فنهذّبها ، ونتمسّك باللين والرفق ليكون هذا منطلقاً لما نأمل أن نحقّقه من التغيير في العالم الإسلامي ، وهذا الطريق وإن كانت تحفّه المشاكل والصعاب والموانع الطبيعية والمصطنعة ، إلّا أنّه الطريق

الناجح للنجاة وبلوغ النصر والقضاء على أسباب التأخّر والانحطاط الذي أصاب المسلمين وإلّا سنبقى نئنّ من وطأة ذلك (والعياذ بالله) .

« اللهمّ صلّ على محمّد وآله ، وحلني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، النائرة وضمّ أهل الفرقة ، وإصلاح ذات البين ، وإفشاء العارفة وستر العائبة ، ولين العريكة ، وخفض الجناح ، وحسن السيرة ... وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة » .

الفَصلُ الثَّامِنُ

وفيه استخلاص لـ(٣٠) نصيحة

كاستنتاجات إرشادية

وكلمة أخيرة

ثم همسة ختامية

ودعاء الوداع !

النصيحة رقم (١) :

التسقيط ـ وهو حذف الغير بلا دليل شرعي كما بحثناه ـ عمل حرام شرعاً وقبيح أخلاقياً ومن سمات المتخلّفين حضارياً، وهو جريمة بحقّ الناس والمصالح العامّة للأجيال المتعاقبة ، أيّاً كان مرتكبوه ومن أي جماعة كانوا . والقاسم المشترك بينهم هو حبّ الذات وتلبيسه بدين الله ، وهذا حرام آخر أفدح من ذاك ، وسبحان الله عمّا يصفون .

النصيحة رقم (٢) :

للتخلّص من مرض التسقيط لابدّ من الانفتاح على الآخرين وقراءة حيادية منصفة في الآراء ومعرفة الشخصيات من مصادرها الموثّقة قبل إطلاق النقد والاعتراض وإظهار التقييم النهائي والإفتاء الشرعي ، ولكن المشكلة التي وقع فيها بعض العلماء وطلبة الحوزة أنّهم حينما ينبهرون بأُستاذهم يرفعونه فوق أساتذة الآخرين إلى حدّ الانتقاص من شأن هؤلاء وتحقيرهم بعيداً عن الموازين الشرعية والأخلاقية ، وهم في الوقت نفسه لم يتعرّفوا عن قرب على هؤلاء كما تعرّفوا على من يؤيّدونه، بينما لو كانوا ينفتحون على غيرهم لعرفوا أنّ لهؤلاء نقاط قوّة ونقاط ضعف أيضاً مثل مَن يؤيّدونه ، فلا يصحّ الإعجاب والإنبهار بأحد إلى حدّ حذف الآخرين . وممّا يؤسف له هو تأثّر الشباب والمجتمع بهذه النماذج

من طلبة العلوم الدينية فساروا على ذات النهج الخاطىء (رفْع من يحبّونه وكبس من يجهلونه) ، والواجب الشرعي والحضاري يلزمنا أن نتعلّم أخلاقية الرفع لمن نحب بلا كبس للآخرين ، وخاصّة كبس الذين لم نقرأ عنهم من مصادرهم ؟!

النصيحة رقم (٣) :

إنّ ما يمارسه أكثر المتنازعين لإسقاط بعضهم بعضاً نابع عن غياب اللقاء والحوار بينهم ، والحل إمّا أن يلتقوا ويتحاوروا ويفهموا بعضهم ويحدّدوا مساحة الافتراق ومساحات الاشتراك ويتّفقوا على إعطاء كلّ قضية من الافتراق والاشتراك حقّه المشروع ، وإمّا أن يسكتوا عن بعضهم ولا يتقاذفوا ـ ما لم يلتقوا ـ والا يحيق الفشل والسقوط بكل المتنازعين ، والبلاء على الإسلام .

النصيحة رقم (٤) :

من الواجب أن تبادر ثلّة مؤمنة للإصلاح بين المتباعدين والتقريب بين وجهات النظر دون ملل وكلل ويأس وتراجع . وأن تذهب هذه الثلّة الإصلاحية إلى كبار المراجع وتقترح عليهم إصدار بيانات مشتركة في المناسبات وأن يبدؤوا بتوصية مقلّديهم بتجميد كل خلاف ممزِّق للصفّ الإسلامي الواحد . فإنّ الإصلاح صدقة يحبّها الله تعالى وهو أفضل من

عامّة الصلاة والصيام ـ كما في الحديث الشريف ـ إذ لا تنفع الصلاة والصيام بقلوب مشحونة على بعضها ؟!

النصيحة رقم (٥) :

ليس أحد من المراجع والعلماء والجماعات يمتاز عن غيره بصفة العصمة عن الخطأ أو حتّى عن الخطيئة غير الواعية ، فعلىٰ الجميع أن يعرفوا عيوبهم ويشتغلوا بإصلاحها بدلاً عن إثارة الطرف الآخر وجرّه إلى التفتيش عن العيوب ونشرها على الملأ .

النصيحة رقم (٦) :

لكل اتّجاه إسلامي في الساحة إيجابياته وسلبياته ، فالمطلوب أن يكمّلوا إيجابيات بعضهم البعض بالتعاون على البرّ والتقوىٰ ، ويستروا على سلبياتهم مع السعي لإصلاحها ، تأسّياً بالله ستّار العيوب وهو يحبّ الساترين ويحبّ التوّابين وينهىٰ عن التعاون على الإثم والعدوان .

النصيحة رقم (٧) :

ينبغي تثقيف الشباب بثقافة المحبّة والتسامح والتزاور والتعايش وتحمّل النقد وعدم التحسّس من الرأي الآخر حتّى يكون الأمر بالنسبة

إليهم عادياً جدّاً . لأنّ في غياب هذه الثقافة تنمو ثقافة الحدّية والهجومية وعنف اليد واللسان وهي أدوات للتفرقة ونشر الكراهية والبغضاء وتوارث الخلافات الهدّامة .

النصيحة رقم (٨) :

لابدّ من فهم النقد بين المؤمنين وتمييزه عن العداء ، فالمحبّ الحقيقي هو الذي يطلع محبوبه على عيوبه ، أمّا العدو فهو الذي يحبّ بقاء العيب في الطرف الآخر للإضرار به وتدميره فلا يطلعه عليه . نعم ينبغي الالتزام بآداب النقد والنصيحة ورعاية الظرف المناسب لبيانه ضماناً التأثير الإصلاحي وتفادي ردود الفعل السلبية . ففي الحديث عن الإمام الجوادعليه السلام : « مَن نصح أخاه سرّاً فقد زانه ومَن نصحه علانية فقد شانه». إلّا إذا كانت الأخطاء فادحة ومعلنة فالنصيحة العلنية لها موضوعيتها ومبرّراتها ، وإنّ لكل حديث حديث .

النصيحة رقم (٩) :

لو رجعنا إلى جذر القضايا لرأينا أنّ أكثر التصعيدات بين المتنازعين كان في البداية لسوء فهم بينهم لم يبادروا إلى إصلاحه من قبل ، فتراكمت على قلوبهم وتشاحنت نفوسهم عبر الوسائط والحواشي (والنساء إن كانت قضية عائلية) .

لذا فمن الجدير بالعقلاء أن يقضوا علىٰ البذور قبل تجذّرها، ولعل ذلك هو الحكمة من نهي الاسلام عن هَجْر المسلم لأخيه فوق ثلاث، لأن التراجع من بعد ثلاثة أيام يكون صعباً في الغالب وكلما استمرت ايام الهجر والقطيعة استصعب الصلح ، فليس من الحكمة فيمن تُرجىٰ منهم الحكمة أن يعتمدوا هذه الوسائط ويستمرّوا على خطّ القطيعة والنزاع ويورّثوه بعدهم للأقارب والأتباع .

النصيحة رقم (١٠) :

لنتعلّم كيف نعمل مثل أجزاء أبداننا ، فهي رغم استقلالها تعمل لخدمة بعضها بعضاً ، وتسعف بعضها عند الألم والمصيبة النازلة ، ولها ارتباطات وثيقة بحيث لا يستغني جزء عن جزء آخر . أليس «**مثل المؤمنين في توادّهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسهر والحُمّى**».من هنا لاينبغي التفرّج علىٰ آلام (الأخ المخالف) ولا الشماتة به عند الهزيمة. إن المواساة أفضل سبيل لمسح الأكدار النفسية والأدران القلبية .

النصيحة رقم (١١) :

إنّ اختلاف الرأي ضمن الاجتهادات الفقهية أو الفهم لموضوعات الأحكام أمر طبيعي وحقّ مشروع للمراجع والفقهاء في نفس الوقت ،

وذلك نظراً الىٰ مسؤوليتهم الشرعية في تحريك عملية الاجتهاد علىٰ مرّ الأزمنة، ومن نتيجة الحرية الاجتهادية وصول مجتهد الىٰ رأي غير رأي المجتهد الآخر أحياناً وخاصة في الأساليب والموضوعات. والغالب في مجتهدينا أنهم يحترمون بعضهم بعضاً ، إلّا القليل النادر حيث يكاد يتأثّر أحياناً بطبعه الحادّ ومزاجه الخاصّ فتنفلت منه أعصابه تحت ضغط الظروف النفسية أو الصحّية أو العائلية أو تقارير الحاشية ليصرّح بما لا يصرّح به في حالاته الطبيعية[1]. ومع الوعي بهذه الحقيقة سوف نعي أنّه لا قيمة إلهية شرعية لكل الخلافات التسقيطية التي ينفخ فيها المتطرّفون من الأتباع الذين لا تخلو منهم الأوساط الدينية وبيوت المراجع مع الأسف ، والمراجع مثل غيرهم بني البشر ، طاقاتهم محدودة لا يمكنهم السيطرة على محبّيهم المتطرفّين ، فبناءً علىٰ هذا لا يعبّر الأتباع عن رأي وموقف مراجعهم عند تطرّفهم في تسقيط مراجع الآخرين . خاصّة أنّ القناعات عند الأفراد في عصرنا أصبحت تتكوّن ضمن تكتلاتهم الحزبية أو علاقاتهم الأُسرية أو الصداقات التي تربطهم ببعض أو مصالحهم المتداخلة في محيط عملهم أو منطقتهم . وهذه كلّها ليست من مصادر حجّية ما يذهبون إليه من قناعات . لذا لا يصحّ اعتمادها كحكم الله الواقعي القطعي وأنه هو ما يريده رسول الله صلى الله عليه وآله ويرضاه الأئمّة الطاهرون عليهم السلام لا غير . وبناءً عليه فإنّ الورع والتقوى يقتضي أن لا يتعصّب أي شخص لقناعاته وقناعات مرجعه ، فاحتمال الخطأ وارد عند الجميع ، والحكم الواقعي انما

(١) كما قرأتَ أمثلته كثيراً في هذا الكتاب .

يعلمه الله ورسوله ﷺ والأئمّة المعصومون عليهم السلام وخاتمهم المـهدي عليه السلام الذي يأتي بدين جديد ـ كما في رواياتنا ـ حتىٰ ينكر عليه أشباه العلماء ويؤلّبوا الناس ضدّه بدعوى أنّه أتى بالبدعة !!

النصيحة رقم (١٢) :

ليعلم كل ممارس للتسقيط أنّه يأتيه مَن يمارس عليه التسقيط وربما بنفس أدلّته الواهية ومبرّراته السرابية التي اعتمدها فـي تسـقيط غـيره ، (فكما تُدين تُدان) هي سنّة الحياة وقـانونها الذي لا يـمازح أحـداً ولا يجامل . وهذا ما رأيناه كثيراً في زماننا وقرأنـا عـنه فـي التـاريخ ، ألا فاعتبروا ياأُولي الألباب .

النصيحة رقم (١٣) :

الإيثار مبدأ أخلاقي رفيع ، ودعامته الممارسة الطويلة في جهاد النفس وكبح الهوىٰ والمشـتهيات الذاتـية ، إنّ مـن الأهـمية بـمكان فـي حـلّ الخلافات التصادمية أن يتذكّر المتخالفون هذا المبدأ ويُـؤْثِرون بـالشيء الذي في حيازتهم أو يمكن أن يكون في حيازتهم من الاشياء الشخصية ، يُؤْثِرون الآخرين فيها على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) واخـتصاص وتعلّق قلبي ، فالإنسان بالتنازل يكبُر وبالعناد يـصغُر ، وهكـذا لابـدّ أن يتذكّر كل واحد منّا قول الإمام الصادق عليه السلام : « أحبب لأخيك ما تحبّ

لنفسك » بهذا المبدأ يمكن تخفيف الحدّيات لأنّ الإنسان مجبول إلى حبّ من أحسن إليه .

النصيحة رقم (١٤) :

من الجدير بالاهتمام تأسيس مركز خبري يشترك فيه مندوبون من كلّ المراجع لتوثيق الأخبار والمعلومات والأرقام والإحصائيات والتقارير عن التحدّيات والمخاطر الدولية ومكائد الاستكبار ومشاكل الناس ومعاناة الفقراء ، وإيصال ذلك إلى المراجع والفقهاء والعلماء والكفاءات المتصدّية في الساحة ، وذلك لكي يعلموا حجم المأساة أولاً بأول فيقلّلوا من أهميّة الخلافات الفرعية ويحثوا أتباعهم علىٰ ترك الصراعات الجانبية التافهة ، بذلك عسى أن يعتدل لدى الجميع ميزان الأولويات في معترك الحياة ويطبّقوا فقه الأهم والمهم قبل حلول الطامّة الكبرىٰ عليهم وتجرفهم جميعاً .

النصيحة رقم (١٥) :

لابدّ من عدم الردّ المباشر على الذين يرمون بسهام التسقيط ، فإنّ السكوت الممزوج بالعمل الإيجابي والعطاء المستمرّ أكبر ردّ وأقوى ردع. واذا كان لابد منه فليكن الأسلوب وعظياً في البداية ثمّ فضح الأساليب

الوضيعة للتسقيطيين بلا ذكر أسمائهم، وكما يقال (آخر الدواء الكيّ)[1].

ولكن في كل الحالات يجب أن لا تُنسىٰ هذه الآيات ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ... وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[2].

وكان أئمّة أهل البيت عليهم السلام قمم الامتثال لهذه الخصال النبيلة ، فما كانوا يردّون على التسقيطيين (الجهلاء) إلّا بالسلام والإبتسامة والكلمات الرقيقة. وأمّا التسقيطيون (العلماء) فكان ردّ الأئمّة عليهم ردّاً علمياً يتكوّن من البرهان والحكمة والموعظة والنصيحة والحجج الدامغة ، كما ذكر الكثير منها الشيخ الطبرسي قدس سره في كتابه الاحتجاج. واذا بلغوا حدّاً لاتصلحهم الأساليب المذكورة داووهم بما يجعلهم عبرةً للآخرين وهذه مواردها قليلة كما في تاريخهم عليهم السلام

النصيحة رقم (١٦) :

إنّ من الضرورة لتفادي التورّط في حقوق الناس وتحمّل أوزار الأذى

---

(١) كما فعلناه في هذا الكتاب بعد أن وجدنا حال التسقيطيين قد وصل إلى ما وصفه الشاعر :

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له   إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء

فلا نقبل أن نُرمىٰ ونُدهَس ونرى النفاق بأُمّ أعيننا ثمّ نسكت بذريعة المصلحة العامّة! وأية مصلحة بقيت وتبقى مع اللعب على الذّقون؟!

(٢) سورة الفرقان : ٦٣ ـ و٧٢.

الذي يلحق بهم في الممارسات التسقيطية ، أن لا يتسرّع الإنسان في القبول بما يسمع عن الآخرين والاستعجال في اتّخاذ المواقف الردّية . فقد جاء في وصية لأمير المؤمنين عليه السلام : « **إنّي أنهاك من التسرّع في القول والعمل** »[1].

فلا يليق بمسلم يطلب الجنة ويخاف النار أن يتسرّع في إصدار حكم على أخيه المسلم غيابيّاً بالشجب والإدانة والإتّهام قبل اللقاء به والاستماع إلى دفاعه والمبرّرات الشرعية التي تضع للحالات الاستثنائية المستحدثة أحكامها الثانوية .

وكيف يتسرّع الإنسان (المتّقي) في هذه المواقف وهو يقرأ كلمة إمام المتّقين علي عليه السلام : « **لا تظنّن بكلمة خرجتْ مِن أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً** »[2].

وكم يجد الإنسان العاقل نفسه بين يدي الحقيقة ، ويشكر الله على تريّثه في إصدار التقييمات العاجلة والأحكام الكاسحة والفتاوى التسقيطية ، عندما يتأمّل في مسموعاته ويحقّق فيها ريثما تكتمل لديه المعلومات من مصادر متعدّدة وموثوقة ومحايدة . إنّها التوفيق بقوّة الخشية من الله وتقوى القلوب .

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ج١ ص٦ .

(٢) كلمة (٣٦٠) من الكلمات القصار في نهج البلاغة .

النصيحة رقم (١٧) :

إنّ خيبة الآمال في الدراسة والزواج والعجز في طلب المال والخسارة في التجارة وما أشبه تشكّل خلفية نفسية للتسقيطيين غالباً ، فهم حيث يعانون من الضغط النفسي جرّاء هذه النواحي يعوّضونه في تسقيط الآخرين ليتساووا معهم في العجز والفشل وخيبة الأمل . والإسلام عالج هذه العقدة النفسية بتعليمنا على الشكر لله والرضا بالقسمة والقناعة بالرزق ، فهذه الخصال من أهم عوامل الرقيّ المعنوي للإنسان الذي يريد العروج فوق توافه الخلافات والابتعاد عن مجالس القيل والقال والتسقيط والتدافع الفئوي والمؤامرات !

ومن أهمية الشكر والقناعة أنّهما يثمران الحكمة والنضج العقلي والسلوكي لدى الفرد المؤمن الشاكر القانع ، يقول الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[1]. فمن المطلوب إذن لمن يريد معالجة نفسه من مرض التسقيط أو يُبعد عنها سهام التسقيطيين أن يكتسب صفة الرضا بما قسّم الله ، والقناعة بالحلال من الرزق ، والشكر لله على كل النِعَم ، والثقة بما وعد الله الشاكرين في قوله : ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[2].

ونقرأ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام حول أهمية هذه الصفات للتخلّص

---

(١) سورة لقمان / ١٢.

(٢) سورة إبراهيم / ٧.

من مرض التسقيط أو النجاة من سهامه ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضىٰ لو كان غيره » .

ويقول الإمام علي عليه السلام : « إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون » .

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « من عتب الزمان طال معتبته » .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله : « أُعبُد الله في الرضا فإنْ لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير »(١).

وقيل للصادق عليه السلام : مَن أكرم الخَلق على الله ؟ قال : « من إذا أُعطِي شَكَرَ وإذا ابتُلِي صبر »(٢).

ومفتاح الدخول إلى هذه الخصال الإيمانية هو التفكّر فيما أعطاك الله وليس فيما لم يعطك ، وأن تتفكّر في استخدام ما أعطاك في رضاه عزّوجلّ لا في معصيته .

النصيحة رقم (١٨) :

من الجدير أن يعرف العلماء والعاملون في الساحة الإسلامية أنّ مساحة العمل وجغرافية الاحتياجات الميدانية واسعة في الأرض جدّاً، فكلّما هاجروا إلى البلدان وانتشروا بين الناس كلّما وجدوا الحاجة إلى

---

(١) هذه الأحاديث نقلاً عن كتاب ميزان الحكمة : ج٤ ص١٤٢ـ١٤٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج٧١ ص٥٣ .

العلماء والعاملين أكثر إلحاحاً ودعوةً وترحيباً . وعندها يأسف الإنسان التسقيطي على سوء اختياره التدافعي وضيق أُفقه وتفاهة ممارساته في المجتمع الضيّق ضدّ هذا وذاك .

وإذا عرفنا حجم المؤسّسات الاستكبارية والمراكز الإفسادية وتنوّع أساليبها وكثرتها الفعّالة ضدّ الإسلام والمسلمين في أنحاء الأرض لعرفنا هنالك كم نحن في مستنقع الجهل والتخلّف لو واصلنا السير على ألغام الخلافات ورمينا بعضنا بعضاً بسهام التسقيط ولم نتطلّع إلى آفاق الهجرة نحو بقاع الأرض ، أليس الله عزّ وجل يقول واعداً : **﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾**[1]. فلماذا العركة ؟!

النصيحة رقم (١٩) :

أن يتناسى الجميع كلّ ما كان بؤرة للنزاع في السابق ، فمن هذه الساعة فلا يتّهم أحد غيره ولا يجادله ولا يسيء به الظنّ وينشر ضدّه . فالقرار هنا هو قرار الرجال المتطلّعين إلى غد أفضل لهم ولأهليهم وللأجيال من بعدهم، والأهم هو لآخرتهم .

---

(١) النساء ١٠٠.

النصيحة رقم (٢٠) :

أن يستمرّ التزاور بين النـاس وخـاصّةالمـتخالفين دون إثـارة نـقاط الخلاف في اللقاءات ومناقشة الأُمور السياسية الحادّة ، بل يكون التركيز على توثيق العلاقة الاجتماعية الحميمة كهدف أساسي في هذه المرحلة الحسّاسة . وإذا كانت الأرحام فالصلة فيها أعظم مبرّر شرعي وأخلاقي .

النصيحة رقم (٢١) :

أن يفتح مسؤولو المآتم (الوقفية) أبوابها على كلّ من يقف تحت سقف التشيّع لأهل البيت عليهم‌السلام فلا نسمح للدوافع الفـئوية والتـنافس السـلبي الهدّام أن يفتّت جهودنا فليُهيئ المنبر الحسيني لكل من يـتقن الخـطاب والنعي دون النظر الىٰ انتمائه المرجعي .

النصيحة رقم (٢٢) :

أن يعتمد الجميع في تحصيل معلوماته على مصادر مباشرة ، ولا يجعل عقله ودينه وآخرته فريسة التعصّب والدعايات الكاذبة والواسطات التي قد تخطأ في الفهم أو لا تدقّق في النقل .

النصيحة رقم (٢٣) :

لنتعلّم الحضارية في الفكر والسلوك بأن نمارس الانفتاح الفكري المنضبط والقراءة الحرّة في فكر الذين نختلف معهم بحثاً عن الحكمة وهي ضالّة المؤمن أينما وجدها أخذها .

النصيحة رقم (٢٤) :

إنّ المواسم التبليغية مثل شهر محرم الحرام وشهر صفر الخير وموسم الحجّ الأكبر وشهر رمضان المبارك خير وعاء زمني لمراجعة الذات ومحاسبة النفس وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام والتقرّب إلى الله بالعبادة الواعية والاجتماع في مجالس بعضنا البعض ، فلنستثمر أجواء هذه المواسم الروحانية والاجتماعية ولانسمح للترسبات والمعاصي أن تنسف عطاء هذه الأيام المقدسة ويستبدلها الشياطين فينا مرتعاً لهم .

النصيحة رقم (٢٥) :

إنّ الوحدة والتعاون إذا كان مع إخواننا أبناء السنّة واجباً وهو بالفعل كذلك نظراً الىٰ الهجمة الاستعمارية الجديدة علىٰ بلاد المسلمين ـ فإنّه مع الأقربين يكون واجباً مرتين ، مرّة لهذا السبب ومرّة لأنّ الأقربين أوْلى بالمعروف ، بل ومرّات أُخرى لأنّ الله أمر بذلك ولأنّا بالوحدة ندفع الخطر عن جميعنا ، ولأنّ الأمانات للأجيال القادمة لا تُحفَظ إلّا بها . فمن هنا

وجب الاعتقاد بعدم وجود أي بديل للإصلاحات البينية إلّا باجتماع علمائها ومثقّفيها ومن بيدهم وسائل التأثير . فالمطلوب تأسيس مجلس يضمّهم لمداولة الشؤون ذات العلاقة ، ولو كمجالس العوائل والقبائل والقوميات والحكومات وما أشبه .

النصيحة رقم (٢٦) :

إنّ الكفاءات تثبت نفسها على الأرض بجدارتها وإستقامتها ، وإذا كان وأد البنات صفة الجاهلية قبل الإسلام فإنّ وأد الكفاءات جاهلية أُخرى قد حرّمها الإسلام ويحاسب الله عليها يوم القيامة. ولذا يجدر بالكفاءات نفسها أن تدعم بعضها البعض وتقوّي مواقع غيرها، فان هذا الأمر مصداق بارز للتعاون ورصّ الصفوف والحفاظ علىٰ مصالح الجميع .

النصيحة رقم (٢٧) :

بناءً على المبدأ القرآني ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لابدّ من عدم سحب الخطأ الصادر عن شخص على صديق للشخص ، فكيف إذا تصرّف أحد خطأً ما وهو يقلّد أو يؤيّد عالماً من بعيد فمن تصرّف بشيء أو قال كلمة فإنّه يعبّر عن رأيه لا عن رأي صديقه أو من يؤيّده، خاصة في زماننا حيث أصبح كل صاحب رأس صاحب رأي منفرد .

إذن لا يصحّ مقاطعة شخص بسبب موقف شخص آخر من أقربائه أو أصدقائه .

النصيحة رقم (٢٨) :

إنّ من الواجب الشرعي والوطني والحضاري أن نهتمّ بأطفالنا وأبنائنا ليكونوا الأُمناء على الدين والوطن والتـقدّم الحـضاري فـي الحـياة ولا يكونوا أذلّة بأيدي الأجانب من مردة أهل الكتاب وفسقة العرب والعجم . ومن أجل ذلك لابدّ من التنازل عن الذاتيات والقضايا الجزئية وإلّا فمن حقّ الأجيال الآتية أن تحاسبنا على إتلاف مقدّمات عزّها ومجدها .

النصيحة رقم (٢٩) :

ليس في الحياة من لا يخطأ ، فإذا كان الله يغفر لصاحب الخـطيئة إذا تاب إليه توبة نصوحاً فإنّ علينا أن نغفر لمن يخطأ في حقّنا إذا قرّر أن لا يكرّر خطأه ، فلنتعافى كما نريد أن يعفو الله عنّا أو نترك أمره إلى الله يوم اللقاء .

النصيحة رقم (٣٠) :

لو افترضنا تباعداً بين مرجعيْن جليليْن أو عالميْن صالحيْن أو رجليْن خيّريْن ، يجب أن لا نحسب تـباعدهما خـلافاً واخـتلافاً ، بـل يـجب احتسابه أمراً اعتيادياً لأسباب طبيعية أجرتها في الحياة سُنّة التـعدّدية . فلا نحاول تفسير أي ظاهرة من هذا القبيل تفسيراً سلبياً ونزجّها في خانة التسقيط ومن موارده.

سمات البديل الرسالي

استعرضنا في مدخل الفصل الثاني أبرز المفردات اللغوية التي يلغي بها الانسان التسقيطي غيره ، وذكرنا هناك أهم سماته الفكرية والسلوكية وميّزناه عن سلوك النقد البناء والنقاش الموضوعي الهادف خيراً، وهنا قبل ان نخرج من الكتاب يجدر بنا ذكر سماتٍ من الفكر الرسالي والسلوك الأخلاقي المتوازن لنكون قد نصبنا أمام ناظري قرّاءنا الكرام معالم رسالتنا الإصلاحية التي نذرنا لها حياتنا، تلك السمات هي ما يلي :

١ / احترام حرّيات الآخرين .

٢ / القراءة في آراء المنافسين .

٣ / التجرّد عن التصوّرات المسبقة والأحكام الكاسحة .

٤ / اللقاء والتفاهم والبحث عن المشتركات لأجل التعاون البنّاء .

٥ / تجميد الجدل فيما يتعلّق بنقاط الاختلاف العقيم والهدّام .

٦ / نبذ الحالة الاحتكارية للشريعة والتخلّي عن الحالة العصموية والعقلية القِبْلَوية في الدين .

٧ / الإعتراف بحقّ الآخرين في صناعة القرارات الاجتماعية والمشاركة السياسية وخلق التنافس الشريف.

٨ / عدم احتكار المساجد والمراكز والمنابر إذا كانت أوقاف شرعية عامّة وليست لفئة واحدة .

٩ / اعتماد نظام الانتخابات الحرّة في إدارة المؤسّسات الوقـفية ذات النفع العام .

١٠ / اعتماد مبدأ الشورىٰ أو المشورة مع الأطراف العاقلة وإن كانت خارج دائرة العلاقات الخاصة .

١١ / إحياء الأخلاق الإسلامية وتفعيلها مع الجميع رغم كلّ الحواجز .

١٢ / عدم تقديس الشخصيات وتعطيل الموازين الشرعية في معرفتها وتقييمها .

١٣ / الثقة بسُنّة الله القاضية بالدفاع عن الذين آمنوا (حـقّاً) وظـهور الحقيقة وإن طال زمن التعتيم عليهم والتمويه ضدهم .

١٤ / الإخلاص لله والإنصاف مع الناس كلّ الناس .

١٥ / التركيز على حسن العاقبة وأن يكـون التـرجـيح دائـماً وأبـداً للوصول إلى جوار النبي الأكرم والأئمّة الطاهرين في الجنّة .

١٦ / النظر إلى المصالح الكبرىٰ للإسلام والأُمّة وأبناء الجيل الناشئ والقادم .

١٧ / نقد الفكر والسلوك الخاطئ بمنهج عقلاني وأخلاقي شجاع بعيداً عن التشهير وذكر الأسماء .

١٨ / التفكير بصوت رفيع ، نعم للوعي والتطوير ، لا للاستحمار الفكري والقشرية الدينية والسطحية السياسية والغوغائية الثورية وتغشيم الناس .

١٩ / المشاركة الإيجابية في عملية التحديث السياسي بعين علىٰ الواقعيات وأُخرىٰ علىٰ الأصالة وثوابت القيم .

٢٠ / الإعتقاد بأنّ الذي يحاسب الطرف المخطئ من جموع المؤمنين عملياً هو الله تعالىٰ وليس أنا ولا أنت ، ولقد جعل اللّه عزّ وجلّ الآخرة لهذا الغرض ولا شريك له ليفوّض اليه هذه المسؤولية في الدنيا ولا حتّى في الآخرة .

٢١ / تفكيك الأخطاء وعدم تعميم مسؤوليتها على المذنب والبريئ ، إذ لا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرىٰ .

٢٢ / الإيمان بأنّ الحقائق لا تجتمع كلّها عند شخص من غير المعصومين عليهم السلام وبالتالي فهي موزّعة على الجميع كما الأخطاء موزّعة عليهم أيضاً .

٢٣ / تناسي الماضي السيء ومحاولة الإصلاح باستمرار وسعة صدر .

٢٤ / التوقّف عند الخطوط الحمراء ـ كالتكفير والضرب بالأيادي والتورّط في سفك الدماء ـ مهما بلغ الأمر في الخلافات .

٢٥ / واذا كان الانسان التسقيطي مسقوفاً في همه ، مكبّلاً في تحركاته ، لا يتطلّع إلاّ بمقدار ما يؤمّن راحته ومصالحه، ولا يبذل من

أجل التقدم والتطوير والمصلحة العـامة، ولا يـرضىٰ إلاّ بأنـانيته الذاتـية ومقرراته الحزبية الفئوية، فان على الانسان الرسـالي أن يكـون بـعكسه تماماً . لأنّه المؤمن الذي فَقَه كلام النبي ﷺ: **«عُلو الهمّة من الايمان»**. وعَرَفَ الاسلام ديناً سهلاً يسـيراً مـتسامحاً، ورسـالة حـضارية للـرّقي والانتاج الأفضل .

إنّ الرسالي لايرضىٰ بالجمود والتقوقع: **«فـمَن سـاوىٰ يـوماه فـهو مغبون»** ـ كما قاله الامام علي عليه السلام ـ والرسـالي يـلتزم بكـل مـقوّمات النهوض ، بدءاً من نفسه وأهله ، وانتهاءاً بجماعته ومجتمعه ووطنه، لينتزع النجاح الأوسع مـن رحـم التـاريخ وعـمق الحـياة وتشـابك الأحـداث والتعقيدات السياسية .

وإذا انطبـقت علىٰ الانسان التسقيطي الآية القائلة: ﴿ **وكـلّ حـزبٍ بـما لديهم فرحون** ﴾ ترىٰ الانـسان الرسالي منطلقاً الىٰ رحاب الله اللامتناهي فلا يعرف حدّاً للوقوف علىٰ مدارج التـكامل ، لأنـه قد وعـىٰ حـقيـقة الآية القائلة ﴿ **يا أيّـها الانسان إنّـك كـادح الىٰ ربّـك كدحـاً فملاقـيه**﴾ .

من هنا فان سمة التقدّم والنظر الىٰ الأفق الأبعد كان ولا زال من أهم السمات الروحية عند الرسالي المؤمن ، ومن أقوى عوامـل قـفزه عـلىٰ دوافع التسقيط والنجاة من متاهات التسقيطيين الصـبيانية . وهـي سـمة لايعيها الانسان التسقيطي المنكفيء عـلىٰ نـفسه وحـزبه وتـياره، لانـه لايبحث عن كفاءات في خارج دائرته الضيقة ، وهو حـتىٰ اذا اكـتشفها لايستفيد منها، بل يجلس في طريقها مثل حـجر عـثرة ليـعرقل مسـيرة الناس .

وبينما الرسالي منفتح علىٰ كل الكفاءات من كل الأطياف والجماعات ، محاولاً قدر استطاعته الإرتواء منها بموازين القرآن والعـترة لابـغيرها ، تجد التسقيطي يتحرّك من غيرها .

وهكذا فإنّ الإنسان الرسالي المتوازن قد استوعب قلبه الكبير المفعم بالحبّ للخير كلمة أمير المؤمنين علي عليه‌السلام ولازمها فـي سـلوكه وراقب نفسه كي لا ينقطع عنها أبداً ، تلك هي قوله العظيم : « **الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم ، والعلم كلّه جهل إلّا ما عُمِل به ، والعمل كلّه رياء إلّا ما أُخلص فيه ، والإخلاص في خطر ، فلينظر المرء بماذا يُختَم له** ».

وأخيراً.. من أجل رتق الفتق

ثبت مما ذكرنا بما لامجال للشك فيه أبداً بأنّ التسقيط معصية كبيرة وظاهرة خطيرة ، وأنّه إلغاء لأسمىٰ أخلاقيات إسلامية ، مثل : « **إحمل فعل أخيك على سبعين محمل خير** » و « **لا تحبّ لأخيك ما تكرهه لنفسك** » و «**تعافوا تسقط الضغائن بينكم** » وإلغاء لمبادئ التسامح والتغاضي والتسامي على سفاسف الحياة ، وإلغاء لقيم الحلم والصبر ونبذ الهجر والقطيعة ، وإلغاء لكلّ الأهداف التي قصدها الإسلام وجسّدها قادته الكرام، وإلغاء لوجودنا كأمة يريد أعداؤها إلغاءها جملةً وتفصيلاً .

فعلىٰ كل مسلم يشعر بثقل المسؤولية أمام الله والأُمّة والتاريخ أن ينتبه لهذه الحقيقة وينتصر للعقل والحكمة وللأخلاق الفاضلة والمحاسن الباقية، وأن يفعّل قيمها ومبادءها في نفسه وعائلته ومحيطه الاجتماعي والسياسي والتجاري والوظيفي بشكل يرضاه الله عزّوجلّ ويقرّ عينه بأجره يوم يأتيه فرداً وكتابه بين يديه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ، إنّه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم ، قد مهّد به ليوم فقره إلى الله الحقّ المبين .

ففي الحديث أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : «**أعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء**» فقام إليه عبدالله ابن الكوّاء فقال : ياأمير المؤمنين أو تكون

ذنوب تعجّل الفناء ؟ فقال : «نعم . ويلك !» قطيعة الرحم . إنّ أهل بيت يجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإنّ أهل بيت ليتفرّقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء ».

هلّا سئلنا أنفسنا بصراحة الشجعان: من أين ولماذا وكيف تسامىٰ الغربيون الى مستوىٰ حوار الأودّاء بين الضدّين وفي القضايا الكبرىٰ، ونحن لا نستطيع اللقاء ولا الحوار في أبسط القضايا؟!(١)

لنقرأ مثلاً تنافس (بوش و كيري) على منصب رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأميركية فلقد بلغت شدة التنافس بينهما الى حدّ الظهور العلني أمام الجمهور الاميركي وشعوب العالم للمناظرة كي يختار الناس أحدهما بحريّةٍ وقناعة بعد الاستماع المباشر لآرائهما ومشاريعهما. وهما في أثناء الحوار والمناظرة يحترمان بعضهما ويتصافحان ويتعانقان رغم التنافس الشديد ورغم إصطكاك المواقف وتبادل التهم وتسفيه الآخر، ثم مع الإعلان عن نتائج الإنتخابات وفوز (بوش)، ترىٰ يبرق المهزوم (كيري) ببرقية تهنئة للرئيس (بوش) ويتمنىٰ له النجاح.

لماذا استطاع هؤلاء وأمثالهم في الغرب وعلىٰ أصعدةٍ مختلفة من الشؤون المصيرية لشعوبهم أن يصلوا إلى هذه الأخلاقيّات الحضارية لا في القول فحسب بل على صعيد الممارسة أيضاً. ونحن لازلنا لم

---

(١) منذ أربع سنوات فقط ـ ما عدا قبلها ـ أنادي بهذا المبدأ في البحرين وليس هناك من يستجيب للحوار.

نبلور أبجديّات هذه الأخلاقيّات المليئة في تراثنا الإسلامي، وترانا إذا ما نشب خلاف بيننا في الرأي أو تنافس في شيء من المشاريع البسيطة غدونا لا ننظر الى وجوه بعضنا بعضاً واختزنّا ضد بعضنا الحقد والعداوة؟!

إنّ هذه المقارنة تكفينا لنقد ما نحن عليه من نفسياتٍ غير حضاريّة في حين قد حثّ الإسلام على تلك الأخلاقيات ومارسها قادته الصالحون قبل أن يمارسه الغربيّون ويُظهِر أنفسهم أمام العالم حضاريّين إنسانيّين عقلانيّين، ويؤثر بذلك على الشعوب رغم جرائمهم الإستكباريّة الواضحة في حقّها؟!

فأين سعة الصدر التي قال عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّها آلة الرئاسة والتي بها يمتصّ القائد ومن على مسؤوليات قياديّة في أيّة مساحة نقمة الرأي الآخر؟!

أين يكمن السبب في هذا التفاوت بيننا وبين أعدائنا؟

إن السبب يكمن في ترك الإسلام وأخلاقيّاته العظيمة، وأخذ الأعداء لها في مآربهم الخاصة. فبينما أصبح الإسلام لهم وسيلة لها فقد أصبح تركنا له وسيلة لتأخّرنا وتخلّفنا وذلّتنا.

إنّنا بعد هذه المكاشفات التي لم نجد لها أذناً صاغية قبل نشرها ـ وهي نزر من مخزون هائل ـ نودّ التركيز على هذه الأخلاقيّة الإسلامية التي هي سنّة إلٰهيّة في الحياة كما ذكرناها عن الإمام علي عليه السلام آنفاً: «**إنّ أهل بيت يجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإنّ أهل بيت**

ليتفرّقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء».

أجل ، إنّ الأتقياء لن ينجحوا بالرزق والسعة والعادة والهناء نجاحاً حقيقيّاً وعلىٰ المستوىٰ المطلوب إن كانوا بينهم متفرّقين ومقاطعين لبعضهم، والعكس صحيح أيضاً كما دلّ عليه الحديث.

فهل بقي ما يمنع أبناء الدين الواحد وأتباع المذهب الواحد وعقلاء الجماعة الواحدة وحتى العائلة الواحدة ما يمنعهم من التصافي والتعافي ونبذ سلوكيات التسقيط والتعالي؟!

ليس هناك ما يمنعهم لو قرّروا بنفوسهم الكبيرة أن لا يمنعهم شيءٌ.

فليسقي كل واحد منا قلبه شوق اللقاء بأخيه في الدين أو نظيره في الخلق وليكن لسان حالنا جميعاً ما قاله الشاعر المحبّ:

أأحبابنا كم تجرحون بِهَجْرِكم ... فؤاداً يبيت الدهر بالهمّ مُكْمَدا

إذا رُمتُم قتلي وأنتم أحبّتي ... فماذا الذي أخشىٰ إذا كنتُم عِدا

تعالوا بنا نطوي الحديث الذي جرىٰ

فلا يسمع الواشي بذاك ولا أرىٰ

تعالوا بنا حتّى نعود إلى الرضا

وحتّى كأنّ الودّ لم يتغيّرا

مِن اليوم تأريخ المودّة بيننا

عفىٰ الله عن ذاك العتابُ الذي جرىٰ

وقــد طــال شــرحُ القــيل والقــال بــيننا

ومـــا طـــال ذاك الشـــرح إلّا لِـيَقْصرا

مـــتى تـــجمع الأيّـــام بـــيني وبـــينكم

ويـــصفو لنـــا مـــن عـــيشنا مـــا تكـــدّرا

خاتمة : همسة إلى روح الحبيب

● رحمك الله ياأبا رضا (سيدنا الشيرازي الكبير) أيّها الراحل عنّا بجسمه ، والماثل فينا بروحه وفكره وأخلاقه وأدبه وعلمه وكتبه .

لازلتَ حيّاً ، ولا زلنا نراك شامخاً أمامنا بعلوّ روحك، وبنبل أخلاقك، وبمدرستك الرسالية ومسيرتك الخالدة . وهل يموت مَن أحيا بحياته قِيَماً أماتها دعاتها أحياناً، وهم لا يشعرون؟!

● سيّدي في خصوص ما أنا بصدده، لا أدري درجة وفائي لك ، ولكنّي حاولتُ الموضوعية الجريئة حتّى لو (زعل) بعض أحبّتك وبعض مناوئيك ، المهمّ أنّي حاولت لله وفي الله وإلى الله حسب فهمي والمعذرة الىٰ الله حسب أملي.

● أيّها الشيرازي محمّد : لقد تعقّدتْ خيوط الفتن من بعدك ولكنّها الفَرَج قريب إن شاء الله ، وذلك على يد الموعود الذي يُسقِط التسقيطيين الحقيقيين ولن يخطأ سهمُه فيهم . وأمّا أنت يانائب الإمام فلا أنسىٰ موقفك يوم جاءك الىٰ الكويت مَن يحمل وثيقة تاريخية لتُدينَ بها مَن أسقطك وشكّك الناس فيك ، جاءك مستبشراً لينشرها ضدّ مَن نشر ضدّك،

فأخذتَها من يده بلطف ومزّقتَها، فعَبَسَ وتولّىٰ، فأدركَته لدىٰ الباب وقلتَ له بل للتاريخ كلّه : إذا دار الأمر يا عزيزي بين سقوط مرجع واحد أو سقوط مرجعين ، فليسقط أحدهما وليعلو الآخر خدمةً للإسلام والمذهب، فان الناس بلا مرجعية يضيعون مهما كانت النواقص. ثم أضفتَ له : إذن لا تردّوا عليهم بالمثل ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

أقول: فهل ثمة مَن يدرك عمقك هذا، وأُفقك البعيد أيّها المرجع المظلوم؟!!

● سيّدي وكنتُ حاضراً يوم سألتَ زائرك القادم من دولة خليجية : هل تصلّي الجماعة في بلدك ؟

فقال : لا ، لأنّ إمام الجماعة في منطقتنا ممّن يغتابك ويسيء إليك ويعمل لتسقيطك من أعين الناس. فهل تبقىٰ له عدالة لأقتدي به؟!

فقلتَ له : هذا لا يكفي سبباً لعدم إقتدائك به في الصلاة ، لأنّي قد عفوتُ عنه وعن أمثاله . ولكن إنصحه بلطف دون عنف .

● وسألتُك عن رأيك في الذي تكلّم عن الزهراء المضطهدة الشهيدة عليها السلام فهل توافق أُسلوب الهجوم عليه وتسقيطه ؟

فقلتَ لي : الأفضل هو الكتابة في جانب الإثبات وأن يكون الجواب النقضي خالياً عن التشهير والتسقيط الشخصي ، فما قمنا به في كتابنا (من

فقه الزهراء عليها السلام) مثلاً من دون التسمية والتعريض بأحـد هـو الأُسـلوب الأمثل في ردّ الشبهات .

● وفي ذات القضية وصلتك ـ سيّدي ـ استفتاءات عديدة لتكتب عن موقفك في التنديد بفلان، كما كتب بعض المراجع والعلماء أو وقّعوا فـي رسالة ضدّه ، فلم تُجب عليها بكلمة تسقيطية واحدة ، ولم تغيّر أُسلوبك إلى أُسلوب الهجوم على الشخص وتسقيطه أبداً ، لا لأنّك كنت بـنفسك كنت ضحية هذا الأُسلوب غير الحضاري فحسب، بل إيماناً منك بالموقف التأسيسي الإيجابي دائماً .. لا لحـرب الأشـخاص ، نـعم لحـرّية الرأي وهدفية النقاش ونقد الفكر بالفكر.

● وفي مرّة من المرّات دخلتُ عليك ياسيّدي وأردتُ أن أفصح عمّا في قلبي من ألم وأسف ، كنت أُريد أن أقول لماذا تُطبَع الرسائل العملية في الفقه والأحكام الشرعية مع تعليقات أكثر المراجع وبـعضهم مـغمور ليس له مقلّدون كثيرون ولكن دون أن يكون إسمك وآراؤك الفقهية فـي القائمة ولك ملايين المقلدين في أنحاء العالم وموسوعة فقهية استدلالية في (١٦٠) مجلّداً ؟!

ولماذا يُسقطك بعض مرشدي الحجّ فـلا يـذكر آراءك لمـقلّديك فـي حملات الحجّ وقوافل الحجّاج ويذكر آراء غيرك من المراجع الذين ليس

لهم مقلّدون بين الحجّاج الحاضرين في المجلس ؟!

لماذا هذا الظلم وعلى مَن ياتُرىٰ ؟!

ما هذه الضغينة ومِن طرف أي أناس ؟!

إنّهم أناس يشبهوننا في كلّ شيء سوىٰ (الشحناء) ؟!

فما أن أردت الإفصاح عن هذا الألم الشجيّ يا سيّدي حتّى بادرتَني بالقول وكأنّك تقرأ ما في قلبي : علينا أن نحترم الجميع ونتّحد في وجه الاستكبار والاستعمار الأجنبي ولا تنس خمسة أُمور دائماً أن تعمل بها وتدعو الناس اليها: (التقوى) و (حُسن الأخلاق) و (فنّ الخطابة) و (قوّة الكتابة) و(خدمة الناس والفقراء) .

● وذكر لي ثقة، أنك سيّدي يوم وصلت إلى مدينة قم المقدّسة بعد انتصار الثورة الإسلامية زارك العديد من المراجع الكبار وأساتذة الحوزة إلّا مجموعة من المدرّسين المتأثّرين بسموم الشائعات ضدّك ، فاتّصلت بهم شخصياً تطلب منهم موعداً لتقوم إلى زيارتهم بنفسك رغم أنّ الأخلاق الإسلامية تؤكّد أنّ (للقادم حق الزيارة) ولكن تواضعك ياسيّدي جعلك هكذا تعلو على مناوئيك ، فكان ردّ فعلهم بارداً لما اتصلت بهم وأحياناً مهيناً ، وأعدتَ بهم اتّصالاتك مراراً حتّى زرتَهم وهم كارهون ، ولمّا رأوك بهذه العظمة الأخلاقية ذابت فيهم حواجز الأوهام وباتوا من أشدّ محبّيك في الحوزة .

● أيها المرجع المظلوم، وبالأمس حكى لي أحد العلماء الثقات أنّه في مجلس مكتضٍ بالعلماء إلتقىٰ بمجتهد معروف في طهران ـ وهو من أُسرة جدّك المجدّد الشيرازي الأوّل ـ فسمعه يثني عليك بكلمات لم يسبق لهم قد سمعوها منه قبل ذلك. وكان ممّا قاله أنّ السيّد الشيرازي مضى مظلوماً بسبب الأجواء المختلقة ضدّه حتّى تصوّر فيه كثير من العلماء أُموراً اكتشفوا كذبها بعد رحيله . ثمّ قال بتألّم إنّنا خسرنا مرجعاً أعظم من العلّامة المجلسي ، فلو لم يكن قد كتب الشيرازي إلّا موسوعته الفقهية ذات (١٦٠) مجلّداً والتي حصلتُ عليها مؤخّراً ولأول مرة أعرف عنها، لكان جديراً بكلّ المدح والثناء ، فكيف به وهو صاحب أكثر من الف ومئتي كتابٍ وكتيّب ، مخلِّفاً وراءه مشاريع ومقلّدين لم نكن نعلم به لشدّة الدعايات المغرضة ضدّه، وهكذا كان يتأوّه هذا المجتهد للظلم الذي وقع عليك ياسيّدي وهو يظهر ندمه للحاضرين على قطيعته لك طوال تلك السنين[١].

● والكلام يجرّ الكلام ياسيّدي أيها الشيرازي الإمام.. لقد ذكرتُ لك يوماً أنّي سافرتُ في سنة (١٩٨٣م) الىٰ كينيا (جنوب شرق افريقيا) برفقة

---

(١) بالمناسبة التقيت في الدنمارك سنة (١٩٩٢م) بشخصية مرموقة في وزارة الخارجية الايرانية قال لي إنّه سفير متجوّل للجمهورية في أنحاء الدول الأوربية وغيرها فلمّا أُشاهد التقارير عن الشيعة في تلك الدول أجد أنّ الأكثرية في التقليد ترجع إلى مرجعين كبيرين هما السيّد علي السيستاني والسيّد محمّد الشيرازي .

صديقي العزيز الشيخ (عبد الرحمٰن) وكانت ثمرة شهر رمضان المبارك ـ واسبوع قبله واسبوع بعده ـ أنّ الناس (شيعة وسنّة) وخاصة في مدينة (مومباسا) أحبّونا كثيراً، فاتفقنا مع وجهائهم أن يدعموا مشروع تأسيس مدرسة دينية لتربية الجيل الناشيء. رجعتُ الىٰ ايران للتشاور مع سماحتكم وسماحة المرجع السيد محمّد تقي المدرّسي، فتمّ الاتفاق لإرسال زميلي لإدارة المشروع، ومن نجاحه أنّه فتح فرعاً للمدرسة في (تنزانيا) وفرعاً ثالثاً في (مدغشقر) وكان مئات الطلبة والطالبات في هذه البلدان يدرسون الدين ويتعلمون الاسلام . وبعد بضع سنوات سمعتُ أنّ المدارس أُغلقت بسبب قطع الامداد المالي من الوجهاء التجّار، فتفرّق الطلبة والطالبات بقلوب حزينة ومنكسرة. وكان السبب في هذه الجريمة هو قيام أشخاص (تسقيطيين) بالكلام مع المموّلين بأن هؤلاء (شيرازيون) وأن السيد الخوئي لم يعترف باجتهاد الشيرازي فلايجوز دعمهم !!!

ولقد قلت لبعض الحمقىٰ من أمثال أُولئك بأنّ السيد الخوئي ﵀ لم يقل بعدم إجتهاد السيّد الشيرازي وإنّما نفىٰ دراستك عنده. وما اكثر المجتهدين الذين لم يدرسوا عنده .

وحتىٰ لو قال ذلك فان كلامه ليس وحياً مُنزلاً ولا قائله بمعصوم عن الخطأ . ثم لو افترضنا لم تكن أيها السيد الجليل مجتهداً في زمن التصريح ـ قبل أربعين سنة تقريباً ـ فهل لم تبلغ الاجتهاد خلال هذه المدّة ؟! وقد بلغه شبابٌ ـ كما يدّعون ـ في الحوزة وهم أقلّ علميّة من أولادك ! كيف

يركب هؤلاء عقول البسطاء بلغة المغالطة والدهاء ؟!

وقلتُ لأُولئك (الأمثال) إنّ الاجتهاد يثبته الكفوء بجدارته في الحوزة وبطلّابه ومؤلفاته ودروسه ومشاريعه، وليس بحاجة لإثباته الىٰ تقديم الامتحان عند أحد أو شهادة خطّية من أحد. فهل الإمام الخميني وكثيرون أمثاله بدؤا من الامتحان والشهادة الخطّية . علماً أنك قد تتلمذتَ علىٰ يد والدك المجتهد المرجع الورع الميرزا مهدي الشيرازي (أعلىٰ الله مقامه) الذي أجازك بالاجتهاد كتبيّاً.

وقلتُ في أُولئك (الأمثال) لماذا الزوبعة ياأهل الفتنة والىٰ أين تذهبون بالشيعة .... .

أجل ياسيدي أذكر حينما نقلتُ لك موجزاً من هذه الواقعة الأليمة في تعطيل المدارس الثلاثة في كينيا وتنزانيا ومدغشقر قُلتَ لي إستمرّوا في العمل لله ولاتتعبوا ، فانّ ما لله ينمو وما يخرّبه الجهلاء يبنيه العقلاء بصبرهم الذي لن ينتهي. ابحثوا عن اهل الخير فانهم كذلك لن ينتهوا.

● سيّدي (رحمك الله) ذات مرّة زرتُكَ مع زائر (من البحرين) كان مشحوناً ضدّك ، ولكني لم أقل له نحن في محضر الشيرازي ، فأُعجب بشخصيتك وكلماتك وابتساماتك إعجاباً مدهشاً ، ولمّا خرجتُ معه إلى زيارة حرم السيّدة المعصومة عليها السلام سألني في الطريق مَن كان هذا السيّد النوراني الجليل؟ إنّه عالم يدخل في القلب ! ألا تذكر لي اسمه!

قلت : هو الذي شحنك ضدّه الجاهلون . هو السيّد محمّد الشيرازي.

فقال الرجل بصوت رفيع : آه .. آه ممّا كنت أقترف ضدّه من الغيبة والتهمة . فأراد أن يعود إليك ليعتذر من ساحتك وسماحتك. فقلتُ له إنّه يقبل الاعتذار دون حضورك والآن فقد اقترب وقت الأذان، تعال إلى التوبة والاستغفار في الحرم.

وأضفت له : هل عرفتَ الآن وجه التشابه بين التسقيطيين المعادين لهذا السيد المظلوم وبين المتعصبين من أبناء السنّة الذين يحملون تصورات باطلة ضد اخوانهم الشيعة وهم لم يقرؤا كتبهم أو يلتقوا بهم ليعرفوا الحقيقة؟! هذه مشكلتنا.

● مولاي أيّها الإمام يا أبا رضا.. إسمح لي بهمسة داخلية موجعة وعتاب لا أدري الىٰ أين ينتهي معي.. سيّدي إن مرض التسقيط الذي لاحقك الىٰ قبرك وانت جنازة، فقد سرىٰ الى شريحةٍ من تيّارك ضد الأقربين مع الأسف! وإذا بنفس الشريط وذات المنطق يتكلم به هؤلاء.. يا سبحان الله !

أرجو منك الدعاء لشفائهم وأنت عند مليك مقتدر، فبالدعاء ان شاء الله يهتدون، أما فكرك ونصائحك ونهجك الوحدوي ودعواتك إلى احترام التعدّديات فلم يُؤثِر في هذه الشريحة، ما عدا اسمك الذي يفتخرون به، فوا أسفاه على القشرية المتسلّلة، ويا سوأتاه من واقعنا المتكرِّر، ويا

خجلتاه من روحك الشاهدة. ما لنا كلّما أردنا النهوض كَبَوْنا ؟!

● سيّدي ، كم أنت كبير بعقلك وإيمانك وطموحك وأخلاقك وتواضعك واستقامتك وأهدافك ، وكم يكون صغيراً مَن يراك بهذا الوضوح والإشراق ولكن لا يتأمّل في شموخك ليعود إلى الرشد ويتوب إلى الله فيك . وكم هو عجيب أولئك المعممون الذين أحبّوكَ ثم أرهبتْهم الحرب النفسية للتسقيطيين ضدّك فهجروك جُبناً أو هجروك للمصالح المادية. ولكنّي هيهات والهجران فيك.

● سيّدي أبكي عليك بقلبٍ عَشِقَ المظلومين ، ولن أنساك طول حياتي يامثال الصابرين . وكيف ينساك من يستحضر هذه المقطوعة من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام : «**اللهمّ إنّي أعتذر إليك من مظلوم ظُلِمَ بحضرتي فلم أنصره** » . وهو يعاني ممّا عانيت سيّدي! مع فارق أنك لم تردّ عليهم وأنا ما تحمّلتُ السكوت طويلاً! لذا أعتذر من صبرك أني لم أقلِّدك فيه!

● أجل .. فقد رحلتَ عنّا بجسمك وارتحتَ واسترحتَ ، وهيهات أن يرحل عنّا مثلك بروحه الباقية وذكراه الخالدة وعطائه المستمر..

ياشمعةً احترقتْ بألم شديد لا يُطاق حتّى تضيء الدرب للآخرين..

وياجبلاً شامخاً قال للتاريخ وللمؤمنين: إصبروا صبراً جميلاً، فلا لليأس، ولا للحيرة ، نعم للمتوكّلين.

● وهيهات أن نرحل عنك أيّها الراحل العظيم ، وهيهات أن ترحل عنا أيها المسافر الكريم..

إنّك ياسيّدي أيّها الشيرازي دواء لكل داء إذا عرفك المرضىٰ!

إنّك ياسيّدي روح يسمو بك الموتىٰ إذا عثروا عليك!

إنّك ياسيّدي مع الخالدين فكيف يخسرك أهل التقوى واليقين؟!

هيهات، ثمّ هيهات ذلك أن يكون.

● وفي الوداع ياصاحب الحضور الواسع ويا أيتها النفس المطمئنة، الراجعة الىٰ ربّها راضية مرضية ـ إن شاء الله ـ أُقسِم عليك بنفسِكَ الملائكية أن تنظر إلينا من جنّة ربّك، فإنّا علىٰ أجنحة الملائكة فقط نستطيع الاستقامة علىٰ فقهك الشمولي الصاعد، وفكرك الرسالي الواعد، ونهجك الأخلاقي الرائد، وولائياتك المتميّزة لآل محمد أنوار كلّ شاهد .

وصدق الله تعالىٰ حيث قال : **﴿فأمّا الزَبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأما ما ينفَعُ الناس فيمكث في الأرض﴾**.

(اللهمّ ارفَعْ درجاته في الجنّة ، وارزقنا توفيق الاقتداء به في زهده

وأخلاقه وصبره وشموليته الرسالية ، وجنّبِ الطيِّبين معصية التسقيط وقتل كفاءات الأُمّة ، واغفِرْ لمَن استغفر وتاب وأصلح ، اللهمّ اعْطِنا صدراً واسعاً نحتضن به الصديق لنحميه ، والبغيض لنهديه . إنّك يـاربّنا كـريمٌ حـليم وبالمؤمنين رؤوف رحيم، بجاه النبي محمّد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين والحمد لله ربّ العالمين).

بيان الذكرى (١)

ذكرنا فهمنا لخلفيّة العملية التسقيطية الطويلة ضدّ المرجع الراحل السيّد محمّد الشيرازي ، وحاولنا الغوص في الأسباب الحقيقية قدر الإمكـان ، ولكن لم نكتفِ بذلك عرضاً وتحليلاً بل كما هو منحانا التربوي الهادف نريد الحلّ والعلاج ، ولذلك نُمزج غالباً مع طرح المشكلة بيان النصيحة والموعظة كما تقرؤه أخي العزيز في البيان التالي أيضاً الذي أصدرته في ذكرى رحيل الفقيد العظيم . وإليك نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع المؤمنين ، والذين أُوتوا العلم درجات علّيين ، ثمّ الصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وآله الهداة الميامين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد :

حينما تلتقي كاتباً ينصح الشباب بما سطّره في كتابه إلى الخير والصلاح ، تقول له أحسنت .

---

(١) بيان أصدرناه في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الامام الشيرازي (قدس سرّه) .

وحينما تلتقي مرشداً للناس يدعوهم إلى التعاون البنّاء ونبذ التصادم والنزاع ، تقول له أحسنت .

وحينما تلتقي مؤسّساً أو مشجّعاً للمشاريع الخيرية كالمساجد والحسينيات والمراكز والمستشفيات والمدارس والحوزات ، تقول له أحسنت .

وحينما تلتقي مصلحاً سياسياً يذهب إلى الحكّام والوزراء ليبيّن لهم المفاهيم الإسلامية في مجالهم ويذكّرهم بحقوق الناس المستضعفين ، تقول له أحسنت .

وحينما تلتقي مدرّساً للعلوم الدينية أو فقيهاً يربّي الفقهاء والعلماء والخطباء ، تقول له أحسنت .

وحينما تلتقي مجاهداً يقارع الظلم بحكمة اللّاعنف وتوعية المظلومين، تقول له أحسنت .

وحينما تلتقي مرجعاً دينياً كبيراً قضى عمره لإعلاء كلمة الله في الأرض ، تقول له أحسنت .

ولكن الإمام الشيرازي الراحل الذي جمع كلّ ذلك في شخصيته الرسالية الفذّة ، قليل من العباد قالوا له أحسنت !!

وكثير منهم ياليتهم إن لم يقولوا ذلك سكتوا عمّا قالوه !!

فأين الإشكال في هذا الظلم الكبير ؟

إنّه يكمن في تخلّف الأُمّة ، بما فيها بعض الجهات (العلمائية) تلك المثقلة بالترسّبات التي صرف المجدّد الشيرازي الراحل عمره المبارك في سبيل إزالتها فعاندته عناداً غريباً ، وكذلك كان الدهر يعاند الأنبياء والأوصياء والمراجع العظماء والمصلحين حيث كان (الدهر) لا يقبل التغيير والتطوير والتجديد . ولكنّ الله أبى إلّا أن يرفع الذين آمنوا من الناس بكلّ بصائر الإيمان، والذين أُوتوا العلم درجات ، وهيهات أن يسقط من رفعه الله عزّوجلّ .

إنّنا في عالم التكتلات التعصّبية وإن اصطبغ بعضها بصبغة الدين فإنّ الله يمتحن الجميع فيها لكي يحضرهم إلى عالَم الحقائق والسرائر ، فينبؤهم بما كانوا يختلفون . ولكن قبل ذلك ليس من الحكمة أن يتهاون المؤمنون في ما يحيطهم من امتحانات قد يأتون إلى نتائجها نادمين .

والغريب جدّاً إنّ ما اعتمده الذين هضموا الإمام الشيرازي الراحل حقّه وأسرفوا في ذلك متجاوزين كلّ الحدود الشرعية والأخلاقية ، لم يكن خاضعاً للموازين العلمية والأدلّة الشرعية ، بل كان المعتمد عندهم هو وكالة أنباء (سمعت يقولون) . وهذه من مصائب التخلّف في الأُمّة المحاطة بالأعداء والمخترقة بالعملاء .

ولكي يسمو الجميع إلى مستوى المسؤولية المصيرية فإنّ على المصلحين من كلّ الجماعات أن يعالجوا ما أفسده (الذين لا يعلمون) ولأجل هذا ونحن في ذكرى السنوية الأُولى لرحيل المرجع الشيرازي المظلوم (طاب ثراه) نقترح ما يلي :

أوّلاً : اتّخاذ قرار حاسم بالترفّع عن الماضي وإغلاق ما كـان حـصل وعلى كلّ المستويات .

ثانياً : تبادل الزيارات واللقاءات بين الأطراف كلّها من أجـل تـوثيق العلاقة والمحبّة والمعرفة .

ثالثاً : الاهتمام بالقضايا الكـبيرة فـي الحـياة والتـفكير فـي المـصير المشترك للجميع ، سيّما في ظرف التحدّيات الدوليـة فـي المـنطقة ومـا يحصل في فلسطين الدامية وما تعانيه الناس من مشاكل كبّلت حـياتهم ونسفت راحتهم .

رابعاً : عدم التهجّم على أي مرجع من مراجع الأُمّة ، مع التشجيع على النقد البنّاء لهم في حدوده الأخلاقية والعلمية لمزيد من الإصلاح والتطوير وممارسة الاجتهاد الحرّ واستمرار نـضارة المـذهب الحـقّ فـي العـصور اللاحقة .

خامساً : أخذ المعلومات والأخبار من مصادر موثّقة ومباشرة ، وعدم التسرّع في الحكم والتقييم حول الآخرين .

سادساً : التأكيد على أنّ أتباع أي مرجع وعالم لا يـمثّلون آراء ذلك المرجع والعالم في كلّ شيء ، فلا نكون كما يتصوّره بعض الأجانب في المسلمين بأنّهم ما يرتكبونه من أخطاء وجرائم فإنّه ممّا يأمرهم الإسلام .

سابعاً : رفع الحصار عمّا يتّصل بالإمام الشيرازي ومؤلّفاته ومؤسّساته ومتخرّجي مدرسته الإسلامية . وكذلك على منتسبي الإمام الشيرازي أن

ينفتحوا على غيرهم كما كان يدعو إليه الإمام الشيرازي نفسه .

ثامناً : لابدّ أن يتعلّم كلّ المتطلّعين لغد أفضل أنّ الطريق إليه يمرّ عبر احترام الرأي الآخر ، والتزام الأخلاق والأدب ، وممارسة ثقافة التعايش السلمي بكلّ أبعاد السلم والرفق واللين . وكذلك من يرغب في هداية غيره وإقناعه بما لديه من فكر لابدّ له من هذه الوسائل التي سلكها نبيّنا الأكرم محمّد ﷺ والأئمّة من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام وأصحابهم الصالحين ومراجعنا الكرام وعلمائنا الأفاضل في العصور الممتدّة إلينا .

آملين أن يتغمّد الله تعالى فقيدنا الراحل بواسع رحمته ونتعلّم منه دروس المسيرة الرسالية الصحيحة القائمة على قواعد العلم والتقوى والأخلاق والحرّية والتعدّدية والشورى والأُخوّة والوحدة . بجاه سيّدنا محمّد وعترته الزكية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبدالعظيم المهتدي البحراني

البحرين / ٥ شوال ١٤٢٣هـ

مسك الختام

مكارم الأخلاق .. أولاً وأخيراً [(١)]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيْمِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَبَلِّغْ بِإِيمانِي اَكْمَلَ اَلأَيمانِ ، وَاَجْعَلْ يَقِيني اَفْضَلَ اَلْيَقينِ ، وَاَنْتَهِ بِنيَّتي اِلىٰ اَحْسَنِ اَلنِّيّاٰتِ ، وَبِعَمَلي اِلىٰ اَحْسَنِ اَلأَعْمالِ . اَللّٰهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي ، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يَقيني ، وَاَسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ ما فَسَدَ مِنّي . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَاَكْفِني ما يَشْغَلُني اَلاهْتِمامُ بِهِ ، وَاَسْتَعْمِلْني بما تَسْئَلُني غَداً عَنْهُ ، وَاَسْتَفْرِغْ اَيّامِي فِيما خَلَقْتَني لَهُ ، وَاَغْنِني وَاَوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ ، وَلا تَفْتِنّي بِالنَّظَرِ ، وَاَعِزَّني وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالْكِبْرِ ، وَعَبِّدْني لَكَ وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بالْعُجْبِ وأجْرِ للناس علىٰ يديَ الخيرَ ، ولاتَمْحَقْهُ بالمنّ ، وهَبْ لي معالي الأخلاق ، وَاَعْصِمْني منَ اَلْفَخْرِ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تَرْفَعْني في اَلنّاسِ دَرَجَةً اِلاّ حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَها ، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً اِلاّ اَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِها . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ

---

(١) من أدعية الامام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية .

مُحَمَّدٍ ، وَمَتِّعْني بِهُدىً صالِحٍ لا اَسْتَبْدِلُ بِهِ ، وَطَريقَةِ حَقٍّ لا اَزيغُ عَنْها ، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا اَشُكُّ فِيها ، وَعَمِّرْني ما كانَ عُمْري بِذْلَةً في طاعَتِك ، فَاذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطانِ فَاقْبِضْني اِلَيْكَ قَبْلَ اَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ اِلَيَّ ، اَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ . اَللّٰهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعابُ مِنيِّ اِلاّ اَصْلَحْتَها ، وَلا عائِبَةً اُؤَنَّبُ بِها اِلاّ حَسَّنْتَها ، وَلا اُكْرُومَةً فِيَّ ناقِصَةً اِلاّ اَتْمَمْتَها. اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَاَبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ اَهْلِ ٱلشَّنَأنِ ٱلْـمَحَبَّةَ ، وَمِنْ حَسَدِ اَهْلِ ٱلْبَغْيِ ٱلمَوَدَّةَ ، وَمِنْ ظِنَّةِ اَهْلِ ٱلصَّلاحِ ٱلثِّقَةَ ، وَمِنْ عَداوَةِ ٱلأَدْنَيْنَ ٱلْوَلايَةَ ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي ٱلأَرْحامِ ٱلْـمَبَرَّةَ ، وَمِنْ خِذْلانِ ٱلأَقْرَبينَ ٱلنُّصْرَةَ ، وَمِنْ حُبِّ ٱلْمُدارِينَ تَصْحِيحَ ٱلْـمِقَةِ ، وَمِنْ رَدِّ ٱلْمُلابِسينَ كَرَمَ ٱلْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ ٱلظّالِمينَ حَلاوَةَ ٱلأَمَنَةَ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لي يَداً عَلىٰ مَنْ ظَلَمَني ، وَلِساناً عَلىٰ مَنْ خاصَمَني ، وَظَفَراً بِمَنْ عانَدَني ، وَهَبْ لي مَكْراً عَلىٰ مَنْ كايَدَني ، وَقُدرَةً عَلىٰ مَنْ اِضْطَهَدَني ، وَتَكذِيباً لِمنْ قَصَبَني ، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني ، وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني ، وَمُتابَعَةِ مَنْ اَرْشَدَني . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْني لانْ اُعارِضَ مَنْ غَشَّني بالنُّصْحِ ، وَاَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بالْبِرِّ، وَاُثيبَ مَنْ حَرَمَني بالْبَذْل ، وَاُكافيءَ مَنْ قَطَعَني بالصِّلَةِ ، وَاُخالِفَ مَنْ اِغْتابَني الىٰ حُسْنِ ٱلذِّكْر ، وَاَنْ اَشكُرَ ٱلْحَسَنَةَ وَاُغْضِيَ عَنِ ٱلسَّيِّئَة اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّني بِحِلْيَةِ ٱلصّالِحينَ ، وَاَلْبِسْني زينَةَ ٱلْمُتَّقِينَ ، في بَسْطِ ٱلْعَدْلِ ، وَكَظْمِ ٱلْغَيْظَ ، وَاِطْفاءِ ٱلنائِرَةِ ، وَضَمِّ اَهْلِ

اَلْفُرْقَةِ ، وَإِصْلاٰحِ ذاٰتِ اَلْبَيْنِ ، وَإِفشاٰءِ اَلْعاٰرِفَةِ ، وَسَتْرِ اَلـعاٰئِبَةِ ، وَلِيـنِ اَلْعَرِيكَة ، وَخَفْضِ اَلْجَناٰحِ ، وَحُسْنِ السِّيرَة ، وَسُكُـون اَلرِّيـحِ ، وَطِـيبِ اَلْمخاٰلَقَةِ، وَاَلسَّـبْق اِلىٰ اَلْـفَضِيلَةَ ، وَايـثاٰرِ اَلتَّـفَضُّلِ ، وَتـرْكِ اَلتَّـعْيير ، وَاَلأَفْضاٰلِ عَلىٰ غَيْر اَلْمُسْتَحِقِّ ، وَاَلْقَوْلِ بِالْحَقِّ وإنْ عزّ ، واستقلال الخير وإن كثُر من قولي وفعلي، واستكثار الشرِّ وَاِنْ قَلَّ مِنْ قَـوْلي وَفِـعْلي ، وَاَكْمِلْ ذٰلِكَ لي بِدَواٰمِ اَلطّاٰعَةِ ، وَلُزُومِ اَلْجَماٰعَةِ ، وَرَفْضِ اَهْلِ اَلبِـدَعِ ، وَمُسْتَعْمِلي اَلرَّأيِ اَلْمُخْتَرَعِ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَجْعَلْ اَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ اِذا كَبِرْتُ ، وَاَقْوىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ اِذاٰ نَصِبْتُ ، وَلاٰ تَبْتَلِيَنّي بالْكَسَلِ عَنْ عِباٰدَتِكَ ، وَلاٰ الْعَمىٰ عَنْ سَبيلِكَ وَلاٰ بالتَّعَرُّضِ لِخلاٰفِ مَحَبَّتِكَ ، وَلاٰ مُجاٰمَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ ، وَلاٰ مُفاٰرَقَةِ مَنْ اَجْتَمَعَ اِلَـيْكَ . اَللّٰـهُمَّ اَجْـعَلْني اَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، وَاَساٰلُكَ عِنْدَ اَلْحاٰجَةِ ، وَاَتَـضَرَّعُ اِلَـيْكَ عِـنْدَ اَلْمَسْكَنَةِ ، وَلاٰ تَفْتِنّي بالأَسْتعاٰنَةِ بِغَيْرِكَ اِذا اَضْـطُرِرْتُ ، وَلاٰ بـالْخُضُوعِ لِسُؤاٰلِ غَـيْرِكَ اِذا اَفْـتَقَرْتُ ، وَلاٰ بـالتَّضَرُّعِ اِلىٰ مَـنْ دُونَكَ اِذاٰ رَهِـبْتُ ، فَاَسْتِحَقَّ بَذٰلِكَ خِذْلاٰنَكَ وَمَنْعَكَ وَاِعْراٰضَكَ يـاٰاَرْحَـمَ اَلرّاٰحـمينَ . اَللّٰـهُمَّ اَجْعَلْ ماٰ يُلْقِي اَلشَّيْطاٰنُ في رُوعِي مِنَ اَلَّتمَنّي وَاَلتَّظَنّي وَاَلْحَسَدِ ذِكْـراً لِعَظَمَتِكَ ، وَتَفَكُّراً في قُدْرَتِكَ ، وَتَدْبيراً عَلىٰ عَدُوِّكَ ، وَماٰ اَجْـرىٰ عَـلىٰ لِساٰني مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ ، اَوْ هُجْرٍ ، اَوْ شَتْمِ عِرْضٍ ، اَوْ شَهاٰدَة بـاٰطِلٍ ، اَوْ اَغْتياٰبِ مُؤْمِنٍ غاٰئِبٍ ، اَوْ سَبِّ حاٰضِرٍ ، وَماٰ اَشْبَهَ ذٰلكَ نُطْقاً بالْحَمْدِ لَكَ ، وَاِغْراٰقاً في اَلثَّناٰءِ عَـلَيْكَ ، وَذَهـاٰباً فـي تَـمْجيدِكَ ، وَشُكْـراً لِـنِعْمَتِكَ ،

وَٱعْتِرافاً بإِحْسانِكَ ، وَإِحْصاءً لِمِنَنِكَ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَلاٰ أُظْلَمَنَّ وَاَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي ، وَلاٰ اَظْلِمَنَّ وَاَنْتَ ٱلْقادِرُ عَـلَىٰ ٱلْـقَبْضِ مِنّي ، وَلاٰ اَضِلَّنَّ وَقَدْ اَمْكَنَتْكَ هِدايَتي ، وَلاٰ اَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعي ، وَلاٰ اَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدي . اَللّٰهُمَّ اِلىٰ مَغفرَتِكَ وَفَدْتُ، وَاِلىٰ عَـفْوِكَ قَصَدْتُ ، وَاِلىٰ تَجاوُزِكَ اِشْتَقْتُ ، وَبفَضْلِكَ وَثِـقْتُ ، وَلَـيْسَ عِـنْدِي مـاٰ يُوجبُ لي مَغْفِرَتَكَ ، وَلاٰ في عَمَلي مٰا اَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ ، وَماٰ لي بَعْدَ اَنْ حَكَمْتُ عَلىٰ نَفْسِي اِلاّ فَضْلُكَ ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَـفَضَّلْ عَـلَيَّ . اَللّٰهُمَّ وَاَنْطِقْني بِالْهُدىٰ ، وَاَلْهِمْني ٱلتَّقْوىٰ ، وَوَفِّقْني لِـلَّتي هِـيَ اَزْكَـىٰ ، وَٱسْتَعْمِلْني بِماٰ هُوَ اَرْضىٰ . اَللّٰهُمَّ اَسْلُكْ بيَ ٱلطَّرِيقَةَ ٱلمُثْلىٰ ، وَٱجْعَلْني عَلىٰ مِلَّتِكَ اَمُوتُ وَاَحْيىٰ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْني بالاَْقْتِصاٰدِ، وَٱجْعَلْني مِنْ اَهْلِ ٱلسَّداٰدِ وَمِنْ اَدِلَّـةِ ٱلرَّشـاٰدِ ، وَمِـنْ صـاٰلِحي ٱلْـعِباٰد ، وَٱرْزُقْني فَوْزَ ٱلْمَعاٰدِ ، وَسَلاٰمَةَ ٱلْمِرْصاٰدِ . اَللّٰهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسي ماٰ يُخَلِّصُهاٰ ، وَاَبْقِ لِنَفْسي مِنْ نَفْسي ماٰ يُـصْلِحُهاٰ ، فَـإِنَّ نَـفْسي هـاٰلِكَةٌ اَوْ تَعْصِمَهاٰ . اَللّٰهُمَّ اَنْتَ عُدَّتي اِنْ حَزِنْتُ ، وَاَنْتَ مُنْتَجَعي اِنْ حُرِمْتُ ، وَبِكَ اِسْتِغاٰثَتي اِنْ كَرِثْتُ ، وَعِنْدَكَ ممّاٰ فاٰتَ خَلَفٌ ، وَلِماٰ فَسَدَ صَلاٰحٌ ، وَفـيماٰ اَنْكَرْتَ تَغْيير ، فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ ٱلْبَلاٰءِ بالْعافيَةِ ، وَقَبْلَ ٱلطَّـلَبِ بِـالْجِدَةِ ، وَقَبْلَ ٱلضَّلاٰلِ بِالرَّشاٰدِ ، وَٱكْفِني مَؤُنَةَ مَعَرَّةِ ٱلْعِباٰدِ ، وَهَبْ لي اَمْنَ يَـوْمِ ٱلْمَعَاٰدِ ، وَٱمْنَحْني حُسْنَ ٱلاَْرْشاٰدِ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُـحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَٱدْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ ، وَٱغْذُني بِنِعْمَتِكَ ، وَاَصْلِحْني بِكَرَمِكَ ، وَداٰوِني بـصُنْعِكَ ،

وَاَظِلَّني في ذَراكَ ، وَجَلِّلْنِي رِضاكَ ، وَوَفِّقْني اِذا اَشْتَكَلَتْ عَلَيَّ اَلأُمُورُ لأَهْداها ، وَاِذا تَشابَهَتِ اَلأَعْمالُ لأَزْكاها ، وَاِذا تَناقَضَتِ اَلمِلَلُ لأَرْضاها ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْني بِالْكِفايَةِ ، وَسُمْني حُسْنَ اَلْـوِلايَة، وَهَبْ لي صِدْقَ اَلْهِدايَةِ ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ ، وَاَمْنَحْني حُسْنَ اَلدَّعَةِ ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً ، وَلا تَرُدَّ دُعائِي عَلَيَّ رَدّاً ، فَإِنّي لا اَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلا اَدْعُو مَعَكَ نِدّاً . اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَمْنَعْني مِنَ اَلسَّرَفِ ، وَحَصِّنْ رِزْقي مِنَ اَلتَّلَفِ ، وَوَفِّرْ مَلَكَتي بِالْبَرَكَةِ فيهِ ، وَاَصِبْ بي سَبيلَ اَلْهِدايَةِ لِلْبِرِّ فِيما اُنْفِقُ مِنْهُ . اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَكْفِني مَـؤُنَةَ اَلأَكْتِسابِ ، وَاَرْزُقْني مِنْ غَيْرِ احْتِسابٍ ، فَلا اَشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بِالطَّلَبِ ، وَلا اَحْتَمِلَ اِصْرَ تَبِعاتِ اَلْمَكْسَبِ . اَللّهُمَّ فَاَطْلِبْني بِقُدْرَتِكَ مـا اَطْـلُبُ ، وَاَجِرْني بِعِزَّتِكَ مِمّا اَرْهَبُ ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنْ وَجْـهِي بِالْيَسارِ ، وَلا تَبْتَذِلْ جاهِي بِالاَقْتارِ فَأَسْتَرْزِقَ اَهْلَ رِزْقِكَ، وَاَسْتَعْطِيَ شِرارَ خَلْقِكَ ، فَاَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ اَعْطاني ، وَأَبتَلِي بِذَمِّ مَنْ مَـنَعَني ، وَاَنْتَ مِـنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ اَلأَعْطاءِ وَاَلْمَنْعِ . اَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَرْزُقْني صِحَّةً في عِبادَةٍ ، وَفَراغاً في زَهادَةٍ ، وَعِلْماً في اَسْتِعْمالٍ ، وَوَرَعاً في اِجْمالٍ ، اَللّهُمَّ اَخْتِمْ بِعَفْوِكَ اَجَلي ، وَحَقِّقْ في رَجاءِ رَحْمَتِكَ اَمَـلي ، وَسَـهِّلْ الىٰ بُلُوغِ رِضاكَ سُبُلي ، وَحَسِّنْ في جَميعِ اَحْوالي عَمَلي . اَللّهُمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَبِّهْني لِذِكْرِكَ في اَوْقاتِ اَلْغَفْلَةِ ، وَاَسْتَعْمِلْني بِطاعَتِكَ في اَيّامِ اَلْمُهْلَةِ ، وَاَنْهَجْ لي اِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً ، اَكْمِلْ لي بِها خَيْرَ اَلدُّنْيا

وَٱلاٰخِرَةِ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلىٰ اَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَاَنْتَ مُصَلٍّ عَلىٰ اَحَدٍ بَعْدَهُ ، وَاٰتِنا في ٱلدُّنْيا حَسَنَةً ، وَفي ٱلاٰخِرَةِ حَسَنَةً وَقِني بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النّارِ .[1]

* * * * *

فرغنا من تأليف المرحلة الأولىٰ من هذا الكتاب في جوار حرم الإمام الرضا عليه السلام ليلة ميلاد جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام الساعة الرابعة والربع قبل أذان الفجر من يوم الأربعاء (٢٠ / جمادىٰ الثانية / ١٤٢٤) وفرغنا من مراجعته النهائية والإضافات المفيدة في جوار حرم أخته الجليلة كريمة آل البيت عليهم السلام السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في الساعة الثالثة من يوم الأحد (١٤/ شوال / ١٤٢٥) وأنا الفقير إلى الله الغني:

عبدالعظيم المهتدي البحراني.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله

---

١ ـ الصحيفة السجاديّة.

المحتويات

المؤلف ومؤلفاتهُ في سطور الناشر

* ولد في البحرين سنة (١٩٦٠م). درس العلوم الاسلامية في حوزة النجف الأشرف في العراق منذ سنة (١٩٧٤)، ثم واصل دروسه في حوزة قم المقدسة من سنة (١٩٨٠)، وانطلق منها في أنشطته الاسلامية الىٰ مختلف البلدان العربية والاسلامية، فضلاً عن الأوربية والأفريقية. وكانت حصيلة تلك الأنشطة بناء مؤسسات عديدة ومؤلفات ومشاريع خيرية لمعونة الفقراء والمعوزين. حاز المؤلف في مسيرته الاصلاحية علىٰ رضىٰ وتأييد المرجعية الدينية، فهو يمثّل أكثر من (١٦) مرجعاً من مراجع الدين العظام. وقد شهدت الساحة الاسلامية في تقييمها لمؤلفاته ومحاضراته ولقاءاته التلفزيونية المباشرة بأنه يحمل أفكاراً وحدوية إصلاحية، وله طبيعة نقدية أخلاقية هادئة في تعامله مع الموضوعات الحساسة.

* والمؤلفات: «حقائق للتأمّل»، «الحسين مدرسة الاجيال»، «رسالة التآلف والأخوة»، «العلم والعلماء في الكتاب والسنّة»، «أحكامك في البلاد الأجنبية»، «علماء البحرين دروس وعبر»، «فلاح الزائرين»، «حتىٰ تحييٰ المقدّسات» «مذكرات الشيخ بُهلول»، «آية اللّه الحائري المهاجر الىٰ اللّه»، «أربعون حديثاً»، «اثنتا عشرة عيناً»، «قصص وخواطر: من اخلاقيات علماء الدين»، «حوار بين الحاج والشباب»، «كلمات من نور»، «معراج الصائمين»، «من أخلاق الامام الحسينعليه السلام»، «لمستقبل أفضل» «نقدّم لكم قدوة»، «الحرية ولابديل»، «تجربة الوحدة والتعايش»، «وعي التعامل مع الإختلاف»، «التسقيط»، «ماذا تعرف من أسرار الحج»، «أخلاق التعددية»، «إعلم يابُني»، «ولاتكن من الغافلين»، «عالم ومتعلّم»، «رسالة المقابر»، «المحبّة والعدالة والعقلنة»، «سمعتُ يقولون»، «مختاراتٌ من أحاديث النبي المُختار»، «أمُ البنينعليها السلام: رسالةُ الىٰ المرأة المُسلمة»، «شؤون علمائية بين السائل والمجيب»، «قراءةُ جديدة في فنّ العلاقات العامة»، «١٠٠ سؤال وجواب فيما يحتاجه الشباب»، «الامام الحسن الزّكيّعليه السلام»، «معلومات تحتاجها لسفر الآخرة»، «رؤىٰ في الطريق الىٰ الحسينعليه السلام»، «العقل ودوره في حياة الانسان المسلم»، «الخطر قريبٌ منك»، «أيها المسلمون»، «تلخيص التشريع الاسلامي ـ مجلدات»، «حياة الإنسان» وكتب أخرىٰ في مراحل الطبع.

وقد إعتمد المؤلف القدير في كتاباته الدعوة الىٰ توحيد الكلمة ونبذ الخلافات وكسر الجمود الفكري والاهتمام الاكبر بالتربية الاخلاقية. ويمكن الاتصال بسماحته في البحرين علىٰ رقم جمعية أهل البيتعليهم السلام (١٧٣٤٤٤٧٤).